الجمهورية الجزائريةالديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-

كلية الآداب واللغات　　　　　　　　قسم اللغة والأدب العربي

الاتساق والانسجام والترابط بين المقترح الغربي والإسهام العربي الجرجاني و السكاكي والقرطاجني-نماذج-

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة

إعداد الطالب

لغزال لخضر

إشراف الأستاذ الدكتور

لزعر مختار

أعضاء اللجنة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفــــــة
مرتاض عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
لزعر مختار	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرفاً و مقرراً
عباس محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً
عقاق قادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضواً مناقشاً
بن يشو جيلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	عضواً مناقشاً
مجاهد ميمون	أستاذ محاضر(أ)	جامعة سعيدة	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيـم

الإهــداء

إلى..

الوالد.. رحمه الله تعالى.

الوالدة الكريمة..عافاها الله من كل بأس.

الزوجة الكريمة .. تحية وفاء.

الأبناءالأوفياء..مصعب،أنفال،الخنساء،المعتصم.. حفظهم الله.

إليهم جميعاً.. أهدي هذا العمل.

شكر وعرفان

خالص تحياتي و وافر تشكراتي،أرفعها بين يدي الأستاذ الدكتور لزعر مختار ، نظير ما شملني به من نقد بناء ، وتوجيه هادف..

المقدمة

المقدمة

جاء التحول الفكري في رحاب الحضارة الإنسانية ، الذي شهده القرن التاسع عشر والقرن العشرون، بعد الثورة العلمية التي أحدثها(فرديناند دي سوسير)؛ والذي شدَّد على دراسة اللغة دراسة وصفية داخلية، وعلى كونها نظاماً خاصاً من العلامات، أو الإشارات المعبرة عن الأفكار.

وقد أثّر قوله بالاهتمام بالأنساق، في دعوة البنويين إلى الفصل بين دراسة الأدب، ودراسة تاريخ الأدب، ليمثل كل ذلك قطيعة إبستمولوجية مع الدراسات اللغوية التي كانت قبلها ؛ وهو ما يفسر النقلة النوعية من الدراسات المعيارية، نحو الدراسات الوصفية المعتمدة على المنهج العلمي الدقيق، والمقاييس المضبوطة للتعامل مع الظاهرة اللغوية ؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور الدراسات اللسانية الحديثة، باتجاهاتها الثلاثة الكبرى؛ البِنَوية والتحويلية والتداولية.

ولقد كانت المناهج قبل الدراسات اللغوية الحديثة، تقوم على الأحكام القيمية والنظرة الجزئية، لكن سرعان ما ظهرت دعوة تهتم بالعمل الأدبي في حد ذاته، وكان الهدف هو تحليل العناصر المكونة للنص، وإيجاد القواعد التي بني عليها. وبمعنى أدق الوصف العلمي للنص، و إيجاد العلاقة التي تكوِّن عناصره.

وقد تبلورت ممارسة النص في سياق المناهج الحداثية ، التي اهتمت بالنص الأدبي، فيحدود الأنطولوجية، معتمدة على الإنجازات التي تمت في حقل اللسانيات والسميائيات التي ترى أن النص علامة متكاملة، أو مجموعة متوالية من العلامات ، فاستطاعت بذلك أن تقتحم مجال النص وتؤسس لمفهومه، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التحليل بالمقومات السياقية ،التي تهتم بسياق النص ، وما وفره المنهج البنوي من أدوات ، ومفاهيم وما فتحه من إمكانات للتحليل.الأمر الذي مهد إلى ظهور لسانيات النص، و جعلها تستفيد من مكتسبات العلوم الإنسانية وإنجازاتها.

المقدمة

لقد تجاوزت لسانيات النص التحليل الجزئي ، واستفادت في هذا الشأن من بعض منجزات الأسلوبية و البنوية، واكتشفت التنظيم الداخلي للوحدات.نتيجة لكل ذلك كان لابد من ظهور الوسائل المنهجية، لوصف النص كله وتحليله.لأن المناهج الأخرى بدت قاصرة في تجاوز حدود الجملة، إلى ما فوقها والوقوف على دلالة النصوص للبنية، التي تحكمها خاصة وأن مفهوم البنية متوقف على السياق؛ والعلاقات داخل النص.

وإذا كان علم اللغة النصي، يمثل أحد مظاهر هذا التحول في الدرس اللغوي الحديث، فإنه في أبسط تناول له يُعنى بأبنية النص وصياغته، وصفات التوظيف والاتصال. و قد ظهرهذا الفرع اللساني، في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي والنصف الأول من سبعينياته؛ و ازدهر ازدهاراً كبيراً منطلقاً من أن وحدة التحليل هي النص.

ولا شك أن مدلول مصطلحات **الاتساق والانسجام والترابط** ، في فعل الممارسة النصية ؛ يحتل موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات التي تتدرج في مجالات تحليل الخطاب ولسانيات الخطاب/ النص، ونحو النص، وعلم النص. حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفاً، ينتمي إلى هذه المجالات خالياً من هاته المفاهيم أو من أحدها أومن المفاهيم المرتبطة بها؛ كالتعالق والتماسك والتلاحم مثلاً، مع إغناء ملحوظ للدراسة بتخصصات متنوعة، من قبيل علم الاجتماع وعلم النفس اللسانيين والذكاء الاصطناعي .. وغيرها.

وإذا نحن سلمنا جدلاً، بوجود تذبذب على مستوى الفكر العربي،الذي فقد انسجامه الداخلي بفعل التحديات الحضارية والفكرية المفروضة عليه؛ فإن الدارس المنصف للتراث اللغوي العربي،لا شك أنه يحتاج إلى مساءلة هذا التراث، وخاصة في شقه المتعلق بالنشاط المرتبط بالممارسة النصية ، تذوقاً وفهماً وتحليلاً و تفسيراً، من أجل استخلاص الإسهامات المبلورة فيه ، و التي تجزم بوجود تصورات مبدئية عن فعل الممارسة النصية، ذلك أن مستقرئ

المقدمة

التراث النقدي يشد انتباهه تأكيد النقاد القدامى على فكرة النظام ، كمقوم أساس لبنية النص وقد عبروا عن ذلك بعدة مصطلحات ؛ مثل النظم والمشاكلة والرصف والائتلاف والبناء. مما يؤشر على وجود تصور لساني مبكر؛ لا يقل أهمية وخصوبة عماقدمه الغربيون في هذا المجال في العصر الحديث.

ضمن هذا التصور التراثي الحداثي الشامل، يأتي هذا البحث ليجيب عن سؤال مفاده:ألا يمكن أن نجد في التراث العربي المرتبط أساساً بالممارسة النصية، إسهامات قابلة لأن تدرج في لسانيات النص بصفة عامة ، و في انسجام الخطاب بصفة خاصة..؟

إن هذا البحث أريد له أن يستجيب للاهتمامات المتزايدة، حول ضرورة التركيز على **(كلية النص)**، انطلاقاً من أهمية **الاتساق** و**الانسجام** و**الترابط** في حقل لسانيات النص وتحليل الخطاب، بل إن الغاية الأساس لهذه الدراسة هي إبراز بعض المناطق المضيئة، في تراثنا البلاغي والنقدي من خلال تسليط الضوء على إسهامات **الجرجاني** و**السكاكي** و**القرطاجني** البلاغية ، واستبصاراتهم النقدية، اعتقاداً منا أن ذلك سيساعدنا على إثبات أن الفكر اللغوي العربي القديم، يشتمل على عناصر القوة و النمو و التطور، ومواكبة المناهج اللسانية والفكرية، وأنه بناء منسجم ومتماسك الحلقات. فالذي يطبع هذا الفكر الاتساق و الترابط، وليس التفكك والانقطاع.

إن فعل معالجة التراث اللغوي العربي ، هو سبيل مؤداه الوصول إلى إمكانية وصف الظاهرة اللغوية ، في تجلياتها الإنسانية و تفسيرها وتأويلها. بيد أنه يمثل مظهراً من مظاهر تطور الأفكار الحديثة، وذلك من أجل تحقيق فهم أعمق لطبيعة النص وقضاياه، و كل ذلك لا يتأتى لنا،إلا وفق آلية قراءة نقدية متزنة، تعطي للتراث العربي نصيباً من الإنصاف؛ بالنظر إلى ما قدمه في فعل **الإسهام** اللغوي قديماً ، و تقدم كذلك **للمقترح** الغربي رؤيته اللسانية ، ضمن فعل المشاركة في الدرس اللغوي الحديث.

المقدمة

وحديثنا عن فعل المشاركة ، من خلال المقترح الغربي والإسهام العربي، رجونا أن تكون وجهته نحو تمظهر مصطلحاتي ثلاثي هو: **الاتساق والانسجام** و**الترابط**؛ و كنا ننشد من وراء ذلك، رغبتنا في أن لا يتشعب بنا حقل البحث، فيحدث جيوباً تخرج بنا عن مجال القراءة، بمفهومها النقدي والاستقرائي.

الجدير بالذكر في هذا الإطار، أن علماء اللغة المحدثين ، قد أنفقوا الكثير من أوقاتهم ومن جهودهم ، من أجل أن يحددوا مفاهيم **الاتساق** و**الانسجام** و**الترابط**، إذ كثرت المصطلحات وتعددت المفاهيم، ولعل مرجع ذلك إلى أن كل واحد من هؤلاء ، نظر إلى القضية من الزاوية التي يريد الغوص من خلالها إلى الدرس اللغوي ، كما أن للسبق التاريخي تأثيراً على ذلك ، فحداثة لسانيات النص وضبابية مفاهيمها –خاصة في البداية – أدى إلى ذلك الغموض ، كما أن لتعدد المدارس المتناولة للموضوع ولتعدد الوجهات التي تنظر بها أثراً في ذلك .

ومهما يكن من أمر في عدم دقة هذه المصطلحات، فإنها في دلالتها اللغوية – كما ورد في معاجم اللغة العربية – تعني **الاجتماع** و **الانتظام** و**الاكتمال**، وهذا لا يبعُد أبداًعن المعنى ، الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص.

إن **الاتساق** بهذا المفهوم، لن يكون موجوداً في النص؛ إلا إذا توافر على الآليات، التي تجمع مكونات هذا النص اللغوية والدلالية عموما. والتي يقسمها(فان دايك) إلى مجموعتين، إحداهما مجموعة الروابط المنطقية، والأخرى طبيعية تتبع منطبيعة التركيب اللغوي، ذلك لأن الاتساق إنما يكون في خطية النص وتركيبه، والذي ينشئه هو الكلمات المتراصفة ، و التي يأخذ بعضها بعنق البعض الآخر.

أما الانسجام فقد عدّه (كلاوس برينكر) المفهوم النواة في تعريف النص، واُعتبر عند آخرين من العناصر الأساسية، في دراسة طبيعة العلاقة بين النص والسياق، لكونه يختص بالاستمرارية الدلالية، التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها.

وأما الترابط فقد كان له؛ ولوسائله حيز كبير، في حقل الدرس اللغوي المعاصر، وقد تجسدت أمام علماء اللغة، فائدة الترابط والتلاحم بدءاً بالربط بين المستويات اللغوية المختلفة، في النص الواحد. ويذهب (دي بوجراند) إلى اعتبار أن الترابط يتحقق في شكل من أحد الشكلين التاليين:

– الترابط الرصفي: وهو أقرب إلى ظاهر النص، و يرتبط بالدلالة النحوية على مستوى الأنماط، والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة، و المعنى ونقلهما وتذكرهما.

– الترابط المفهومي: ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي، للنص من أجل إيجاد معنى كلي للنص.

لقد كان من أهداف عملنا؛ النظر في الوجوه التي يتحقق بها **الاتساق والانسجام** و **الترابط** بين مكونات النص.. و لكننا لاحظنا أنه بإمكاننا ؛ أن نتحدث عن الصورة التي حقق بها النحاة والبلاغيون والنقاد العرب تلك المظاهر، نطاق النظرية اللغوية العربية، فطالعنا في صورة وصفهم وتفسيرهم قدراً من **التلاحم والتماسك** و**التعاضد**، لم نقف على مثله فيما إطلعنا عليه من النظريات اللسانية الحديثة.

ولما كان البحث في شقه الإجرائي، بحاجة إلى تقديم للقراءة في أعمال النماذج، من خلال استعراض **اقتراحاتهم** و **إسهاماتهم**–غربيين وعرباً – وما أدلوا به في هذا الإطار، كنا بحاجة ماسة في شق **الإسهام** ، إلى التنقيب في الموروث العربي،عمن استطاع أن يبرز بطريقة متميزة أهمية هذه **الثالوث**،

في حقلي البلاغة والنقد. فبرز لنا، الشيخ الإمام العلامة **عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن الجرجاني** (474هـ)، و العلامة سراج الملة والدين ، **أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي** (626هـ)، **و أبو الحسن حازم القرطاجني** (684هـ).

ولقد قامت قناعتنا، في اختيار هؤلاء الأعلام ، من دون أن يكون لدينا شيئاً من تعمد التجاوز،لإسهامات كثير من العلماء، كالجاحظ والخطابي والآمدي وقدامه والسيوطي والزمخشري.. و غيرهم كثير لا يحصى.

ولما كان البحث عن سر الإعجاز القرآني، يمثل مصدراً رئيساً للدراسات البلاغية؛ بل ويكاد يكون محوراً للدراسات العربية كلها؛ فقد نظر **عبد القاهر الجرجاني** إلى القرآن الكريم نظرة كلية باعتباره نصاً واحداً، وذلك بعرضه سؤالاً مؤداه: ما الذي أعجز العرب من النص القرآني..؟، فقدم في(دلائل الإعجاز) نظرية لغوية متكاملة، ولم ي قدم طريقاً جديداً للبحث النحوي. ومفهوم النظم لديه أوضح شاهد على تكامل علمي النحو والمعاني، بدليل عنايته بالتركيب ؛ فبعلم النحو يتحقق فهم البنية التركيبية ودلالتها، وبعلم المعاني تتحدد أهداف التعبير والتواصل، وبهما و بالمستويات الأخرى ، يوُقَف على التراكيب وأسرارها.

وأما الظاهرة الثانية في الإسهام البلاغي، فقد كشفت عن عالم فذ آخر، ذلك هو **السكاكي**؛ فقد كان (مفتاحه)، بمثابة الخطوة الطبيعية المنتظرة بعد كتابي الجرجاني (الأسرار) و(الدلائل). ومؤدى ذلك أن نظرية **السكاكي**؛ في علم الأدب كانت ثمرة طبيعية لنظرية النظم ، و قد اقتفى أثر **الجرجاني** في كثير من آرائه البلاغية؛ التي تؤشر على فهم مبكر، لظاهرة تكامل وتآلف وحدات النص. بل إن الناظر فيما قدمناه من شواهد، حول حديث السكاكي عن أبواب البلاغة سيقف لا محالة على صحة هذا الحكم.

وأما **القرطاجني** فقد كان واحداً من النقاد العرب المتميزين، الذين اعتنوا بالكشف عن الترابط القائم، بين سلسلة الأقوال المؤلفة لفقرة، أومجموعة أجزاء من العمل الأدبي . لقد سلط الضوء على العلاقات الترابطية ،لأجزاء القصيدة كما أُعتبر أول من قدم وصفاً مفصلاً ، للكيفية التي تتماسك بها القصيدة ، بدءً من الفصل الواحد ، مروراً بالفصول وانتهاءً بالتسويم والتحجيل، والتي تُسهم في بناء النَّصّ الشعري في وحدة متكاملة ، و له تصور في ربط مصطلح الأسلوب بالنَّظم ولكن من غير جهة التركيب والصِّياغة، و جعله خاصًّا بالنّظم المعنوي الذي له علاقة مباشرة بالبناء الداخلي للنصّ الأدبي، فجاء منهجه في دراسة الأسلوب ضمن رؤيته المتكاملة عن إنتاج الإبداع الشعري، و التي تمثّل قمّة التفكير في النَّقد العربي القديم.

لقد سعينا من خلال هذا البحث،أن نضفي عليه شيئاً من الإضافة والجدة والتمحيص والنقد البناء. فبادرنا إلى استقراء إنجازات النماذج، من خلال الجمع بين حقلي البلاغة والنقد.أما لماذا جمع البحث هذا الثلاثي من العلماء؟، فلاعتقادنا الغالب قلة الدراسات التي سعت إلى بيان فضل التراث اللغوي العربي، بما هو ممثل له في هؤلاء الأعلام الثلاثة على الدراسات اللسانية الحديثة، وفق ما توصل إليه الفكر الغربي، كل ذلك بشيء من المماحصة والمكافأة والموازنة.

لقد أردنا لهذا البحث أن يضع بين يدي القارئ المتبصر، حجة تضحد الافتراءات المزعومة على الموروث اللغوي العربي، بعدم أهليته أو أصالته أو قصور تصوراته. بيد أن السعي من أجل خلق تصور جديد، يمسك بيد بأصالة وإرهاصات التراث اللغوي العربي من جهة، و يمسك بالأخرى بمفاهيم الحداثة للمصطلحات المشار إليها ، ما كان ليكتمل لولا جملة من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وإن كان ذلك وفق نظرات وتصورات مختلفة.

المقدمة

لقد كانت المراجع المعتمدة في جنبات هذا البحث، وفيرة متنوعة. وإن شئنا الإشارة إلى بعضها، ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر كتاب (**لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب**) لـــ(محمد الخطابي)، و كتاب (**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس نحو النص –**) لـــ(محمد الشاوش)، وكتاب (**النظرية اللغوية في التراث العربي**) لـــ(محمد عبد العزيز عبد الدائم)، وكتاب (**مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي**) لـــ(بريجيته بارتشت)، و ترجمة (سعيد حسن بحيري) وكتاب(**لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء**) لـــ(نعمان بوقرة)، وكتاب (**الخطاب في نهج البلاغة**) لـــ(حسين العمري).. وغيرها.

لقد تبين لنا أن الاهتمام بالقدامى، لم يكن من قبيل الإعراض عن الاهتمام بالمحدثين، إنما هو أمر رغبنا فيه لما لاحظناه عند الأولين من عناية وسبق إلى ما جد عندهم. بل الذي حفزنا حقيقة على خوض مجال هذا البحث ما تتميز به الدراسة النصية في التراث ، من كونها تستند إلى مجال تطبيقي خصب، وهذه خصيصة تميزها عن باقي الدراسات، النصية وكونها تنطلق في دراستها من نص مطلق معجز لا يضاهيه نص آخر ، إنه القرآن العظيم..!

أما كون البحث كان بحاجة إلى اتباع منهج يسير على منواله، ويستنير بمعالمه ، فقد تقرر لدينا – وفق الخطة المتبعة – حاجتنا إلى المنهج الوصفي، لكوننا اعتمدنا في بعض مفاصل البحث،على العرض والترتيب والجمع، كما كنا بحاجة إلى المنهج التاريخي، لداعي التحول في الإنجاز من خلال الحديث عن حقب زمنية متباعدة، في إشارتنا إلى نماذج الأعلام ، ثم حاجتنا إلى تفحص تجليات فوارق تحاليل اللغة بين التراث والحداثة، بين القرن الخامس الهجري والقرن السابع الهجري من جهة ، وبين العصر

الحديث ، و مظاهر التحول الفكري في رحاب الحضارة الإنسانية ، الذي شهده القرن التاسع عشر والقرن العشرون.

كما أن البحث في بعض مفاصله الرئيسة، كان بحاجة كذلك إلى الاستعانة بالمنهج المقارن والتحليلي. أما لماذا المنهج المقارن فلأننا أمام نموذجين دراسيين فارقين، في الخصائص العلمية واللغوية والمكونات الحضارية ، نموذج يستقري الباعث الديني والعقدي ويستلهم من الموروث العربي الخالص، ونموذج آخر تشده الحضارة اليونانية شدّاً، و تملي عليه الكثير من التوجهات والاعتقادات والإملاءات. و أما حاجتنا إلى المنهج التحليلي فلأننا نرنو إلى الابتعاد قدر الإمكان ، عن العرض والطرح دون أن يكون ذلك متبوعاً ، بشيء من التمحيص وإبداء الرأي والتعقيب والتعليق حتى نحقق للبحث شكل التميز والجدة فيه.

و إيماناً منا بضرورة الابتعاد عن لغة الحكم الجاهز، وعدم الحاجة الملحة في تمطيط البحث بكثرة من الأقسام، والأبواب اجتهدنا في أن جعلنا للبحث أربعة فصول.أما الفصل الأول فجاء عنوانه **(جذور التفكير اللساني، بين الغرب والعرب)** وأردنا من خلاله وضع القارئ أمام واجهة مكشوفة، من التصورات والأفكار التي تداولها المفكرون الأوائل، واعتبرنا ذلك مقدمة طبيعية لما آلت إليه الدراسات اللغوية بعد ذلك، و جعلنا له من المباحث؛ الأول(الدراسات اللغوية الغربية، وحقيقة **المقترح** اللساني).

و أما المبحث الثاني، فكان عنوانه(الدراسات اللغوية العربية القديمة، وجذور **الإسهام** اللساني). و كلا المبحثين يجسدان الأرضية المشتركة نبين تفكيرين لسانيين متمايزين، من حيث امتدادات جذور النشأة، وأما المبحث الثالث فاخترنا له عنوان(المصطلح اللساني العربي القديم، ومؤشر التماسك النصي) و قصدنا منه استعراض جملة من المصطلحات العربية، تحمل دلالاتها المعجمية الكثير من معاني التآلف، و التآزر والتلاحم والتضام ، مما

المقدمة

يؤشر بصفة قاطعة على وجود خلفية لغوية لدى العلماء العرب الأوائل، تعكس ممارسة نصية تنسجم وملابسات ذلك التاريخ.

و أما الفصل الثاني فكان عنوانه ، (**جذور دراسات النظم، ونظرية السياق عند البلاغيين**) وهدفنا من رواء ذلك التقديم لمفهوم النظم قبل الجرجاني، وبعده لأهميته في هذا البحث. و فيه عرجنا كذلك على أهمية السياق، عند العلماء العرب في مختلف علوم اللغة، كعلم الأصول وعلم النحو والبلاغة والتفسير.

أما المبحث الأول منه فهو(اللفظ والمعنى، وطبيعة الصلة بينهما)؛ لأن اللغة هي قبل كل شيء شكل ومحتوى، واعتبرنا ذلك عتبة معرفية مسبقة لما كان سائداً عند العلماء الذين خاضوا في التقديم لمفهوم النظم. وأما المبحث الثاني فجاء عنوانه(نظرية النظم، وأسئلة التاريخ) وقصدنا من ورائه، الإشارة إلى كل ما أحاط بنشأة مصطلح النظم، وعلاقة ذلك بنشأة الدراسات القرآنية والإعجازية.

و بعد ذلك عرجنا على جملة من آراء الذين تبنوا مفهوم النظم، واعتبروه تفسيراً مقبولاً لكثير من الظواهر اللغوية، وبخاصة عند تناولهم لنص القرآن الكريم. وأما المبحث الثالث فهو(المنحى الفني في نظرية النظم، و أدبية الإعجاز)، وركزنا من خلاله على أهمية بيان أهمية النظم وعلاقته بالدرس الإعجازي، وأما الرابع فهو(مفهوم السياق في التراث العربي والفكر اللغوي الغربي)، وخصصناه للحديث عن السياق من منظور عربي ، و آخر غربي كل ذلك بشيء من المقارنة والموازنة.

أما الفصل الثالث فكان عنوانه (**الفكر اللغوي الغربي، و مقترحات حول الممارسة النصية**) تضمن الحديث عن تجليات الفكر اللغوي الغربي في العصر الحديث، وبداياته الأولى وقد تضمن من المباحث:الأول (مدخل إلى

اللسانيات النصية، التاريخ والتطور)، و أما المبحث الثاني فهو(العلاقات النصية، وظاهرة تماسك الخطاب) وأما الثالث فهو(مقومات تماسك النص/ الخطاب، و تشكل بناء اللغة)؛ وأما الرابع فهو(قراءة في المقترح اللغوي الغربي، حول مظاهر اتساق وانسجام وترابط الخطاب)، وهذا المبحث جاء خاتمة طبيعية ، لما سبق ذكره في العلاقات والمقومات، باعتباره يمثل جزءاً هاماً في أركان هذا البحث.

أما الفصل الرابع والأخير، فكان عنوانه (**التراث اللغوي العربي، ودلائل الإسهام في الممارسة النصية)** وقصدنا منه وضع الظاهرة اللغوية العربية بنماذجها المختلفة، أمام محك حقيقة الممارسة النصية. أما مباحثه المختارة له فجاء عنوان الأول منها(مظاهر الممارسة النصية، و دلالاتها في الفكر الجرجاني)، وأما الثاني فكان عنوانه (السكاكي، وفعل الممارسة النصية)، بينما الثالث منها فهو(القرطاجني، وفكر تلاحم لغة الشعر).

وفي استقرائنا لإنجازات النماذج – البلاغية والنقدية – ، وحرصاً منا على تتبع الشواهد من مصادرها، التي توثق بصفة علمية لفعل الإسهام، اعتمدنا على ما ورد في كتب: (دلائل الإعجاز) و(مفتاح العلوم) و(منهاج البلغاء و سراج الأدباء) على الترتيب، و أنهينا كل مبحث بما وجب الإشارة إليه، من تعقيب وتعليق ، وختمنا كل ذلك بخاتمة تضمنت بياناً لأهم النتائج المتوصل إليها.

وتحقيقاً لما ورد ذكره في فصول البحث، فإن مادته اللغوية بقدر ما كانت ثرية متنوعة، بقدر ما كانت بحاجة إلى الاستزادة من المراجع الأم، باللغتين الفرنسية أو الإنجليزية – خاصة في مباحث الفصل الثالث – و لكن والحق يقال، حال بينا وبين ذلك حائلان اثنان: أولهما قلة هذه المراجع، وثانيهما عدم قدرتنا على تفهم لغة مادة البحث بغير اللغة العربية، فاضطررنا – والحالةَ هذه – أن نعتمد على الكتب المترجمة.

المقدمة

إن مصطلحات كل علم تاليةٌ له في الوجود، و كلّما تقدّم العلم إلاَّ ونمت مصطلحاته، وتحدَّدت معانيها، ممّا يفرض على العلم حتميَة الرُّجُوع إلى ذاته لتأمُّلها ومساءلتها بمناقشة تصوُّراته ومصطلحاته ، وإذا نحن تأملنا في مصطلحات الممارسة النصية– قديمها وحديثها – نكون بذلك قد جعلنا الأواصر بين الدرس اللغوي والبلاغي في التراث ، متصلة غير مبتورة مع الدرس الأسلوبي واللساني المعاصر .على نحو تتجدد به الأصالة ، ويتحول به التراث إلى قوة فاعلة في وعينا بالظاهرة الأدبية.

أخيراً وليس آخراً.. جزيل الشكر أقدمه إلى الأستاذ الدكتور لزعر مختار، نظير متابعته لهذا البحث، توجيهاً وتصويباً و تنقيحاً. والشكر موصول كذلك إلى جميع أعضاء اللجنة ، على قبــولهم قراءة هذا العمل، وبدلهم الجهد من أجل تصويبه وتقويمه، وإلى الأستاذ خلادي كبير امتنان، لما أمدني به من ملاحظات خدمة للبحث. فجزى الله عني الجميع كل خير، والحمد لله من قبلُ ومن بعدُ.

أدرار في : 2014/03/18.

الفصـــــل الأول:

جذور التفكير اللساني، بين الغرب و العرب

المبحث الأول- الدراسات اللغوية الغربية، وحقيقة المقترح اللساني

لقد كان وطيلة أحقاب متطاولة من التاريخ، الذي درس فيه العرب لغتهم، ووضعوا لها القوانين والمبادئ، كانت أوروبا مسترسلة في نوم عميق. فقبل أواخر القرن الثامن عشر؛ لم تكن لهم دراسات لغوية تتصف بطابع العلم وقوانينه، بل مجرد مسائل محدودة تتعلق بالبنية والأسلوب ، على صورة يفيد منها المتعلمون على درجة من البساطة والتخمين.

أولاً- مراحل تطور الدرس اللغوي الغربي:

01/- العصور الوسطى في الغرب

يطلق مصطلح القرون الوسطى في الحضارة الغربية ،على المرحلة التاريخية الأوروبية الممتدة من سنة (476 م)، إلى حوالي سنة (1500 م). أي منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية ، إلى بداية النهضة الأوروبية. و تعرف القرون الستة الأولى، التي تلت انحلال الإمبراطورية الرومانية بالعصور المظلمة، وتبدأ من سنة (476 م) إلى سنة (1000 م).

ظلت اللاتينية لغة للمعرفة ، « و ازداد سلطانها باستعمالها لغة للأدب البطريركي، ولغة للطقوس والإدارة في الكنسية (الرومانية)؛ وهذا وحده ضمن للغة مكانة كبيرة . وقد مثلت الدراسات في قواعد اللاتينية إلى حد كبير، الدراسات اللغوية في السنوات الأولى للعصور الوسطى. و قد قام تعليم العصور الوسطى على أساس الفنون العقلية السبعة ، و هي القواعد والجدل (المنطق) والبلاغة، و الموسيقى والحساب والهندسة والفلك».[1]

هذا ولم تشهد العصور الوسطى في أوروبا، خطوات أصيلة في الدراسات اللغوية، وكان الأمر السائد هو تعليم اللغة اللاتينية، وقد نظمت قواعد النحو اللاتيني شعراً في القرن الثالث عشر، ولم يضف علماء هذه

1- ر.هـ.روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، ترجمة : أحمد عوض،عالم المعرفة ،سلسلة ثقافية ، المجلس الوطني الثقافة ، الكويت،(د ط)، 1997م ،ص.125.

العصور، شيئاً جديداً إلى قواعد اللاتينية التي وصل إليها القدماء ، ولكنهم عرضوها بصورة أكثر إتقاناً. وفي أواخر العصور الوسطى تحدد اهتمام العلماء والمتعلمين بدراسة اللغة اليونانية. و هكذا استمر التأثر باليونان ، الذين أخذ عنهم الرومان القدماء. وظلت المبادئ و التصورات اللغوية، المتداولة هي تلك المبادئ، والتصورات القائمة على أساس من المنطق.

وقد اتجهت الدراسات اللغوية الغربية، في هذه الفترة إلى وضع الشروح والحواشي، للنصوص الأدبية باللغات العامية، وقاموا بسرد الكلمات اللاتينية عامة، ومحاولة إيجاد ما يقابلها في لغات أخرى. أما الدراسات النحوية فقد التزم نحاة هذه المرحلة بتطبيق القواعد، والنظريات التي توصل إليها الإغريق. وظل البحث مستشرياً في محاولة معرفة طبيعة العلاقة بين النحو والفلسفة؛ وصارت قناعة النحاة راسخة، في أن النحو جزء لا يتجزأ من علم اللاهوت.

وبحلول الفترة الثانية من القرون الوسطى، شهدت الدراسات اللغوية الأوروبية، تحول مفصلي في دراسة اللغة اللاتينية، وتثبيت ما يسمى بالقواعد التقليدية. أين نجد (ألكسندر دي فيلاداي)(Alexander De Villa Dei) قد ألف كتاباً مدرسياً في النحو اللاتيني بعنوان:(Doctrinale Pueroum) في شكل متون شعرية بلغت (2645) بيتاً؛ و ذلك لتسهيل قواعد اللغة اللاتينية على الطلاب. وقد توالت بعد ذلك التأليفات اللغوية، في أماكن متفرقة من أوروبا على غرار ما حدث مع (دانتي)(Dante) وغيره.

كان الجزء الثاني من العصور الوسطى « هو الأكثر أهمية ، و كان هذا العصر هو عصر الفلسفة السكولاستية، الذي كان للدراسات اللغوية فيه، مكانة مهمة. وشهد هدا العصر إنشاء عدد من أولى الجامعات في أوربا، و كانت المؤلفات اللغوية حتى ذلك الوقت؛ تعليمية تماماً في أهدافها و استنتاجية في مبادئها ».[1]

1- ر.هـــ.روبنز،نفسه،ص .129-130.

و منذ أواخر العصور الوسطى وخلال عصر النهضة، وعناية الأوروبيين بآثار كبار الأدباء اليونان والرومان آخذة في الازدياد ، وقد أخذ المولعون بتلك النصوص، يهتمون بالأسلوب أكثر من اهتمامهم باللغة.[1] وقد أخذ لغويو أوروبا في دراسة لغات أخرى ، غير اللغتين الكلاسيكيتين اليونانية والرومانية . فدرسوا بعض اللغات السامية وخطوطها كالسريانية والعبرية والعربية والحبشية ، ومن أشهر المستشرقين في هذا العصر، المستشرق الايطالي (ثيسيوس أمبروجي) (1469–1540م)، و(ليونارد أبلا) المالطي وقد مات في روما سنة(1605م).

وخلاصة ما شهدته أوروبا من الدراسات اللغوية، إنما كانت في مجملها تدور حول محور نظرية فلسفية بحتة؛ ثم سرعان ما بدأت تجنح إلى دراسة الآداب الجميلة وأساليبها، متخذة مجرىً مغايراً في رؤيته ومفهومه للدراسات النحوية.

02/- عصر النهضة[2] وما يليه

لقد اصطلح الباحثون على الدراسات اللغوية، التي أنجزت في هذا العصر اسم (لسانيات النهضة)؛ إذ شهدت هذه الفترة نشاطات فكرية كبيرة ، واشتدت العناية باللغة وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد . من ذلك: إحياء اللهجات الأوروبية المتنامية و اكتشاف لغات جديدة، وتقين القواعد وإصلاح أنظمة الكتابة والتهجئة والاهتمام بالآداب بمختلف أشكالها.

وفي عصر النهضة اتسع أفق الدراسات اللغوية في أوربا، نتيجة عوامل متعددة منها؛ حركة الإحياء للتراث اليوناني والروماني ، والحركات الوطنية ،

1- ينظر:محمود السعران، **علم اللغة،مقدمة للقارئ العربي**،دار النهضة العربية بيروت، (دط)،(دت)، ص.329.

2- إن مصطلح النهضة (Renaissance) مفهوم أوروبي محض، يعني لغوياً الانبعاث أو الولادة من جديد. ويدل في الاصطلاح على تلك الفترة الانتقالية، التي حدثت في أوروبا بين العصور الوسطى والعصر الحديث؛ أي منذ القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر.

ورحلات الكشوف الجغرافية، التي أوصلت الأوربيين إلى أصقاع العالم؛ فاطلعوا على ما تمتلكه هذه الشعوب من تراث لغوي زاخر، فكانت فكرة الاستحواذ الشامل على كل ما تقع عليه العين..!

وما تجدر الإشارة إليه أن كُتاب هذه الفترة؛ كانوا يتمتعون بالحقوق والحريات الكاملة، مما شجعهم على حركة الإبداع و التأليف.عكس نظرائهم في القرون الوسطى، الذين حُرموا من دراسة الآداب والفنون والفلسفات الإغريقية؛ التي عدُّوها وثنية المحتوى لائكية المقصد. وقد عرف هذا العصر اهتمامات متزايدة باللغات الأوروبية العامية، والآداب القومية الناشئة وباللغتين العربية والعبرية؛ كما وقد افتُتن كثير من أدباء هذا العصر، بأسلوب من سبقوهم من الكتاب فقد قلد (راسين) الفرنسي (سوفوكليس)، وقلد (دانتـــــي)الإيطالي (فيرجيل)، وقلد (ميلتون) الإنجليزي (هوميروس).[1]

لقد كان هَمُّ الأوروبيين منذ عصر النهضة،أن يسيطروا على العالـــــ م
لقد كـــان هَمُّ الأوروبيين منذ عصر النهضة، أن يسيطـــــروا على العالــــم فـــيأطراف الأرض، ويبتزوا أمواله ويعيشوا على خيراته، وينشروا فيه مبادئَهم وكياناتِهم، وطريق ذلك كله هو اللغة. وفي نشأة دراسة اللغة في أوروبا ، ما يدل على أن للاستعمار وحملات التبشير المسيحية ، دوراً رئيساً ساعد على ظهورها و انتشارها وتطورها، للوصول إلى شعوب العالم التي يقصدونها ويرجون من ورائها السيطرة والنفوذ.

وقد كانت العربية والعبرية، هما اللغتان غير الأوروبيتين الوحيدتين، اللتان أصبح الأوروبيون على إطلاع عليهما في عصر النهضة. ولكن استعمار العالم الجديد ورحلات الاكتشاف حول الأرض، وإقامة المحطات التجارية والمستوطنات البعيدة عن الوطن، وإرسال البعثات التبشيرية ؛ كل هذا قام بدوره في تنبيه العلماء إلى ثروة من التنوع اللغوي في العالم؛ لم يحلموا بها

1- ينظر:أحمد مومن،**اللغة تطور وتاريخ** ،دار الفكر العربي،بيروت،لبنان،(دط)، (د ت)، ص.46.

حتى ذلك الوقت. وقد استمرت هذه العملية دون توقف، وما زالت تتقدم في الواقع عن طريق بعثات تقوم بدور رئيسي؛ وقد أشار فيرث (Firth) إلى الجانب اللغوي، في التوسع الأوروبي بوصفه (اكتشاف بابل).

و يتفق جل الباحثين، على أن النظرة الحديثة إلى اللغة ودراستها، تبدأ في القرن التاسع عشر؛ وهي مدينة إلى حد كبير لما كان قبل هذا القرن (من عصر النهضة إلى القرن التاسع عشر).

ثم أخذت الدراسة اللغوية الحقة، في الظهور والاكتمال بعد ذلك؛ فقد حاول علماء الغرب دراسة لغات العالم، وصفاً وتاريخاً ومقارنةً؛ فأخذوا يحددون ظواهرها، ويصفونها وصفا دقيقاً ويبحثونها في مراحلها التاريخية؛ التي مرت بها ويوازنون أحوالها في تلك العصور؛ ومن ثم تغيرت النظرة إلى طبيعة اللغة؛ من حيث وظائفُها ومناهجُ دراستها ،التي أصبحت علماً من العلوم محدد الموضوع والمنهج والوسائل.

ومن البديهي تاريخياً أن الدراسة اللغوية عند الغرب؛ ظهرت منذ إحيائهم تراث اليونان والرومان، ومع رحلات الكشوف الجغرافية،التي أعطت الأوربيين فرصاً واسعةً للاتصال بشعوب أخرى، ومعرفة لغاتهم ودراساتها، وتبعاً لحركات التبشير المسيحية التي صاحبت تلك الرحلات، ولذلك وجدناهم ينقلون كتبهم المقدسة إلى لغات البلاد، التي عرفوها وأنشأوا لتلك اللغات قواعد ومعاجم.

وقد شهد القرن السادس عشر والسابع عشر؛عناية كبرى باللغات (الدرافيدية)، لغات جنوب الهند. وقد كان البرتغاليون أول الشعوب الأوربية احتكاكاً بالهند ، ومن أوائل الذين تقدموا بالدراسات الأولى في اللغات الهندية، والإنجليزي نجد اليسوعي (توماس ستيفنس) الذي درس عاميات الهند التي

عاش في أحضانها الفترة الزمنية بين(1579م) و(1669م)؛ وقد وضع أول نحو للهجة (الكونكاتية).[1]

وكان للهولنديين والدنماركيين والانجليز ؛ دراسات في لغات الهند الجنوبية تقدمت في القرنيين السابع والثامن عشر؛ و كان للبعثات التبشيرية دورها في دراسة لغات شمال الهند في القرنيين السابقين؛ وشملت (نيبال) و(التبت) و(بورما) و(الصين). ومع كثرة احتكاك الغربيين بدول العالم؛ أخذت الدراسة اللغوية في التقدم ، ومع البعثات التبشيرية سار البحث اللغوي وإحياء الدراسات اللغوية؛ والاهتمام بها حتى ظهر علم اللغة الحديث في بداية القرن(19م).

ثم كان الحدث المهم والتطور الكبير؛ باكتشاف اللغة (السنسكريتية)؛ على يد (سير وليام جونز) الإنجليزي سنة (1786م)؛ فعرف نتيجة ذلك كثيراً من أوجه الشبه وصلات القربى، بين اللغات الهندية والإيرانية ، و بين اللغات الإغريقية اللاتينية والجرمانية؛ كما أمكن الإطلاع على الدراسات الصوتية و النحوية للعلماء الهنود ؛ و التي خلت من النواحي المنطقية والفلسفية، واتجهت إلى الوصف والتحليل ولا ريب أن وصف الأصوات في السنسكريتية، لا يقوم على الأثر السمعي، بل على أسس فسيولوجية. بل إن نحو (السنسكريتية) كان من ذلك التاريخ ذا أثر كبير في دراسات العصر، ولم يكن من علماء اللغة آنذاك من يجهل (السنسكريتية)؛ فكلهم عالم بها قبل أي شيء آخر.[2]

وتبعاً لذلك تمكن العلماء من عقد المقارنات؛ بين اللغات واللهجات؛ وتحديد صلاتها، ووجه الشبه والاختلاف بينها، وعوامل ذلك. وقد نال شيء من اهتمامهم بحثهم في اللغات الأوروبية و الهندية؛ فقارنوا بينها من حيث الألفاظُ والمعاني والقواعد نحواً وصرفاً واشتقاقاً، ومنهج هذه اللغات في تعبيراتها

1- ينظر:مومن، مرجع سابق،، ص.71.

2- ينظر :المرجع نفسه، ص.74.

وتراكيب كلماتها وجملها؛ فعثروا على وجوه من التشابه كبيرة، جعلتهم يحكمون بأنها فصيلة واحدة هي الفصيلة (الهندو–أوروبية).

فإذن إلى حين طلوع فجر النهضة على أوروبا، لم تكن الدعائم التي قامت عليها هذه النهضة؛ إلا ما تركته الحضارتان السابقتان. حضارة الإغريق وحضارة الرومان.وكان الأوروبيون في ذلك الوقت؛ يرون أنفسهم الورثة الشرعيين لتراث هاتين الحضارتين، بل كانوا يرون في وجودهم استمراراً لوجود قدماء الإغريق والرومان. ومن ثم لم تكن نهضتهم حدثاً منقطع الجذور منبتاً عن الماضي، وإنما كانت ميلاد جديد. وكان تراث اليونان يتمثل في فلسفتهم، وفي دراستهم اللغوية التي كان أشهرها ما تركته مدرسة (الإسكندرية). كما كان تراث الرومان يتمثل في القانون والإدارة ؛ و في الدراسات اللغوية المكتوبة باللاتينية، التي ما فتئت حتى ذلك العصر ،لغة الدين والثقافة والحضارة في أرويا.

وهكذا بدأ تاريخ المقارنات اللغوية والتغير اللغوي، على يد طائفة من العلماء أنشأوا (علم القواعد المقارن)، و(علم القواعد التاريخي). ومن هؤلاء العلماء: الألماني (جاكوب جريم) منشئ النحو المقارن ، و(فرانز بوب)؛ أول فونولوجي صوتي، و(بوب) مؤسس النحو الهندوأوروبي، وأيضاً (هرمان بول)، الذي يعد كتابه (أصول التاريخ اللغوي) أساس علم اللغة التاريخي.

وقد برز علم اللغة واستقل في منهجه؛ وتخصص في وسائله منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، فمدلوله حسب دراسات الغربيين، أصبح واضح القسمات ، فهو عندهم العلم الذي يتناول الظواهر اللغوية فيحدد معالمها، واتجاهاتها في اللغات الإنسانية، ونتائجها والقوانين التي تحكمها.ولذلك فإن موضوع هذا العلم كما يقول فردناند دي سوسير:« (اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها) ومعنى في ذاتها ومن أجل ذاتها، أن علم اللغة بالمفهوم الحديث؛ لا يجري وراء تصحيح الكلام أو الكشف عن أخطائه ،وليس من وظيفته المباشرة

وضع قواعد أو أحكام عامة؛ للتمييز بين الجيد والرديء منه ، و إنما وظيفته ما يتكلمه الناس بالفعل،لا ما يجب أن يتكلمه الناس».[1]

وفي القرن التاسع عشر، ازدادت درجة التقدم في الدراســات اللغوية ، ممازادت صلة العالم الغربي بالعوالم الأخرى ، و برزت سمة النزوع إلى التطور، وظهرت العلوم الطبيعية مع نظرية (داروين)، وما أحدثه ذلك من تغير في مناهج العلوم والفلسفة ، فكان من الطبيعي أن تأثرت الدراسات اللغوية بذلك.

لقد ظهرت البحوث اللغوية في أوروبا، حتى أواخر القرن الثامن عشر «محصورة في دائرة البنية والتنظيم، في شكليهما التعليمي لا تتجاوز ذلك إلى غيرهما، إلا في أضيق الحدود؛ وفي شكل استطرادي وصورة سطحية باهتة، لا عمق فيها ولا وضوح ؛ مع بعد عن المنهجية العلمية اللازمة للبحث».[2]

لقد اتسعت دائرة البحث لتشمل اللغة باعتباره ظاهرة إنسانية؛ فكانت المحاولات للتوصل إلى القوانين التي تخضع لها كل لغة في تغيرها. وممن لمع نجمه في هذا؛ العلامة الألماني (ماكس مولر)(Max Muller)؛ وقد اقتف أثره كثيرون منهم الانجليزي (سيس)(Sayce)، وقد توغل هؤلاء العلماء وغيرهم؛ في الرجوع بالبحث اللغوي إلى الحقب البعيدة من التأريخ، يدفعهم طموحهم إلى الوصول إلى أقدم مراحل التعبير الإنساني.[3]

وفي أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت بأوروبا اتجاهات لغوية متعددة؛ كان أبرزها:

– الاتجاه الألماني: هو منهج يدرس جميع جوانب اللغة، وكان عمل الباحث ضمن هذا المنهج،لا يتعدى تحليل النص اللغوي ، للكشف عن القوانين التي تخضع لها اللغة. وكان من أشهر المنتسبين لهذه المدرسة(ليسكسني)

1- حامد هلال، **علم اللغة بين القديم والحديث**، دار الآداب، القاهرة،(ط02)،1976م،ص.67.

2 – محمد الرديني، **فصول في علم اللغة العام**،دار الهدى،الجزائر،(د ط)،2007م،ص.64.

3- ينظر:حامد هلال، المرجع السابق، ص.64.

و(دلبروك) و(استوف). وقد لقيت هذه المدرسة ،جملة اعتراضات من جانب المدرسة الإيطالية بزعامة (اسكولي)، الذي أنكر جبرية القوانين اللغوية و(جسبرسن) الدنمركي.

– أما الاتجاه الثاني: فقد جنح إلى التخصص؛ إذ كان اهتمامه منصب على جانب من جوانب اللغة وفرع من فروع علم اللغة، فكان من نتيجة ذلك أن اكتمل البحث اللغوي بشكل كبير؛ وقد أولى هذا الاتجاه الجانبين الصوتي والدلالي أهمية فاقت ما أولاه غيرها. ففي مجال الأصوات رأى (هرمان بول)، أن للتغيرات الجسمية أثرها الواضح في أعضاء النطق. وأما (جاستون باي) ، فكان أول من فكر في الإفادة من الأجهزة العلمية الحديثة، وقد تبعه على ذلك الطريق (روسلو) الذي استخدم الآلات في دراسة الأصوات، فأنشأ بذلك ما عرف بـ(علم الأصوات التجريبي).[1]

وفي سنة (1777م) ابتدع (فريدريك أوجست ولف) النقد المقارن للنصوص القديمة ؛وجاءت دراسته منصبة على النصوص المكتوبة، أما اللغة الملفوظة فلم يكن لها دخل في مجال دراسته.

لقد نشأت الجمعيات العلمية ، برعاية الحكومات القومية في بعض الأحيان بوصفها مراكز للبحوث والمناقشات العلمية؛ ففي بريطانيا أسست الجمعية الملكية عام (1660م)؛ وكانت منشغلة في سنواتها الأولى بالبحوث اللغوية ،وفي عام(1635م) بفرنسا، أنشأ الكاردينال (ريشيليو)(Richelieu) الأكاديمية الفرنسية ، لتوفير الحماية والرعاية الدائمتين ، للأدب و المعايير اللغوية للغة الفرنسية.

غير أن العمل اللساني جميعه؛ مما تم إنجازه قبل بداية القرن التاسع عشر، كان إما مكرساً لحل المشكلات العملية للغة في مجتمع بعينه، وإما أنه كان انجازاً قد تم في إطار هموم فلسفية أكثر اتساعاً. أي هموم غير لسانية

1- ينظر :نفسه، ص. 65.

ويمكن القول أنه قبل القرن التاسع عشر؛لم يكن للسانيات وجود بوصفها مجالاً معرفياً متميزاً له منهجه العملي ونظريته الراسخة الأساس.[1]

03/- القرن العشرون: لقد اتجه الأوروبيون لدراسة السنسكريتية؛ وأخذوا يلمحون الشبه بين هذه اللغة وجملة لغات أخرى، منها الإغريقية واللاتينية.[2]وقد كان من الباحثين العالم (فونشليكل)؛الذي ذهب إلى اعتماد أسلوب المقارنة والموازنة ، بين مجموعة من اللغات اعتماداًعلى علم اللغة التاريخي. ومن أمثلة هذا الأسلوب في الدرس والاهتمام بالقوانين الصوتية، كتاب (قواعد اللغة الألمانية) الذي ألفه العالم الألماني كريم (Grimm)؛ ونشره للمرة الثانية سنة(1848 م).

على أن العلم اللغوي سيحصل على ثمرة من هذه الجهود، والتي تمت في الفترة خلال القرن التاسع عشر. وهذه الثمرة يمكن أن تتمثل في ما يلـي:

- دراسة الأصوات وتطورها ، و ذلك بما تم في دراسة (كريم) وقوانينه الصوتية، وظهور علم الأصوات التشريحي على يد (مولر)(Muller).
- كان من هذه الجهود اللغوية الدراسة اللغوية المقارنة، وذلك بعد أن تم الكشفعن المجموعات اللغوية،التي سموها العائلات اللغوية.
- ظهور علم اللغة العام ؛ و قد كتب فيه (ماكس مولر) محاضرات في علم اللغة وقد نشره سنة (1861م)؛ وكتب (ويتني)(Whitney) الأمريكي كتابين في الموضوع نفسه :(اللغة ودراستها) و(حياة اللغة وتطورها) .[3]وقد جنح هذا الأخير إلى إتباع مذهب (داروين) في التطور؛ فكانت اللغة عنده من الكائنات

1- ينظر :ميلكا إفيتش،**اتجاهات البحث اللساني**،ترجمة: مصلوح، و وفاء فايد ،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،(ط03)،2000م، ص.07.

2- ينظر :هامش الإحالة فيما كتبه محمود السعران عن عائلة اللغات الهندوأوروبية في كتابه :**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ،دار النهضة العربية،(د ط)،(د ت)،بداية من الصفحة. 332.

3- ينظر:إبراهيم السمرائي، **التطور اللغوي التاريخي**،دار الأندلس، بيروت،(ط 03)،1983م، ص.24.

الطبيعية التي يعرض لها التطور، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على أنها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الإنسانية.[1]

هذا وقد ظهر عالم لغوي ، يعد من أشهر علماء الاجتماع في مطلع القرن العشرين، يدعى دي سوسير (F.De-Saussure)، الذي أسس لمدرسة تنحي منحى اجتماعياً. فاللغة من مظاهر النشاط الاجتماعي؛ و هي لا تخلو من التأثر المنطقي، ولقد وجدت هذه المدرسة أتباعاً لها من الفرنسيين ، من أمثال (مولر)(Muller) و(شارل بالي)(Charl-Bailly).

ثانياً- المدارس اللسانية الغربية:

01/- المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية – نظرية دي سوسير

تعارفت المدارس اللسانية على أفكار هذه المدرسة؛ في ميدان دراسة اللغة باسم (مدرسة جنيف) أو مدرسة (زيوريخ)؛ ومن أعلامها المشاهير و(ريتشارد لوكسنجر)؛ الذي أسهم في دراسة قوانين وأبعاد الفونولوجيا، من خلال كتبه : (فسيولوجي وبناء الصوت البشري –1951م) و(أمراض الشفاه الصوتية – 1976م)؛ وقد اشترك مع العالم النمساوي (جوتفريد آرنولد) في :(المنجز في الصوت البشري – 1970م)؛ ومجموعة أخرى من العلماء، الذين لا زالت مكتبات (زيورخ) و(فينا) و(نيويورك) و(كاليفورنيا) تحمل اسمهم، ضمن مقتنياتها العلمية في ميدان اللسانيات والعلوم المساعدة الأخرى.[2]

لكن العالم الذي استطاع بفكره، أن يوجه الدراسات اللسانية وجهة مكنت العلماء و الباحثين من اعتبار أفكاره اللسانية؛ نقطة تحول عميقة في مسار اللسانيات الحديثة ؛ هو (فرديناند دي سوسير) [3].

1- نفسه، ص.24.

2- عبد القادر عبد الجليل،**علم اللسانيات الحديثة – نظم التحكم وقواعد البيانات** ،دار صفاء للنشر،سلطنة عمان ،(ط 01)، 2002 م،ص.224.

3- ولد (دي سوسير) في جنيف عام (1857م) من عائلة عريقة؛ أعطت العديد من العلماء، وهو من أصل فرنسي. وبعد دراسته في جنيف انتقل إلى (ليبزغ) ليبدأ دراسته الجامعية، وه و في الثامنة عشر من عمره.

صاحب الشخصية القوية والموهبة اللسانية الأصلية، وصاحب النزوع الفائق، إلى جانب البحث النظري والتأثير الذي مارسه على طلابه ، كل ذلك لم يجعل منه مؤسساً لمدرسة مهمة، هي ما يسمى بـ(مدرسة جنيف)؛ بل مؤسساً لعصر بأكمله من الدرس اللساني.

يمكن اعتبار (دي سوسير) مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية، وقد كان أثره بارز في دراسي اللغة لاسيما من اللغويين المنتسبين للمدرسة الفرنسية السويسرية، ولعل أبرز دليل على ذلك ما نجده في كتابات كل من (فندريس) و(مييه)، ويبقى المقوم الأساسي في نظرية (دي سوسير) الاجتماعية مرده بصورة مباشرة إلى نظرية (دروكايم) الاجتماعية .[1] فما قرره (دوركايم) عن الظاهرة الاجتماعية، يمكن سحبه على (اللغة) في نظرية (دي سوسير) اللغوية.

فتتلمذ على يد الفولولوجي الألماني (G.Curtius).وفي عام (1880م) أعد سوسير أطروحته من أجل الحصول على درجة الدكتوراه؛ وكانت بعنوان :استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية. وبعد حصوله على الدكتوراه،اختار العاصمة الفرنسية (باريس) مستقراً له، وكان يحضر الدروس التي كانت تلقى في مدرسة الدراسات العليا من لدن كثير من العلماء آنذاك أمثال (بريال) و(دار مستتر).ولكن سرعان ما يطلب إليه في سنة (1881م) التدريس في معهد الدروس العليا ؛فينال منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة في مكان (ميشال بريل)،وهو لا يزال في الرابعة والعشرين من العمر ،ودام تعليمه في المعهد عشر سنين. نشر خلالها عدة مقالات في مجلة :(Mémoires De La Société Des Linguistes)؛ التي أصبح أميناً مساعداً فيها سنة (1882م). عاد إلى جنيف سنة 1891م حيث مارس التعليم في جامعتها ،وقد درس مادة الدراسة اللغوية المقارنة ،وفي هذا الإطار بالذات أعطى سوسير محاضرات كبرى في اللسانيات العامة الأولى(1906 – 1907م) والثانية (1908 – 1909م) والثالثة (1910 – 1911م).وهي محاضرات ألقيت جميعها شفوياً على الطلبة. و لم يرض سوسير كتابتها البتة.ولا نشرها لاعتقاده أنها لم تكن تعبر عن منتهى أفكاره في هذا الميدان. وهي التي كونت كتابه (دروس في الألسنية العامة)؛ الذي قام بجمع مواده بعد وفاته تلميذاه الألسنيان:(ألبير سيشهي) (Albert Sechehaye)و(شارل بالي)(Charles Bally).

1- يقترح (دوركايم) اعتبار نشاط الجماعة مستقلاً تماماً ،على أن أي فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع. فللفرد عنده وجود خاص به، واللغة عنده ظاهرة من جملة الظواهر الاجتماعية ليس إلا.

وقد فرق(دي سوسير) بين اللغة واللسان واللغة والكلام، وعدَّ اللسان مختلفاً عن اللغة، ولكنه يقع ضمن اللغة، « فمثلا دي سوسير ميز بين اللغة، وبين الكلام أو الحديث بل واصطنع ثالوثاً خاصاً ، يتضمن تصورات ثلاث متكاملةً يعبر عنها بهذه المصطلحات(La Parole – La Langue– Le Langage) واللغة عنده جماعية أو اجتماعية ».[1]

أما الرأس الثالث المشكل لثلاثية(سوسير) اللغوية فهو: الكلام(La Parole) ويقصد به جانب إظهار الفرد للغة ؛وتحقيقه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة،أو عن طريق العلامات المكتوبة. ولقد سعى (دي سوسيـر) إل ـــى التأكيد على بعدين هامين في دراسة اللغة:

– الدراسة التزامنية(Synchronique): التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال في ذاتها في أي زمن بعيد.

– الدراسة التعاقبية (Diachronique): التاريخية التي تعالج فيها تاريخياً عوامل التغيير، التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن . وكل منها يستخدم مناهجه ومبادئه الخاصة به، وأساسياته في أي مقرر تعليمي ملائم للدراسة اللغوية.[2]

فاللغة عنده يجب أن ترى وتوصف تزامنياً، بوصفها نظاماً من العناصر المترابطة أي عناصر معجمية وقواعدية وفنلجية، وليس بوصفها مجموعة الكيانات مكتفية بذاتها. والمصطلحات اللغوية يجب أن تعرف بالنسبة لبعضه ا البعض ،وليس بشكل مطلق، وهذه هي النظرية التي عبر عنها بقوله « إن اللغة عبارة عن صيغة ، وليست مادة ووضح هذا باستعارتيه المعروفتين: قطع الشطرنج والقطارات التي تحدد وتعرف بمكانها في نظام اللعبة أو شبكة السكة الحديدية ككل، وليس بتكوينها المادي الفعلي».[3] هذه القطع التي تستخدم في

1- السعران، **علم اللغة،مقدمة للقارئ العربي**، مرجع سابق ص. 302.

2- ينظر: روبتر، **الموجز في تاريخ علم اللغة**،مرجع سابق،ص.319 – 320.

3- المرجع السابق، ص.320.

لعبة الشطرنج يمكن صنعها من مواد متنوعة، و« اختيار المادة هو اختيار اعتباطي خالص، والشيء الجوهري الوحيد ،هو القيمة التي تعزى إلى القطع في اللعبة، دالكم هو عين الحال في اللعبة (..) فأحجار الشطرنج لابد من مراعاتها، ويمتنع على اللاعب أن يقوم بتغيير تحكمي مفاجئ في قيمة القطع؛ خلالاللعبة والأمر نفسه في اللغة».[1]

لقد قام (دي سوسير) بتدريس اللغات السنسكريتية والجرمانية واليونانية و اللتوانية ، ولم يبدأ شغفه بالأفكار اللسانية العامة إلا فيما بعد عام (1894م)، وقد كان مقلاً فيما نشر ، إلا أن آراءه اللغوية تجلت بصورة واضحة من خلال الكتاب الذي ظهر عام (1916م) تحت عنوان: (دروس في اللسانيات العامة- Coures De Linguistique Générale) و الذي أدى دور الرسالة التبشيرية في اللسانيات. فلقد منح (دي سوسير) شهرة الرجل الذي استهل عصراً جديداً، من حيث أنه اعتبر مصدراً مؤثراً على النظريات اللسانية الحديثة.[2]

أما مفهوم العلامة اللغوية عند دي سوسير؛ فهي علامة مخزونة داخل الدائرة الذهنية، وهدف اللسانيات هو دراسة هذه العلامة ، وتحليل مكوناتها وعناصرها، وتسجيل درجات ارتباطها وعلاقاتها، ومدى تأثرها وتأثيرها بما جاورها من العلاقات، فردية أو مركبة، ونتيجة لذلك فهو يميز بين المدرك الذهني و الصورة السمعية.

وخلاصة نظرية جينيف اللغوية ؛ إنما تقوم « على الأصول التالية:

- اللغة نظام ؛ ويجب دراستها باعتبارها كذلك.
- اللغة أساساً ظاهرة اجتماعية؛ تخدم غرض التفاهم المتبادل، ويجب أن تدرس باعتبارها كذلك.

1- مليكا إفيتش،**اتجاهات البحث اللساني**،مرجع سابق، ص.216.

2- نفسه، ص. 215.

- العلامة المتبادلة بين الصوت والمعنى، يجب أن تؤخذ في الاعتبار لأنـــــها ذاتأهمية خاصة في عملية الاتصال.

- تطور اللغة وحالتها الواقعية، أمران مختلفان جذرياً؛ ولذا لا يصح استخداماً لمعيار التاريخي في تفسير الحالة الحاضرة للغة».[1]

02/- مدرسة براغ

في عام (1926م) تأسست جمعية لسانية في براغ، باسم (حلقة براغ اللسانية)؛ وقام بتأسيسها جيل[2] مفعم بالحماسة ، لما كان يعد آنذاك أحدث المذاهب اللسانية وهي أفكار (دي سوسير). قام مجموعة من العلماء المهاجرين الروس منهم؛ (كارسيفسكي) و(رومان جاكبسون) [3]، وتزعموا آراء (دي سوسير) ملتفين حول الأمير الروسي (نيكولاي تروبستكوي) [4]، والذي كان يعمل أستاذاً في فيينا.ولقد صدرت لهذه الجماعة مجلة علمية من أجل نشر أبحاثهم وإبداعاتهم.ومن الأعلام اللسانيين التشيكيين المحسوبين على هذه الجمعية؛ (ماتيسيوس) و(ترنكا) و(هاغرانيك) و(موكاروفسكي) وغيرهم كثير.

وقد قدم هؤلاء العلماء ورق عمل خاص بمدرستهم، إلى المؤتمر الأول لعلماء اللسانيات المنعقد في (لاهاي) بهولندا عام (1928م)؛ تحت عنوان: (الأعمال الأساسية لحلقة براغ اللغوية - Travaux Du Cercle Linguistique Du Prague)[5]وقد نشرت حلقة براغ رؤاها لقضايا اللغة واللسانيات؛ في وقت مبكر عام(1926م)؛ في العدد الأول من المجلة التي

1- نادية النجار، **فصول في الدرس اللغوي**، المرجع سابق، ص.70.

2- تفرقت هذه الجماعة بعد الحرب العالمية الثانية.

3- ولد في موسكو عام (1896م) وتوفي عام (1973م)، متخصص في علم القواعد المقارنة ،وفقه اللغات السلافية أسس عام (1915م) نادي موسكو الألسني ،وهرب إلى أمريكا، وعمل أستاذاً في جامعة هارفارد.

4- ولد بموسكو عام (1890م)، ومات على أيدي النازية عام (1939م)، درس اللسانيات في روسيا، ثم ليبزج في ألمانيا وعمل أستاذاً في أكثر من جامعة أوروبية.

5- عبد القادر عبد الجليل،**علم اللسانيات الحديثة**، مرجع سابق، ص. 236.

أصدروها باسم(حلقة براغ اللسانية)؛ وتتضمن آراء حلقة براغ اللسانية النقاط التالية:

– « اللغة نظام يتكون من وسائل تعبيرية، تؤدي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل، ولذلك على اللسانين أن يدرسوا الوظيفة ، لأحداث النطق الملموسة.

– اللغة حقيقة واقعية، ونمطها محكوم إلى حد كبير بعوامل خارجية(غير لسانية) وهي الوسط الاجتماعي، والمتلقي الذي يتجه إليه التواصل, والموضوع الذي يشمله التواصل.

– اللغة تشمل نوعين لتجليات الشخصية الإنسانية:تجل عاطفي و،آخر ذهني.

– اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، ولكل منها خصائصه المميزة؛ولابد من محض العلاقة بين لغة الكتابة ولغة النطق».[1]

– « اهتموا بدراسة الجوانب الجمالية والأدبية للغة، كما كانت اللغة لديهم وسيلة لنقل الأفكار.

– الظواهر الصرفية لا يصح أن تفصل عن الفونولوجية، فعادة ما ترتبط التقابلات الفونيمية، بالتغيرات الصرفية.

– حاولوا إبراز مشكلة التشابه ؛بين اللغات المتجاورة جغرافياً و إن كانت غير منحدرة من أصول مشتركة، كما هو الحال في بلاد البلقان».[2]

– إن أهم عمل يرتبط بمنهج هذه المدرسة واتجاهها العام، هو كتاب (أصول الفونولوجيا) لمؤلفه (نيكولاي تروبتسكوي)؛ وقد ميزت هذه المدرسة بين الفونولوجيا وبين الفونتيك، حين صار تحليل الوظائف الفونولوجية إلى وحدات فونولوجية وهي ثلاث:

– «الوظيفة الكمية (كمية الوحدات).

1- ميلكا إفيتش،**اتجاهات البحث اللساني**، مرجع سابق، ص. 249.

2-ن ادية النجار،**فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط01)، 2006م ،ص.72.

– الوظيفة الحديدية (حدود الوحدات).

– الوظيفة التميزية (التمايز الدلالي)».[1]

03/– المدرسة الإنجليزية

اتبعت بريطانيا نهج الدراسات التاريخية المقارنة؛ في القرن التاسع عشر محاولة منها مسايرة البحث اللغوي في ألمانيا، وقد قامت هذه المدرسة على يد علماء منهم: (هنري سويت) و(دانيال جونز) و(فيرث) و(هاليداي) و(كاردينار) و(إسحاق بيتمان) و(إليس) وغيرهم. وهؤلاء قد تأثروا بالمنهج الأنثربولوجي والاجتماعي في اللغة، على يد البولندي (مالينوفسكي). ولم يكن الاتجاه اللساني في هذه المدرسة، يمثل اتجاهاً واحداً وإنما كان المتجه العام لها، منصب على الصوتيات في ميادينها التطبيقية؛ كإصلاح الإملاء وتعليـــم اللغات، وابتكار رموز أبجدية وأنظمة صوتية جديدة.[2]

جدير بالذكر أن المدرسة الإنجليزية، لم تتوسع في ميدان الدرس اللغــوي، إلاعلى يد اللساني (جون فيرث) (1890 – 1960م). الذي يؤكد في اتجاهه اللساني على ما يلي:

– طور نظرية سياق الحال، بوصفه الوسيلة الوحيدة لتحديد الدلالة (الفونولوجيا) التي تمثل الصلة بين القواعد والصوتيات.

– أكد على الفونيمين فوق القطعين: النبر والتنغيم، باعتبارهما يوجهان الدلالة إلى جانب الفونيمات القطعية.

– وقد تميز منهج (فيرث) بالدراسة الوصفية؛ للغة الحية المستعملة بالفعل ولم يحاول دراسة لغات ميتة.

هذا ولم يتوقف اللسانيون البريطانيون عند منهج (فيرث)؛ في دراستهم للغة في جوانبها المتعددة إنما سعوا إلى تطويره وتحليل منطوقاته؛ من هؤلاء هاليداي من خلال نظريته (النحو النظامي)، التي تضم أركاناً ثلاثة: (الشكل –

1- عبد القادر عبد الجليل،**علم اللسانيات الحديثة**، مرجع سابق،ص.237.

2- ينظر:المرجع السابق، ص.249.

المادة – السياق).[1] وقد كان هاليداي تلميذاً لــ(فيرث)؛ «فقد استدرك ما أخذ على أستاذه من وسم نظريته بالغموض، وعدم التماسك أحياناً ،فجاءت أفكاره حول علم اللغة النظامي مستدركة على هذين المأخذين. كما أفاد من اتصاله بكوكبة من اللغويين الذين كانوا يدرسون في مدرسة (الدراسات الشرقية والأفريقية – SOAS) بما لديهم من ألوان مختلفة، من السلوك واللغةوالعاداتوالتقاليد».[2] وتقوم أفكار (هاليداي) اللغوية على المحاور التالية:

– درس اللغة من حيث كونها ظاهرة اجتماعية، ودعا إلى كشف العلاقات التي تربط بين النظام اللغوي، بالاجتماعي والثقافي.

– يرى أن للعرف أثر في تطور اللغة، ومن ثم لاحظ أن اكتساب الطفل للغة يبين لنا مراحل نشأتها وتطورها.

– فرق بين مصطلحي التوارد والتلازم، فالأول يتصل وشبكات الأنظمة والثانـــــي يتصل بالمعجم.

– طور (هاليداي) مفهوم سياق الحال ، واعتبر مصطلح (النظام) من أهم الأسس التي تقوم عليها نظريته، وعرفه بأنه يمثل التصور الأساسي في النحو ، فالتحليل النحوي عنده، يقوم على مجموعة من الأنظمة تتشابك بعضها ببعض، ويمثلها مجموعة من الوحدات النحوية، التي يختار منها المتكلم ما يلائم موضوع حديثه، ومن ثم فهي وحدات محددة مغلقة ، علي حين يمثل المعجم وحدات غير محددة ومفتوحة.[3]

بينما يعتبر (هنري سويت) من أوائل البريطانيين؛ الذين أثروا في الدراسات الصوتية والفونولوجية ، إذ عني بدراسة حركة الأعضاء النطقية للأصوات

1- ينظر:عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص.251.

2- جفري سامسون. **مدارس اللسانيات – التسابق والتطور** . ص. 227 – 228.نقلاً عن:نادية النجار. مرجع سابق، ص.77.

3- ينظر:نادية النجار، ،**فصول في الدرس اللغوي**مرجع سابق، ص. 78. وسنتطرق إلى مجهودات (هاليداي) في حقل لسانيات النص، بشيء من التفصيل في الفصل الثالث.

اللغوية،ونجد ذلك واضحاً في كتابه: (دليل الصوتيات) عام (1877 م) والذي عنه أخذت أوروبا هذا العلم؛ كما عني بالفونيم لكونه الوحدةالتي يجب أن تتمثل في إصلاح الكتابة.

04/- مدرسة كوبنهاجن

تأثر مجموعة من اللغويين في الدانمرك بأفكار (دي سوسير)، فكونوا مدرسة تحمل اسم (كوبنهاجن) عام(1934م)، وقد أطلق مصطلح (مدرسة كوبنهاجن) في المرحلة الأولى،على اللسانيات البنيوية التي قامت على أساس من أفكار العالميين الدنماركيين (هييلمسليف) و(بروندال)؛ واكتسبت هذه المدرسة أهمية عالمية في تطور اللسانيات الحديثة، بتأسيس الدورية العلمية(Acta-Linguistica) عام (1939م).

ومن العلماء المحسوبين على هذه المدرسة نجد : (أوتو يسبرسن) و(بدرسن)، أما (يسبرسن) فهو مشهور بكتابه (اللغة) الذي ظهر أول مرة سنة(1922م)، وهو خطوة كبيرة في سبيل تأريخ اللغة،وبكتابه (فلسفة اللغة) و(نحو اللغة الإنجليزية). و قد تزعم الدفاع عن أفكار (دي سوسير)؛ ما عدا ثنائية اللغة والكلام لكونها أضعف نقطة في أفكار دي سوسير، أما (بدرسن) فهو معروف بكتابه في تاريخ الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر.

وأما (هييلمسليف) فقد أظهر بالتعاون مع (هوج ألدال)، نظرية دلالية في اللغة تعرف باسم (Glossématique)[1]على أساس أن اللغة هي شكل أكثر من كونها مادة.[2] وقد اهتم (هييلمسليف) بالتفرقة بين التعبير والمحتوى ؛ ورأى أن بدونهما لا يكون هناك تفاهم متبادل. و المحتوى هو الواقع الحي نفسه الذي

1- الجلوسيماتية:(غلوسة)هي كلمة مشتقة من الإغريقية (اللغة) أو (لسان)؛ وهي نظرية لسانية بنائية تجريدية منطقية، تصف اللغة بطريقة رياضية وتسيرها عبر منهجية تستند إلى الفكر الاستنباطي. وقد ظهرت هذه التجربة التجريدية في كتاب هييلمسليف (أسس القواعد اللغوية العامة) الذي صدر عام (1928م).

2- ينظر حمود السعران، مرجع سابق، ص. 345.

هو موضوع التواصل، أما التعبير فيشمل كل الوسائل التي يتم بها نقل كل المعلومات،عن المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغوية.

وتقوم أفكار(هييلمسليف) اللسانية على المحاور التالية:

-« درس الأصوات دراسة مجردة ،على حين أهمل مظهرها المادي المحسوس.

- حرص على دراسة اللغة في كونها علامات تواصلية، بصرف النظر عن قيمتها النطقية؛ فكل علامة لغة مثل علامة المرور وعلامة الخجل.

- دعا (هييلمسليف) إلى وجود دراسة علمية للغة، تقوم على أدق المعايير النطقية والرياضية».[1]

05/- المدرسة الأمريكية

لقد نشطت الدراسات اللغوية الأمريكية، خلال النصف الأول مــن القرن العشرين ،على يد مجموعة من العلماء الوصفيين سواء منهم أمريكيي الأصل مثل (وليام دوايت ويتني) (1827-1890م)؛ الذي تخصص في دراسة السنسكريتية ، و إما من المهاجرين إلى أمريكا مثل (جاكوب سن) الروسي الأصل؛ الذي اشتغل بعلم النحو، وتطور الكلام عند الأطفال. و يعد كتابه (الصوت والمعنى) من أشهر ما كتب في هذا الحقل.

ويعد (ليونارد بلومفيد)(1887-1949م) و(إدوارد سابير)(1884-1939)؛ من أشهر لغويي أمريكا. والجدير بالذكر أن المدرسة الأمريكية، إنما نشأت وذاع صيتها بدوريتها العلمية (اللغة)التي تصدر سنويا.

وقد اعتبرت أعمال (فرانز بوواز)[2]بداية حقيقية، لمدرسة أمريكية في اللسانيات. حقاً إناللغات الهندية قد درست قبل (بوواز)؛ ولكن دراستها درست على منوال النموذج التقليدي الخاص بالنحو الهندي الأوروبي. وهو نموذج لم

1- نادية النجار، مرجع سابق، ص. 74.

2- ولد في (1858- 1942م) ببنسلفانيا؛ بدأ حياته العلمية بدراسة الفيزياء والجغرافيا ،ثم تحول إلى دراسة علم الإنسان (الانتروبولوجيا).

يكن ملائماً، وقد استطاع بما تميزت به مقاربته للغات الهندية، من جدية ومنهجية من خلال مؤلفة (الدليل إلى اللغات الهندية الأمريكية)؛ أن يمتلك زمام تراث عظيم في اللسانيات الأمريكية، و لا يزال هذا التراث حياً إلى اليوم.[1]

أما(بلومفيلد) فهو من أصحاب نظرية (السلوك)[2]، و« عنده أن معنى أي صورة من الصور اللغوية، هو الحالة التي ينطق فيها المتكلم بهذه الصورة، والأثر الذي يحدثه في السامع. فهو يبدأ من الصور اللغوية،لا من معاني الصور. وقد كون على أساس مقاييس صورية خالصة نظاماً من الوحدات اللغوية الصغرى (الفونيمات) ومن تصرفاتها ومن الصلات العامة بينها ومن الصور النحوية والنظم وأنواع الجمل».[3]

أما الممثل التقليدي للمدرسة اللسانية الأمريكية ، و رائد البنيوية فهو(إدوارد سابير) تلميذ (بوواز)؛ الذي كان صاحب ثقافة عامة ، و اهتمامات علمية واسعة. وقد « قام بدراسة اللغات الهندية، ووضع آراءه النظرية الأساسية، موضع التطبيق العملي في هذا العمل. واعتبر (سابير) المؤسس لفكرة النماذج اللسانية،إذ يرى أن كل إنسان يحمل في داخله المخططات الأساسية التي تنظم لغته أي أنه يحمل النماذج الأساسية التي الممثلة لجميع الوسائل الفعلية التي تزوده بها اللغة لتؤمن له عملية التواصل، ومن هنا يتوصل الإنسان وفقاً لهذه النماذج النفسيةالخاصة بلغته، إلى التعبير عن أفكاره».[4]

ثالثاً: السنسكريتية، وعلم اللغة في أوروبا

إذا ما كان لأي سنة معينة ،أن تؤخذ علامة بداية الوجود المعاصر للعلم اللغوي فهي سنة (1786م)، وقد صرح عالم معاصر بأن هذا العام ،قد استهل

1- ينظر :ميلكا إفيتش،مرجع سابق. ص.274.

2- تقول الفكرة التي تهتم بها السلوكية، بأن الفروق بين البشر محكومة بالبيئة التي يعيشون فيها،وأن أي سلوك هو رد فعل. أي أنه يحدث نتيجة مثير خارجي خاص، وسلوك المرء يكشف عن نفسيته.

3- محمود السعران، مرجع سابق، ص. 346.

4- ميلكا إفيتش، مرجع سابق،ص. 276.

أول نوع من الأنواع الأربعة للتقدم المفاجئ المهم، بشكل حقيقي في التطور الحديث لعلم اللغة. في هذا العام كان (السير وليم جونز (Sir.W.Jones) قاضياً في المحكمة البريطانية في الهند، قد قرأ ورقته الشهيرة في الجمعية الملكية الأسيوية في (كلكتا). التي أثبت القرابة التاريخية للسنسكريتية اللغة الكلاسيكية للهند مع اللاتينية واليونانية واللغات الجرمانية[1]. يقول (جونز) في تقرير له عن السنسكريتية:« اللغة السنسكريتية مهما يكن قدمها ؛ لغة ذات تركيب عجيب وهي أكثر كمالاً من اليونانية ، وأغزر إنتاجاً من اللاتينية وأكثر منهما تهذيباً، بشكل رائع، وهي فوق ذلك على قرابة بكل منهما ،في جذور الأفعال وصور القواعد معاً، قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة(..)، كما أن هناك مسوغاً مشابهاً رغم أنه ليس قوياً تماماً لافتراض أن كلاً من القوطية والسلتية تشتركان في نفس الأصل مع السنسكريتية».[2]

لقد أضحت اللغة السنسكريتية في ذلك الوقت ،عند اللغويين الغربيين هاجساً محفزاً من أجل الغوص أكبر، في علم اللغة بالمفهوم الذي كان سائداً في ذلك الوقت. حتى تشكل لهم أثراً مزدوجاً، فحققوا من جهة في مقارنة السنسكريتية باللغات الأوروبية، كمرحلة أولى في التطور المنهجي لعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة التاريخي، وإضافة لذلك أصبح الأوربيون على اتصال ، في الكتابات السنسكريتية بتراث العلم اللغوية في الهند الذي تطور بشكل مستقل (..) وكان تأثيره في كثير من فروع علم اللغة الأوربي عميقاً وباقياً.[3]

كان تأثير مؤلفات (بانيني) و اللغويين الهنود الآخرين،على الدراسات السنسكريتية في أوروبا منذ عام (1800م) تأثيراً بعيد المدى، « من ذلك مثلاً مؤلفان؛ الأول هولـــ(و.كاري) وعنوانه:(Grammar Of TheSungskrit Language)، و الثاني لــ(س.ولكنز) وعنوانه:(Sunskrita-Grammar

1- ر. هـــ. روبنز، **مدخل تاريخي لعلم اللغة عند الغرب**، مرجع سابق، ص. 224.

2- السابق،ص.242.

3- نفسه،ص.227.

Language) وهذان المؤلفان يثنيان على مؤلفات أسلافهما الهنود ، التي قاما بدراستها بمساعدة معلمين أحياء للسنسكريتية في الهند».[1]

لقد كانت دراسة السنسكريتية ، بمثابة المحفز الأساسي للأعمال التاريخية والمقارنة ، في بداية القرن التاسع عشر. وقد جاءت وأوروبا جاهزة؛« فأضحى التفكير اللغوي حينها ، تفكيراً تاريخياً صرفاً فكان القدر العام منه ،موجهاً لوصف وتحليل اللغات ؛ و للمقاربات التي يمكن أن يطلق عليها ، بشمل عام فلسفة اللغة؛ أي النظريات العامة عن مكانة اللغة عملها في الشؤون الإنسانية».[2]

رابعاً: اللغة عند المحدثين

منذ أواخر القرن التاسع عشر، أخذت اللغة مفهومها من حيث طبيعتها، ووظيفتها، ودراستها في التغير. « و قد أحدث ذلك التغير جهوداً متلاحقة بذلها علماء الغرب ، لدراسة معظم لغات العالم وصفاً وتاريخاً ومقارنةً، وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامة في اللغة ، تكشف عن حقيقتها نشأة وتطوراً، وتبرز القوانين أو الأصول العامة التي تشترك فيها لغات البشر، وتعين على تحديد وتدقيق مناهج الدراسة اللغوية وتدقيقها ووسائلها» .[3] ولا يختلف تصور اللغويين المحدثين، عن تصور اللغويين القدامى في تعريفهم اللغة (..) « فمن ذلك مثلاً: أنها عند (هنري سويت) (H.Sweet) الإنجليزي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤلفة من الكلمات».[4]

1- السابق،ص.244.

2- نفسه،ص.245.

3- السابق،ص.11.

4- أولمان، **دور الكلمة في اللغة**،ترجمة، كمال بشر، ص.12.نقلاً: عن:الرديني، مرجع سابق،ص.13.

- وهي عند (ادوارد سابير) (E.Saper) وسيلة إنسانية خالصة ، وغير غريزية إطلاقاً لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات ، عن طريـــق نظام منالرموز التيتصدر بطريقة إرادية[1].

- أما هيرمان بول(H. Paul) فيرى أن اللغة وظيفتها الأساسية هي كونـها دائماً وسيلة نقل أو توصيل شيء من الأشياء.[2]

- أما اللغوي الإنجليزي(جاردنر)(Gardner)،والعالم الانثـــروبولوجي(مالينوفسكي)

(Malinovski)، فيؤكدان على العنصر الاجتماعي للغة وأنها الوسيلة لتنفيذ الأعمال. يقول مالينوفسكي:« إن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل، بل وظيفة اللغة أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم ؛هي جزء من السلوك الإنساني إنها ضرب من عمل، وليست أداة عاكسة للفكر».[3]

1- السعران، **اللغة والمجتمع. رأي ومنهج**، ص.11.نقلاً عن: الرديني، نفسه، ص.13.

2- أولمان،، **المرجع السابق**،ص 12.نقلاً عن: الرديني، نفسه، ص.13.

3- السعران، **المرجع السابق**،ص. 16-17.نقلاً عن: الرديني، نفسه،ص.13.

المبحث الثاني- الدراسات اللغوية العربية القديمة ، وجذور الإسهام اللساني:

توطئة

لم يكن للعرب أي نوع من الدراسات اللغوية في مرحلة ما قبل الإسلام،(العصر الجاهلي)، فمن الناحية الزمنية هم متأخرون عن غيرهم في هذا المجال، و يبدو أن المحاولات الأولى للدرس اللغوي عند العرب، كانت مرتبطة بالدين وبالعقيدة، فهم ليسوا بدعة في هذا المجال، ذلك أن الدراسات اللغوية للهنود مرتبطة بالكتاب المقدس (الفيدا)؛[1] والدراسات اللغوية للصينيين مرتبطة بالنصوص الدينية البوذية، وأما اليونان فقد درسوا أشعارهم وملاحمهم الحماسية والدينية. كما درس العبرانيون لغتهم خدمة للتوراة، كما درس المسيحيون لغتهم خدمة للإنجيل.

لقد عنيت الأمم بدراسة لغاتها ،ويعد العرب من أسبقهم في هذا المضمار؛ وكانت بحوثهم منارة استرشد بها الباحثون في اللغات المختلفة. فعلى أيدي العرب تفتحت البحوث اللغوية ونضجت؛ وهم يرسون قواعد لغتهم ويضعون قوانينها ، من خلال العمل اللغوي الجاد، الذي قام بها فحول علمائهم لخدمة كتاب الله العزيز، و قد استطاعوا أن يقيموا الدعائم الوطيدة لـــ(علم اللغة).

إن المتدبر لأعمال أولئك العلماء العرب الأوائل، يقر بإنصاف وجود بوادر معرفية واضحة المعالم، تحتوي عديد النظريات البلاغية والأسلوبية والجمالية التي تساعدنا في تحليل النص، وإثبات نصيته. وهي نظريات مهمة في هذا المجال، ولا شك في أن غربلتها والإحاطة بحيثياتها واستثمارها من شأنه أن يفيد الدرس اللساني النصي العربي الحديث. وقد حاول فريق من الباحثين

1- فيدا (بالانجليزية: Vedas): هي النصوص المقدسة من الترانيم والتراتيل، لدى الآريين لتكريم الآلهة. وقد ضمنت في كتيبات يدوية تعبر عن التضحية للعبادة ،والتأمل الفلسفي وتعتبر (الفيدا) لب العقيدة الهندوسية؛ وتعطي معلومات عن الآريين وعن التعاليم والطقوس الفيدوية والتراث الفلسفي الهندي. وما زالت آلهة الشعب الفيدي موجودة في العقيدة الهندوسية حتى اليوم.

الخوض في مسألة إثبات أن العرب، قد تأثروا بالهنود في بعض الدراسات اللغوية، مشيرين إلى ما قد يكون هناك من تشابه، بين منهج الخليل في العروض مثلاً وفي وصف الأصوات وبين المنهج الهندي.

غير أن البحث العلمي الموضوعي لا يقر شيئاً من هذا التأثر بما يتوافر لدينا من أدلة مادية ترجحه أو تشير عليه. بل الواجب القول: « إن الدرس اللغوي العربي نشأ وتطور في مناخ عربي؛ ومن ثم فإن محاولة فهمه من خارج هذا المناخ تؤدي إلى أخطاء فضلاً عما يحف بها من أخطار . ومن الحقائق أننا لم ندرس بعد ، كل ما قدمه العلماء العرب من دراسات في اللغة ، وعلى ذلك فإن الحكم على المنهج العربي بأنه منهج منقول، أو غير عربي حكم تنقصه الدقة العلمية. والذي ندعو إليه هو أن نتوفر على درس كل ما قدمه أسلافنا، حتى تتوافر لدينا المادة الصالحة لتأريخ منهجهم فيه».[1]

إن كثير من الدارسين يعتقدون أن العرب القدامى، قد أولوا اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها. وتعد رؤاهم هذه بالنسبة إلى زمانهم متطورة. وقد قاموا بجهد هائل في دراسة اللغة ، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ، و لم شتاتها واستنباط أحكامها العامة.

بل رأوا أنه بالإمكان تتبع المفاهيم التي أتوا بها، و مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة. أما محاولة التجني على هذا التراث المتميز والنيل من مصداقيته، من بعض المشككين والمنشغلين بالدراسات اللغوية ،فإنها لن تجدي نفعا ذلك أن: « أغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد أو لا يحاول تفهمه، أو تعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من (البلاغة الغربية) وخيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية

1- عبد الراجحي،**فقه اللغة في الكتب العربية**،دار النهضة العربية، بيروت،(ط 01) ،1972م،ص. 175.

يعد علم اللغة أو بعض فروعه كعلم الأصوات اللغوية – ترفاً – علمياً لم ي أن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه..!».[1]

إن اتهام التراث العربي اللغوي بالنقصان والزيف. يجب أن يكون في حدود التخصيص لا التعميم، ذلك أن الملاحظات والتحليلات التي أثارها القدامى، يمكن أن تعبر عن مناهج المعاصرين في اللسانيات المعاصرة . ولكن ما هي طبيعة هذه التحليلات في خارطة اللسانيات الحديثة؟ وهل هناك صلة علمية ومعرفية في إبداعات العرب، في مجال الدراسات اللغوية الصلة؟. وما هو موقع التراث اللغوي العربي في خارطة التراث اللغوي العالمي؟. وأين تقع البحوث اللغوية العربية القديمة من هذا العلم الجديد المسمى (اللسانيات) [2]..؟ ثم ما طبيعة هذه الصلة ..؟

إن من شأن الصراع بين دعاة الأصالة وأنصار المعاصرة، أن يكون سبباًفي ضياع البحث اللغوي، فيجرده من كل خلفية علمية حضارية، فإذا نحن نظرنا إلىالمعول عليه عند دعاة الأصالة، نجده لا يعدو كونه مسحاً رتيباً دون أدنى تمحص، لخرق تلك الرتابة والولوج داخل التراث المعرفي لبحث بنيته الداخلية، أما فئة أنصار المعاصرة ، فإنها أقحمت المعطيات اللسانية الغربية إقحامها في دراستها للظواهر اللغوية العربية، دون الأخذ بالاعتبارلخصوصيات الفكر واللسان العربيين.[3]

1- السعران، **مقدمة للقارئ العربي**، مرجع سابق، ص.22.

2- ينظر: البحث الذي قدمه أحمد مختار عمر ،في مجلة (عالم الفكر) الكويتية وعنوانه: **المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية**، وفيه إشارة إلى الفارق العلمي، بين مصطلحات: – علم اللغة واللسانيات والألسنية –، بداية من الصفحة الخامسة.

3- ينظر:يوسف رزقه، **التراث العربي و علم اللغة**، مجلة الجامعة الإسلامية ، جد ة،(م ج07)،(ع 01)،1999م، ص.171.

أولاً- الدراسات الغوية:

01/- المنحى النحوي التركيبي

في هذا الوقت بدأت المحاولات ، و توالت القواعد التي يسير عليـــــها الكلام العربي، ولوضع هذه القواعد في قوالب تتخذ للتعليم. ويبرز في هذه المحاولات اسم (أبو الأسود الدؤلي). ومن وليه من نحاة البصرة والكوفة، إلى أن يأتي (الخليل بن أحمد الفراهيدي)؛ ولـ(لخليل) شأن جليل في كثير من جوانب الدراسات اللغوية. فقد استخرج أوزان الشعر العربي، وأحكام قوافيه، وخطا بالمحاولات النحوية والصرفية ،خطوات كباراً تبدو آثارها في كتاب تلميذه (سيبويه).

ويعد (سيبويه) إمام النحاة ، وقد جمع في مؤلفه (الكتاب) مباحث النحو والصرف، وجعل لكل مكان منه لا يشركه الآخر فيه أو يكاد. وبدأ بالنحو وثنى بالصرف وقد تناول في الأول؛ الكلمة والنكرة والمعرفة والأفعال اللازمة والمتعدية.. وأيضاً المنصوبات والنداء وغيرها، أما الجزء الثاني ، فجميع أبوابه صرفية إذا استثنينا باب الممنوع من الصرف ، الذي افتتح به هذا الجزء .ومن موضوعاته النسب والتصغير ونونا التوكيد وجمع التكسير و أوزان المصادر وغيرها كثير.

وقد كان من سوء حظ النحو العربي « أن جاء سيبويه في وقت مبكر جداً لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري؛ إذ نتج عن تفوقه وشدة إعجاب النحاة به، أن أصيب التفكير النحوي بشلل ،ودار الجميع في فلك سيبويه و اتخذوه أساسا لدراستهم . و لذا لم يطوروا هذه الدراسة بالقدر الكافي، وتحولت كثير من الدراسات النحوية، إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليقات عليه أو جمع لشواهده وشرحها».[1]

لقد بلغت الدراسات النحوية العربية مستوى علمي رفيع، ونضج فكري« إذ جمعت بين النقل والعقل والوصف والتحول؛ بل هناك قضايا عديدة تناولها

1- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**،عالم الكتب،(د06)،1988م،ص.124.

العرب بالدراسة المستفيضة، لم يتطرق إليها علماء الغرب إلا في القرن العشرين؛ ومع ذلك فإن تجاوز الضعف أو الخلل، الذي اعترى الدراسات اللغوية العربية لأي سبب من الأسباب ، يعتبر شيء من التجني على مصداقية العلم والإقلال من شأنه، إذ على الرغم مما شاب النحو العربي ، من شوائب وما وجه إليه من نقد، فلا أحد يستطيع أن ينكر قيمة النحو العربي ومقدرة النحاة الفائقة».[1]

02/- المنحى الصرفي

شأن الدراسات اللغوية الأخرى كان للعرب باعاً في الدرس الصرفي، لا يخفى على ذي لب فقد تحدث (سيبويه) عن بعض أبوابه ، من وزن الكلمة ونوعها بين الاسم والفعل، و علامات كل منهما والتجرد والزيادة والصحة والاعتلال، كما تحدث (ابن جني)، عن الاشتقاقيين الصغير والكبير.كما جاء كتاب (مقاييس اللغة) لــ(أحمد بن فرس) موضحاً لأقسام الاشتقاق المختلفة مبيناً أصول الكلمات وحقيقتها، وهذا العلم عرف عند المحدثين بمصطلح المورفولوجيا (Morphologie).

03/- المنحى الصوتي

إن أقل الناس إلماما بالرصيد اللساني في التراث العربي يدرك أن الجانب الصوتي قد حظي باهتمام خاص لدى الدراسيين الأقدمين على اختلاف توجهاتهم العلمية. منهم القراء والنحاة وعلماء الأصول والفلاسفة، وأحسن دليل على ذلك أن الاهتمام بالظاهرة الصوتية كان هو الأساس الأولي المعول عليه في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي.[2]

وعناية العرب بالصوتيات قديمة، تعود إلى اليوم الذي بدأ فيه اللحن، فأصاب العربية في أصواتها ،كما أصابها في نحوها وصرفها ودلالاتها، فالرواية التي تقول إن أعرابيا قرأ الآية القرآنية الكريمة ﴿ إن الله بريء من

1-نفسه،ص.148.

2- أحمد عمر،المرجع السابق،ص.18.

المشركين ورسوله﴾ (بكسر لام رسوله بدلاً من ضمها)، يفهم منها أن لحن الأعرابي ،كان لحناً صوتياً مسَّ حركة اللام، و هي صوت، فنشأ عن هذا خطأ في الدلالة وهو لحن كان مع أمثال له ، حافزاً لـ(أبي الأسود الدؤلي) (ت 67هـ) على أن يضع نقط الإعراب.

ولقد شارك الخليل في وصف أصوات اللغة العربية، وأتى تلميذه (سيبويه) بوصف لها أدق من وصفه وأكمل. ثم كان كتاب (سيبويه) أقدم كتاب يصل إلينا في النحو العربي، والذي اتخذ أساساً لما وليه من دراسات نحوية. وقد تعددت مدارس النحو ومذاهبه في البلاد العربية و الإسلامية المختلفة وفيالعصور المختلفة في العراق ومصر والشام وشمال إفريقيا والأندلس وفارس. ويعتبر كتاب (سيبويه) أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي، يضم صفحاتفي الدراسة الصوتية. إذ جعل البحث الصوتي، وسيلة من وسائل التحليل الصوتي بالدرجة الأولى. ولذلك كان البحث الصوتي عنده أساساً لتفسير عدد من القضايا الصرفية من إدغام وإعلال وإبدال، أما عن ترتيب (سيبويه) للحروف، فقد خالف فيه ترتيب أستاذه (الخليل) في بعض المواضع، فكان على النحو التالي:

(ء ا ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن
ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب مو)

وجعل لهذه الحروف ستة عشر مخرجاً، وحدد لكل صوت أو مجموعة من الأصوات، مخرجاً معيناً ووصفه وصفاً دقيقاً.

ومن الذين شدَّهم الدرس الصوتي شدًّا قوياً ، العارفون بتجويد القرآن الكريم وعلماء قراءاته؛ فأما الأولون فلا يخلو كتاب لهم من كلام عن مخارج الحروف؛ وطريقة نطقها،« لقد اعتنوا بالإدغام عناية خاصة، وأفاضوا فيه، يدفعهم إلى ذلك حرصهم على إتقان ترتيل كتاب الله، وتجويد نطقه وعنايتهم بالأصوات أدت إلى ظهور مراتب التجويد، من ترتيل وتدوير ،وظهور مصطلحات صوتية مهمة كالإشمام والروم والاختلاس والإمالة والتخفيف

والتفخيم.أما الكتاب الوحيد الذيألف في الدراسات الصوتية ، فهو كتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جني».[1]

ويعد (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، أول من نظر إلى البحث اللغوي نظرة عميقة، واتجه إليه اتجاهاً جدياً. فقد عرف قيمة الدراسات الصوتية، وصلتها باللغة،« فرتب الحروف الهجائية على نحو صوتي، من الحلق والفم إلى الشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف؛ من حلقية وشجرية وأسليه ونطيعه وذلقية وشفوية، وقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق ، ثم بين صفاتها وخصائصها وهو عمل لا ينهض به إلا المتخصص، والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة، أما الترتيب الأبجدي العادي فهو من سمات المبتدئين».[2]

وعلى أساس هذا الإدراك للأصوات وترتيب الحروف عليها ؛« أمكن للخليل أن يناقش قضايا لغوية ، وأن يفسرها تفسيراً صوتياً ، كالإبدال والإدغام والقلب في اللغة، وهي ظواهر تقوم على امتزاج الأصوات وطرق ائتلافها ، نظراً لتقاربها أو تباعدها».[3]

كما ألف (الخليل) أيضاً معجمه (العين) « مرتباً ترتيباً صوتياً متبعاً طريقةَ التقليبات، التي تلاحظ وضع الكلمة وتقلباتها في مكان واحد ، مهما اختلف ترتيبها. وهذا المكان هو أبعد الأصوات مخرجاً. ولقد ظلت أفكار الخليل وتعديلاته وابتكاراته نبراساً وهدياً لعلماء اللغة، والنحو والصرف والعروض والعلوم اللسانية بصفة عامة».[4]

أما ابن جني فقد ربط بين علم الأصوات وعلم الموسيقى؛ إذ يقول:« إن علم

1- محمود فهمي، حجازي، **البحث اللغوي**، دار الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)،1984م،ص.16.

2-عبد الغفار هلال، **علم اللغة بين القديم والحديث**،دار الآداب، القاهرة،(ط 02)،1976م،ص.33.

3- نفسه،ص.34.

4- السابق،ص.34.

الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم».[1] و من أهم الموضوعات الصوتية، التي ركز عليها (ابن جني) في كتابه (سر صناعة الإعراب) نجد:

- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.
- بيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة.
- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة، من تغير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.
- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد، ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

أما أهم النتائج الصوتية التي توصل إليها العرب:

- وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية ،رتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداءً من أقصاها حتى الشفتين.
- تحدث العرب عن أعضاء النطق، وسموا كلًّا منها مثل الرئة والحنجرة والحلق وغيرها.
- توصل العرب إلى أن طريقة التحكم في مجرى الهواء، هامة في إنتاج الصوت. وقد قسموا الأصوات على أساسها إلى شديدة و رخوة ومتوسطة.
- اهتدى العرب إلى وجود رنين معين ، يصحب نطق الأصوات المجهـورة، و لذا قسموا الأصوات من حيث وجود هذا الرنين أو عدم ه إلى مجهورة ومهموسة.
- قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة ، على أسـاس اتسـاع المخرج من العلة دون الصحيحة. واهتدوا أيضاً إلى السمات الخاصة،التي تميز بعض الأصوات، مثل (اللام) التي وصفوها بأنها حرف منحرف.

1- ابن جني،**سر صناعة الإعراب**،(ج 01)،ص.10. نقلاً عن: عبد الغفار هلال.المرجع السابق،ص.39.

- تحدث العرب عن أطوال أصوات العلة ، وقسموها إلى قصيرة وطويلة وأطول.[1]

04/- الدراسة المعجمية

لقد كانت عناية علماء العربية بـــ (مفردات) الكلام العربي عناية بالغة،«من حيث كانوا يسمون هذا العلم (اللغة) ،عناية باللغة منذ القرن الأول للهجرة.وظلت هذه العناية متواصلة، فكان جمع المفردات الخاصة بموضوع معين، ككتاب الشجر، أو المطر، أو جمع المفردات الغربية، كغريب القرآن، وغريب الحديث، وحوشي الكلام، أو جمع (الأضداد) أو التأليف في الترادف والاشتراك اللفظي».[2]

كما عني العرب من قديم، ببيان الكلمات الأعجمية الأصل، الدخيلـــــ ة علىالكلام العربي ، ونصُّوا على ما في لغة القرآن الكريم من الأعجمي، ولهم في (المعرب) تصانيف كثيرة ، من أشهرها كتاب (المعرب) للجواليقي ، ومن عنايتهم بمفردات اللغة تأليفهم في مصطلح العلوم والفنون. وتبلغ هذه العناية ذروتها في المعاجم العامة ، ومن المعروف أن أول معجم من هذا النوع وضع في القرآن الثاني الهجري.

وراح بعض اللغويين يعود إلى طرقة (الخليل)، فينظم اللغة وينظر إلى هذه الأمور بعين الاعتبار « فيقوم (الأزهري) بتأليف كتابه (تهذيب اللغة)،متبعاً طريقة (الخليل) في (العين) وهي التقلبات الصوتية، ومثله (أبو علي القالي) في (بارعه) ويأخذ (ابن دري) طريقة التقليبات،إلا أنه يتبع نظام الترتيب الهجائي العادي في تأليف معجمه (جمهرة اللغة) ، و يبتكر (إسماعيل بن حماد الجوهري) طريقة جديدة في جمع اللغة هي الأبجدية العدية ، ملاحظاً

1- ينظر:أحمد مختار عمر،**البحث اللغوي عند العرب**، مرجع سابق،بداية من الصفحة:117.

2- السعران، **مقدمة للقارئ العربي**،مرجع سابق، ص.326.

جعل آخر الكلمة باباً؛ ولذلك قضي على سوء الترتيب الذي كان موجوداً من قبل،في كتب(الأصمعي) و(ابن الأعرابي) و(أبي زيد)، وغيرهم».[1]

ثانياً: الدراسة البلاغية[2]

إن الكلام عن القضايا التي طرحها القرآن كانت أولى، وإن كان الشعر العربي أقدم في وجوده وأسبق، وذلك لسببين: الأول، لأن الأمة العربية قبل الإسلام كانت أمة أمية على وجه الإجمال، والثاني، لأن البحث في القرآن كان هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء، أو بمعنى أدق كان باعثاً للبحث في لغة الشعر على وجه التحديد، « و إن كانت البلاغة العربية لم تنشأ مثل البلاغة الغربية عن نزاع حول الملكية ، فإنها لم تنشأ بفضل أبي عبيدة وحده ولا بسبب التشبيه الوارد في آية شجرة ؛ كما يعتقد بعضهم ولا حتى بفضل كتابة مجاز القرآن كله، لأن النقد العلمي لم يعد يسمح لنا بهذه النظرات العفوية، التي تؤمن بالنشوء التلقائي للعلوم (..). و الحقيقة أن نشأة البلاغة عند العرب قد حظيت بظروف علمية خاصة، لم تحظ بها البلاغة الإغريقية ، و لا البلاغة الغربية إلا منذ سنوات قليلة ، فيما يخص هذه وبعد تأسيس اللسانيات العامة».[3]

قد عرف العرب بالفصاحة والبلاغة وحسن البيان ،وقد بلغوا في الجاهلية درجة رفيعةً من البلاغة والبيان، وقد صوّر القرآن ذلك في آيات عديدة. من

1- السابق،ص.36.

2- جاء في لسان العرب: (بلَغَ الشيء يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغاً وبلَّغَه تبليغاً، والبلاغة الفصاحة، والبَلْغُ والبِلْغُ: البليغ من الرِّجال، ورجل بليغٌ وبَلْغٌ وبِلْغ:حسن الكلام فصيحُه، يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاء، وبَلُغَ بلاغةً: أي صار بليغاً وقول بليغ :بالغ وقد بلغ .والبلاغات :كالوشايات. وفي الاصطلاح هي: بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص ،بتوفير خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشابه والمجاز ..على وجهها).

3-محمد الصغير بناني: **النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ – من خلال البيان والتبيين**–(د م ج)،الجزائر،طبعة:1994م،ص.217.

ذلك قوله تعالى:﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ .[1] كما وضح القرآن شدَّة قوتهم في الجدال والحجاج فقال :﴿ ما ضربوه لك إلّا جدلاً، بل هم قوم خصمون﴾[2]. ومن أكبر الدلائل على أنهم بلغوا في البلاغة درجة عالية رفيعة؛ أن كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وحجته الدالة على نبوته القرآن , حيث دعاهم إلى معارضته, وتحداهم بأن يأتوا في بلاغته الباهرة ، وهي بلا شك دعوة تدل بوضوح على رسوخ قدمهم في البلاغة والبيان ، وعلى بصرهم بتمييز أقدار المعاني والألفاظ ؛ و تبيين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير.

لقد كانت البلاغة العربية – كما يذهب إلى ذلك (الشـــرافي) – نتاج ـــاً، للظروف السائدة في المجتمع العربي بعد الإسلام، وكانت قد بدأت كفرع من فروع الدراسات اللغوية القرآنية التي تعنى بتفسير القرآن الكريم، والتي كانت تهدف أساساً لإثبات إعجاز القرآن الكريم، الذي تحدّى العرب وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة أن يأتوا بسورة من مثله. من ثمّ فإن اهتمام العلماء كان منصباً أساساً على فكرة بحث جوهر هذا التحدّي.

و لقد اصطبغت من يومها الأول بصبغة الدراسات التحليلية للنص القرآني ، الموجود بين دفتي المصحف كنص مكتوب. وكان أول من اهتم بدراسة المجاز في القرآن الكريم هو (الفراء) المتوفى سنة (207 هـ/830 م)، والذي ألّف كتاباً في هذا المجال تحت عنوان :(معاني القرآن)، وتلا ذلك أبو (عبيدة معمر بن المثنى) المتوفى سنة (210 هـ/ 833م)، والذي ترك لنا كتاباً في هذا المجال بعنوان :(مجاز القرآن). بعد ذلك يأتي (ابن قتيبة) المتوفى سنة (276 هـ 889 م) هو الذي ألّف كتاباً عنوانه:(تأويـل مشكل القـــرآن).

1- سورة البقرة، الآية:204.

2- سورة الزخرف، الآية:58.

وفي هذه المؤلفات نجد تصريحات عامة عن المجاز والذي كان يعني بالنسبة لهم الأسلوب.[1]

هذا وقد أسهمت ثلاث بيئات، في توضيح الأسس الأولى لمبحث الأنواع البلاغية: بيئة اللغويين، ثم بيئة المتكلمين، ثم بيئة الفلاسفة(..). وإذا كانت بيئة المتكلمين تقوم أساساً على جهود المعتزلة ، في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وما صاحب هذه الجهود من دراسات لموضوعات البلاغة وقضايا النقد، من حيث أنها تبلورت عندهم وفق عاملين هما: الأول ويتصل بدراسة القرآن نفسه، وتبين حقيقة إعجازه ونظمه، والثاني يتصل بالغاية من تعلم البلاغة نفسها.

فالبلاغة عندهم عنصر هام، في الإقناع الذي هو غاية الجدل الكلامي، ومن هنا نفهم تعريف (عمرو بن عبيد)(ت144هـ) للبلاغة بأنها: « تخير اللفظ في حسن الإفهام-، أقول فإن بيئة اللغويين كانت الأقدم زمنياً، إذ أن جهودهما تبدأ في الظهور والإثمار تبدأ منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وبفضل علماء مثل: (أبي عمرو بن العلاء)، و(يونس بن حبيب) و(الخليل بن أحمد)، و(سيبويه)؛ الذي يذهب البعض إلى اعتباره المؤسس الأول للبحث البلاغي..»[2]

لقد اختلف المشتغلون بأمر البلاغة في آرائهم، وتباينت أقوالهم فيما يتصل بتسمية الشخص، الذي يستحق أن ينسب إليه شرف وضع هذا العلم ؛فقد ذهب بعضهم إلى القول بأنه (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)(ت 255هـ) صاحب (البيان والتبيين)؛ ومنهم من رشح إمام النحو العربي المشهور (سيبويه)(ت 189هـ)؛ وقال آخرون أنه الإمام (عبد القاهر

1- ينظر :**الأثر اليوناني في البلاغة العربية -بلاغة النص وبلاغة الخطاب** -، مقال مجلة التسامح الالكترونية،ص.02.

2- جابر عصفور،**الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**،المركز الثقافي العربي،بيروت، (ط03)، 1992م،ص.99.

الجرجاني)(ت 471ه) مؤلف (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)؛ وذهب فريق رابع إلى القول بأنه (السَّكاكي)(ت 626هـ) صاحب (مفتاح العلوم). وقد أورد كل فريق من هؤلاء عدداً من الحجج والبراهين، التي تؤيد فكرته وتسند ادِّعاءه.

وإذا كانت البلاغة العربية في مرحلتها الأخيرة ، قد وُصفت بالجفاف والجمود، ووُصفت مناهج علمائها بالتكرار والتعقيد، « فإنّه لا بدّ للدارس من النّظر بعين الإنصاف إلى التراث البلاغي القديم، والبحث بدايةً في الأسباب التي كانت وراء التعقيد والغموض، اللذين لوحظا في بعض مسائل هذا العلم، ولا سيّما في علاقة البلاغة بالفلسفة وعلم الكلام، وما أثاره الدارسون المحدثون بشأن هذه القضية، ثمّ دراسة جهود قدامى البلاغيين في تيسير الدرس البلاغي، من خلال الوسائل كالتلخيصات والشروح، ومن خلال المناهج، والموضوعات، والمصطلحات».[1]

وقد كانت الخلفية الدينية، أحد أهم الأسباب في إثارة السؤال البلاغي ، حيث تم الانتقال من التنزيه عن التناقض، والنقص إلى البحث في مزية النص القرآني البنائية التي تَجعلُه خارقاً للعادة البشرية، أي مُعجزةً دالة على النبوة ــ بالإضافة إلى ذلك فقد لعب الاختلافُ حول طبيعة (كلام الله) نفسُه دوراً في توجيه البحث البلاغي ؛خاصة حين اشتد الوعي بهذا السؤال في القرن الخامس وأصبح مُحرجاً. فـ(ابن سنان)، برغم اعتماده الصَّرْفة، بنى تصورَه البلاغي على اعتبار الكلام، أصواتاً و مقاطع متأثراً بمذهب المعتزلة ، مقدماً كتابه بتمهيد نظري ، يكشف هذه المسألة ويُناقشها بصراحة وقوة.[2]

إن ذلكم الارتباط بين علم البلاغة وقضية الإعجاز القرآني، قد أفرز تلك الدراسات والمباحث الجليلة في فهم قضية الإعجاز ، ومحاولة تعليلها تعليلاً

1- بن عيسى باطاهر،**تيسير البلاغة في كتب التراث**،(مقال)، موقع جامعة الشارقة ،ص.30.

2- ينظر:العمري،**البلاغة العربية..الأصول والامتدادات**،المغرب،(ط01)،1998م،المغرب،ص.25.

لغويًا وبلاغيًا؛ كما هو الشأن عند (عبد القاهر) و(الزمخشري) وغيرهما، ولكنّه أفرز في الوقت نفسه غموضًا ومسالك صعبة في علم البلاغة، فقضية الإعجاز مثلما أثّرت تأثيرًا واضحًا في توجيه التأليف في البلاغة، فإنّها غَدت كذلك وسيلة من وسائل دراسة علم الكلام ، ومن هنا كانت سببًا من أسباب ذلك التعقيد، الذي يُلحظ في بعض مسائل البلاغة وقضاياها الأساسية.[1]

لقد ظهرت منذ العصر الجاهلي ملاحظات و تعليقاتٌ واصفةٌ، أو مآخذ على القول الشعري الذي صار موضوعَ تأمل، ثم توسعت هذه الملاحظات وتكاثرت خلال العصر الإسلامي والأموي إلى أن ثارت الخصومة بين القدماء والمحدثين حول الأسبقية إلى مجموعة من الصور سميت: البديع، أي الجديد على غير مثال. فكانت بداية التأليف في الصور البلاغية مع (ابن المعتز)، وانطلق تقليد كتب البديع ثم البديعيات. و قد تغذت هذه الكتب من الخصومات النقدية، فتكاثرت الصور والأمثلة والتعريفات. فشكل عمل النقاد التطبيقيين والبديعيين المرحلة الأولى، مرحلة الملاحظة المنبثقة من الموضوع نفسه. ومن هذه المجموعات تغذت كتب التنظير النقدي (قدامة مثلاً) والبلاغي (الجرجاني) فيما بعد، عبر معالجة الإعجازيين الانتقائية كما مارسها (الباقلاني).[2]

والحق أن مجال البلاغة يتألف مع مقدمة البلاغة العربية « فيحتوي على ما يسمى بالسلم البلاغي، أي يبدأ بالقرآن الكريم، ثم بالحديث النبوي الشريف، ثم حديث البلغاء والأبيناء والفصحاء، وبعد أن ينتصف السلم البلاغي، تبدأ أحاديث الناس على تدن في المستوى البلاغي، حتى تصل تلك الأحاديث في قيمتها إلى كلام المجانين والموسوسين والحمقى، أما التصاعد البياني الإنساني فيقف دون الإعجاز القرآني، حتى حديث الرسول الكريم في فصاحته وبيانه، يبقى قريباً من ساحة الإعجاز القرآني، دون أن يكـــون لـــه قـدرة علـى

1- ينظر:السابق، ص.36.

2- ينظر:نفسه، ص.18.

ولوجها».[1] ثم هل من منكر أن علماء العربية قد انتهجوا منهجاً متميزاً في البحث اللغوي يعتمد أساساً على خاصية التذوق، وإعمال العقل ودقة الملاحظة، ويحددون مناحيهم في إطار الدراسة القرآنية، فلا غرو إذن أن تكون لهم شخصيتهم المستقلة، وبحوثهم التي تتجه اتجاهاً لغوياً يخدم الدين، مع انعدام أي وسيلة تقنية ، تكشف لهم أغوار تلكتلك العلوم.[2]

لقد مرت البلاغة العربية بمراحل مختلفة وأطوار متعددة ، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من نضج وازدهار وصار علماً له قواعده وقوانينه التي تحكمه. ولا شك أن البلاغة في رحلتها من الفطرة إلى العلم ؛ قد شهدت رجالاً أسهموا بجهودهم الملموسة في تشكيل ملامحها ، وتحديد مفاهيمها « على اعتبار أنها قامت على جدلية ثنائية بين الشكل والمضمون، وهذه الثنائية فرعت مباحثها إلى اتجاهات: منها ما يهتم بالشكل أو البناء اللفظي، ومنها ما يهتم بصلة اللفظ بمعناه، وما يترتب على ذلك من خروج هذا المعنى عن حدوده التي وضعت له، أو بمعنى آخر ؛ انحراف المعنى عن اللفظ ثم يمتد هذا الاهتمام ليتناول معنى الجملة وصلتها بما قبلها ، وما بعدها كما في مباحث (الفصل والوصل)».[3]

إنّ ارتباط البلاغة بقضية إعجاز القرآن أمرٌ واضحٌ جليٌّ في كثير من كتب البلاغة ومصادرها الأساسية، إذ يكفي الاطلاع على عناوين بعضها لإدراك هذه العلاقة القويّة، فدلائل الإعجاز للجرجاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ل(لعلوي)، والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لـ (ابن الزملكاني)، وغيرها من كتب البلاغة الأساسية التي كانت غايةُ بحثها الوصولَ

1- محمد بركات،**البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل**،دار البشير، عمان،(ط01)،1992م،ص.10.

2- ينظر :نادية النجار، **فصول في الدرس اللغوي**، مرجع سابق، ص.56.

3- محمد عبد المطلب، **البلاغ والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون،القاهرة،(ط01)، 1994م،ص. 258.

إلى فهـــم الإعجاز في القرآن ، ولذلك وُجدَ في كثيرٍ منها بابٌ لدراسة الإعجاز.[1]

لقد برزت الحاجة إلى وضع علم البلاغة ،في الفتـرة التي بدأ فيها الذوق السليم يأخذ في الفساد والانحراف؛عن طريقه المعهود شيئاً فشيئاً، وفي الوقت الذي بدأ فيه الطبع ؛ الذي كان مصدر الإلهام ومنبع الفصاحة للعربي يضمحل؛ أو تقل درجته في نفوس العرب. حدث كل ذلك عندما اختلط العرب بشعوب الأمصار، التي تم فتحها وضمها إلى الدولة الإسلامية، حيث كان تأثر اللغة العربية بذلك الاختلاط أمراً حتمياً، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وضع أصول وقواعد ؛تمكن طلاب اللغة والأدب من تجنب الزلل، أو الوقوع في الخطأ في الأسلوب والبيان. هذا فضلاً عن القول بأن العرب ، كانت تهدف من وراء وضع علم البلاغة إلى الإلمام بإعجاز القرآن الكريم، وفهم أسرار ذلك الإعجاز.

لقد كان العرب، من أيام الجاهلية، يفتخرون ويتباهون بمقدراتهم البيانية والبلاغية، وكانوا يتسابقون في ذلك ويتنافسون، وظل هذا الوضع على حاله إلى أن جاءهم القرآن الكريم فشدهم ما فيه من بيان وقوة تعبير.

وربما كان إعجابهم بالأسلوب القرآني ، من الأسباب القوية التي دفعتهم إلى وضع علم البلاغة، حتى يتسنى لهم الكشف عن إعجاز القرآن الكريم من جهة، وليتمكنوا من الاستفادة مما جاء في القرآن؛ فيما يتصل بتجويد أساليبهم الأدبية، وطرائقهم في التعبير من جهة أخرى، ولا غرو في ذلك، ذلك أن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد نوه بأهمية البيان العربي ومكانته في قوله تعالى في قوله ﴿لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ﴾[2]، فوصف القرآن اللسان العربي بالإبانة مدحاً له ،

1- ينظر:باطاهر ،**تيسير البلاغة في كتب التراث**،مرجع سابق،ص.35.

2- سورة النحل،الآية:103.

وتفضيلاً على اللسان الأعجمي. لقد كان علم البلاغة العربية؛ ثمرة لجهود علماء أجلاء عاش بعضهم في القرن الثالث الهجري، في حين برز جلهم في القرون الأربعة التالية.

01/- المنحى الإعجازي

من المعروف أن الدرس الإعجازي ظل يستقطب، منذ تأسيسه، معم الدراسات العربية اللغوية منها، والبلاغية النقدية، كما شكل حقلاً خصباً لأبحاث علماء الشريعة و المتكلمين والفلاسفة، على امتداد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وبذلك كان بمثابة نقطة ارتكاز في المدونة المعرفية التراثية.

و القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة ، الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية، فهو الدافع الرئيسي لحفز الهمم وشحذ الأذهان للبحث والتحري والاستقصاء، فبفضله توسعت المدارك ؛ وتفجرت العلوم الهادفة إلى خدمته قصد استكشاف تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان بحق النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية.[1]

ويعود الفضل للقرآن الكريم ؛في نشأة الدراساتاللغوية وتطورها[2]؛ فلم يكن حرص العرب على العربية؛ وتشددهم في المحافظة عليها إلا رغبة منهم في حفظ لغة القرآن؛ ليظل مفهوماً، متدرساً ؛على مدى الدهر. فزاد من أجل ذلك الإقبال على دراسة القرآن واللغة والشعر، وبدأت حركة كبرى لجمع اللغة من البوادئ، ورحل من أجل ذلك العلماء، وعادوا بما اجتمع لديهم من كلام العرب، حتى امتلأت به صحفهم وخزائنهم.وهكذا كان القرآن دافعاً لكثير من العلماء للاطلاع على اللغة، وتحمل المشاق في سبيل جمعها، ومعرفة المزيد من أسرارها، وتحديد معاني مفرداتها، والإلمام بفنونها المتنوعة.

1-مليكة حفان،**من قضايا اللفظ والمعنى بين اللغويين والبلاغيين** ،(مقال)،ص.10،نقلاً عن:حامد أبو زيد ، **مفهوم النص**،ص.09.

2-ينظر:يوهان فك،**العربية**،ترجمة: عبد الحليم النجار،دار الكتاب العربي، القاهرة، 1951م، ص.151.

وأمام العجز إزاء بلاغة القرآن، تصدى العلماء ؛ مفسرين ولغويين ونقاداً وأدباء للبحث في أدبية الإعجاز القرآني، محاولين رصد تجلياتها، واستجلاء مظاهرها، وكشف أسرارها.

وإذا حاولنا رصد المحطات الكبـرى للدرس الإعجازي، عبر مساره التاريخي، ألفيناه يتأسس بداية، كرد فعل قوي على فكرة (الصرْفَة)،التي قال بها النَّظَّام (أبو إسحاق إبراهيم بن سيار)(ت 224 هـ). فقد كانت مقولة (الصِّرْفَة) بمثابة الفتيل الذي أذكى البحث الإعجازي، وأدى إلى اطرداه ونضجه. ويزعم أصحاب هذه المقولة أن عدم استطاعة فصحاء العرب مجاراة وتقليد الأسلوب القرآني يرتبط بقدر إلهي إلزامي، صرف أولئك عن الإتيان بمثل القرآن نظماً وتأليفاً، ومن ثم فإن مناط الإعجاز فيه لا يتعلق بأدبيته، أي بسحر بيانه، وروعة نظمه، بقدر ما يرتبط بطابعه المقدس ذي الحمولة الدينية المحضة.

ومع أواخر القرن الرابع وخلال القرن الخامس الهجريين، بدأ التأصيل للدرس الإعجازي، حيث راحت بحوثه تستقل تدريجياً عن الدراسات اللغوية والنحوية والنقدية، فضلاً عن الكلامية والفلسفية، دون أن تنفصل عنها نهائياً، و إنما اعتمدت مقدماتها وأدواتها في رصد الظاهرة الإعجازية.

وكان من ثمار هذا الاستقلال أن ظهرت كتب ورسائل شكّل لفظ (الإعجاز) عناوينها الرئيسية، كرسالة (النكت في إعجاز القرآن) لـ(علي بن عيسى الرماني) (ت 386 هـ)، ورسالة (بيان إعجاز القرآن) لـ(أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي)(ت 388 هـ)، وكتاب (إعجاز القرآن) لـ(أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني) (ت 403 هـ)، هذا بالإضافة إلى مصنفات أخرى كثيرة، لعل من أبرزها كتاب (عبد القاهر الجرجاني)(ت471 هـ) الموسوم بـ(دلائل الإعجاز)، وكتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) ل ـ(فخر الدين الرازي)(ت 606 هـ).

إن البحث اللغوي عند السلف ،قد ابتدأ بدراسة الإعجاز في القرآن. وقد أثارت هذه القضية قضايا أخرى كثيرة، لأنها تركزت من حيث الأساس على تداخل الشاغل الديني بالشاغل اللغوي، وأخذ هذا الأمر فيها أهمية كبرى، لأنه ربط بين ميدانين: « فقد صير التقرير اللغوي بإعجاز القرآن تأكيداً للمصدر الإلهي في وحيه وتنزيله، كما كان لهذا التداخل أثره العظيم أيضاً على مسار الفكر العربي، وتوجيهه وإثرائه. و الثاني لأن البحث في القرآن الكريم كان هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء، أو بمعنى أدق كان باعثاً للبحث في لغة الشعر على وجه التحديد، والأهم من هذا وذاك هو أنه للقرآن يعود سبب خلق الحضارة العربية الإسلامية وتوجيهها، فكان له فضل تكوين العقلالعلمي عند العرب والمسلمين من جهة، وتسيير الجهد العلمي والبحث الأصولي وجهته التي سار بها من جهة أخرى».[1]

ويجمع الكثير من الدارسين المنصفين، على أن العرب قد اهتموا بالدرس اللغوي، لاهتمامهم بالنص القرآني؛ فحرصوا على تنقية لغتهم وفصاحتها، ولا سيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام، مما أدى إلى خلط العربية بغيرها من الألفاظ الدخيلة والمعربة. فاستهدف اللغويون والنحاة جمع لغتهم لحفظها من التشويه والتحريف، وتجنيبها اللحن [2]، « حفاظاً على تماسكها ورشاقتها، ولفهم النص القرآني، والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه، وذلك ما يؤكد صلابة الصلة بين العربية النص القرآني، والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه، وذلك ما يؤكد صلابة الصلة بين العربية و القرآن»[3].

لقد تبين لنا أن نشأة التفكير اللغوي والبلاغي كانت ضمن دائرة التفكير الديني، ولما كان الأمر كذلك فقد كان لا بد أن تحتدم المواقف، وتصطرع

1- منذر العياشي،**مولد البلاغة ونشأتها**،(مقال)،موقع المشكاة، 14 /2011/05 .

2- ثمة فرق..(اللحن: هو مخالفة الصواب النحوي والخطأ في الإعراب والقراءة، والخطأ: هو الخروج عن القياس والإتيان بما يخالف الأسلوب العربي).

3- نادية النجار،**فصول في الدرس اللغوي**، مرجع سابق، ص.54.

الأفكار، كما كان لا بد أن يقوم علم يطرح القضايا والمسائل، ويقيم الأصول، ويحدد القواعد، ولما كان الكلام على الكلام في التراث العربي الإسلامي نتاجاً لتصور حضاري، فقد أسس بنيانه على مجموع مسائله وقضاياه، و انتهى بالعمل العلمي عامة، و العمل اللغوي خاصة إلى كشوف معرفية تكاد لا تحصى.[1]

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم ، فعني المسلمون منذ القرن الأول الهجرة ، بتدقيق الكتابة العربية وتقييد الحروف الكتابية بـــالشكل؛ صوناً لكلام الله -عز وجل- عن أن يصيبه التحريف. بل إن الدراسات اللغوية التي بدأت بجمع اللغة واستنباط القواعد العربية منها ، في المفردات والتركيب والأسلوب والدلالة وبيان الأصيل منها والدخيل وغير ذلك؛ مما يتصل بهذه الدراسة والاهتمام ، بشرح القرآن الكريم على أساس الإحاطة باللغة على الوجه اللائق وجمع الحديث، و كل ما يتعلق بعلوم الدين واللغة؛ كل تلك الدراسات قامت من أجل الحفاظ على كتاب الله - بعد أن فسدت السلائق- حتى لا تنبهم معانيه على الأفهام فيضيع، وتضيع مبادئ الإسلام معه.[2]

أما من جانب الاهتمام بالقراءات القرآنية ،وأثر ذلك في الدرس الإعجازي فقد اهتم العلماء بالقرآن الكريم ، لمعرفة أصواته وطريقة أدائه حسب الوجوه المروية فيه؛ والمسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي تنقل لنا آثار اختلاف اللهجات العربية، وتأثيرها على أداء القرآن الكريم تخفيفاً من الله ورحمة.

وتلك الطائفــة من العلماء ،هي التي حافظت على تلك الوجوه من القراءات وأوصلتها لنا كاملة غير منقوصة، فكانت تؤثر محفوظة عنهم

1- ينظر:العياشي،**مولد البلاغة العربية**،مرجع سابق،ص.02.

2- ينظر:هلال، **فصول في علم اللغة العام**، مرجع سابق،ص.29.

مشافهة واضحة القواعد والأسانيد. وتتابعت المؤلفات في هذا الحقل والاحتجاج بها كـ(التبصرة والإبانة والكشف) لـ(مكي بن أبي طالب) و(جامع البيان) لـ(أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني) و(الكافي في القراءات السبع) لـ(أبي القاسم الرعين الأشبيلي) و(حرز الأماني ووجه التهاني – الشاطبية –) لـ(أبي القاسم بن فيره الشاطبي) و(النثر) و(غاية النهاية في طبقات القراء) ل ـ(ابن الجزري).[1]

ولعلم قراءات القرآن أهمية خاصة ، حفظت لنا أصوات العربية عبر أربعة عشر قرناً ، حتى تم في معظمها النطق العربي الأصيل؛ وبذلك بقي لها جدتها فمخارج الحروف وصفاتها ، محددة مضبوطة وما يعرض لها ، من ألوان التغير والتفاعل بينها، أكسبتها القراءات صموده مع الزمن ، وثبوت قوانينه بالدليل العلمي الأكيد.

02/– المنحى الدلالي[2]

ما من أمة من الأمم إلا وبحثت في ألفاظ لغتها ، محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً ، و بيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في التركيب. والعرب مثلهم في هذا مثل الأمم الأخرى، جاءت مباحث الدلالة عندهم موزعة في مختلف علومها وتراثها، حيث كان المعنى هو الوجهة والأساس الذي إليه يقصدون وبه كانوا معنيين. لذا لا نعدم أن نرى أسساً وأصولاً ، تشبه وتضارع ما توصل إليه علم الدلالة بمفهومه الحديث، تنثر هنا وهنالك في التراث العربي.

ولنا أن نعتز أن التفكير العربي؛ قد أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية على الرغم من إنكار بعض الدارسين لذلك ،عندما نعتوا الحضارة

1-السابق، ص.53.

2- يعرف علم الدلالة بأنه:(العلم الذي يدرس المعنى، أو فرع من علم اللغة يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى).

العربية بقولهم لم تفرز في مجال اللغويات سوى علم تقني منطلقه وغايته نظام اللغة العربية في حد ذاتها لا غير ، وهذا مخالف لما نجده من أصول وغايات تشبه ما يبحث عنه المحدثون.

ولقد كان البحث في دلالات كلمات اللغة العربية، بوصفها لغة القرآن ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم مما تنبه إليه اللغويون القدماء. ويعد هذا الاهتمام المبكر بالدلالة نضجا أحرزته العربية؛ وما الأعمال العلمية الدلالية المبكرة عندهم، كضبط المصحف الشريف بالشكل إلا دليل على ذلك؛ فتغيير ضبط الكلمة يؤدي إلى تغيير وظيفتها، وهذا يترتب عليه تغيير في معناها.فأصبح البحث في علومها لازماً لفهم الكتاب والسنة، ولقي الدرس الدلالي اهتماماً بالغاً منذ بداية البحث اللغوي عند العرب لأهميته في معرفة دلالات الألفاظ.[1]

وكان المسلمون القدماء قد خصصوا للبحوث اللغوية ، حيزاً واسعاً في إنتاجهم الموسوعي الذي يضم إلى جانب العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة علوماً لغوية قد مست كل جوانب الفكر عندهم، سواء تعلق الأمر بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث، أو علوم العربية، كالنحو والصرف والبلاغة، بل إنهم كانوا يعدون علوم العربية نفسها وتعلمها، من المفاتيح الضرورية للتبحر في فهم العلوم الشرعية، ولذلك « تأثرت العلوم اللغوية بعلوم الدين وخضعت لها.وقد تفاعلت الدراسات اللغوية مع الدراسات الفقهية، وبنى اللغويون أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث ، وقالوا في أمور اللغة بالسماع والقياس والإجماع و الاستصلاح تماماً كما فعل الفقهاء في معالجة أمور علوم الدين».[2]

ولم يكن البحث الدلالي مقتصراً على اللغويين فحسب، بل تناوله بالدراسة علماء ومفكرون من ميادين شتى، كالأصوليين و البلاغيين و الفلاسفة

1- ينظر:**الخصائص**،ابن جني ،تحقيق:علي النجار،دار الكتاب العربي،بيروت، (د.ت)،ج(02)، ص.146-152.

2- ريمون طحان ،**فنون التقعيد وعلوم الألسنية**،دار الكتاب اللبناني،(د ط)،1983م،ص.26.

والمناطقة والمفسرين وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد، وغيرهم من العرب والهنود و اليونان، وكان لكل منهم منهجه الخاص في تناول الألفاظ ودلالاتها[1].

وكان ذلك التعدد في الطوائف الفكرية ومناهجها في الدراسة، قد نشأ نتيجة الخلاف في تحديد الدلالة و مفاهيمها وطرائق دراستها، فضلاً عن أن شمول الدلالة وتداخلها بالعلوم الإنسانية كافة ، قد أدى إلى اختلاف مفاهيمها[2]، ولكـن لدلالة وتداخلها بالعلوم الإنسانية كافة،قد أدى إلى اختلاف مفاهيمها[3]، ولكن هذا الخلاف يصب في مسار واحد؛ لأن المفهوم العام للدلالة عند الجميع واحد، غير أن كل طائفة تتناولها بأسلوب خاص بها ، و تختلف عن غيرها بملاحظات واعتبارات متباينة.

إن الأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري؛ بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها مدينة « للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان»[4].

هذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية واللغوية ، هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعد الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدلالة،وعلم السيمياء على السواء، بل إنك لا تجد كبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث ؛ وبين علماء العرب القدامى الذين أسهموا في تأسيس وعي دلالي هام، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول

1- ينظر:تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة** ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء، (د ط)،1979م،ص.240، ومدكور ،**علم اللغة بين التراث والمعاصرة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،(د ط)،1987م،ص.233.

2- ينظر:مطاع صفدي، **نظرية الدلالة وتطبيقاتها**،الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،بيروت،(ع:18-19)،1982م، ص.43.

3- ينظر:مطاع صفدي، **نظرية الدلالة وتطبيقاتها**،الفكر العربي المعاصر،مركز الإنماء القومي،بيروت،(ع:18-19)،1982م، ص.43.

4- علم الدلالة عند العرب، عادل الفاخوري، دار الطليعة، بيروت،(دط)،1985م، ص 05.

والفقهاء والأدباء، «فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، و هذا التأريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها».[1]

وعلم الدلالة فرع من فروع علم اللغة ، وهو دراسة معنى الألفاظ . والمعنىاللغوي هو العلاقة التي تتحقق باتحاد عنصري العلاقة اللغوية أي الدال والمدلول؛ حيث يوجد بينهما تلاحق وثيق،« إن الموضوع الأساسي لعلم الدلالة هو المعنى ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة حتى قال بعضهم: إنه بغير المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة. وقد عرف بعضهم اللغة بأنها: معنى موضوع في صوت».[2]

ولقد عنى القدماء بمجالات العلاقة بين اللفظ والمعنى، نحو مناقشتهم دلالةاللفظ على المعنى المدلول، وأهمية اللفظ في هذه العملية الإنسانية السريعة وأهمية المعنى في كونه الأصل الذي تكونت من أجله الألفاظ ، ومسائل فلسفية أخرى كانت محيّرة غير ثابتة الآراء كتلك التي تناقلوها حول نشأة اللغة؛ فالمحدثون لم يأتوا بجديٍ محض، أو يبحثوا ما لم يسبق إليه؛ إذا لاحظنا جهود القدماء الذين أشاروا لجمل من الموضوع، أو كتبوا فيه، أو كشفوا عن سماته، فحققوا مزية الاكتشاف العلمي.

ويمثل القرن الثاني الهجري البدايات الرائدة لإدراك صلة الأصوات بالمعاني حيث نجد إشارات الصلة بين اللفظ ومدلوله عند (الخليل بن أحمد الفراهيدي) وتلميذه (سيبويه). يقول (ابن جني):« و اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له

1- المرجع السابق،ص.05.

2 – حاتم صالح الضامن، **علم اللغة**، مطابع التعليم العالي، بغداد، العراق،(د ط)،1989م ،ص.72.

والاعتراف بصحته، قال (الخليل): كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً: صرصر».[1]

وثمة مباحث دلالية أخرى عني بها اللغويون؛ تتعلق بالعلاقات الدلالية وبيان أصول الألفاظ والحقيقة والمجاز في الدلالة اللغوية، وبأثر الدلالة في المتلقي، وأثر المتلقي في صياغة الخطاب اللغوي، فلم يقفوا عند الصورة الخارجية للغة، وإنما سعوا إلى الكشف عن المدلولات النفسية لها، وبحثوا في المفاهيم الفنية للدلالة المتمثلة بالأساليب البيانية، وقدرتها على الإشارة إلى المعنى الخفي للنـــص و أثر السياق في الوصول إلى ذلك المعنى.[2]

إن الدراسات الدلالية الحديثة، كانت ومازالت تنظر بعين الريبة لجهود العرب القدامى من حيث أنها استصغرت جهودهم ، في الاهتمام بطبيعة العلاقة بين الألفاظ ومعانيها . و أضحى هذا الموقف فيه الكثير من الإجحاف ، في حق أولئك العلماء.إذ إن من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم ؛ دلالات الألفاظ. فمن اهتمام اللغويين العرب:

- محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله: « وأما(ك لم) فهذه أيضاًحالها، وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها أصول خمسة، و هي:(ك ل م)،(ك م ل)،(ل ك م)،(م ك ل)،(م ل ك)، وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت في ثبت».[3]

- محاولة ابن فارس (ت 395هـ) الرائدة في معجمه (مقاييس اللغة) ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

1- ابن جني، **الخصائص**،(ج 02)، ص.152، والفراهيدي **العين**،(ج 01)، ص.51.نقلاً عن: الرديني، **فصول في علم اللغة العام**، مرجع سابق، ص.199.

2- ينظر:هادي نهر ،**علم اللغة الاجتماعي عند العرب**، منشورات الجامعة المستنصرية بغداد ، 1988م، ص.213 – 214،وينظر :كريم حسين، **الدلالة في النحو العربي** ، مجلة كلية التربية، بغداد ، (د ط)،1997م،ص.73-86.

3- ابن جني، **الخصائص**، تحقيق:النجار،، دار الهدى،بيروت، (ج.01)، (ط 02)،(د ت)،ص.13.

– محاولة الزمخشري (ت 538هـ) في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية. ومن اهتمام الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين بعلم الدلالة.

كما كان لعلماء الأصول، وكذلك البلاغيين ومن بعدهم اللغويين جانباً من دراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى ، ومظاهر تطور دلالة اللفظ . كما وقفوا على المشترك اللفظي، والأضداد والترادف(..) فجاءت مؤلفات القدماء، تحمل هذه الأسماء. كما عزَّ على بعضهم فهم معاني الألفاظ الغريبة ، على البيئة العربية والتي وردت في القرآن الكريم ؛ فأخذوا يسألون عن معانيها حبر الأمة وترجمان القرآن (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنه – ومن ذلك لفظتا (أبا) في قوله تعالى: (وفاكهة وأبًا)[1] و(سَرِّيا) في قوله تعالى:﴿ قد جعل ربك تحتك سريا﴾.[2]

ثالثاً:الدراسة الأدبية والنقدية[3]

تعد الآثار لدى كل أمة ،إلى جانب كبير من الأهمية ولاسيما عند العرب ، فهي التي تعي ثروتهم اللفظية ،ومادتهم الفكرية وأحوالهم الاجتماعية مستمدة من مأثور كلامهم وسجل تاريخ هم الحافل. وقد نهضت دراسة الأدب ونقده عندهم لما بدا له م من أهميها، ولما حوته من تصانيف اجتماعية وتاريخية ولغوية.

من هنا جاءت مفاهيم معاني المصطلحات النقدية، في معظمها« بمثابة خليط من التصورات استمد بعضها من عالم الأعراب وحياتهم (البيت –العمود) ومن عالم الثياب(حسن الديباجة– رقة الحواشي – الهلهلة)؛ و من ظروف في

1- سورة عبس: الآية.31.

2- سورة مريم: الآية.24.

3- النقد لغة:(تمييز الدراهم وإخراج الزيف منه ونقدت الدراهم ونقدت له الدراهم أي أعطيته فانتقدها أي قبضها إنه يشكل ثلاثية، تمييز وإعطاء وقبض وفي المعاجم الغربية ورد بمعنى: فحص، يهدف إلى إصدار حكم..).

التصارع القبلي (النقائص– سرقة – الرفادة – الإغارة) ؛ومن الحياة الطبيعية (هذا شعر فيه ماء رونق) ومن عالم الجنس (معاضلة – فحولة)».[1]

وقد كان للدراسات النقدية العربية أثرها ،في الكشف عن بعض أسرار الجمال في العبارة العربية. وأثر عن علماء العربية تصورات عامة ،عن اللغة ونشأتها وحياتها وعن الصلة بين اللفظ ودلالته ، و عن القياس اللغوي . وممن اهتم بهذا على وجه الخصوص (أبو علي الفارسي) و(ابن جني)؛ ونجد نقولاً عن غيرهما في الكتب الملخصة للآراء المختلفة كـ(المزهر) لـ(السيوطي).

ولقد تشكلت المصلحات النقدية العربية من خليط من التصورات ، استمد بعضها من عالم الأعراب وخيالهم ؛ كـ(البيت) و(العمود) وعالم الثياب كلفظة (حسن الديباجة) و (رقة الحواشي) و (الهلهلة)؛ ومنعالم الحرب والشجاعة كعبارة (متين الأسر) ومن ظروف التصارع القبلي ؛ كألفاظ (النقائص) و(السرقة) و(الرفادة) و (الإغارة) ومن الحياة الاجتماعية كعبارة (الطبع) و(الصنعة) ومن عالم الجنس كلفظة (المعاضلة) و(الفحولة)؛ و من تجارب العرب في الترجمة (اللفظ) و(المعنى). وبحكم نشأة هذه المصطلحات وغيرها في بيئة زمانية لها سماتها المحددة ، بشروط النشأة والاستخدام و هي بيئة مغايرة للبيئة المعاصرة ، فقد طرأت على هذه المصطلحات سلاسل من التغيرات المتتابعة.

لقد كان النقد منذ أن ظهر في مرحلة تدوين الشعر ،وبداية عصر التدوين (منتصف القرن الثاني الهجري) نقداً فطرياً ؛ أساسه الذوق والطبع والانفعال بالأثر الأدبي، و نجد بعض الإشارات اللغوية أواللمحات البلاغية ،التي اعتمد أصحابها في بيانها والإيماء إليها ؛على حسهم الفطري.« و لكنها على أهميتها وقيمتها لا تشكل تغييراً جذرياً في طبيعة النقد في هذه المرحلة، فق د ظل نقداًفطرياً. و من بينها علوم اللغة والبلاغة ، وأصبح للقائمين عليها مكانة

1–رجاء عيد، **إشكالية المصطلح في التراث النقدي محاولة للتقنين و الضبط**،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،مصر(د ط)،1998م،ص.76.

مؤثرة في الحياة الثقافية، ولاسيما أنها بدراسة القران الكريم، أخذ النقد يدور في فلك هذه العوم، و يتأثر بها ويرتكز عليها، ويستعين بأدواتها المختلفة في دراسة الشعر ونقده».[1]

وقد أدى ذالك إلى وجود أكثر من بيئة علمية ،ذات صلة بالدرس النقدي . فإلى جانب البيئة السابقة ، التي كانت تنتقد الشعر نقد اً ذوقياً، ويمثلها متذوقو الأدب، وجدت بيئات أخرى من بينها بيئة اللغويين.

1- محمد كريم الكواز ،**البلاغة والنقد :المصطلح والنشأة والتجديد** ،مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت لبنان،(ط01)،2006م،ص.201.

المبحث الثالث: المصطلح اللساني العربي القديم، ومؤشر تماسك النص.

توطئة

كان المصطلح وما زال يلبي حاجة عظيمة الأهمية ، هي الحاجة إلى كسب المعنى، وقد حدث هذا مع الخطابات المتعددة للعلوم الوضعية إلي الدرجة التي أضحت معها صفة العلمية ؛ رهينة بدقة المصطلح المستخدم. وما دام الاتجاه نحو تأصيل علمية النقد الأدبي يتزايد قوة يوماً بعد يوم ، فإنه ينبغي بالفعل إيلاء المصطلح النقدي، أهمية متعاظمة علي المستويين؛النظري والتطبيقي،لأنه هو الذي يحدد نوعية الخطاب النقدي ، ويضفي عليه أوجه تميزه ويعمل على تنميته وتطويره.

إن تحليل التراث هو في نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة ،وبيان أسباب معوقاتها، وتحليل عقليتنا المعاصرة هو في الوقت نفسه تحليل للتراث «فالتراث والتجديد يؤسسان معاً علماً جديداً، وهو وصف الحاضر وكأنه ماض يتحرك، ووصف الماضي على أنه حاضر معاش. خاصة في بيئة كتلك التي نعيشها حيث الحضارة فيها مازالت قيمة.وحيث الموروث مازال مقبولاً فالحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه».[1]

وإذا كان المشتغلون بالدراسات اللغوية المعاصرة ،عندنا قد اتجهوا في تقويمهم للتراث العربي اتجاهاً نقدياً بارزاً، بالحديث عما فيه من معيارية ومنطق وفلسفة، « فإن اتجاهات المستشرقين و المنظرين الغربيين راحوا في كثير من الأحايين يثبتون للتراث العربي أوجه تفوق كبيرة جدا أكثر من انتقاده، فهم يرون أنه يمثل صياغة سريعة بشكل غير عادي أتبعها امتداد ثري سريع على نحو مماثل في كل حقول الدرس اللغوي: الأصوات والصرف والنحو والدلالة وفلسفة اللغة. لقد تطور الدرس اللغوي عند العرب في ستة

1-حسن حنفي: **التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم**،دار التنوير، بيروت،1981م،ص.16.نقلاً عن:مجيد بوقربة،**إشكالية المصطلح بين القديم والحديث** ،(مقال)،مجلةالتبيين،دار الجاحضية،الجزائر (ع 05)،1992م،ص.44.

قرون في اتجاه أكثر تجانساً مع اللغويات الغربية فيما بعد النهضة منه مع لغويات القرون الوسطى في الغرب».[1]

ونحن بصدد استلهام المقوم الحضاري، من تراثنا اللغوي القديم وجب أن لا يكون هذا الاستلهام، باجترار لفحواه بوصفه الأنموذج الذي لا يضارعه سواه ؛ بل البحث فيه يقتضي بعثه بعثاً جديداً، وإعادة صياغته صياغة علمية تسمح له بمواكبة التحول الحضاري للمجتمع اللغوي. كما أفادتنا النظرية اللسانية العالمية، لا ينبغي لها أن تبلغ مبلغ العزوف عن تراثنا إلى درجة المروق والعقوق ظنا بنا أن هذا التراث لا يمثل سوى التخلف والجمود والقحط الفكري وإنما المطلوب هو أن نستلهم الجوهر العلمي للنظرية اللسانية العالمية ونحاول تطويعه خدمة لحل المشاكل العلمية للغة العربية التي لها عمر حضاري يفوق اللغات الغربية بردح قليل من الزمن.[2]

وإذا نحن أقنعنا أنفسنا قناعة راسخة ، بمدى إسهام هذا الدرس اللغوي العربي في الدرس اللغوي العام، وبكونه يمثل مرحلة بارزة ورائدة في هذا الدرس اللغوي العام، فإن الأهم من ذلك كله هو الوقوف على تتبع نظريات هذا الدرس اللغوي، هو الذي يجعل هذا التراث اللغوي العظيم ، ذا إسهام متجدد يتماشى وصيرورة تجدد النظريات في حقل علم اللغة. إننا بصدد تحديد دقيق لنظرياته ليسهل بيان قيمته، ومقارنته بالفكر اللغوي المعاصر.[3]

أولاً- التراث اللغوي وعلمية المصطلح:

يظهر الاستقراء العلمي للتراث اللغوي، أن علماء اللغة العربية الأوائل ،قد ابتكروا مصطلحات جسدت المعاني والمفاهيم المستنبطة من بنية اللغة، سواء

1- عبد العزيز عبد الدايم ،**النظرية اللغوية في التراث العربي**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة،(ط 01)، 2006م، ص.46.

2- ينظر:أحمد حساني، **المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، مقدمة الكتاب،(د ط)،1993م،ص.أ.

3- ينظر:عبد العزيز عبد الدايم: مرجع سابق، ص.17.

أكان ذلك على المستوى الصوتي أم المستوى النحوي أو الدلالي، فكان (الخليل بن أحمد الفراهيدي) سباقاً إلى ضبط الحقائق العلمية التي توصل إليها، وترك لمريديه ولمن جاء بعده ثروة حفزت طاقاتهم الفكرية على البحث والدراسة، فنتج عن جهدهم العلمي، أن استثمروا أولاً ما ابتكره (الخليل) من مصطلحات حافظوا عليها ، ثم وضعوا مصطلحات جديدة.

والملاحظ أيضا أن اللغويين القدامى،بجهودهم المعهودة في وضع قوانين اللغة العربية بكل مجالاتها وتصنيفاتها ؛ قد اهتموا اهتماماً كبيراً بالكلمة مفردة ، فتناولوا بنيتها حرفاً حرفاً؛ في إطار التركيب النحوي، ووضعوا قوانين التغيرات الصرفية والتقليبات الصوتية المؤثرة في المعنى، والمتعلقة بالظواهر اللغوية المتنوعة.[1]

والمؤكد أن نظام اللغة، أوعلوم اللغة العربية نظـــام متكامل، ينبني كما هو معروف على سلم تصاعدي: صوت وصرف ثم تركيب (نحو) وبذلكفهو نظام تكاملي، قائم بالأساس على ذلك الارتباط العضوي ؛ بين ما سُمّيَ في اللسانيات الحديثة بمستويات اللغة، ومن هنا نسجل ذلك السبق اللغوي لأسلافنا في الكثير من القضايا والمباحث اللغوية، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث، وذلك يستوجب العودة إلى تراثنا اللغوي ،على ما ينطوي عليه من آراء متطورة تلتقي بلا ريب، مع ما توصلت إليه البحوث اللسانية الحديثة، ولربط الماضي بالحاضر، لأن الماضي هو بعض من وجودنـــا، والحاضر هو بعضـــه الآخـــــر، وبين هذا وذاك تفاعل وتكامل لا خصام ولا صدام.[2]

1- محمد بركات حمدي ،**لفتات ومواقف حول الصلة بين النحو والصرف** ، ص. 86 – 88، نقلاً عن: يوسف وسطاني، **التكاملية في التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة** ، مجلة التراث العربي، دمشق، سورية، ص.117.

2- ينظر:صفوان مقدسي، **عروبةالزمان وعروبة المكان** ، مجلة اتحاد الكتاب العرب ،(ع 122) ، دمشق،حزيران – يونيو ،1981،ص.06.نقلاً عن: يوسف وسطاني، المرجع السابق، ص.118.

حري بنا – ضمن هذا الإطار – أن نجمل طائفة من المصطلحات التي سادت قديماً وكانت تؤشر من حيث دلالة المفهوم على معنى (التماسك والترابط والتلاحم)؛ في قوالب اللغة وصيغها المختلفة أكانت شعراً أم نثراً، ذلك أن كل علم من العلوم له مصطلحاته الخاصة به ، قد اتفق العلماء على استخدامها وأصبحت هذه المصطلحات مخصصة بما اتفق عليه أهل هذا العلم.

01/- اللغة[1]

وهي أقدم المصطلحات، قيل عن (أبي زيد الأنصاري) (ت 215هـ): كان أحفظ الناس للغة، والمقصود بذلك جمع المفردات، ومعرفة دلالاتها، وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر، لذا عد (سيبويه) (ت 180هـ) والمبرد (ت 275هـ) من النحويين بينما عُدَّ (الأصمعي) (ت 216هـ) وأقرانه من اللغويين، وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون ،وأصبح اللغويهو الباحث في المفردات جمعاً وتصنيفاً وتأليفاً.

وقد عرف ابن جني (ت 392هـ) اللغة بأنها:«(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)، وهذا التعريف على إيجازه يتضمن معظم الجوانب التي اتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة. فهو يشير إلى الوظيفة التعبيرية للغة ، ويفصح أيضاً عن كون اللغة اجتماعية، أي أنها لا توجد إلا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيراً عن أغراضهم، و أهم شيء في هذا التعريف هو ما قرره في أن – اللغة أصوات – وهذا ما يؤكده اللغويون المحدثون».[2]ولعل في مقدمة هؤلاء المحدثين (دي سوسير) نفسه.[1]

1- اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها (لغوة) على وزن (فعلة) بضم الفاء وسكون العين من (لغا، يلغو، لغوا): تكلم، أو من (لغى، يلغي) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع: لهج، ومن معاني (اللغو): النطق و(اللغا): الصوت، و(لغوى الطير): أصواتها.

2- حاتم الضامن، **علم اللغة**،،مرجع سابق، ص.32.

02/- اللهجة

وأريد بها عند علماء العربية القدماء (لغة) فقد كان لقبيلة تميم لغة ، وكان لهذيل لغة أخرى، ولطيء لغة. وقد أطلق عليها لفظ – اللحن – فقد قال أحد الأعراب:(ليس هذا لحني ولا لحن قومي). وهي في الاصطلاح العلمي الحديث مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

03/- فقه اللغة

يقرن أحياناً هذا اللفظ باسم العالم اللغوي (ابن فارس) (ت 395هـ) ؛ وذلك منذ القرن الرابع الهجري ، من خلال كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) ولم ينشر هذا المصطلح بعد ذلك إلا عند (أبي منصور الثعالبي) (ت 429هـ) ؛ إذ سمى كتابه (فقه اللغة وسر العربية) « ويتفق كتابا (ابن فارس) و(الثعالبي) في معالجتهما لقضايا الألفاظ العربية؛ فموضوع (فقه اللغة) عندهما هو معرفة الألفاظ العربية، ودلالتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات من أبرزها (نشأة العربية)؛ كما تضمن كتاب (الثعالبي) قسماً ثانياً هو (سر العربية)، وتناول فيه عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة».[2]

04/- علم اللغة[3]

استخدم عند قسم من اللغويين المتأخرين، وكان القصد منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالتها. « فالرضى (ت 686هـ) شارح

1- دي سوسير يرى أن اللغة في جوهرها ،نظام من الرموز الصوتية؛ أو مجموعة من الصور اللفظية، تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين ،ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع.

2- حاتم صالح الضامن: المرجع السابق، ص. 33.

3- تشير بعض أبيات الشعر ،إلى أن هذا المصطلح كان متداولاً في الأوساط العلمية وقتئذ، ومن ذلك قول أحدهم:

نبئت أن أبا رياش قد حوي علم اللغات وفاق فيما يدعي

من مخبري عنه فإني سائل من كان حنكه بأير الأصمعي

(الشافية والكافية) لـ(ابن الحاجب) (ت 646هـ) لا يفرق بين اللغة وعلم التصريف، فموضوع الأول دراسة الألفاظ، و موضوع الثاني معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ. وموضوع علم اللغة عند (أبي حيان النحوي) (ت 745هـ) هو دراسة مدلول مفردات الكلم وقد أطلق عليه علم اللغة العام».[1]

والظاهر أن تراثنا العربي في ميدان الدراسات اللغوية ،« لم يعرف في القرون الأولى هذا المصطلح للدلالة على أي نشاط علمي أو منهج مستقل في دراسة اللغة وإنما كان يكتف بكلمة (اللغة) للدلالة على جمع الألفاظ ، وتبويبها وعمل المعاجم أي ما يتصل بشكل عام بدراسة المفردات وتصنيفها. غير أننا نجد إشارة إلى ما يسمى (علم اللغات) أو (علم اللغة) عند بعض العلماء ، و مصنفي العلوم العربية في القرون الأخيرة».[2]

ومن العلماء الأوائل الذين حاولوا ،أن يدلوا بدلوهم في الوقوف على شيء من الخصائص العلمية لهذا المصطلح ؛(ابن فارس) الذي يفرق بين (علم العربية) و(علم اللغة).إذ نجده يقول:« و علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستقراء وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني ، ألا ترى إذا قلت : ما أحسن زيد لم تفرق بين التعجب والاستفهام والنفي إلا بالإعراب ».[3] يلاحظ الباحث أن ابن فارس قد جعل (علم العربية) واجباً على أهل العلم ؛ أي أنه يتكلم على مجال علمي صِرف، في باب القول في حاجة أهل العلم والفتيا إلى معرفة اللغة العربية.[4]

1- المرجع السابق،ص. 34.

2- التواتي بن التواتي،**مفاهيم في علم اللسان**،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،(ط 01)،2006م،ص.15.

3- ابن فارس: **الصحابي في فقه اللغة**، ص. 66. نقلاً عن: عصام نور الدين، **محاضرات في فقه اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط 01)،2003م ،ص.35.

4- ينظر: الأدلة الفقهية التي صاغها ابن فارس كحجة من أجل الإحاطة بعلم اللغة في كتاب **محاضرات في فقه اللغة** لعصامنور الدين، ص.36 – 37.

ويشير بعض الباحثين المحدثين،إلى مقصود ما كـان يعنيه (ابن جني) في مقام حديثه عن الفرق بين (علوم اللغة) و(علم اللغة) أو (فقه اللغة) فعلوم اللغة عنده هي العلوم الموازين الحاوية للقواعد والقوانين ،التي تبين الخطأ من الصواب، أما علم اللغة وفقه اللغة؛ فهما من المباحث التفسيرية الفلسفية الوصفية، التي تتبني على دراسة العلاقة القائمة، بين الفكر والتعبير ودرس التطور التاريخي للغة، واستقراء الظاهرة اللغوية خلال النصوص ،ومقارنة الظاهر بعضها ببعض.[1]ويعد (كمال بشر) (فقه اللغة) بمفهومه القديم أو الحديث، لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس في علم اللغة ، وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام (علم اللغة).[2]

وممن خاض كذلك في هذا المصطلح نجد (طاش كبرى زاده) (ت 967هـ) الذي يعرف علم اللغة بأن: «علم اللغة هو علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية» .[3] فعلم اللغة عنده يشمل البحث في الألفاظ المفردة ودلالتها وفي الحروف التي تتركب منها الكلمة بالإضافة إلى بعض الجوانب الصرفية المتصلة بذلك.

على هذا نخلص إلى أن علم اللغة وفق هذا مفاهيمهؤلاء العلماء ، يمكن أن يتحدد وفق المحاور التالية:

- البحث في نشأة اللغة وأصلها.
- جمع الألفاظ وتدوينها وروايتها.
- البحث في دلالة الألفاظ واشتقاقها.

1- حسن ظاظا،**اللسان والإنسان**، ص.43.نقلاً عن: هلال، **علم اللغة بين القديم والحديث**، مرجع سابق، ص.22.

2- نفسه، ص.25.

3- طاش كبرى زادة،**كتاب مفتاح السعادة**،(ج 01)،ص.100نقلاً عن: بن التواتي،**مرجع سابق**،ص.17.

- دراسة بعض الجوانب الصرفية والصوتية.
- عمل المعاجم وكل هذا بهدف الاحتراز من الخطأ ، في استعمال كلام العرب أو الخروج عن سنن العربية في الكلام.[1]

05/- العربية وعلم العربية

إن مصطلح (العربية) كان أسبق إلى الظهور من (علم العربية)، وقد ظهر مع مصطلحات لغوية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، للدلالة على الذين اشتغلوا بدرس اللغة العربية ، كـ(الدؤلي) وطبقة من قراء القرآن الكريم، وقال أبو النضر:(كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية)، ثم استقر هذا المصطلح مع طبقة من علماء العربية مثل (عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي) (ت 117 هـ)، و(عيسى بن عمر) (ت 149 هـ)، و(أبي عمرو بن العلاء) (ت 154 هـ) و(يونس بن الحبيب) (ت 189 هـ)، و(الخليل بن أحمد) (ت 175 هـ)، وتلميذه (سيبويه) (ت 180هـ).

هؤلاء العلماء الذين درسوا اللغة العربية دراسة علمية منظمة، تقوم على جمع المادة اللغوية ، وتحليلها واستقرائها من خلال رؤية وصفية ؛ ثم استخلاص النتائج وصياغتها في شكل قواعد فيما بعد من طرف النحويين،كما اتسمت هذه الدراسة بالشمول أي دراسة اللغة العربية صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ودلاليًا.

06/- الائتلاف[2]

هو الاجتماع، يقال: ائتلف الشيء: ألف بعضه بعضا، قال (العلوي):«وهو افتعال من قولهم: ألف الخرز بعضها إلى بعض إذا ضمها».[1] وفي (اللسان):

1- ينظر : دافيد كريستال،**التعريف بعلم اللغة**، ترجمة :حلمي خليل، (ط 01)،1967م، ص.22، نقلاً عن: بن التواتي:مرجع سابق، ص.17.

2- الائتلاف بالمصطلح الأدبي المعاصر، يطلق على مجموع يمتلك وحدة مشتركة بين جميع عناصره، ويتأسس على: - اختيار عناصر من نفس المستوى. – اختيار وحدات ذات بعد واحد، وعلاقات ذات نمط واحد.

«وقد ائتلف القوم ائتلافا، وألف الله بينهم تأليفاً» .[2] وقد سمى (ابن حجة الحموي) مراعاة النظير ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة . وعرفه بقوله:«وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر ،أمراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنىً لمعنىً إذ القصد جمع شيء ، إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه».[3]ثم قال: « لا يخفى أن هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى، وكل من هذه الأقسام عده أرباب البديعيات نوعا برأسه، ونظموا له شاهداً مستقلاً، وجعلوه مغايراً لهذا النوع..».[4] و التأليف هو الإنشاء قال (الجاحظ)[5]: « ومن الخطباء والشعراء من يؤلف الكلام الجيد، ويصنع المثاقلات ويؤلف الشعر و القصائد الشريفة».[6]والتأليف هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق ومراعاة النظير .

1- العلوي اليمني، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة والعلوم وحقائق الإعجاز**،(ج 02)، مطبعة المقتطف، 1914م،نقلاً عن:أحمد مطلوب،**معجم النقد العربي القديم** ، وزارة الشؤون الثقافيةوالعامة ،بغداد، (ج 01)،1979م، ص. 39.

2- ابن منظور: **لسان العرب**،.مادة (ألف).ص.451.

3- ابن حجة الحموي: **خزانة الأدب وغاية الأرب** ، شرح عصام شعيتو، منشورات دار الهلال،بيروت (ج02)،1987م، ص.131. نقلاً عن: مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**، ص.40.

4- نفسه ، ص.40.

5- الجاحظ :أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني البصري (159 – 255 هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها.

6- الجاحظ،**البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،(ج 01)،(ط 07)،1997م، ص.51، نقلاً عن:مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**،ص.41.

والتأليف تركيب الجمل والعبارات. قال (القزويني)[1]:« وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات».[2]

وقد جعل (قدامة بن جعفر) من عيوب ائتلاف معاني الشعر مع أوزانه، ما سماه (المبتور) و« هو عنده أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية ويتممه في البيت الثاني. وقد سمى (أبو هلال العسكري) ذلك (تضميناً) ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

كأن القلب ليلة قيل يغذى بليلة العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح».[3]

07/- التلاؤم

تلاءم القوم والتأموا: اجتمعوا واتفقوا .[4] قال (الرماني)[5]:« التلاؤم نقيض نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف. والتأليف على ثلاثة أوجه متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا» .[6]« و الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة».[7]

08/- التلاحم

1- القزويني هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر.

2- القزويني: **الإيضاح** في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، نقلاً عن مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**، ص.41

3- بدوي طبانة: **قضايا النقد الأدبي**، دار المريخ للنشر، الرياض ،(ط 03)،1984م، ، ص.95.

4- ابن منظور، **لسان العرب**، دارصادر، بيروت، 1955م، مادة(لأم).ص.731.

5- الرماني (269 هـ والمتوفي في سنة 384 أو 386هـ): هو من طليعة المؤلفين في بيان إعجاز القرآن وخصوصاً الجانب البلاغي منه.

6- محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي والجرجاني**، دار المعارف، مصر، (ط 03) ، (د ت)، ص.87، نقلاً عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم** ، ص. 378.

7-نفسه، ص. 378.

نجد مادة (لحم) في اللسان: «لحم الشيء لحما وألحمه فالتحم: لأمه. التحم الصدع والتأم بمعنى واحد، ولحمة النسب: التشابك» .[1] و أجود الشعر عند (الجاحظ) ما كان متلاحم الأجزاء، سهل المخارج؛ و رديء الشعر ما كان مستكرها،لا يقع بعض ألفاظه على بعض، فإن ذلك يكد اللسان عند النطق به، وقد مثل لهذا بقول (محمد بن يسير الرياشي):

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

ثم قال:« فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعـض ألفاظه يتبرأ من بعض».[2]

و الجاحظ في موطن آخر يتنبه إلى ضرورة ملاءمة الكلمة بعضها لبعض. كما ينبه على ضرورة ملاءمة الكلمات بعضها لبعض، و كذلك حروف الكلام وأجزاء عشلار من البيت، تراها متفقة مواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كانت الكلمة بأسرها حرفاً واحداً.[3] ومما يدخل في هذا المعنى« أن (إسحاق الموصلي) أنشد (الأصمعي) قوله في غضب المأمون عليه:

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسـدود

لحائم حام حتى لا حيـام محلاً عن طريق الماء مسدود

1- ابن منظور،السابق، مادة (لحم)،ص.752.

2- الجاحظ،**البيان والتبيين**،(ج 01) ،تحقيق وشرح: محمد هارون، (ط 07)، 1997م، ص.66، نقلاً عن: محمد العماري، **قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغية العربية** ، (رسالة دكتوراه)، ط.01، 1999م مكتبة وهبة، ص.137.

3- نفسه، ص.65.

فقال (الأصمعي):أحسنت في الشعر، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها».[1]

09/- الإيقاع

الميقع والميقعة: المطرقة، الإيقاع: من إيقاع اللحن والغناء، وهو يوقع الألحان ويبينها.[2] والإيقاع هو ما يحدثه الوزن أو اللحن من انسجام وقد ربط (السجلماسي) بينه وبين الوزن فقال:« الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة» .[3]« وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه» .[4] في هذا النص يشير (ابن طباطبا) إلى مصطلح الإيقاع صراحة فهو ينتج عن صواب وفهم، وحسن التركيب، واعتدال الأجزاء، هذه النظرة تحمل في طياتها ملامح النظام الإيقاعي الذي يقوم على التلاؤم والتناسب والانسجام، ولولاها ما تحقق التلاحم بين الأجزاء فإذا ما خرج جزء عن موضعه الطبيعي اختل النظام والنسق، واضطرب المعنى و فسد.

1- المرزباني: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، 1922 م،جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة ، ص.300، نقلاً عن: العماري، مرجع سابق، ص.137.

2- ابن منظور، مصدر سابق، مادة (وقع).ص.782.

3- السجلماني: **المنزع البديع في جنس أساليب البديع**، تقديم وتحقيق: علال الغزي، مكتبة المعارف والرباط، المغرب، ص.218، نقلا عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**، ص.257.

4- ابن طباطبا: **عيار الشعر**، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985م، ص.21.

10/- الانسجام[1]

ورد في اللسان : « انسجم الماء والدمع: انصب، الانسجام: الانصباب» .[2]

قال (ابن منقذ)[3]:« الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد إليه، وهو يدل على نور الطبع والغريزة ».[4]

وقال المصري[5]: هو أن يأتي الكلام منحدراً كمنحدر الماء المنسجم سهولة سبك، وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور و البيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع. و أكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتزن الذي تأتى به الفصاحة في ضيق النثر عفواً كمثل أشطار وأنصاف وأبيات وقعـــت فـي أثنـــاءالكتاب العزيز.

والانسجام نوعان: نوع يأتي مع البديع الذي لم يقصد كقوله تعالى:﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾[6] فقد وقع فيه تعطف في قوله (إلى الله) و(أعلم من الله) إلى جانب ما فيه من سلامة وانسجام ونوع

1- سنأتي على حديث مفصل حول مفهوم الانسجام النصي من منظور غربي في الفصل الثالث.

2- ابن منظور،مصدر سابق،مادة (سجم).ص.520.

3- ابن منقذ: هو مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ (1095 – 1188م)، (488 – 584هـ) فارس وشاعر ولد في شيزر، ولبني منقذ أمراء شيزر.ألف آخر حياته العديد من المصنفات منها البديع في نقد الشعر.

4- ابن منقذ،**البديع في نقد الشعر** ، تحقيق: أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، ومراجعة إبراهيم مصطفى ، القاهرة،(د ط)، (د ت)، ص.131، نقلاً عن: مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**، سابق، ص.241.

5- المصري ابن أبي الإصبع (595 – 654 / 1198 - 1256م) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري: شاعر، من العلماء بالأدب. له تصانيف ، منها (بديع القرآن- في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة)، و(تحرير التحبير) و(الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح) أي فواتح القرآن، و (البرهان في إعجاز القرآن)و(المختارات) .

6- سورة يوسف: الآية.89.

لا بديع فيه كقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [1]، وأكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب.[2]

ويذهب (المصري) إلى اعتبار أن الانسجام فيما يتحدر الكلام كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة لفظ، وإلى ذلك يذهب (ابن القيم الجوزية)[3] و(الحلي)[4] و(الحموي)[5] و(السيوطي)[6] و(المدني)[7]. و(النابلسي).[8]

و(النابلسي).[8]

1- سورة الأعراف: الآية. 199.

2- المصري: **بديع القرآن**، تقديم و تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص.166. نقلاً عن مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**،سابق، ص.242.

3- ولد ابن القيم الجوزية في اليوم السابع من شهر صفر لعام (691هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرع واشتهر خصوصا بابن قيم الجوزية وقيم الجوزية هو والده فقد كان قيما على المدرسة الجوزية، توفي في ليلة الخميس (751/07/13هـ).

4- الحلي هو عبد العزيز بن سرايا، ولقبه صفي الدين، وهو من أعلام الشعر العربي في القرنين السابع وأوائل الثامن، ولد سنة(677هـ) وتوفي سنة (750هـ).

5- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (574 – 626ه) أديب ومؤلف موسوعات وخطّاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، وقد سمى نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب (معجم البلدان).

6- السيوطي هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (849 هـ/1445 م- 911 هـ/1505م) من كبار علماء المسلمين.

7- هو علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، الشهير بابن معصوم ولد بمكة 1025هـ وتوفي بشيراز عام(1119هـ).

8- النابلسي هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي (1050 هـ - 1143 هـ / 1641 - 1730م) شاعر سوري وعالم بالدين والأدب مكثر من التصنيف. ولد ونشأ وتصوف في دمشق وتنقل في بلاد عديدة كالحجاز ومصر وفلسطين وباقي البلاد السورية واستقر في مدينته دمشق وتوفي فيها.

و من الانسجام الذي وقع في الأشعار المقصودة قول (أبي تمام)[1]:

إن شئت ألا ترى صبراً لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الطلل

وقوله:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول.

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنــينه أبداً لأول منزل.

11/- الالتئام

ورد في اللسان :« يقال تلاءم القوم، اجتمعوا واتفقوا، ويقال التأم الفريقان والرجلان: إذا تصالحا واجتمعا. والتأم الجرح التئاماً: إذا برأ والتحم».[2] و الالتئام: أن تكون كلمات النظم ، متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها. وهذا ما تحدث القدماء عنه، في باب التنافر وفصاحة الكلام ،وخلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات. وذكروا له قول القائل:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر.

وقول (أبي تمام):

كريم متى امدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي.

و« عيار التحام أجزاء النظم والتئامه ،على تخير من لذيذ الوزن، الطبع واللسان، فما لم يتغير الطبع بأبنيته وعقوده ولم يتجبس اللسان في فصوله ووصوله ؛ بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملل وكــلال؛ فذلك يوشــــك أن يكــون، ما إلتأم القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً»[3]. و« مما التأم أجزاؤه التئاماً حسناً قول (أبي حية النميري)[1]:

1- أبو تَمّام(188 - 231 هــ / 803 - 845 م)حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

2- ابن منظور:مصدر سابق، مادة(لام).ص.740.

3- المرزوقي: **شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام** ، تأليف:محمد بن عاشور، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، تقديم: عبد المحسن العسكر، (ط 01)، ص. 122، نقلاً عن : مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**، ص.219.

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

وذكر (الرماني) مثل ما ذكر (الجاحظ) وقال إن :«المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله».[2] ونقل (ابن رشيق) كلام (الجاحظ) إلى باب النظم.

12/- تناسب الأبيات

و هي أن تكون أو أشطرها متناسبة، قال ابن طباطبا [3]:« ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يعجل بين ما قد ابتدأ وضعه وبين تماماً فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز زمن ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها. ويتفقد كل مصراع هل يشكل ما قبله، فربما اتفق للشاعر بيتان مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه، وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة و الناقلين له، فيسمعون عن الشعر على جهته ويؤذونه على غيرها سهواً ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه كقول (امرئ القيس):

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

1- أبو حية النميري هو الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن حناب بن كعب بن مالك بن عامر ،شاعر مخضرم مجيد،مقدم وعدَّه محمد سلام الجمحي في (طبقات الشعراء) في طبقة بشار بن برد ودونه.

2- الرماني: **النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم** ، تحقيق وتعليق: خلف الله أحمد وزغلول سلام، دار المعارف، مصر ،(ط 02) ،ص.88، نقلاً عن: مطلوب: **معجم النقد العربي القديم**، ص.221.

3- ابن طباطبا هو محمد بن أحمد (322هـ ، 934م)، بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن. أديب وشاعر مفلق وعالم محقق. مولده ووفاته بأصفهان. له عقب كثير فيهم علماء وأدباء ومشاهير. كان معروفا بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وجود المقصد. كان عبد الله بن المعتز يكثر من ذكره ويقدمه على كثيرين. له كتب منها (عيار الشعر).

ولم أسبأ الرزق الروي ولم أقل   لخيلي: كري كرة بعد إجفال

هكذا الرواية وهما بيتان حسنان، ولو وضع مصراع كل منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج ».[1]

1- ابن طباطبا،**عيار الشعر**، مصدر سابق،ص.41.

13/- السبك

ورد في اللسان « سبك : ذوب وأفرغ في قالب، والسبك : تسبيتك السبيكة منالذهب أو الفضة : يذاب ويفرغ في مسبكه والجمع سبائك» .[1] قال (ابن منقذ): « أما الفك فهو أن تنفصل المصراع الأول من المصرع الثاني: ولا يتعلق بشيء من معناه. مثل قول (زهير):

حي الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديـــــــم

وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره»[2] كقول (زهير)[3]:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنو ضارب حتى ما ضاربوا اعتنقا.

14/- النسج

هو ضم الشيء إلى الشيء نجسه ينسجه نسجاً فانتسج ونسجت الريح التراب:سحبت بعضه إلى بعض والريح تنسج الماء إذا ضربت متنه فانتسجت له طرائق كالكبح، يقال: نسيج وحده أي: لا نظير له في علم أو غيره، ونسج الشاعر الشعر: نظمه، والشاعر ينسج الشعر .[4]وقالوا في الرجل المحدود:« هو نسيج وحده، ومعناه أن الثواب إذا كان كريماً لم ينسج على منواله غيره لدقته.. وقال ثعلب: « نسيج وحده ؛ الذي لا يعمل على مثاله مثله، يضرب مثالاً لكل من بلوغ في مدحه كقولك: فلان وحيد عصره وقريع قومه، فنسيج وحده أي لا نظير له في علم أو غيره».[5]

1- ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق،مادة (سبك).ص.940.

2- ابن منقذ: مصدر سابق،ص.162، نقلاً عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**،ص.37.

3- هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر(3 ق. هـــ - 609 م). حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة.

4- ابن منظور: **لسان العرب**،مصدر سابق، مادة (نسج).ص.1011.

5- نفسه، ص.376.

15/- النسيج

هو الأسلوب أو التعبير عن المعاني والأفكار بألفاظ وعبارات يشد بعضها بعضاً ليصبح الكلام كالنسيج الذي انضمت خيوطه وترابطت، وأصبحت محبوكة ليس فيها خيط مضطرب ولا لون ضال، وقد طلب القدماء وحدة النسيج أي بأسلوب الواحد المتلائم في القصيدة وعابوا الشعر المتفاوت النسيج.[1]

وقد يقع تفاوت النسج في القصيدة الواحدة، وعلل (القاضي الجرجاني)[2] ذلك بقوله: « إن أحدهم بيننا هو مسترسل في طريقته وجار عادته، فيحتاجه الطبع الحضري فيعدل به متسهلاً، ويرى البيت الحنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة وجد قلقاً بينها نافراً عنها، وإذا أضيف إلى ما وراء هو أمامه تضاعفت سهولته فصارت ركاكة، ربما افتتح الكلمة وهو يجري على طبعه، فينتظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعر طريق، و يتعسف أحسن مركب فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طلاوة ما قد قدم.[3] و قد وقع الشعراء في تفاوت النسج ومنهم (أبو تمام)، قال :

لو حار مرتاد المنية لم يجد   إلا الرفاق على النفوس دليلا
قالوا الرحيل فما شككت بأنها   نفسي من الدنيا تريد الرحيل

حتى يقول :

لله درك أي معبر فقرة   لا يوحش ابن البيضة الاجفيلا

1- المرزباني: **الموشح في مأخذ العلماء عن الشعراء**،جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، مصر، (د ط)، (1343هـ)،ص.70. نقلاً عن :مطلوب **معجم النقد العربي القديم**، ص. 397.

2- القاضي الجرجاني: هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن، ولا يعرف سنة ميلاده .. وولد في جرجان.

3- القاضي الجرجاني،**الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق وشرح :محمد البجاوي،المكتبة العصرية، بيروت، لبنان (ط 01)، 2006م،ص.22، نقلاً عن :مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**،ص.397.

أو ما تراها هـــــزة تشأى العيون تعجرفاً وذميـلا

فنغص تلك اللذة وأحدث في النشاط فترة ».[1]و« علة هذا التفاوت في النسج أنه لابد لكل صانع من فترة والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال، و لا يدوم في الأحوال على نهج »[2]، يقول (القاضي الجرجاني):« و أقل الناس حظاً، في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونفيه ،- يقصد منشئ النص - وفي استجادته واستسقاه - يقصد مستقبل النص - على سلامة الوزن وإقامة الإعراب وأداء اللغة، ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظاً مرموقاً ، و كلاماً مزوقاً حُشي تجنيساً وترصيعاً وشحن مطابقة وبديعاً أو معنىً غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه وتغلغل إليه مستنبطه، ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب واضطراب النظم وسوء التأليف وهلهلة النسج، و لا يقابل بين الألفاظ ومعانيها ، و لا يستبر ما بينها من نسب ولا يمتحن ما يجمعهما من سبب ، و لا يرى اللفظ إلا ما أفاده البديع ولا الرونق إلا ما كساه التصنيع».[3]

16/- وحدة النسج[4]

و مراد ذلك تقارب القصيدة ، و عدم الاختلاف بين أبياتها و ذلك الاختلاف الذي يجعل بعض أبياتها ، في جودة عالية والآخر في غاية الرداءة. و لقد أدرك نقاد القرن الأول الهجري هذا المقياس فطلبوا وحد النسج ورفضوا الاختلاف ومن شواهد ذلك ومن شواهد ذلك أن فتى من بني تميم جاء إلى (الفرزدق) وقال:(إني قد صنعت شعراً فأنظره). قال: (أنشده)، فقال:

1- نفسه، ص.397.

2- نفسه، ص.399.

3- السابق، ص.312.

4- النسج: الخيوط المجدولة المتشابكة التي تصنع في تضافرها نسيجا وبذلك يشير تعبير النسيج القصصي إلى إطار القصة وهيكلها، ولكن مدرسة النقد الجديد ينطبق عندها تعبير النسيج على كل عناصر العمل الأدبي وخاصة القصيدة، وارتباط النسج والهيكل معا يقدم ما يسميه بعض النقاد من مدرسة النقد الجيد: انطولوجيا القصيدة.

ومنهم عمرو المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتم

فضحك (الفرزدق) وقال: يا ابن أخي: إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما (الهوجر)، والآخر (الهوجل)، فمن انفرد به الهوجر جاد شعره ووضح كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره وإنهما قد اجتمعا لك في بيتك هذا، فكان معك (الهوجر) في أوله فأجدت، وخالطك (الهوجل) في آخره فأفسدت.

إن هذا الحكم النقدي للفرزدق، ينم عن ذوق ونقد للاختلال الحادث في شطري البيت، فالشطر الأول جيد بينما الشطر الثاني رديء، وتركيب كلماته سيء، ولا يصح أن يكون شعراً . فقد اختلف نسجه واضطرب ، وكأنه لم يصدر من شاعر واحد وهذا عيب من عيوب الشعر.

17/- الناظم

النظم التأليف. نظمت اللؤلؤ: جمعتــــه في السلك ونظمت الشعر والنظم: المنظوم.[1] و« النظم تعليق الكلم بعضه ببعض وجعل بعضها بسبب منبعض» .[2] وهو توخي معاني النحو، قال (الجرجاني)[3]: « و أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك أنَّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه».[4]

1- ابن منظور، **لسان العرب،مصدر سابق**،مادة (نظم).

2- الجرجاني:، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه :محمود شكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر (د ط)، (د ت)، ص.71.وسيكون لنا حديث مطول عن مصطلح النظم،أثناء استعراضنا لجزء النماذج في الفصل الرابع.

3- عبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر بن عبد القاهر ن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، ولد في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة (471 ه).سنعود للمزيد حول ترجمته في الفصل الرابع.

4- الجرجاني: **دلائل الإعجاز**،مصدر سابق،ص.55.

والنظم جانب مهم من جوانب الإيقاع ،لأنه الكفيل بتحقيق التفاعل المنتظم بين مكونات العمل الفني وأجزائه، فمدار الأمر « أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها ببعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، أو أن يحتاج إلى جملة إلى أن تضعها في نفسك وضعاً واحداً» .[1] فالنظم يقوم في جوهره على التلاؤم، والانسجام بين الأجزاء وائتلافها على نحو يوفر التماسك التركيبي، ويجعل التغيير في بناء النص، يؤدي إلى تداعيه أو إلى تغيير معانيه وسماته.

وقد كان (الجاحظ) يريد بالنظم التأليف اللفظي ، ويرى أنه موضوع الإعجاز، وذلك حيث يقول – بعد أن أشار إلى أن الرسول تحدى العرب بعشر سور ولو مفتريات-:« (فما بال القرآن وقد جمع إلى النظام الرائع المعاني الفائقة). فهو إنما يريد بالنظام النظم، ويجعله مقابلاً للمعاني الفائقة».[2]

18/- القران

جاء في اللسان « قرن الشيء بالشيء: وصلته والقران، حبل يقلد البعير ويقاد به».[3] و القران هو الرابط بين أبيات القصيدة ليقع التشبه والانسجام. وقد ذكره الجاحظ وهو يتحدث عن تلاحم أبيات الشعر وتوافقها« قال (أبو نوفل أبن سالم) لـ(رؤية بن العجاج): يا أبا العجاف: مت إن شئت. قال وكيف ذلك؟ قال:رأيت (عقبة بن رؤبة) ينشد رجزاً أعجبني أنه يقول: لو كان لقوله قران. قال الشاعر:

مهادية مناجية قران   منادية كأنهم الأسود

وأنشد الأعرابي :

وبات يدرس شعراً لا قرن به   قد كان نقحه حولاً فما زادا

1- نفسه،ص.70.

2- العماري: **قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية**،ص.49.

3- ابن منظور: **لسان العرب**،مصدر سابق، مادة (قرن).ص.852.

أراد بقوله قران التشابه والموافقة، وكان يطلب أن يوضع البيت إلى جنب مايشبهه ويوافقه» .[1]و القران في الشعر كذلك هو ما كانت أجزاؤه متلائمة، فلاتتباين ألفاظه، ولا تتنافر كلماته من ذلك قول (الثقفي):

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد.

تنبو يداه إذا قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

والمتأمل للبيتين لا شك يدرك ، مدى السهولة واليسر في جريانهما على اللسان، والقران في الشعر كذلك هو الموافقة والمشابهة بين أبياته ، بحيث لا يكون في الشعر ما هو غريب عنه، وإنما تكون ألفاظه متوافقة ومعانيه مترابطة فإذا أخذ الشاعر في المعنى لا ينبغي أن يدخل ما لا علاقة له به حتى الألفاظ فيها المشاكلة، وبهذه المشاكلة اللفظية والمعنوية يتم الترابط بين أجزاء العمل الشعري، ويرون أن ذلك سمة من سمات الجودة وأنه لا يتوفر إلا في إنتاج الشعراء المطبوعين وأنشدوا فيما لا تتباين ألفاظه ولا تتنافر أجزاؤه قول (الأجرد الثقفي) :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا قل ناصـــــــره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد.[2]

19/- الرصانة

جاء في اللسان « رصن الشيء رصانة فهو رصين: ثبت. و أرصنه: وأحكمه، ورصنه: أكمله. الرصين: المحكم الثابت» .[3] والرصانة من صفات الكلام البليغ الحسن. قال العسكري: « فان الكلام قد جمع العذوبة و الجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة و النصاعة واستمل على الرونق والطلاوة

1- الجاحظ،**البيان والتبيين**،مرجع سابق،ص.205.نقلاً عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**، ص.184.

2- ينظر:**طبانة، قضايا النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص.97.

3- ابن منظور،مصدر سابق،مادة(رصن).ص.671.

وسام من حيف التأليف وبعد عن سماجة التركيب. و ورد على الفهم الثابت قبله ولم يرده، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه».[1]

20/- الرصف

ورد في اللسان « ضم الشيء إلى بعضه البعض نظمه، رصفه يرصفه رصفاً فارتصفت، وتراصف القوم في الصف: قام بعضهم إلى لزق بعض. ورصف ما بين رجليه: قاربهما» .[2] قال (السجلماسي):« أصل الرصف عند الجمهور وهو مثال أول لقولهم: رصف بين شيئين ضم بينهما. ورصف قدميه ضمهما والرصف: حجارة مضمومة في مسيل وهو يرادف النضد ، و ذلك للملاحظة الترتيب والنظام فيه. ثم نقل إلى علم البيان على سبيل نقل الأسامي الجمهورية إلى الصنائع الحادثة..».[3]

وقد تحدث (العسكري) عن حسن الرصف وسوئه فقال:« و حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها. ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة ، إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعي المعنى، وتضم كل لفظة إلى شكلها وتضاف إلى لفقها وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منـــها و رصفـها عن وجهها وتغيير صنعتيها، ومخالفة الاستعمال في نظمها».[4]

بيد أن النحاة لم يستعملوا مصطلح الرصف ، الذي يشير في الغالب إلى صورةبناء السياق، سواء في حدود الجملة أو ما فوقها.أم ا النقاد فقد كان مما أثر عنهم منذ البداية عبارة(حسن الرصف)؛ ذلك بأن عمل النحاة كان أكثر ميلاً، إلى التفكيك منه إلى التركيب، فالهم الأول النحوي أن يعرب الجملة ، وأن يعنى بوظائف الكلم في إطار الجملة المفردة.

1- العسكري،**الصناعتين**، مصدر سابق، ص.120.نقلاً عن:مطلوب، معجم النقد العربي، ص.17.

2- ابن منظور، مادة (رصف)، مصدر سابق، ص.1011.

3- السجلماسي: **النزع البديع**،ص.213.نقلاً عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**، ص.17.

4- العسكري، **الصناعتين**، مرجع سابق، ص.161.نقلاً عن:مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**،ص.17.

وقد اتجه نقاد الأدب في اغلب عملهم، إلى النص في جملته وبخاصة الجانب الأسلوبي غير التقعيدي في هذا النص، ومن هنا كان عليهم إن يستعملوا مصطلحات تتناسب مع اهتمام بسياق المتصل« فجاءوا بمصطلحات تختلف عن مصطلحات النحاة منها النظم والتأليف والسبك والرصف والترتيب والنسج؛ آخذين ذلك من أوجه التشبه بين النص وبين القلائد والمعادن والأبنية والملابس، وهي أمور يبدو في تكوينها وخلقها ما يشبه بناء النص، ومن ثم كانوا يشبهونالنص وما ينسبونه إلى النص بما في بنيتها من الإتقان والجمال».[1]

والرصف في باب النحو ثابت؛ يتحقق من خلال أمور يتصل بتألي ـــف عناصر الجملة، مثل التضام والرتبة والربط. و من صوره باب في النحو يسمى (الاختصاص)؛ وهو أن يكون هناك عدد م ن الألفاظ ذات الوظيفة المشتركة، فيما بينهما ولكن أداء كل من هده الألفاظ لتلك الوظيفة مرتبطة بمدخل بعينه، فأدوات النفي مثلاً متعددة منها (ما) و(لا) و(لم)؛ ولكن لا ينفي الجنس منها غير (لا). والمعروف أنه إذا أردت نفي أمرين أحدهما مستقل عن الآخر قلت:(ما..وما)، كما في قوله تعالى:﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾[2]إذ إن دعوة الصلب غير مرتبطة بدعوى القتل، وأما إذا كان الأمران مرتبطان؛ فإن النفي يكون بواسطة (ما و لا) نحو قوله تعالى:﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾[3] فالدراية في هذا السياق مرتبطة بالتلاوة.

21/- الأسلوب

لقد احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني للهجرة ، بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت – بالضرورة– ممن تعرضوا إلى للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة (أسلوب)،عند البحث الموازن بين أسلوب

1- تمام حسان،**اجتهادات لغوية**، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر،(ط 01)،2007م، ص.45.

2- سورة النساء، الآية.157.

3-سورة يونس، الآية.16.

القرآن الكريم، وغيره من أساليب كلام العرب، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة إعجاز القرآن الكريم.

يقال للسطر من النخيل:« أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب والطريق و الوجه والمذهب ويقال: أنتم في أسلوب سوء ويجمع على أساليب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه والأسلوب:الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه».[1]وأراد (ابن قتيبة)[2] بالأسلوب طريقة التعبير، وطريقة في النظم « لأن الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه فلم يجعل واحداً منها،أغلب على الشعر ولم يطل فيملِّ السامعين ، ول م يقطع بالنفوس ظمأ إلى المزيد».[3]

وجاء الأسلوب عند (العلوي) بمعنى تركيب العبارة والتفاوت فيه. ففي قوله تعالى: ﴿ ومن آياته الجواري المنشآت في البحر كالأعلام﴾ قال:« فأنظر إلى هذا الأسلوب ما ألف مجراه وما أحسن بلاغته وأدق مغزاه. قدم الخبر في قوله: (ومن آياته) ولو أخره لذهبت تلك الحلاوة وبطل ما فيه من الرونق. انظر إلى طرح الموصوف في قوله: الجواري ولم يقل الفلك الجواري وجمعه على فواعل ولم يجمعه على جاريات ولو فعل شيئاً من ذلك لنقصت بلاغته ونزلت فصاحته».[4]

1- ابن منظور،مصدر سابق، مادة (سلب).ص.750.

2- ابن قتيبة هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ-15 رجب 276 هـ/828 م-13 نوفمبر 889 م) أديب وفقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها.

3- ابن قتيبة،**الشعر والشعراء**، ص.62. نقلاً عن: مطلوب،**معجم النقد العربي القديم**، ص.167.

4- يحيى العلوي اليمني ،**الطراز**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت،(ج 01)، (ط 01)،2002م، ص.158.نقلاً عن: مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، ص.170.

22/- اتساق النظم

هذا الفن من صفات الشعر الجيد قال ثعلب [1]:« اتساق النظم: ما طابقرضه؛ وسلم من الإقواء والأكفاء والإجازة والايطاء وغير ذلك من عيوب الشعر. وما قد سهل القدماء إجازته من قصر ممدود ، و مد مقصور وضروب أخر كثيرة وان كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحول الشعراء» .[2]ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم و لا يخرج منه.

23/- اتساق البناء[3]

جاء في اللسان وسق الليل واتسق والطريق يأتسق ويتسق: ينظم. اتسق القمر اتسق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشر وأربعة عشر وقال الشعراء: إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه .[4] ذكر (قدامه)[5](اتساق البناء)[6]وقرنه بالسجع وقال أنه كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لـ(جرير لـ(جرير بن عبد الله البجلي):خير الماء البشم وخير الماء الغنم وخير المرعى الأراك والسلم، إذا سقط كان لجيناً، وإذا يبس كان دريناً، وإذا أكل كان لبيناً.

1- أبو العباس ثعلب (200هـ - 291هـ، 816م – 904م) أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني، أبوالعباس المعروف بثعلب. نحويّ، لغويّ. إمام الكوفيين في النحو واللغة، راوية للشعر، محدِّث مشهور بالحفظ، ثقة، حجة. وُلد ببغداد.أصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة وتوفي على إثر ذلك. كانت له آراء كثيرة في بعض قواعد النحو والصرف، ومن أشهر كتبه: الفصيح؛ قواعد الشعر؛ مجالس ثعلب؛ معاني القرآن..

2- ثعلب:،**قواعد الشعر**، حققه وعلق عليه وقدمه: رمضان عبد التواب، سلسلة روائع التراث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص.59.نقلاً عن: مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، ص. 79.

3- سيكون لنا حديث مفصل،عن مصطلح الاتساق من منظور غربي في الفصل الثالث.

4- ابن منظور،**لسان العرب** ،مصدر سابق، مادة(وسق).

5- قدامة بن جعفر (260 هـ - 337 هـ) هو بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله، من مشاهير البلغاء الفصحاء وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم (البديع)، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه.

6- قدامه بن جعفر: **جواهر الألفاظ**، تحقيق محمد محي الدين بن علي الجهيني، دار الكتب العلمية، القاهرة، مصر ،(ط 01)،1975م،ص.03. نقلا عن: مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**،ص.88.

24/- الوصل

هو خلاف الفصل، وصل الشيء يصله وصلاً وصلة واتصل الشيء لم ينقطع. والفصل في البلاغة (الكلام) ترك عطف بعض الجمل على بعض، ولكان الجاحظ من أوائل الذين تكلموا عليه في كتبهم .[1] كما وقف عنده (العسكري) وقفة طويلة فيذكر « المقاطع والقول في الفصل والوصل وذكر أقوالاً كثيرة،على أهمية هذا الأسلوب ، وبحث ما يتصل بفصول القصيدة ومقاطعها».[2]

25/- الوحدة الموضوعية والعضوية[3] والفنية

لقد أكد البلاغيون على ضرورة ترابط أجزاء النص وتماسكها وتعلق بعضها ببعض والذي يسمى في الاصطلاح النقدي الحديث (الوحدة العضوية):« بحيث لا يحس معها القارئ بطفرة أو تفكك، بحيث تكون لرقاب المعاني أخذة بعضها ببعض».[4]و إنما أكدوا على ذلك، لما له من بعد نفسي مهم يمنح النص القدرة والفعالية في مجال التأثير في المتلقي، وإحداث الاستجابة المناسبة عن طريق المحافظة على انتباهه ومتابعته للنص، لخلوه مما يقطع عليه هذه المتابعة ويعكر صفو انتباهه.

1- الجاحظ،**البيان والتبيين**،مرجع سابق، ص 88. نقلاً عن: مطلوب، **معجم النقد العربي القديم** ، ص.118.

2- العسكري: **الصناعتين**، مصدر سابق،ص.201.نقلاً عن: مطلوب، **معجم النقد العربي القديم** ،ص. 118.

3- يتألف مصطلح (الوحدة العضوية)(Unité organique) من جزأين:(الوحدة)(Unite)، وهي ميزة ما هو واحد مهما تكن مفهومات هذه الكلمة، و (العضوية)(Organique)، وهي نعت تعريفي وصفي يطلق على ما هو مركب من أجزاء تتكامل بوظائفها المختلفة الجلية والمرتبة.و (كل عضوي) كلمة، في هذا المعنى، مرادفة للمنظم، والوحدة العضوية ذروة تضاد العناصر المختلفة وتضامنها.

4- ابن الأثير،**جوهر الكنز**، تحقيق:غلول سلام، دار المعرفية،الإسكندرية، مصر،2009م،ص.121 – 130.

ولا يكون النص كذلك إلا إذا خلا من تفكك أجزائه، ومن حشد المعاني المتعددة، وعرض النبضات الشعورية المختلفة، دون أن يحس الربط بينها والتخلص من السابق إلى اللاحق منها. من هنا ذهب ابن طباطبا إلى النص لا يوصف بالجودة حتى تسابق معان به ألفاظه:« فيتلذذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه ،وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، فيكون ما قبلها مسوقاً إليها، ولا تكون مسوقة إليه فتقلقل في مواضعها، ولا يوافق ما يتصل لها».[1]

والنص أي كان – شعراً أو نثراً – هو أحوج ما يكون إلى خاصية تجمع شتاته وتلم أطرافه؛حتى كأنه جسد واحد ولحمة واحدة ،« وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة ،من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال ؛ احتراساً يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان ،حتى يقع الإيصال ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة تناسب صدورها وإعجازها وانتظام نسيبها بمديحها؛ كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة ،لا ينفصل منها جزء عن جزء».[2]

وقد أثار النقاد خاصية الطبع عند الشاعر ؛ لما لها من أثر في إيجاد نوع من الوحدة في القصيدة، فلقد فطنوا إلى أن هناك أشعاراً متكاملة فنياً ؛ تتميز بتلاحم وتلاؤم أجزائها؛ وأخرى لا تتوفر لها صفة الجمال الفني بسبب تكلف الشاعر . مما جعل النقاد يعدون الإبداع الفني من عمل الطبع، أما ما ينتجه التكلف والتمحل فهو صنعة وليس شعر، وإنما هو كما يقول ابن سلام [3]:« كلام مؤلف

1- ابن طباطبا،**عيار الشعر**،شرح وتحقيق: عباس عبد الستار،دار الكتب العلمية،بيروت،1982، ص.11.

2- بدوي طبانة،**قضايا النقد الأدبي**،مرجع سابق، ص.99.

3- ابن سلام الجمحي هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم (140-231 هـ) سمع العلم والأدب من نفر كثيرين منهم أبوه ومنهم : الأصمعي وبشار بن برد وأبو البيداء الرياحي وأبو عبيدة معمر بن المثنى ومروان بن أبي حفصة والمسيب بن سعيد والمفضل الضبي ويونس بن حبيب . وهو من رواة اللغة والأشعار، إلا أنه أوسع شهرة وأثبت قدماً في رواية الشعر.

معقود القوافي».[1] أي أن الشاعر تكلف عمل الشعر؛ فربط المعاني ورسم الصور، والتي قد تكون متقنة من حيث التلاؤم والارتباط الخارجي ومن حيث استعمال الألفاظ الرنانة والتعبيرات الغريبة، وكل هذه مجرد مواد يمكن أن يستعملها الشاعر في البناء الشعري، ولكن ليست هي كل شيء في الإبداع الفني لأنها غير معنية بالصدق، صدق التجربة الشعرية التي لا ترجع إلى التركيب العقلي، أو المنطقي، لأن الشعر ليس تركيبا عقليا بالدرجة الأولى، وإنما هو تركيب فني يتألف من اللغة والعاطفة والانفعال والصورة.

والإبداع الفني لا يكون في الشكل العام للشعر، وإنما يكون في القران أي «يقارن البيت بشبيهه»[2] فيجعل من العمل الفني وحدة متكاملة، هكذا كان مفهوم الوحدة عند أوائل نقادنا ، بسيطاً لكن مع بساطته يلمس جانباً مهماً من جوانب العمل الإبداعي، حيث يجعلون مقياسا يقومون الشعر على ضوئه، فهذا الشاعر أشعر من هذا وهذا الشاعر غير جيد لأن « ليس لشعره قران».[3]

و(ابن قتيبة) ليس الوحيد من الذين تحدث عن هذه الوحة ، فهناك نقاد آخرون خطوا خطوات متقدمة تدل على تطور مفهوم الوحدة ، من حيث لا يرون وجود عمل إبداعي متكامل بدون وحدة فنية.

وأما (ابن طباطبا) فيرى أن الإبداع الفني ، هو عملية معاناة ومكابدة وأن الشاعر الحاذق، هو ذلك الذي عرف أصول الصنعة الفنية، وأجادها بوعي كامل إلا أنه مع ذلك قد فطن إلى أهمية الوحدة ، ودعا الناشئة من الشعراء إلى ضرورة تحقيقها في العمل الإبداعي، وذلك عند حديثه عن كيفية بناء القصيدة.

1- ابن سلام الجمحي: **طبقات فحو الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، السعودية، (ج 01)(د ت)، ص.08.

2- قدامة ،**الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة،(ج 01)، ص. 37.

3- المصدر نفسه، ص 37.

ومن وحدات القياس عندهم ، مما يشين بظاهرة التلاحم في أبيات الشعر ؛ المباعدة بين لفظين في البيت الواحد من ذلك ما عابه (نصيب)[1]عل ى (الكميت)[2]عند سماعه قوله :

أم هل ضعائن بالعلياء نافعة وأن تكامل فيها الأنس والشغب

فقال: تباعدت في قولك (الأنس والشغب) ألا قلت؛ ما قال (ذو الرمة):

لمياء في شفتيها حوة لعس و في اللثاة وفي أنيابها شنب.

فقد أخد عليه أنه باعد بين اللفظتين فكلمة (الأنس) لا تشكل (الشنب) ، وكان الأفضل أن يضع الكلمة بجوار ما تشكلها من الكلمات ؛ وهذا ما سماه البلاغيون: (مراعاة النظير).[3]

ثانيا- قراءة في منطوقة المصطلح اللساني العربي القديم

لقد كان العلماء العربية في العصور الذهبية من تاريخهم ، سباقين إلى ابتكار المصطلحات وفق منهجيات، فرضتها طبيعة التخصصات العلمية والأدبية، فتركوا ثروة ضخمة من المصطلحات في مختلف المعارف العلمية والأدبية، وكان لعلماء اللغة الدور العلمي البارز في ابتكار مصطلحات لغوية ، اتسمت بالدقة والوضوح والدلالة. هذه الثروة المفرداتية كان قوامها فكر ابتكر مصطلحاته من دون خوف من خذلان لغته، أو شعور بعجزها عن تبني تصوراته و رؤاه.

1- الشاعر نصيب (108هـ - 726م) ابن محجن ابن ذراحة من شعراء الغزل في العصر الأموي.

2- الشاعر الكميت (60- 126هـ / 679-743م) بن زيد بن خنيس بن مجاهد من قبيلة حزيمة من شعراء العصر الأموي.

3- هو الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، ويلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام.

ويظهر الاستقراء العلمي [1] للتراث اللغوي أن العلماء اللغة العربية الأوائل ، ابتكروا مصطلحات جسدت المعاني، و المفاهيم المستنبطة من بنية اللغة, وقد أتيح للعرب في لغتهم وسائل مفيدة ، في توفير المصطلح منذ أن أظلهم الإسلام بظله، فقد تحولت العربية بظهور الإسلام إلى لغة علمية ، حفلت بكل ما يقتضيه العلم من مصطلح. وليس أدل على ذلك من أن غير العرب من العلماء المسلمين، قد اتخذوها لغة لهم فكتبوا بها مصنفاتهم العلمية ، حتى عدَّهم المؤرخون من علماء العرب. لقد اتخذ أولئك العلماء العربية لغتهم، في العلم لاطمئنانهم أنها وسيلة المفضلة للإعراب عن المعارف الكثيرة، و أن السبيل إلى العدول عنها إلىلغتهم القديمة التي تفتقر إلى عناصر العلم.

وإذا كان العلماء قد أجمعوا على ضرورة أن تتوفر للنظرية اللغوية ،جملة من الشروط المعرفية والمنهجية حتى ترقى إلى درجة النظرية اللغوية ؛ فان اللغويين العرب القدامى قد حققوا لنظرياتهم اللغوية ، الشروط العامة اللازمة للنظرية العلمية الصحيحة، و من ذلك:

- التجريد والعموم : وهما خاصتان لازمتان في النحو العربي ، يحققهما حرصهما على القياس الذي يتخذه اللغويون العرب وسيلة ، يخرجون بها من أحد الشواهد إلى القواعد العامة ،التي تخضع لها هذه الشروط. يقول العرب على القياس : «هو تجريد للمادة المسموعة واستنباط قواعدها. يحكي (ابن جني) عن (ابن عثمان المازني) قوله: مقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، و إنما

1- الاستقراء لغة:هو من قرأت الشيء بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض لِيُرى توافقه واختلافه، يعني التّتبع لمعرفة أحوال شيء ما. واصطلاحا: الاستقراء عند المنطقيين هو الحكم على كُلّيٍّ بما يوجد في جزئياته الكثيرة. ويعرفه الإمام الغزالي بقوله:(هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدتَ حكمًا في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به).

سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت: قام زيد ،أجزت ظرف بشر ، وكرم خالد».[1]

– محاولة تقليل الشواهد غير القياسية: والتي لا يتم تجريدها في قاعدة عامة،إذ تبقي صحيحة في نفسها، لا تنتهي بقاعدة عامة هي غاية التقعيد.

– الاكتمال: الذي يعتب إن تشتمل النظرية مفردات الظاهرة اللغوية كلها ، أن يكون ثمة موضع في النظرية لكل مفردات الظاهرة، ويظهر اكتمال النظرية اللغوية العربية وتمامها من أمور نحو:

– تقعيدهم لما خرج عن قاعدة العامل، مثلما قعدوا لما جاء وفقها.

– إخضاعهم شاذة للقواعد التي تقدمها النظرية اللغوية العربية.

– البساطة:« ويتمثل دورها عندهم من خلال حرصهم ؛ على تجنب التعقيد في قواعدهم، ومن ذلك نصهم على أنه: كلما كان الإضمار أقل كان أولى».[2]وأن: « حذف شيء واحد أحسن من حذف شيئين بلا شبهه».[3]

– تحقيقهم الاتساق بين القواعد التي تنتجها نظريتهم من خلال أمور من أبرزها:

– نصهم على ورود الاتساق في اللغة كقاعدة – طرد الباب على نسق واحد – التي يعبر عنها ابن جني بالمماثلة والتجانس.

– رفضهم التناقض, من ذلك نصهم على أن الفعل إذا لم يرفع ظاهرين نحو: قام عمرو وخالد – كان أن لا يرفع مضمرين أولى.

1- ابن جني: **الخصائص**، مصدر سابق،(ج01)، ص.357، نقلاً عن :محمد عبد الدايم، **النظرية اللغوية في التراث العربي**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،(ط01)،2006م،ص.23.

2- ابن الأنباري: **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق: طه عبد الحميد طه، ومراجعة: مصطفى السقا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ،(ج 01)،1969-1970م،ص.315.نقلاً عن:عبد الدايم، **النظرية اللغوية في التراث العربي**،ص.24.

3- الجرجاني: **المقتصدفي شرح الإيضاح**، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق (ج 01)،1982م، ص.651. نقلاُ عن :عبد الدايم، نفسه، ص.24.

– نصهم على اعتماد اللغة المشابهة والتشكل والتجانس بين القواعد.

– فرارهم مما يقلل التجانس بين قواعدهم وعدم ترجيحهم له، وهو ما لا نظير لهمن ذلك نصهم على أن المصير إلى ما نظير له في كلامهم مردود.[1]

– مراعاة الاقتصاد وتعكسه أمور هي :

– تقليلهم للأوجه قدر استطاعتهم،من ذلك قاعدة (المصير إلى ما له نظير ؛ أولى من المصير إلى ما ليس له نظير».[2]

– مراعاتهم للظاهر ما كان قدر استطاعتهم من ذلك نصهم على أنه: لا معنى لترك الظاهر إذا لم يمنع منه شيء ولم يقم دليل على خلافه.

– تجنبهم التأويل قدر الاستطاعة كنصهم: إذا وجد السبيل إلى ترك الكلام على وجهه نظمه كان أولى من تــأويل غير ذلك معه.

– تجنبهم التفريع من ذلك : نصهم على أنه متى أمكن حمل كلمة على الإطلاق اسما كانت أو فعلاً أو حرفاً على الإفراد ،لم تحمل على التركيب الذي هو فرع ثان.

– وعيهم باقتصاد اللغة الذي يظهر مثلاً في منعها اجتماع حرفين لمعنى واحد، وفي هذا يقول ابن جني:« ليس للغة حرفان لمعنى واحد مجتمعان».[3]

إن أصول التماسك النصي ليست حديثة، لكن الجديد هو الكشف عنها، ومحاولة توظيفها بشكل علمي، فقد كان عند علماء العربية القدامى حس لغوي صحيح وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم إن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل في النهاية إلى حد

1-ابن الأنباري،**الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة،(ط 04)، (ج 01)،1961م، ص.248.نقلاً عن: عبد الدايم، نفسه،ص.25.

2- المرجع السابق، ص.21.نقلاً عن:عبد الدايم، المرجع سابق، ص. 26.

3- ابن جني، **سر صناعة الإعراب**،دراسة وتحقيق:هنداوي،دار القلم،دمشق (ج 01)،(ط 01)،1985م، ص.375. نقلاً عن: محمد عبد الدايم، نفسه ،ص.27.

النظرية العربية في اللغة والنقد، غير أن من جاء بعد ه ؤلاء العظام اكتفى بأن يكرر ما قالوه بفهم أو بغيره.

ولا يشك باحث عدول في أن البحث اللغوي ، قد تطور وارتقى حتى بلغ مستوىً مرموقاً في أواخر القرن الرابع الهجري. يشهد على هذا مؤلفات (أحمد بن فارس) صاحب كتاب (الصاحبي في فقه اللغة العربية) ، و(ابن جني) صاحب (الخصائص).

و قد ظهرت لدى هذين المؤلفين فكرة واضحة عن علم اللغة بالمعنى المتداول في عصرنا الحديث؛على أنه علم القوانين العامة الناظمة لجزئيات اللغة و بمعنى أعم وأشمل من العلم النحو. قال ابن فارس في مقدمة كتابه (الصاحبي):« إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل وفارس طويل وقصير ، وهذا الذي يبدأ به عند التعلم.وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة أوليتها ، ومنشئها ثم على رسم العرب في مخاطبتها، ومالها من الافتتان تحقيقاً ومجازاً».[1]

وإذا سبقت الإشارة إلى تراثنا اللغوي، في جميع مستويات التحليل اللساني الحديث، أنه من البديهي التذكير بما للغة العربية من خصائص لسانية ، وميزات تركيبية واشتقاقية واقتصاد لغوي، ما يمكنها بكل تأكيد من مسايرة كل تطورات العصر، والتعبير عن تلك التطورات تعبيراً دقيقاً مادياً ومعنوياً ،في شتى صنوف المعرفة اللسانية، فان الواقع وأعني واقع الاستعمال والممارسة الفعلية أي التحليل لهذه اللغة، في جميع مراحل التعليم، لايستجيب في معظمه لمقتضيات التحليل اللساني الحديث.

هذا التحليل الذي يهدف أول ما يهدف إلى ولوج المضامين الواردة في التراكيب والنصوص والغوص في أعمقها لاستكشاف كل مكوناتها اعتماداً على علوم اللغة، من صوت وصرف ونحو وبلاغة، دونما فاصل بينها، لأن

1- محمد المبارك،**فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت،(د ط)2005م،ص.24.

ذلك البتر يسد وجوه استباط المعاني واستكناه دلالاتها وإشاراتها الظاهرة والخفية، والزاد لذالك وافر، ويحتاج إلى توظيف براغماتي نفعي. يوصل إلى الغاية في كل تحليل:« فهم المضمون. أولاً، والتأثر به سلباً وايجابياً ثانياً، ثم صرفهفي مرحلة أخيرة، بعد أن يكون تأثيره، قد بلغ منتهاه، كل ذلك في ضوء هذا التراث الزاخر وبالاستعانة بما توصل إليه البحث اللساني الحديث».[1]

لقد أضحى هذا التراث لا يشكل اهتمام الباحثين بالقدر المطلوب، « وعند الالتفات إليه، تتملك بوادر الإحجام عنه كل مقبل عليه ، بدعوى أنه صعب التناول، ومن هنا بداية رحلة الجفاء للتراث الذي فرض التقدير على الغرب قبل الشرق، فقد اعتمد النحاة العرب على المعيارية، وكان اتجاهاً سائداً عندهم، حيث وضعوا القواعد وفق قوالب معينة من اللغة، لا يحيدون عنها»[2]ويجب أن تُعتمد تلك القوالب كلام الناس، ما أفضى بهم إلى تلخيص اللغة العربية من كل ما من شأنه أن يسرب لحناً أو تحريفاً.

ولنا أن أقرر أن تماسك النص علم قديم في أصوله جديد في أسلوبه، وهو الامتداد الطبيعي لعلم النحو. وكان اللغويون العرب القدماء على وعي ببعض أصوله. وأما نحن اتفقنا على أن اللغة العربية ثرية بمصطلحاتها الحضارية والعلمية، وإذا كنا قد رأينا أن الثروة الصناعية والعلمية الحديثة ، قد أتت بسيل من المفاهيم الجديدة، و إذا كنا قد لحظنا أن العرب لم يستفيدوا من مصطلحاتهم التراثية في التعبير عن المفاهيم الحديثة، فمن حقنا أن نتساءل لماذا أهملاالمصطلح التراثي ، ولم يستفد منه كما ينبغي؟.

1- جعفر دك الباب،**أصالة اللسان العربي** ، مجلة التراث العربي،(ع 10)،(السنة03)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، يناير 1983م.نقلاً عن: يوسف وسطاني ،**التكامليةفي التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة**،مرجع سابق، ص.117.

2- حسام البهسناوي،**أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث** ، ص.24.نقلاً عن: وسطاني،نفسه، ص.117.

الفصل الثانـــــــي:

جذور دراسات النظم ،

ونظرية السياق عندالغربيين

المبحث الأول-اللفظ والمعنى، وطبيعة الصلة بينهما

توطئة

لم يظفر بحث من البحوث اللغوية، بقدر وفير من التأمل والتفكير ، مثل الذي ظفرت به نشأة اللغة . ومع هذا فقد كانت دائماً النتيجة ظنية، ولم يهتد الباحثون بعد كل ما بذلوه من جهد إلى رأي يجمعون عليه،أو يطمئنون إليه.

ففي كل العصور ومنذ الحضارة الإنسانية القديمة؛ والعلماء لا ينقطعون عن البحث في نشأة اللغة وأصلها، و يفترضون في هذا الفروض، ويحاولون في هذا التجارب. حتى أوائل القرن العشرين حين بدأ العلماء ينصرفون عن هذا النوع من البحث، ويرون أنه من مسائل ما وراء الطبيعة، وأن لا جدوى من الاستمرار فيه.

كان ومازال الخلاف حول الكلمة المفردة واللفظ والمركب ، بل و حول اللغة ذاتها؛ خلاف قديم وحديث، ولا تكاد كتب اللغة بمختلف تفرعاتها وتصانيفها تغفل عن الخوض في هذه القضية . ولا يتعلق الأمر البتة باللغة العربية وحدها؛ بل بمختلف لغات البشر قديمها وحديثها. لقد كان الإنسان وما زال عاجزاً عن الوصول إلى معرفة التاريخ الأول للكلمة ؛ متى بدأت..؟ وكيف بدأت..؟.

هل كانت وحياً من السماء أوحي به إلى النفس البشرية الأولى ، فلقنتها لأولادها وأحفادها ؟ هل كانت علماً ضرورياً خلقه الله تعالى في تلك النفس،علماً بتلك الألفاظ وتلك المعاني ، وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني؟.

أي لغة تلك التي تحدث بها الإنسان الأول؟ هل هي اللغة العربية ، و بالتالي حُقَّ لأهل اللغةالعربية، أن يفخروا بذلك أيما افتخار بالنظر إلى أن الله عزَّ وجل قد ارتضى للغة القرآن ، أن تكوناللغة العربية ؛أم أن اللغة العبرية هي التي حازت ذلك المجد التليد . و قد لا يكون الأمر كذلك فتكون اللغة

النصرانية، هي التي كان لها شرف النطق الأول بها من لدن الإنسان الأول..وقد يكون الأمر غير ذلك تماماً..!

واللغة[1] في شكليها الملفوظ والمكتوب، أداة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا ، فكل ما تموج بهالدنيا من مشاهد وصور في الطبيعة ، أو المجتمع ينتقل بصورة عجيبة إلى الذهن بطريق الكتابة أواللفظ . فاللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر ؛ وقد قيل: اليد واللسان تلك هي الإنسانية. إن اللغة عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية راقية كانت أم بدائية.

لقد عُرف الإنسان بكونه حيواناً ناطقاً أو متكلماً، وهو نعت يقتضي ضرورة الوجود المسبق للغة، التي تتعدد خدماتها وتتنوع وظائفها: فهي تفيد التبليغ ؛ وتسمح بتحقيق التواصل، و كذلك التعبير عن ما يخالج الذات، وتفيد أيضاً الوصف والتسجيل والتقرير، وتستعمل في صياغة الأعمال الفنية والجمالية، إضافة إلى حضورها في ميادين التفكير والعقل والمنطق..

ولقد استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية، وبها قوام فهم كتبهم المقدسة،كما كان شأن الهنود قديماً، حيث كان كتابهم الديني(الفيدا) ؛ منبع الدراسات اللغوية والألسنية على الخصوص التي قامت حوله، و كانت الكلمات بمفهومها النظري عند أرسطو؛ تعتبر رموزاً للمعاني ووسيلة للمحاكاة . وهي المادة التي تصاغ منها الاستعارات، فهي متفاوتة فيما بينها ما بين جميلة وقبيحة ، و جمال الكلمات وقبحها ينشأ عن رسمها أو معناها. و كان الجدل الطويل الذي دار حول نشأة اللغة؛ قد أثار عدة قضايا تعد المحاور الرئيسية لعلم الألسنية الحديث . فمن

1- إن تعريف اللغة في معناها المتداول يرتبط بالكلام ،فاللغة بهذا المعنى هي فعل الكلام،أما المعنى الاشتقاقي فهي مشتقة من اللغا أو اللغو، وتعني الكلام غير المفيد وغير النافع. أما المعنى الاصطلاحي فهي الكلام المميز لمجتمع معين ؛أما في اللغة الفرنسية فإن المعنى الاشتقاقي لكلمة (Langage) مشتقة من كلمة (Lingua) اللاتينية التي تعني الكلام واللسان.وأما المعنى الاصطلاحي؛ فتدل كلمة (Logos) الإغريقية على الكلام الفكر والعقل.

جملة الآراء التي أوردها العلماء حول نشأة اللغة قولهم: بوجود علاقة ضرورية بيـن اللفظ والمعنى شبيهـــه بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان.

أولاً– دلالة (اللفظ والمعنى) في المعجم والاصطلاح:

إذا كان القرآن الكريم هو النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية، فإن ثنائية اللفظ والمعنى ، تعد أبرز مبحث تنازعته علوم هذه الثقافة، والسبب في ذلك أن« علاقة اللفظ بالمعنى ، تمتد إلى أعماق بعيدة تنتظم النشاطات البشرية في المجال اللغوي، من كلام وإبداع ونظم وغير ذلك (..)،فكان لابد أن يوجد مصطلح يمثل جهة اللغة ويعبر عنها وهواللفظ، ومصطلح يعبر عن جهة المضامين وهو المعنى».[1]

ولأهمية هذه الثنائية في الثقافة العربية الإسلامية، فقد كانت محط اهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم، فتعددت حولها النظريات وتضاربت حولها الآراء، واختلفت المناهج و المصطلحات من حقل لآخر. ونستطيع أن نقول إن التداخل والترابط الذي تتسم به ثقافتنا العربية الإسلامية، جعل من هذه الثنائية إرثاً مشتركاً بين جميع البيئات المعرفية، لأن الاهتمام بها كان يستهدف أساساً خدمة النص القرآنيودراسته وتحليله، فكان لكل بيئة نصيبها من بحث هذه القضية ومعالجتها ،بما يتناسب وطبيعة المادةالموصوفة.

ولما كان الولوج إلى العلوم مفاهيمها؛ وكانت مفاتيح الدراية بالمفاهيم مصطلحاتها، بات من الضروري معرفة البعد اللغوي و الاصطلاحي لمفهومي اللفظ والمعنى؛ حتى نتوصل بذلك إلى طبيعة البعد الدلالي لكليهما،ثم طبيعة التعالق الذي يشوبهما، و ما أثر ذلك على تبلور أفكار و رؤى العلماء العرب حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم ؟ وما النصيب الفكري والعلمي الذي حازت عليه فكرةالنظم كمنظور بلاغي ؛امتلك خصائصه العلمية والمنهجية والمعرفية من خلال تعليله لمنهج الإعجاز في القرآن الكريم ؟.إلى جانب العديد

1- بودرع عبد الرحمان،**مصطلح اللفظ والمعنىومستويات التحليل اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني**،(مقال)،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،فلس،المغرب،(ع.04)،ص.335.

من التصورات النحوية والفقهية والفلسفية، التي خاضت في تفسير ظاهرة الإعجاز قديماً وحديثاً.

01/–دلالة (اللفظ) في المعجم والاصطلاح:

أ/– دلالة(لفظ) في اللغة

اللفظ في أصل اللغة، مصدر للفعل بمعنى الرمي، ويتناول ما لم يكن صوتاً وحرفاً، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملاً كان أو مستعملاً صادراً من الفم أولاً. ثم خص في عرف اللغة بما صدر من الفم، من الصوت المعتمد على المخرج حرفاً واحداً أو أكثر، مهملاً أو مستعملا .[1]و في لسان العرب: (لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً، رميته. يقال: أكلت الثمر ولفظت النواة أي رميتها).[2]وفي القاموس المحيط: (لفظ بالكلام نطق كتلفظ).[3]

ب/– دلالة (لفظ) في الاصطلاح أورد الجرجاني في (تعريفاته) « هو ما يتلفظ به الإنسان أو فـــي حكمه، مهملاً كان، أو مستعملاً». [4] أو هو صوت أو مجموعة أصوات ، تواضع الناس على أن تكون جزءاً من الحديث تنتقل بينهم فكرة من الأفكار».

أما عند النحاة فاللفظ «هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، فإذا دلّ على معنى يحسن السكوت عليه سمي كلاماً ».[5]

1- ينظر:أبو البقاء الكفوي ،**الكليات** ،تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،بيروت،(ط01)،1992م.ص.795.

2- ينظر:**كشاف اصطلاحات الفنون** ،باب اللامفصل (الظاء المعجمة)،(ج03)،ص.1296.و**لسان العرب**،ابن منظور، مادة(لفظ) ،(ج07)،ص.461.

3- ينظر: الفيروزآبادى، **القاموس المحيط** ،مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت ،(ط 02).1987م.مادة (لفظ)،ص.902.

4- الشريف الجرجاني ،**التعريفات**، تحقيق:جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية ،بيروت،(ط 01)،1983م، ص.192.

5- هـــ.ن.تشارلتون، **فنون الأدب**،ترجمة: زكي نجيب محمود ،ص. 04 ،نقلاً عن :العماري، **قضية اللفظ والمعنى و أثرهما في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي** ،مرجع سابق ، ص.36.

وبعض المحدثين من النقاد والأدباء ، يضيفون إلى اللفظ أموراً لم يكن يعتد بها المتقدمون ولا تساعد على أوضاع اللغة يقول(أي تشارلتون):«فليست اللفظة رمزاً يشير إلى فكرة ومعنى ، فحسب بل هو نسيج متشعب من صور ومشاعر أنتجتها التجربة الإنسانية ، و بثت في اللفظة فزادت معناها خصباً ومشاعر».[1]

02/- دلالة (معنى) في اللغة و الاصطلاح:

أ/- دلالة (معنى)[2] في اللغة

لفظ (المعنى) مصدر ميمي من مادة (ع ن و/ ى) التي تستعمل في اللغة، ويراد بها واحد من أمور ثلاثة أشار إليها (ابن فارس)[3] في مقاييسه «العين والنون و الحرف المعتل أصول ثلاثة الأول: القصد للشيء فيه والحرص عليه، والثاني: دال على خضوع و الثالث: ظهور الشيء وبروزه ».[4] و قد جاء القصد تفسيراً للمعنى في قول ابن فارس:« و الذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى، هوالقصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه . يقال هذا معنى الكلام، ومعنى الشعر الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ، و الدليل على القياس قول

1- تشارلتون ،نفسه،ص.08 ،نقلاً عن:العماري ،نفسه، ص.36.

2- ثمة خلاف بين العلماء حول فعل هذا اللفظ ؛فصاحب (الطراز) يرى أنه من الفعل عني بمعنى أهم،و(المرصفي) يرى أنه من الفعل عني الأمر إذا قصده.

3- هو أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي الرازي ، من أشهر كتبه: (مقاييس اللغة) و (المجمل) و(الصاحبي)،واختلف في وفاته فقيل سنة(375هـ) وقيل(390هـ).

4- ابن فارس،**مقاييس اللغة**،(ج 02)،ص.148.نقلاً عن:عبد الفتاح البركاوي ،**دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث** ، دار الكتب ، القاهرة ،(د ط)،1991 م، ص.18.

العرب لم تعن هذه الأرض شيئاً ، ولم تعن أيضاً وذلك إذا لم تنبت، فكأنها إذا كانت كذا فإنها لم تفد شيئاً ، ولم تبرز خيراً ومما يصححه قول (ذي الرمة)[1]:

ولم يبق بالخلصاء مما عنت به من البقل إلا يبسها وهجيرها

ومما يصححه أيضاً قولهم: عنت القربة إذا سال ماؤها، قال (المتنخل)[2]:(تعنو بمخروت)».[3]وهو كذلك ما يقصد بشيء، و لا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصوداً، و أما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنى بالعرض لا بالذات.[4]ومعنى كل كلام، ومعناته ومعنيته، مقصده.[5]

ب/- دلالة (معنى) في الاصطلاح[6]

من دلالات (المعنى)، القصد، أو هو الصورة الذهنية إذا وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه، وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفرداً، و إن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنىً مركباً[7] والمعاني: هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور

1- ذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي التميمي، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة. شاعرعربي من الرباب من تميم،من شعراء العصر الأموي،من فحول الطبقة الثانية في عصره.ولد سنة(77هـ/696م)، وتوفي بأصفهان سنة(117 هـ/735م)،وهو في سن الأربعين.

2- المتنخل هومالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر، أبو أثيلة. شاعر من نوابغ هذيل. .قال عنه الآمدي: شاعر محسن،و قال عنه الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب. وأورد بيتين منها.

3- المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر:الكفوي،**الكليات**،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري،مؤسسةالرسالة،بيروت،(ط01)، 1992م، ص.842.

5- ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**،مصدر سابق،(ج.15)، ص.106.

6- وممن ورد له تعريف لمصطلح (المعنى) من الحداثيين محمد حسن جبل؛ يقول فيه :(معنى اللفظ هو الصورة الذهنية لمسماه من حيث وضع اللفظ بإزائها).

7- ينظر: التهانوي،**كشاف اصطلاحات الفنون**، دار صادر، بيروت، (ج 03)، ص.1084.

الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنىً، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً .[1]و المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ ،الذي نصل إليه بغير واسطة.[2]

أما الإمام (الجرجاني) فيرى في المعنى من حيث الاصطلاح ، المعنى ومعنى المعنى يقول:« ههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى، و معنى المعنى فنعني بالمعنى، المفهوم من ظاهر اللفظ وهو الذي يفهم منه بغير واسطة، ومعنى المعنى أن يفهم من اللفظ معنى ، ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر».[3]

ولقد كان (الجاحظ) من أوائل العلماء الذين وصفوا المعاني ؛ إذ نجد ذلك في قوله :« المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة و موجودة في معنى معدومة. و كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، كانت الإشارة أبين وأنور وكان أنفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم ».[4]

والمتأمل فيما ذهب إليه (الجاحظ)، يبرز إليه بوضوح عبقرية هذه الشخصية الفذة التي، قدمت لجدلية التعالق بين اللفظ والمعنى ، وتحقق الصورة الذهنية لدى المتكلم منذ أمد بعيد ؛ قبل أن يتطاول علينا الفكر الغربي ، في

1- ينظر : الشريف الجرجاني، **التعريفات**،مصدر سابق ، ص.220.

2- ينظر:**الكليات**، مصدر سابق، ص.842.

3-الجرجاني ،**دلائل الإعجاز**،قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، (د ط)،(دت)،ص.203.

4- الجاحظ ،**البيان والتبيين** ،مصدر سابق،ص.75.

تسمية كل ذلك بمسميات أخراة، تحمل الدلالات نفسها التي صاغها الجاحظ في مؤلفاته، كالدال والمدلول والدلالة والإشارة والصورة الصوتية وغيرها.

بل إن (الجاحظ) لا يكاد يتصور غاية نبيلة،للبلاغة في الكلام الحسن مالم يُجمع هذا الكلام من شقيه اللفظ والمعنى على سواء ،« فليس يقدر عل ذلك إلا امرؤ في طبيعته فضل من احتمال غيرته، و في قريحته زيادة من القوة على صناعته، حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل إلا على مثله من المعنى ، ولا اللفظ الشريف الفخم إلا على مثله من المعنى. نعم وحتى يعطي اللفظ حقه من البيان؛ ويوفر على الحديث قسطه من الصواب ، ويحقق للكلام حظه من المعنى. وجميعها مواضعها و يصفها بصفتها، ويوفر عليها حقوقها من الإفصاح والإعراب».[1]

هذا و قد أورد كذلك اللغويون وأصحاب المعاجم معان أخرى منها:

- المحنة والحال التي يصير إليها أمر الشيء.
- التفسير والتأويل.
- المعنى هوالحال.
- المعنى هو الشيء الذي يفيد اللفظ أي القصد و المراد.[2]

يتضح إذن من خلال هذه التعريفات، أن طبيعة اللفظ والمعنى هو التلازم، فلا وجود للفظ بدون معنى، ولا وجود لمعنى بدون لفظ. فإذا كان المعنى صورة ذهنية فقد وضع بإزائه لفظ هو القصد من تلك الصورة أو هويتها.

لقد أدرك العلماء على نحو جيد قوة الترابط بين اللفظ والمعنى، وأدركوا قيمة المعنى في التعبير، ومكانة الألفاظ حين تنضم إلى بعضها، فالمعنى لا يقوم بغير لفظ، كما لا تقوم الروح بغير جسد، فهما متلازمان تلازم الروح

1-رسائل الجاحظ على هامش الكامل ،(ج 02)، ص.237.نقلاً عن:العماري،**قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي**،مرجع سابق، ص.27.

2- ينظر:ما اقتبسه البركاوي ، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**،بداية من الصفحة.17.

والجسد في الأشخاص ؛ يقول (العتابي):« الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخراً، أو أخرت منها مُقدماً، أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حُول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، ولتحولت الخلقة وتغيرت الحلية ».[1]

ثانياً: جدلية التعالق بين اللفظ والمعنى أو المناسبة بينهما

سعى الأقدمون إلى إيجاد تفسير مقنع ، يكون بمثابة إجابة حول اللفظ والمعنى؛ أيهما أسبق ظهوراً على خاطر النفس البشرية ؟هل هو اللفظ تختاره نفس الإنسان أولاً ، ثم تحدد له المعنى المطلوب . أم هو المعنى تضبطه ثم تبحث له عن اللفظ الذي يناسبه..؟.أو بعبارة أخرى: هل وضع اللفظ للصورة الذهنية، أم للماهية الخارجية..؟.

لم تستمر هذه الإشكالية لردح من الزمن طويل ؛ إذ سرعان ما فصل الأقدمون والمحدثون بين اللفظ والمعنى ، وكانت أكثر اجتهادات الأقدمين[2]تشير إلى أن المتكلم يستحضر أولاً المعنى ، في نفسه ثم يبحث له عن اللفظ الذي يؤديه به.

لقد كان من الطبيعي أن يحتدم الصراع الفكري واللغوي ، بين العلماء حول طبيعة التشاكل الذي يجمع بين الألفاظ ومعانيها ، ما دام أن اللفظ والمعنى هو المحور الأساس الذي يقوم عليه كيان اللغة ، هذا مع « اعترافهم بأن اللفظ والمعنى متلازمان فقد بحثوا في كل منهما على حدة ، وحددوا أوصافاً للمعنى وبينوا العيوب التي تلحق كلاً منهما على حدة أيضاً وجعلوا لكل منهما مجالاً

1- العسكري،**الصناعتين**،تحقيق:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت، (ط01)،1981م ،ص.179.

2- جاء في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ أن بشر بن المعتمر ومن خلال صحيفته المشهورة في تعليم دروب البلاغة كان ممن يقولون بأسبقية المعنى على اللفظ يقول بشر: (ومن أراغ معنىً كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً).وذهب فريق من العلماء ومنهم الإمام فخر الدين الرازي إلى أن الألفاظ موضوعة بإزاء الصورة الذهنية وذهب فريق ثان منهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إلى أن الألفاظ موضوعة بإزاء الماهيات الخارجية .

خاصاً في ميدان النقد والبلاغة » [1]؛ بالنظر إلى أن اللغة هي مجموع الصيغ والعبارات المتراصة، وفق مستويات لغوية معينة يتعارف عليها أهل اللغة الواحدة؛ وأن محصلة هذه الصيغ ، إنما هو ذلك الكم المتفاوت العدد من الألفاظ، بما تحمله من معاني أنشأها المتكلم وفق فكرة معينة .

وإذا كانت مشكلة اللفظ والمعنى ، قد نشأت في جو ديني يدور حول بيان الإعجاز في مرجعه إلى أيهما: اللفظ أم المعنى أم كليهما معاً ؟ فإن قضية إعجاز القرآن الكريم قد نالت النصيب الوافر من جهود علماء البلاغة بخاصة . فدفعت بهم – هذه القضية – إلى الجدل والخصومة فتشعبت آراؤهم ومذاهبهم ؛ ما أدى إلى فتح آفاق رحبة من البحث والمعرفة مازالت آثاره باقية إلى يومنا هذا. أقول إذا كانت هذه القضية مصدر كل ذلك فإن هذه القضية لا تع ـــدو أن تكون في أهم جزئياتها ترجع بالأساس إلى قضية اللفظ والمعنى.

لقد تساءل المتكلمون عن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها فمنهم من رأى أن هذه الصلة طبيعية ذاتية ، ومن هؤلاء (عباد بن سليمان الصيمري) من المعتزلة فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح. وكان بعض من يرى رأيه يقول :« إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فمثل: ما سمى إدغا غ – وهو بالفارسية الحجر– فقال: أرى فيه يبساً شديداً وأراه الحجر».[2]

ويُخيل لدى الكثير من الدارسين ، أن مقوم الشكل وتفضيل اللفظ على المعنى عند نقادنا العرب الأوائل ، كان فكرة راسخة لديهم ومسلم بها يصعب المجادلة حولها ؛ فهذا الجاحظ يصرح:« و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني ، و إنما الشأن في إقامة الوزن

1- العماري، **قضية اللفظ والمعنى..**، مرجع سابق، ص.26.

2- ينظر:درويش الجندي، **نظرية عبد القاهر في النظم**، مكتبةنهضة، القاهرة، (د ط)، 1960م، ص.21.

وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ؛فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج و جنس من التصوير».[1]

إلى جانب ذلك يحرص (الجاحظ) كذلك، على الدعوة إلى تجنب التنافر بين الحروف في الكلمة الواحدة، حتى تبدو كأنها حرف واحد فتكون بذلك فصيحة بريئة فالجيم عنده – من قبيل الفصاحة – لا تقارن الظا ء ولا السين ولا الضاد والذال بتقديم ولا تأخير.على أن « اللفظ الذي ترجع إليه الفضيلة ، إنما هو صورة المعنى وهي صورة لا تكون أصوات الألفاظ وأشكالها ، ولكن أساسها معاني هذه الألفاظ والعلاقات الروحية القائمة بين معانيها ،هي ما يطلق عليه الصياغة والنسج والتصوير ، فاللفظ الفصيح البليغ عند (الجاحظ) هوالصياغـة والنسج والتصوير».[2]

أما (ابن قتيبة) فقد كان يسوي بين اللفظ والمعنى في البلاغة ، و كأنه يريد أن يرد على (الجاحظ) مذهبه في تقديم اللفظ على المعنى ؛ من حيث بلاغة الكلام فجعل (ابن قتيبة) للمعنى مزية في البلاغة، وقد قسم الكلام إلى أربعة أقسام،أولها: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه و مثّل له بقول الشاعر :

يُغضِي حياءً و يُغضى من مهابته فلا يُكلم إلا حين يبتسم

وثانيهما: ضرب منه حسن وحلا لفظه ولكن لا معنى يرجى منه، من ذلك قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة و مسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدت على حدب المهاري رجالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بينـنـا و سالت بأعناق المطي الأباطح

وسر الإبداع و الجمال عند (ابن قتيبة) في هذه الأبيات ،جمال ألفاظها وحسن صياغتها وعذوبة موسيقاها ، أما معانيها فتافهة لا طائل من ورائها.

1- الجاحظ،**الحيوان**،تحقيق:هارون، شركة البابي الحلبي ،القاهرة ،(ج03) (ط02)،1965م، ص.39.
2- محمود سعد،**نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**،مكتبة الآداب،القاهرة،(د ط)،2000م ،ص.37.

وثالثتها:ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، و يمثل لهذا الضرب ببيت لـ(لبيد بن ربيعة) :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه و المرء يصلحه الجليس الصالح

فهذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق. ورابعها: ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه: ومثل له مما قاله (الأعشى) في امرأة:

و فوها كأقاحي غذاه دائم الهطل كما شيب براح بارد من عسل النحل.[1]

ويتبعه في ذلك (أبوهلال العسكري) الذي يقول:« وليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والبدوي ، و إنما هو في جودة اللفظوصفائه و حسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه ؛مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف ».[2]

أما (الرماني)- وفي كتابه النكت في إعجاز القرآن- يعتبر التلاؤم من أقسام البلاغة ، التي هي عنده أحد وجوه الإعجاز يقول :« التلاؤم نقيض التنافر والتلاؤم، تعديل الحروف في التأليف والتأليف على ثلاثة أوجه : متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ، و متلائم في الطبقة العليا ومنه القرآن الكريم كله.. و الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس ؛ لما يرد عليها من حسن الصورة ، وطرق الدلالة. ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون الخط والحرف، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، فذلك متفاوت في الصورة و إن كانت المعاني واحدة».[3]

ولقد بحث (ابن سنان الخفاجي) في معايير حسن اللفظ ؛ فذكر منها تباعد مخارج حروفها، وذلك أن الحروف أصوات تجري من السمع مجرى الألوان

1- ينظر:ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء**،(ج01)،ص.15،نقلاً عن:الكواز، **البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد**، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، لبنان ،(د ط)،2006 م، ص.219.

2- العسكري،**الصناعتين**،تحقيق: البجاوي وإبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،(ط 1952م)،ص.87.

3- الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص.87-88.

من البصر. والألوان المتباعدة إذا احتمت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة، وجل كلام العرب مبني على التأليف من الحروف المتباعدة.

أما وجوه الحسن في تأليف الكلام ، مما يرجع إلى اللفظ أكثر مما يرجع إلى المعنى ؛ فقد جمع أهمها (قدامه بن جعفر) في قوله :« وأحسن البلاغة الترصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ ، وعكس ما نظم من بناء وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، و إيراد الأقسام موفورة بالتمام المقابلة ؛ وتصحيح لمعان تعاد له وصحة التقسيم ، باتفاق النظوم وتلخيص الأوصاف يتقي الخلاف ، والمبالغة في الوصف بتكرير الوصف وتكافؤ المعاني ، بالمقابلة والتوازي و إرداف اللواحق وتمثيل المعاني ، فهذه المعاني مما نحتاج إليه في بلاغة المنطق ؛ ولا يستغني عن معرفتها شاعر ولا خطيب ».[1]

إن تتبع آراء العلماء الأقدمين ،حول جدلية التعالق بين اللفظ والمعنى ؛ تعطينا صورة واضحة لما كان عليه هؤلاء من النضج المبكر في التفكير اللغوي؛ بما يعكسه من تقابل بين اللفظ وبين صورته الذهنية ؛ التي تطبع في ذهن المتكلم وأن تغير أحدهما يتبعه بالضرورة تغير الآخر، إذ أن من يرى شبحاً من بعيد واعتقده حجراً ؛ نطق بأنه رأى حجراً . فإذا دنا ذلك الشيء وتغير إلى طائر؛ نطق المشاهد بأنه طائر. فإذا دنا أكثر وتغير ذلك الطائر إلى إنسان؛ صرح المشاهـــــد بأن ذلك إنسان وهكذا دواليك.[2]

أما الذي استفاد مما قاله العلماء قبله ، في مسألة اللفظ والمعنى حق الاستفادة؛ فهو بحق (عبد القاهر الجرجاني)[3]، الذي استطاع أن يتعدى بمفهوم

1- قدامه،**جواهر الألفاظ**، ص.03- 08،نقلاً عن:غنيمي،**النقد الأدبي الحديث**،مرجع سابق ،ص.251.

2- ينظر :حول هذا الرأي ومخالفيه ورأي فريق ثالث يمثله الإمام البيضاوي ما أورده العماري ،في كتابه:**قضية اللفظ والمعنى**،مرجع سابق،بداية من الصفحة. 32.

3- يعتقد (الجرجاني) أن المتكلم يرتب المعاني في النفوس ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقه ،وأن الإنسان لا يستطع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه.يقول عن ذلك :الألفاظ سمات

اللفظ والمعنى؛ إلى ما هو أرحب من ذلك مثلما استفاد كذلك ممن سبقه من أقوال العلماء في النظم كوجهة نظر بلاغية ؛ تتبنى فكرة الإعجاز في القرآن فكان الجرجاني بذلك قد امتلك تصوراً كاملاً الأركا ن؛ لما يطلق عليه في العصر الحديث مقومات النظرية اللغوية.

استطاع (الجرجاني) من خلال تبنيه لوجهة نظر خاصة في اللفظ والمعنى،أن يتجاوز جدلية التعالق بين اللفظ والمعنى ، فيما خاض فيه العلماء قبله إلى آفاق جديدة تتعلق بالصياغة اللغوية في النص، فليس للكلمة المزية في ذاتها وإنما مزيتها فيما تعلق به من كلمات أُخَر« إذ لم يُقرْ من رجحوا المعنى على اللفظ؛ بل كان من أنصار الصياغة ، من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية ».[1]

بل لقد ردّ على اللفظيين رداً بيّناً على شبهاتهم ،وفساد ذوقهم في فهم الكلام فوصفهم بأوصاف شتى. يقول (الجرجاني) فيمن ظن أن الفصاحة والبلاغة للألفاظ :« وأعلم أنك كلما نظرت ، وجدت سبب الفساد واحداً ، وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الأوصاف التي تجري عليه ، كلها أوصافاً له في نفسه من حيث هو لفظ . وتركهم أن يميزوا بين ما كان وصفاً له في نفسه ، وبين ما كانوا قد اكسبوه إياه من أجل عرض في معناه..».[2]

لم يكن (الجرجاني) من أنصار اللفظ، وإلا لحدث مساس بقضية الإعجاز وفق ما يتصوره عن هذه القضية ؛ إذ « يرى (عبد القاهر) أن إعجاز القرآن،لا يتصور أن يكون في الألفاظ منفردة ،إذ هي مادة اللغة عامة وكانت معروفة لدى العرب، فلا يمكن أن يكون بها تحد لهم ،ثم إن الألفاظ المفردة لا يتصور أن يقع بينها تفاضل ، من حيث هي ألفاظ دون أن تدخل في تراكيب،

المعاني وأوضاع وضعت لتدل عليها فكيف يتصور أن تسبق المعني وأن تتقدمها في تصور النفس ؟ إن جاز ذلك جاز أن تكون أساسي الأشياء قد وضعت قبل أن عزمت الأشياء وقبل أن كانت..

1- غنيمي هلال،**النقد الأدبي الحديث** ،مرجع سابق ،ص.101.

2- الجرجاني،**دلائل الإعجاز**،مصدر سابق ،ص.399.

وكما لم يرض (عبد القاهر) بالرجوع إلى مجرد المعنى في تقويم الأديب ، لم يقنع كذلك بالوقوف عند حدود الألفاظ من حيث هي ألفاظ ؛ وإنما رمى إلى ربط الألفـاظ بدلالتها في السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية ».[1]

ثم هو يصرح في أكثر من موضع في كتابه (دلائل الإعجاز)،على أن الألفاظ تابعة للمعاني « و إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ،ولم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ؛بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها . و أن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق».[2]

وقد كان (الجرجاني) حريصاً على دعم آرائه النحوية والبلاغية ، بالعديد من الأمثلة والاستشهادات المتنوعة ، حتى تكون حجة الإقناع لديه مقبولة لدى القارئ. ففي صحة الملائمة بين اللفظ والمعنى يقول (الجرجاني):« ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة ،قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها ملاحة لا تجدها في الباقي. مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة (الجَسر) في قول أبي تمام :

لا يطع المرء أن يجثاب لجته بالقول ما لم يكن جَسراً له العمل

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم تَرَهَا تُنالُ إلا على جَسرٍ من التعب

فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الأول ثم تنظر إليها في قول (ربيعة الرَّقّيّ):

– قولي:نعم و نعم إن قلت واجبة قالت:عسى، وعسى جَسرٍ إلى نعم

فترى لها لطفاً وخِلابة وحسناً، ليس الفضل فيه بقليل ».[3]

1- المصدرالسابق، ص.262.

2- غنيمي،**النقد الأدبي الحديث** ، السابق، ص.44.

3- نفسه، ص.62.

ونخلص إلى تقديم تفسير اهتمام (الجرجاني) بثنائية اللفظ والمعنى على سواء، لنكتشف حرصه على ضمان سلامة الصياغة اللغوية ؛ التي تقدم أبهى صورة أدبية ممكنة، و لا يتأتى ذلك إلا من خلال تلاحم تام بين اللفظ ومعناه «ففي كلماعرضه ، لم يكن (الجرجان ي)، من أنصار الألفاظ من حيث هي كلم مفردة ، و ليس من أنصار المعاني التي هي أساس كل شيء بغض النظر عن تجانس الألفاظ و تلاحمها؛ و إنما من أنصار الصياغة من حيث دلالة الصياغة على جلاء الصورة الأدبية».[1] « كما لم يكن ممن يتأرجح بين اللفظ والمعنى بل هو ممن جمع بينهما، وسوّى بين خصائصهما وجعلهما شيئاً واحداً، يعتمد على الصياغة التي نضجت في بحوثه».[2]

ثالثاً:الصلة بين اللفظ والمعنى في الفكر اللغوي الغربي

لم تسلم قضية اللفظ والمعنى في الفكر النقدي الغربي ، من المجادلات والاختلافات على النحو الذي كانت عليه عند العرب قديماً، فقد أكد فريق منهم أن المعنى حينما يجول في النفس ، يكون معه لفظه ولا يمكن أن يتكون في الخاطر مجدداً. وممن يرى هذا الرأي (دي بونالد) أحد المفكرين الفرنسيين في القرن الثامن عشر الذي يقول: « أعطي الإنسان قوة النطق ، منذ أن سوى إنساناً، وضعت في عنقه منذ أن ترك الحركة الأولى، لهذا نخطيء عندما نقول إن الفكر سابق للكلمة ، الفكر ذاته كلمة والإنسان لا يفكر ، إلا لأنه كائن لاغ ، نحن نتحدث عن أنفسنا عندما نفكر بيننا وبين ذواتنا.في قرارتنا حوار لا ينقطع لأن في هذه القرارة ؛ فكر لا ينقطع والفكر تعبير وراء الشفتين الصامتين ، والفكر حديث باطني والحديث تفكير بصوت عال ».[3]

1- عبد العظيم إبراهيم،**خصائص التعبير القرآني** ، مكتبة وهبة،القاهرة ،(أطروحة دكتوراه)،(ج01) ، (ط01)، 1992م،ص.115.

2- نفسه،ص.116.

3- كمال الحاج،**فلسفة اللغة**، ص.27، نقلاً عن:العماري ، **قضية اللفظ والمعنى**، مرجع سابق،ص.26.

وثمة فريق من النقاد الغربيين ، يرى استحالة الفصل بين اللفظ والمعنى . ويعتقد بأن الأثر الأدبي كينونته؛ إنما تتأتى من كونه يمتلك القيمة الحقيقية من المحتوىوالشكل معاً . و ليس من أحدهما على حساب الآخر ، أن الاثنين متلاحمان لا ينفصلان ، فالتجانس بين المحتوى والشكل ، ليس من قبيل المصادفة، إنما هو جوهر الشعر ، وجوهر الإبداع في الشعر .فالقصيدة تنمو بالجسم والروح معاً حتى تكتمل خَلْقَاً متكاملاً».[1]

ويذهب بعض اللغويين الغربيين إلى أن « الأديب يفكر في المعنى أولاً ؛ أما الألفاظ فتبع له تأتي عند التفكير به ؛وتربت بحسب ترتيبه في النفس. فالفكرة إذا وصلت إلى نهايتها صاحت بكليتها ؛ وقد قال (نوديبه):(إن الكلمة ثمرة للفكرة؛ متى نضجت الفكر ة؛ سقطت كما تسقط الثمرة الناضجة ولكنها تسقط على كلمتها) وقال (جوبير):(عندما تصل الفكرة إلى تمامها تصيح بكلمتها)».[2]

1- ينظر العماري ،**قضية اللفظ والمعنى** ، مرجع سابق، ص.26.

2- عبد العظيم إبراهيم، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مرجع سابق، ص.112.

المبحث الثاني- حول نظرية النظم، وأسئلة التاريخ

توطئة

تُرى ما الذي استطاع أن يستمر في الوجود ، من نظرية النظم [1] العتيقة، وأن يفتتنا ويعجبنا حتى وقتنا الحاضر؟ نتساءل عما بقي يعيش فينا حتى اليوم من نظرية النظم التقليدية، بعدما يزيد على ألف عام من ظهورها..!.

إن أي تفكير حضاري، يرتبط بعدد من العلامات الفارقة في تاريخه ويعتبرها من المقدسات. و(الجرجاني) مكون أساس لتفكيرنا الحضاري اليوم، وقوته التي أثرت في اختياراتنا ، متأتية من حله الكبير لمعضلة الإعجاز ؛ التي ظلت قبله تتراوح بين الإعجاز الصوتي والقول بالصرفة حتى مجيئه.

أولاً :حول مهاد (نظم) في اللغة والاصطلاح:

أ/- مفهوم (نظم) في اللغة

عرف النقد العربي لاقديم مصطلحات نقدية كثيرة ، منبينها و أهمها مصطلح النظم، لاذي كان لويد تضاف رجهود عديد من العلماء عبر علاصور، وبشكل خاص ما بين القرنين الثالث و الخامس الهجريين؛ نإف ماجاء به (الجاحظ) من ضرورة تحقيق تطابق اللفظ والمعنى، كان ممهداً الطريق، لمن جاء بعده من النقاد اللاحقين.

بيد أن كلمة (نظم) كغيرها من ألفاظ اللغة ، قد ارتبطت في أول العهد بالدلالة على الأشياء الحسية؛ إذ كانت تستعمل فيما كان مجموعاً من تلك الأشياء،أو كان مفرقاً ثم صار مجمعاً أو مضموماً بعضه إلى بعض . كما تستعمل للدلالة على نهج جمعها وطريقة تأليفها ، و جرى على ذلك نظم اللؤلؤ وغيره، ثم تطور ذلك الاستعمال فأصبح يطلق مجازاً على تأليف المعقولات ، وطريقة نظمها وجاء على ذلك نظم الشعر وتأليف الكلام.

1- تشير بعض المراجع إلى أن إبراهيم بن يسار النظام كان أول من تحدث عن النظم وأنه اعتبر النظم والأسلوب و التأليف شيء واحد يقول إبراهيم : (أما التأليف والنظم والأسلوب فقد كان يجوز أن يَقدر عليه العباد لولا أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله).

فالمعنى المعجمي لكلمة (نظم) يدور حول معاني الجمع والضمِّ، والاتساق، والنظام، والتأليف. قال (الجوهري)(ت393هـ):نظمت اللؤلؤ: أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه:نظمت الشعر ، ونظمته، والنظام :الخيط الذي يُنْظَم به اللؤل ؤ، ونظم من لؤلؤ، وهو في الأصل مصدر.والانتظا م: الاتساق.[1]

كذلك، فإن النظم عند (الزمخشري)(ت538هـ) من نظمت الدر ونظمته، ودر منظوم ومنظم، وقد انتظم، وتنظَّم وتناظَم، وله نظم منه، ونظام ونظم، ومن المجاز: نظم الكلام، وهذا نظم حسن، وانتظم كلامُه وأمره، وليس لأمره نظام إذا لم تستقِمْ طريقتُه ..[2]

وقال (ابن منظور)(ت711هـ):« النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظماً ونظاماً ونظمه فانتظم وتنظمَ، ونظمت اللؤلؤ أي جمعتُه في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعرونظمته، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، و النظم:المنظوم: وصْفٌ بالمصدر،والنظم:ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما ..و النظام:الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ(..)، ونظم من لؤلؤ، قال: يقصد الجوهري: وهو في الأصل مصدر، والانتظام الاتساق..».[3]

ويقول (الفيومي)(ت 770 هـ): « نظمت الخرز نظماً من باب ضرب جـعلته في سلك، وهو النِّظَام بالكسر، ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقـام، وهو على نظام واحد، أي نهج غير مختلف، ونظمت الشعر نظماً».[4]

1-ينظر الجوهري، **الصحاح**، تحقيق:أحمدعطار، دار العلمللملايين، بيروت، (ج05)، (ط02)، 1979، ص.2041 .

2 - ينظر:**أساس البلاغة**:مادة (نَظَم)، كتاب الشعب، القاهرة،(د ط)،1960.ص.970.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة:(نَظَم)، (ج06)،مصدر سابق، ص4469.

4- الرافعي،**المصباح المنير** ،مادة:(نَظَم) المطبعةالأميرية،(ج02)،1909،ص945 -946.

والنظم عند (الفيروز آبادى)(ت817 هـ) هو« التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونِظَامًا نظمه:ألفه وجمعه في سلك فانتظم، والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه..».[1]

وجاء في المعجم الوسيط: « نظم الأشياء نَظماً: أ لفها، وضَم بعضـها إلى بعض، واللؤلؤ ونحوه جعله في سلك ونحوه، ويقال: نَظَمَ الخواص الخُوص: ضفره، و انتظم الشيء: تألفَ واتَّسَقَ، يقال: نظمه فانتظم، ويقال: انتظم أمره: استقام، والأشياء، جَمعها، وضم بعضَها إلى بعض، وتناظمتِ الأشياء تضامت وتلاصقت.. و يقال: نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف؛ صيغةً ولغةً، والنظيم:المنظوم، و من كلِّ شيء ما تناسقت أجزاؤه على نسقٍ واحد..».[2]

وجاء في معاجم اللغة أن النظم:« أصل يدل على تأليف شيء وغيره ، ونظم نظماً ونظاماً ونظم تنظيماً ؛ و النظم كواكب في السماء وهي من نجوم الجوزاء».[3]

فالمعنى اللغوي المشترك لكلمة (النَّظْم) كما اتضح، هو: الجمع، والتَّنظيم والتأليف، والتَّنسيق، أو هو ضمُّ الشيء إلى الشيء كما تُضَمُّ حَبَّاتُ اللؤلؤ والخرز بعضها إلى بعض في سلك ونحوه، و تُنَسَّقُ على نسق واحد.«والاختلاف في المعنى المراد التعبير عنه لابد أن يؤدي غلى الاختلاف في النظم ، فالنظم عملية فكرية لابد له من عمليتين أولاهما : ترتيب المعني في النفس، وثانيهما:ترتيب الألفاظ في النطق ».[4]

1-الفيروزآبادى،القاموسالمحيط،مادة:(نَظَمَ)،نشر مؤسسة الرسالة،بيروت،(ط02)،1987،ص.1500.

2 – معجم الوسيط، مادة:(نَظَم)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (ج02)، (ط03)، 1985، ص.971.

3 – ابن دريد ،جمهرة اللغة ،مادة(نظم)،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد ،الهند،(ط01)، 1914م.نقلاً عن:جمال الحاج علي،النظم القرآني سور يوسف (رسالة دكتوراه)،نابلس.2000م ،ص.07.

4 – فضل عباس. إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان الأردن، (د ط)1991 م، ص.71.

ومن خلال الاستعمال الذي جرت عليه الكلمة ، منذ مرحلة باكرة من حياة اللغة ؛ بزغت إرهاصات (مصطلح النظم) وهي تحمل بوادر مفهومه، ومجالات البحث فيه ؛ إذ تطلعت الكلمة في أول العهد بها ، بوصف الإنسان وكلامه على جهة التشبيه بنظم اللؤلؤ والدر، وقد شاع ذلك في شعر ما قبل الإسلام والمخضرمين وغيرهم كقول (عنترة بن شدَّاد) العبسي:

عُبيلة هذا در نظم نظمتـــــه و أنت له سلك و حسن ومبهج

وقول (معن بن أوس) المزني :

و كم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني.

ويروى عن (ابن عباس) رضي الله عنهما أنه قال: قدم (الوليد بن عتبة) المدينة فكأن وجهه ورقة مصحف، و كان منطقه نظم خرز، فلم يبق بها راجل إلا حمله ولا فقير إلا أعطاه.

أما عند اليونان فنوى (أرسطو) ، يعقد فصلاً في كتابه (فن الشعر)[1] يتحدث فيه عن أقسام الكلام، و الفروق بينأقسامها، والمقاطع والحروف والأصوات التي رآها ضرورية في البلاغة، و يتحدث في كتابه (الخطابة)[2]عن مراعاة التي رآها ضرورية في البلاغة، و يتحدث في كتابه (الخطابــة)[3]عن مراعـــاة الروابط بين الجمل والأسلوب، وحذف أدوات الوصل والتكرار.

أشار بعض الباحثين إلى اهتمام الهنود بهذه النظرية، و لا يوجد دليل على ذلك إلا ما ذكره الجاحظ عن الصحيفة الهندية، وما ذكره (البيروني) في تاريخ الهند و وصفه للمحاولات التي كانوا يقومون بها ، والتي تتصل بقضية الإعجاز.[4]

1- ينظر:أرسطو، **فن الشعر**،تحقيق:عبد الرحمن بدوي،مكتبة النهضة المعربة،القاهرة،(دط)،1953م،ص.55.

2- ينظر:أرسطو، **الخطابة**، تحقيق: بدوي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد،(د ط)،(د ت)، ص.185.

3- ينظر:أرسطو، **الخطابة**، تحقيق: بدوي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد،(د ط)،(د ت)، ص.185.

4- ينظر: خليل،**المدخل إلى دراسة البلاغة العربية**،دار النهضة العربية،بيروت،(دط)،1968م،ص.52.

ب/- حول مفهوم (نظم) في الاصطلاح

ولا يختلف المفهوم الاصطلاحي لكلمة (النظم) ، كثيرًا عن ذلك المعنى المعجمي، بل كان أساسًا لتلك الفكرة التي اتخذها العلماء وليجة للإعجاز القرآني، وقد شاع مصطلح (النظْم) عند أصحاب الإعجاز والمتكلِّمين وبخاصة الأشاعرة، بوصفه وجهًا من الوجوه التي يرد إليها الإعجاز القرآني، وظل يتردد هكذا في بحثهم عن الإعجاز، حتى صار نظريةً لها أصولها وعناصرها عند (عبد القاهر الجرجاني)، الذي جعل النظم في (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) دليلاً يُرد إليه الإعجاز القرآني، وملاكاً لكل سر من أسرار البلاغة في كل كلام طموح إلى ترقِّى ذروة الفصاحة واعتلاء درجات البيان.

ثانياً : حول نظرية النظم في التراث العربي قبل عبد القاهر الجرجاني توطئة

تعد نظرية النظم ربيبة الفكر اللغوي، الذي أحدثه القرآن في العقلية العربية؛ « وكانت بيئة اللغويين والنحاة ، هي المهاد الذي احتضن أصول ذلك الفكر وتعهده. ومن ثم كان في وسع المتأمل في نتاج البيئة ، أن يجد لفكرة النظم، روافد كانت تعني بالإشارة إلى بعض وجوه التراكيب وخواصها ، التي صارت فيما بعد من مقتضيات حسن النظم أو قبحه .غير أن هذه الوجوه لم تجر عند أصحابها تحت مصطلح (النظم) ؛ ولكنها كانت تأتي عندهم في معرض تعليل الظواهـــر اللغوية أو تفسيرها. وقد تضمن كتاب (سيبويه) جملة وافرة من روافد البحث البلاغي ونظرية النظم ».[1]

و اعتبر أحد الباحثين النظم « بوتقة تنصهر فيها الكلمات المفردة وتتداخل معانيها حتى تصير معنىً واحداً لا عدة معان، كما أنه المحور

1- أحمد سعد محمد ، **نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول معرفية**، مكتبةالآداب، القاهرة، (ط01)، 2009 م، ص.15.

الأساس الذي تدور حوله البلاغة ؛لأن الكلام وحدة شاملة يسند بعضها بعضاً فلو أزلت لفظاً عن مكانه، لهوى البناء كله من القمة إلى القاعدة ».[1]

لقد كان النظم شائعاً منذ القرن الثاني الهجري ومتداولاً بين العلماء « إما في متناولهم للقصد عن النحو ، وأنه ليس مقصوراً على حركات الإعراب ،بل يتعداه إلى تأليف الكلمات، وارتباط الجمل وإما في متناولهم لقضية اللفظ والمعنى التي يتوصل بها إلى إعجاز القرآن (..). لقد كان الطريق معبداً أمام(عبد ا لقاهر الجرجاني) مستهدياً فيه بآراء العلماء السابقين ، وقد تصرف وفق ذلك تصرفاً موازناً بين المحاكاة والابتكار».[2]

جاء القرن الخامس الهجري ولا تزال قضية الإعجاز القرآني تملأ على المسلمين حياتهم ، و تدفع العلماء إلى الخوض في البيان والبلاغة لإدراك الوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم. وقد كان من أقوى الشخصيات في هذا القرن (عبد القاهر الجرجاني)، الذي دافع عن قضية الإعجاز دفاعاً كبيراً، ومن أجلها استطاع أن يقيم نظرية النظم يثبت أركانها، والتي ظل بها إلى اليوم يستقطب الحديث عن نظرية النظم ، باعتبارها من أدق المقاييس النقدية ، التي خلفها لنا تراثنا النقدي إن لم يكن أدقها.

وقد حاول بعض الباحثين رد فكرة النظم ، إلى ما كتبه (أرسطو) في كتابه (فن الشعر) وذلك « عند حديثه عن الكلمة والفروق بينها والمقاطع والحروف والأصوات وغيرها من المسائل التي رآها ضرورية في البلاغة ، وما كتبه في المقالة الثالثة من كتاب(الخطابة)عن مراعاة الروابط بين الجمل والأسلوب المفصل والأسلوب المقطع، وحذف أدوات الوصل والتكرار وحاول آخرون ربطها بالهنود ، فيذكرون أنهم عنوا بنظرية النظم عناية كبيرة ، بلغت

1-غريب علام،**دراسات في البلاغة العربية**،منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، (ط01)، 1997 م، مقدمة المرجع،ص.03.

2- عبد القادر حسين ، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، (د ط)،(د ت)،ص.378.

حداً من الدقة والاستقصاء لا يقل عما وصل إليه النقاد في الحضارات الأخرى». [1]

وفكرة التسليم بأن نظرية النظم، قد بزغت في حقل البلاغة القرآنية هكذا دون جذور أو روافد ، هي فكرة يجانبها الصواب ذلك أنها ظلت تتعهدها ، بالإشارة حيناً وبالتأمل حيناً آخر ؛ حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من النضج والاكتمال. لقد كثر الحديث عن النظم ومفهومه في البلاغة العربية قبل الشيـــخ (عبد القاهر الجرجاني)، وظهرت تصورات تعتمد على الأحكام العامة،لا تتسم بوضع قواعد علمية للنظم. وتمثل ذلك في عدم الفصل بين علمي المعاني والبيان قبل عمل الشيخ، وهو ما يعني اختلاط المفهوم الموضوعي، للنظم مع المفهوم الخيالي أو التعبيري للغة. أما فيما بعد أعمال الشيخ، فقد بدأ علم النظم في الاستقرار في البلاغة العربية باعتباره علماً مستقلاً تحت اسم علم (المعاني). و انتهت بشكل تام مشكلة الإعجاز اللغوي،في القرآن الكريم على ما انتهي إليه الشيخ.

وتهدينا الإجابة عن أسئلة التاريخ في هذا الشأن ، إلى أن لنظرية النظم جذوراً و روافد متشعبة في التراث العربي يتصل بعضها بالتصور الأدبي والنقدي واللغوي الذي كان يوجه حياة العربية وآدابها ، منذ مرحلة باكرة من تاريخ الاهتمام بها، ويتصل بعضها الآخر بالتصور المذهبي ، الذي اصطبغت به العربية منذ ظهور الإسلام ودخول العرب وغيرهم تحت لوائه.

و المتتبع لفكرة النظم وتجلياتها قبل (عبد القاهر الجرجاني)؛ يـدرك أن ثمة بوادر كانت تعنى بالإشارة إلى بعض وجوه التراكيب ، وخواصها التي صارت فيما بعد من مقتضيات حسن النظم أو قبحه . إلا أن هذه الوجوه عند أصحابها لم تجر تحت مصطلح النظم ولكنها تعرض عندهم كغيرها ومثل باقي العلوم الأخرى؛ فإن الحقول المعرفية لم توجد مشكلة بخصائصها ومناهجها

1-أحمد سيد عمار ،**نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم** ،دار الفكر،بيروت،(ط01)،1998 م،ص.124.

المميزة وإنما تشكلت وفق تصورات عديدة عبر مراحل زمنية متباعدة حتى اكتملت محتوياتها العلمية ومناهجها الدقيقة .

و نظرية النظم- شأنها شأن باقي النظريات الأخرى- لم تولد من فراغ ولم توجد هكذا فجأة دون إشارات و إرهاصات تهيّئ لها ، ودون محاولات ومقدمات تمهّد لها ، فلا يُعقل أن يصل الأمر بهذه النظرية إلى مثل هذا النضوج وهذا التكامل والوضوح هكذا بين عشية وضحاها ، بل لا بد وأنّها نتاج تراكم معرفي كبير وتواصل علمي طويل.

وهذه الحقيقة قرّرها وتبناها ،جلّ من تناول نظرية النظم بالدراسة والتحليل.. وسنحاول بدورنا من خلال هذا المبحث الوقوف على حقيقة هذه المسألة لا بمجرد الإتباع و التقليد وتكرير ما قيل وتجرير الأقاويل فقط..ولكن بالبحث في حقيقة هذه الأسبقية..« (..) حتى لكأنه يمكننا القول أن (الجرجاني) لم يضف شيئاً جديداً إلى مفهوم النظم ، و لكنه بالمقابل جعل من هذا المفهوم إطاراً عاماً، تدور حوله البلاغة كلها بأبوابها وفصولها وأقسامها (..) فقد عدت البلاغة عنده هي النظم، وسواء أكان النظم حافلاً بالمجازات أو عارياً منها فإن ذلك لا يكون سبباً في حسن الكلام أو قبحه ، وإنما الحسن والقبح إلى النظم وتركيب الكلام وائتلاف بعضه مع بعض أو على حد قوله توخي معاني النحو».[1]

وفي سبيل التوصل إلى حقيقة مفادها أن (الجرجاني)؛ إنما أقام نظريته في النظم على ،أساس وجهد العديد من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه. فإنه لا مناص من الإشارة إلى هؤلاء الأعلام ،الذين كان لهم قصب السبق في اكتشاف وتداول مصطلح نظم:

---

1 - حاتم الضامن،**اثر النحاة في البحث البلاغي**، مرجع سابق، ص.374.

01/-آراء ومواقف العلماء من مفهوم النظم:

أ/-ابن المقفع (ت 142هـ) وكلام في النظم

لعل من أقدم الإشارات التي أوحت بوجود صياغة معينة للكلام ،هي تلك التي تنسب إلى (ابن المقفع) التي يقول فيها :« فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواقفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب نصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً و أكاليل ، وضع شبهه وما يزيده بذلك إلى كل لون شبهه فسمي بذلك صائغاً رقيقاً كصياغة الذهب والفضة: صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية ، و كالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً ، فصار ذلك شفاءً وطعاماً وشراباً منسوباً إليها ، مذكوراً به أمرها وصنعتها. فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه، فلا يعجبن إعجاب المخترع المبتدع فإنه إنما اجتناه كما وصفنا».[1]

ب/-سيبويه (ت180هـ) ومفهوم النظم

لا ريب أن مصطلح النظم لم يرد في كتاب (سيبويه)؛غير أن (سيبويه) أشار إلى كلمة التأليف ، التي هي مرادفة لكلمة نظم ولم يتعد مفهومها تأليف الجملة الواحدة، إلى الجمل بعضها مع بعض، ويتضح ذلك مما ذكره في باب (أسماء القبائل الأحياء، وما يضاف إلى الأب والأم) حيث يقول: « فإن قلت : هذه تميم وهذه أسد ، فإنك تريد ذلك المعنى غير أنك إذا حذفت المضاف تخفيفاً كما قال الله تعالى:﴿ و أسأل القرية ﴾[2]، فأنت لم تغير ذلك المعنى وذلك التأليف إلا أنت حذفت».[3] يقول (أحمد سعد) في ذلك :« إن مقصود (سيبويه)

1- ابن المقفع، **الأدب الصغير**.نقلاً عن:الضامن،**نظرية النظم تاريخ وتطور**، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،(د ط)، 1979م، ص.07.

2- سورة يوسف ، الآية:82.

3- سيبوي،**الكتاب**، تحقيق :هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة،(ط 02)،(ج 03)،(د ت)، ص.247.

من كلمة التأليف، الجملة انطلاقاً من متجهه النحوي ، الذي لم يكن يعني إلا بتركيب الجملة وحدها دون تركيب الجملة من الجمل الأخرى ».[1]

ثم هو يقول في موضع آخر: « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن ومحال، و مستقيم كذب و مستقيم قبيح وماهو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك: آتيتك أمس وسآتيك غداً وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول :آتيتك غداً وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك:حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذا ، و أما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس ».[2]

ث/-الجاحظ (ت 255 هـ)

عمد (الجاحظ) إلى أسلوب جديد ومبتكر، بالنظر إلى تطور الحس النقدي في ذلك العهد، أسلوب المقارنة والتمثيل بين مادتي اللغة العربية قبل الإسلام من جهة، ولغة القرآن الكريم ثانية، فمهد لملامح نظرية جادة متكاملة.

ولقد أشار إلى معنى النظم ، من خلال مؤلفاته إذ أن إحساس (الجاحظ) العميق، بروعة النظم وما يكسبه الكلام من الرونق والحيوية ، جعله يؤمن أن إعجاز القرآن في نظمه. و المتأمل فيما أشار إليه (الجاحظ)،حول مفهوم النظم سيدرك أن ذلك يرجع إلى تصور واضح وقواعد منضبطة؛لا تخل بالموضوع المطروح، ولا تخلط بين الأجناس.

ومن بين ما وضعه (الجاحظ) في هذا المجال: اعتبار فصاحة الألفاظ، في مقابل الرأي الذي يرى أن الفصاحة صفة للألفاظ. و يفرق بينها وبين البلاغة التي من شأنها التعلق بالنظم كله، من حيث حسن إفادته للمعنى، على عكس الألفاظ التي يراعي فيها حسنها الذاتي و وقعها على الأسماع.

1- أحمد سعد ،**الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي** ، مكتبة الآداب،القاهرة،(ط01)،(د ت)،ص.229.

2- سيبويه ،**الكتاب**،مصدر سابق،ص.25 .

ولم يقف (الجاحظ) عند هذا الخط ، في رسم ملامح نظرية النظم المؤكدة للإعجاز القرآني؛ بل عمد إلى استكناه أسرار النص وبالغ، عبر ما يعرف باصطلاح معنى المعنى؛ فالمعنى الأول يناسب العامي والمخاطب البسيط، أما القارئ الحاذق ، و من استجمع مكنة الاجتهاد فعليه بالمعاني الثانية.[1]

ج/- ابن قتيبة (ت 276 هـ)

كان (ابن قتيبة) يرى أن النظم ؛ هو ضم الألفاظ بعضها على بعض وتآلفاً بين المعاني فتسير معاً في سلاسة وعذوبة. و يوضح جوانب ذلك الإعجاز في التأليف والنظم ؛ و يخلص إلى أن فكرة النظم في الإعجاز إنما تقوم على أمور خاصة تتمثل في أن« النظم بمعنى سبك الألفاظ ،وضم بعضها على بعض في تأليف دقيق بينها وبين المعاني ؛ لا تعثر ولا حوش في اللفظ ولا زيادة أو فضول، كما يرى النظم النغم والموسيقى، ويشمل الإيقاع الداخلي للآيات، وهو الذي ينجم من تآلف الحروف في النغم.

والقرآن بما جمع من هذه الصفات وصفات أخرى ، يفوق كل أثر بياني للعرب. وبما جمع من المعاني وضروب العلم . و هو خزانة تمد الإسلام والمسلمين، وتجمع زبدة الشرائع الإسلامية. و ما جمع من دلائل الألوهية ومظاهرها المختلفة ، في الكون مما أعطى بيانه قوة روحية وكان عبرة للمؤمن».[2]

ح/- محمد بن زيد الواسطي (ت 306 هـ)

ينسب إلى (الواسطي) الأديب المتكلم ، كتاباً ألفه في حديث مطول عن إعجاز القرآن من جهة البيان ومما جاء فيه قوله: (إن القرآن معجز باللفظ) ويشير (الرافعي) إلى أن كتاب (الواسطي) مفقود إلا أن (الجرجاني)، قام بشرحه شرحاً كبيراً في كتاب لهسماه (المعتضد) وذلك قبل أن يضع كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) . و يعقب (الرافعي) على ذلك معتقداً بأن

1- ينظر :الجاحظ،**البيان و التبيين**،المصدر سابق ،ص.76.

2 - زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، مكتبة الشباب،القاهرة، (ط01)،(د ت)،ص.108.

كتاب (الواسطي) إنما كان من نسج خيال (الجاحظ) تماماً مثلما كان كتاب (الجرجاني) من نسج خيال (الواسطي).[1]

خ/- الطبري المفسر(ت 310 هـ)

أما (الطبري) فعنده أن الإعجاز في القرآن ؛ قائم على أمور عدة منها هدفه الإصلاحي، وتحقيقه هذا الهدف و أوامره و نواهيه، و إخباره عن الجنة والنار وأسلوبه الرائع، برغم أمية النبي عليه الصلاة و السلام « عندما حاولت تقليده – أي القرآن– و أطلعت على مدلول كلماته؛ علمت أن أتباع القرآن على حق فيما يدعونه له؛ لأني لم أطلع على كتاب يأمر بخير وينهى عن شر ، ويقدم شريعة الله و العقيدة في النبوة و إلهام الرغبة في الجنة والبعد عن النار كالقرآن؛ فعندما يحمل لنا شخص كتاباً ويحمل نفس المميزات و يوحي إلينا بهذه الطلاوة و هذه الروعة في القلوب ، ويجوز مثل هذا النجاح. و يكون بنفس الوقت أمياً لم يتعلم أبداً فن الكتابة والبلاغة ، فهذا الكتاب يكون بلا شك إحدى علامات نبوته».[2]

د/- الرماني (ت 386 هـ)

ومن الذين قالوا كذلك بالنظم ، نجد (الرماني) و ذلك أثناء حديثه عن التلاؤم؛ فإنه يقصد به حسن النظم وجودة السبك حتى يحلو في السمع ، ويخفف على إلى جهات سبع هي« ترك المعارضة مع توفر الدواعي ، وشدة الحاجة، والتحدي اللسان.[3] ثم هو يقرر من ناحية أخرى ، أن وجوه الإعجاز في القرآن إنما مردها للكافة، و الصَّرفة والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة ،وقيامه بكل معجزة ».[4]

---

1 - ينظر:نعيم الحمصي،**فكرة إعجاز القرآن**، مرجع سابق ، ص. 62.

2 - الطبري، **الدينوالدولة**، ص.40 نقلاً عن:نعيم الحمصي،**فكرة إعجاز القرآن**، مرجع سابق،ص.57.

3- ينظر:**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني** ، تحقيق وتعليق:خلف الله وزغلول ، دار المعارف،القاهرة ،(ط 03)،بداية من الصفحة.88.

4 - نفسه ، ص.75.

ذ/- الخطابي (ت 388 هـ)

أما (أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي)، فقد كـــان يرى أن القرآن معجز وفق مستويات لغوية ثلاث هي الألفاظ والمعاني والنظوم أي أن القرآن معجز بمفرد ألفاظه ، التي يتركب منها الكلام ومعانيه ونظمه. وهوعنده – أي النظم – ليس سهلاً ميسوراً وإنما يحتاج إلى ثقافة ومهارة يقول في هذا الصدد: «و أما رسوم النظم ، فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر ؛لأنها لجام الألفاظ وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه مع بعض ، فتقوم له صورة في النفس يشكل بها البيان».[1]

ر/- أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)

ومن الأعلام البارزين الذين أدلوا بدلوهم في قضية الإعجاز ، وعلاقتها بالنظم نجد (أبوهلال العسكري) وذلك من خلال كتابه (الصناعتين) في البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك يقول:« فحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها ، وتمكن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يعمى المعنى وتضم كل لفظة إلى شكلها تضاف إلى لفقها، وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره عنها ، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها».[2]

ويرى (العسكري) أن صفة المعاظلة [3]، من الصفات التي تشين بالنظم«لأن المعاظلة في أصل الكلام ، إنما هي ركوب الشيء بعضه بعضاً ؛

1- ينظر:المرجع نفسه، بداية من الصفحة.21.

2- العسكري، **الصناعتين**، (ط01)، 1898م، ص.120.نقلاًعن:حاتمالضامن، **نظرية النظم تاريخوتطور**، مرجعسابق،ص.19.

3- **المعاظلة**:وهي المخصوصة بالذكر ههنا ،في باب صناعة الألفاظ وحقيقتها مأخوذة من قولهم : تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى. فسمي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه، معاظلة.

وسمي الكلام به إذا لم ينضد نضداً مستوياً ، وأركب بعض ألفاظه رقاب بعض ، وتداخلت أجزاؤه تشبيهاً بتعاظل الكلاب والجراد».[1]

ز/- الباقلاني(ت403 هـ)

أما (الباقلاني) فيرى أن القرآن معجز بنظمه ، غير أن تعليلاته تباعد بينه وبين فكر (الجرجاني) عن النظم . يقول:« لقد كان القرآن معجزاً لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم ، المعتادة في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم ».[2] ويقول كذلك:« ومن أدّعى ذلك لم يكن له بد ، من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ؛ لأن قوماً من كفار قريش ادّعوا أنه شعر».[3]

س/- القاضي عبد الجبار (ت415 ه)

أما (القاضي عبد الجبار) فقد وضع مفهوم النظم« بأنه الضم وعلى طريقة مخصوصة ؛ و لابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع لأنه ؛ إما أن تعتبر فيه الكلمة أوموقعها ولابد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض ، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر فرية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها ».[4]

وبهذا يكون القاضي (عبد الجبار) قد رسم معالم فكرة النظم القرآني ، إذ وضَّح أن النظم هو الضم بطريقة مخصوصة ؛ و لكن الضم مقيد بشرط وهو أن يكون للكلمة صفة من صفات ثلاث؛ تظهر ما في الكلام من فصاحة فالكلمة في حال نظمها ينظر إليها من جوانب ثلاثة :« مفهومها في ذاتها(المواضعة) ،

---

1 - المصدر السابق، ص.122.

2- الباقلاني **إعجاز القرآن**، تحقيق:سيد أحمد صقر دار المعارف،القاهرة، (ط05)، (د ت)، ص.75.

3 - نفسه، ص.75.

4 - عبد الجبار المعتزلي ، **المغني في أبواب التوحيد والعدل** .تحقيق: أمين الخولي،دار الكتب،الجمهورية المتحدة (ج 16)،1960م،ص. 199.

فلكل كلمة معناها الخاص الذي يفرقها عن غيرهامن مرادفاتها ، ففي اختيار اللفظ المناسب للمعنى ، يظهر جمال النظم مزية الفصاحة. وحركات الإعراب فقد يظهر حسن الكلمة إذا أسندت في موضع معين،وقد تفقد هذا الحسن والبهاء إن هي خدمت نفس المعنى ، و لكنها جاءت مضافة في موضع آخر على سبيل المثال». [1]

ذلك ما كانت عليه لفظة (النظم) قبل (عبد القاهر الجرجاني)؛ فقد كانت شائعة منذ القرن الثاني الهجري، ولكن ليس بفكرة واضحة إلا ما كان من كلام (القاضي عبد الجبار) الذي ربط الفصاحة بالنظم، و بنى عليها رأيه في إعجاز القرآن الكريم ففكرة النظم إذن قد أخذت طريقها المحدد على يد العالم (القاضي عبد الجبار)، قبل أن تصل إلى ذروة الاكتمال علي يد العالم (عبد القاهر الجرجاني).

1 – المصدر السابق، ص.199.

المبحث الثالث-حول المنحى الفني في نظرية النظم، وأدبية الإعجاز

توطئة

لقد بدأ الكلام في الإعجاز في القرن الثالث الهجري بصورة منظمة ، إذ كان هذا العهد عهد ترجمة ، واتصال بالثقافات الأجنبية ولا سيما اليونانية.

وقد كانت قضية الإعجاز هي قضية جزء من قضية كبرى ، هي قضية اللفظ والمعنى ذلك أن هذه الأخيرة ، تبحث في اللفظ والمعنى وتفاضل بينهما في كلأثر أدبي ، سواء أكان شعراً أم نثراً وسواء أكان رسالة أم مقامة أم مقالة أم قصة.

وإذا كانت قضية الإعجاز جزءاً من قضية اللفظ والمعنى ، فإنها في الحقيقة وفي واقع تاريخ البلاغة العربية ، أقوى دافع إلى البحث في وجوه البلاغة وأهم باعث على تدوينها ، بل كانت قضية الإعجاز السبب الأول والأهم، في تدوين مسائل البلاغة بعامة.

أولاً: مفهوم الإعجاز من حيث اللغة و الاصطلاح:

أ/-من حيث اللغة

العجز لغة:الضعف، وأصله التأخر عن الشيء وهو ضد القدرة. وأعجزه الشيء فاته؛ وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته جعلته عاجزاً . جاء في القرآن الكريم:﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ .[1]ومصدر أعجز الإعجاز ومنها اشتقت كلمة معجزة وهي اسم الفاعل منه ، لحقته تاء التأنيث وواحده معجزات الأنبياء التي تؤيد بها نبؤاتهم .

1- سورة العنكبوت، الآية:22.

ب/- من حيث الاصطلاح

وفي الاصطلاح: يعرف العلماء المعجزة فـي كتبهم بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي و سالم من المعارضة.فيتضح مما سبق أن إعجاز القرآن ، هو كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس لها.[1]

ثانياً: تاريخ و مراحل نشأة فكر إعجاز القرآن

حظيت قضية إعجاز القرآن من علماء البلاغة ، بجهود مضنية واقتضتهم بحوثاً إضافية ، وشاقة. وأطالت بينهم الجدل والخصومة وشعبت الآراء والمذاهب؛ وفتحت آفاقاً واسعة من المعرفة وهدتهم إلى ثواقب من الآراء والأفكار. وقد كانت قضية الإعجاز في جزء من جوانبها ، أو قل كل جوانبها ترجع إلى مسألة اللفظ والمعنى.

والقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة ،الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية، فهو الدافع الرئيسي لحفز الهمم وشحذ الأذهان ؛ للبحث والتحري والاستقصاء، فبفضله توسعت المدارك وتفجرت العلوم الهادفة إلى خدمته قصد استكشاف تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان بحق النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية.

والدارس لمختلف أشكال الثقافة العربية الإسلامية؛ منذ إرهاصاتها الأولى يلاحظ أن العلوم الإسلامية؛ جميعها لغوية وشرعية « على ما بينها من تفاوت واختلاف في التناول والأداء، و في عرض الظواهر وتحليلها، وفي استعمال الأدوات والمصطلحات وضبطها وتحديدها،قد جعلت النص القرآني محط اهتمامها ومنطلقاً لدراساتها ».[2]

1- ينظر :**نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن** ،دار مؤسسة الرسالة ،بيروت،(ط02)،1980م، بداية من الصفحة.07.

2- محمد المالكي ، **دراسات الطبري للمعنى من خلال تفسيره** ، منشورات وزارة الأوقاف ، مطبعة فضالة، المغرب، 1996م،ص.21.

فما من علم إلا وكان القرآن الكريم المحور الذي يتحرك حوله وبوحي منه،سعياً إلى فهم نصوصه والتعبير عن حقائقه، فالنحوي ينظر إلى القـــرآن من جهة ما تضمنه من قواعد النحو ، ومسائله وأصوله وفروعه و خلافاته، واللغوي ينظر إليه من جهة ما تضمنه من لغات العرب، والفقيه ينظر إليه من جهة ما تضمنه من أمور فقهية كالطهارة والصلاة و الزكاة وأحكامها، والبلاغي ينظر إليه من جهة ما تضمنه من أساليب بلاغية ؛ كالحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية والتورية والاستعارة .

والحديث عن إعجاز القرآن – كما يقرر بعض العلماء – إنما يسلك اتجاهين بارزين :« الجانب التاريخي والجانب الموضوعي ، و نعني بالجانب التاريخي تلك المقدمات والوقائع الدالة على وقوع التحدي بالقرآن في التاريخ ، و معنى هذا التحدي ومعنى لزومه في أعناق العالمين إلى يوم الدين. كل ذلك من خلال الوقائع التاريخية الثابتة ذاتها.أما الجانب الثاني وهو الجانب الموضوعي، فنريد به الوجه أو الوجوه التي صار بها القرآن معجزاً حتى انفصل من جنس كلام العرب أجمعين ، و حتى لزمهم وسائر العالمين ذلك العجز».[1]

وغني عن القول أن علماءنا القدامى ؛ كانوا موسوعي الثقافة والفكر، إذ كان الواحد منهم على معرفة واسعة باللغة والنحو والبلاغة والتفسير، ولعل وحدة الثقافة العربية الإسلامية في تنوعها، قد خلقت في علمائنا ميزة« الشمول الواعي البادي في المد الأفقي لدى العالم المسلم ، والتخصص البصير بدقائق العلم البادي في التدبر الرأسي لدى ذلك العالم ».[2]

وقد انعكس هذا التعدد والتنوع المعرفي على كتاباتهم ودراساتهم، فامتازت بخاصية الوحدة في التنوع: تنوع في مادة العلم وموضوعه، ووحدة

1- عدنان زرزور،**علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**،دار الأعلام، عمان،(ط01)،2005 م ،ص.461.

2-محمود سعد الله،**دلالة الألفاظ عند الأصوليين**، مطبعة الأمان القاهرة،(ط01)،1987م،ص.04.

في الغاية والمنهج، ومن ثم يجب أن تكون قراءتنا لمصنفات هؤلاء العلماء على أساس موسوعي، وأن نراعي ذلك الترابط بين الاختصاصات في ثقافة علمائنا القدامى، وأن نراعي كذلك انتماءاتهم السياسية ، والمذهبية باعتبار أن الثقافة العربية الإسلامية « لم تكن في يوم من الأيام مستقلة ولا متعالية عن الصراعات السياسية والاجتماعية، بل لقد كانت باستمرار الساحة الرئيسة التي تجري فيها هذه الصراعات».[1]

لقد قامت حول فكر الإعجاز دراسات كثيرة؛ قديمة وحديثة وذهب المفسرون وعلماء البلاغة في تفسير هذا الإعجاز مذاهب شتىو« إذا كان من البين أن الإعجاز الذي وقع به التحدي كان وجهه بيانياً صرفاً ؛ فإن بعضهم لا يمنع من الحديث عن الإعجاز الغيبي بمعنى ما أشار إليه القرآن من أمور على أنها ستقع في المستقبل ، وعن الإعجاز العلمي أي ما أشار إليه القرآن ، من علوم ومعارف كونية ، وعن الإعجاز التشريعي أي ما جاء به القرآن من أحكام وشريعة إنسانية متكاملة تصلح لكل زمان ومكان».[2]

ومهما يكن من أمر في شأن الاختلاف حول حقيقة الإعجاز ، بين قول بالصَّرفة وقول بالنظم ؛ فإن الأساس الذي قام عليه هذا الاختلاف لا يعدو أن يكون أحد أمرين؛ أولهما: بعد ديني وهو الإعجاز وثانيهما: بعد عقلي أو علمي وهو التعبير اللغوي؛ « فإذا اعتمدنا في مقاربتها على الجانب الإيماني فقط أي على الاعتقاد في الإعجاز بناءً على الإيمان بقدسية النص القرآني كان ذلك بمثابة تناول ديني لقضية عقلية هي جودة التعبير اللغوي، أما إذا اعتمدنا في مقاربتها على الجانب العقلي فقط ، و على أن اللغة لها قواعد إنسانية محددة تضبطفي القرآن ، والقضية بهذا الشكل تمثل قضية دينية عقلية ، أي قضية مشتركة بين أسلوب التعبير، يكون ذلك بمثابة تناول عقلي لقضية دينية هي

1- عابد الجابري.**تكوين العقل العربي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،(ط02)،1985م، ص.6-7.

2- زرزور ، مرجع سابق ،ص.475.

الإعجاز اللغوي، مجالين من مجالات الفكر الإنساني هما مجال الفكـــر الديني والفكر العقلي».[1]

ويبدو أن قضية إعجاز القرآن ببعديْها: الكلامي والبلاغي قد استقطبت اهتمام علماء الكلام؛ لا يحدوهم في ذلك الدفاع عن العقيدة الإسلامية وحسب، بل كذلك ترسيـــخ الكيـــان الإسلامي في مواجهة ، التحديات والعقائد السابقة والمذاهب الوافدة. وفي مجال إثبات حقيقة الإعجاز في القرآن ، تكاملت النظرية و أخذت حيزها في العقيدة والفن .

بيد أن المتتبع للقضايا التي عالجت قضية الفكر الإعجازي ، لا شك أنه سيقف على مراحل ومحطات تاريخية بارزة ، كانت بمثابة العنوان الذي أرّخ للدراسات الإعجازية. و هي على النحو التالي:

أ/- خلال القرن الثالث الهجري

تميزت هذه الفترة ببروز جملة من الآراء ، حول الفكر الإعجازي على يد مجموعة من العلماء أبرزهم :

- (الجاحظ): كان (الجاحظ) معتزلي ، و من أئمة البيان وقد وضع كتاباً في إعجاز القرآن من جهة النظم والأسلوب سماه (نظم القرآن) وذكر (الجاحظ) قولين في الإعجاز القول الأول بالصرفة و القول بإعجاز الأسلوب فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه (النظام) و بالثاني حين استقل بنفسه أو أنه جمع بين الرأيين معاً ، و هو يورد كلا الرأيين في كتابه (الحيوان).[2]

لقد كان (الجاحظ) يؤمن بأن القرآن معجز بنظمه ، وما فيه من بلاغة تأسر القلوب ولم يوافق أستاذه (النظّام) على مذهبه القائل بالصّرفة بل رأى أن القرآن معجز بذاته يقول: « و لو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم

1- سمير أبو زيد،**التجديد الديني عند عبد القاهر الجرجاني**،(مقال)، مجلة كلية دار العلوم (**مجلة الكترونية**)(د ت)،ص.175.

2 - ينظر:الحمصي.**فكرة إعجاز القرآن من عصر النبوة إلى عصرنا الحالي**، مرجع سابق،ص.56.

وبلغائهم سورة قصيرة لتبين في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها». [1] يقول كذلك «فلم يبقى له رأي – أي للدهري الذي لا يقول بالتوحيد – إلا أن يسأل عن الأصل الذي دعا إلى التوحيد و إلى تثبيت الرسل في كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق في نظمه الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل، التي جاء بها من جاء فيه». [2]

ولقد جعل (الجاحظ) « النظم أصنافاً من القصيد والرجز المزدوج والمتجانس والأسجاع والمنثور ورغم الاختلافبين (عبد القاهر) و(الجاحظ)، فإن (عبد القاهر) اتخذ من أعماله دليلاً على صدق نظريته ». [3]

ب/-خلال القرن الرابع الهجري

شهدت هذا الفترة لفيفاً من العلماء تشكلت لديهم فكرة الإعجاز من منطلق قناعاتهم الفكرية والمذهبية وحتى السياسية وكان منهم :

– **(الرماني):** و أما الرماني فيذهب إلى أن حسن البيان على مراتب فأعلاها ما اكتملت فيه البلاغة من جمال التعبير وروعة الأداء وكأنما يلتقي عنده حسن البيان بما سماه التلاؤم مما يجمع في أسلوبه بين جمال التأليف وأحكام التعبير وجودة اللفظ و صفائه و استواء تقاسيمه. [4] وقد أشار (ابن سنان الخفاجي) في كتابه سر الفصاحة إلى رأي الرماني في الأعجاز ، معتقداً أن الرماني جعل مراتب الكلام في تأليفه ثلاثاً: متنافراً ومتلائماً في الطبقة الوسطى، ومتلائماً في الطبقة العليا ، والقرآن متلائم في الطبقة العليا ، و ذلك

1- الجرجاني ،**دلائل الإعجاز**،مصدر سابق، ص.08.

2 - الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق،ص.31.

3 - درويش الجندي،**النظم القرآني في كشاف الزمخشري**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة،(د ط)،1962 م، القاهرة،ص.08.

4- ينظر: شوقي ضيف،**البلاغة تطور و تاريخ**، دار المعارف، مصر،(ط09)،(د ت) ص.107.

بيّن لمن تأمله والفرق بينه وبين غيره من الكلام ، في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى.[1]

- (الخطابي) : يعتبر (الخطابي) ممن جمع بين الكلام في البلاغة وعلم الكلام وقد ألف كتاباً في الإعجاز جاء فيه :« ذهب الأكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة ، لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه إلى حكم الذوق» ثم يقول:« قد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس وهو صنيعه في القلوب و تأثير ه في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً ؛ إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة، في حال ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه..».[2]

ج- خلال القرن الخامس الهجري

ومع مطلع القرن الخامس الهجري تبلورت فكرة الإعجاز ، بشكل واضحعند مجموعة كبيرة أخرى من العلماء،نتيجة استفادتهم من دراسات العلماء الذين سبقوهم و كان من بين هؤلاء:

- (الباقلاني): أما (الباقلاني) ففي بيان وجوه الإعجاز القرآني ، فهو يردها إلى ثلاثة أوجه : تضمينه الأخبار عن الغيوب ، و ما فيه من القصص الديني،وسير الأنبياء مما روته الكتب السماوية،على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ثم بلاغته . ويجمل هنا نظريته في إعجاز القرآن البلاغي، فيقول:« إنه بديع النظم عجيباً لتأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه».[3]

---

1 - ينظر:نعيم الحمصي، مرجع سابق، بداية من الصفحة:62.

2 - الخطابي، **بيانإعجاز القرآن**، شرح وتعليق عبد الله الصديق ،(ط01)، 1953، ص 15-17.نقلاً عن:نعيم الحمصي ،**فكرة إعجاز القرآن الكريم** ،ص.65.

3 - الباقلاني،**إعجاز القرآن**،تحقيق:السيد أحمد صقر،دار المعارف بمصر،(د ط)،(د ت)،ص.48.

- المبحث الرابع- مفهوم السياق في التراث العربي ، والفكر اللغوي الغربي.

I. السياق في التراث العربي:

توطئة

لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب ، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه ، وقالوا عبارتهم المشهورة الموجزة الدالة (لكل مقام مقال) كم أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، و« ربما اتحد المدلول واختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقاً لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه». [1] كما أن لـــ(سياق الحال) أو(المقام) في(الدرس الدلالي) فوائد منها:« الوقوف على المعنى وتحديد دلالة الكلمات، و إفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، و رد المفهوم الخاطئ.. وغيرها». [2]

1- حماسة عبد اللطيف ، **النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحويالدلالي** ، دار غريب ، القاهرة، (ط01)، 1983 م، ص.33.

2- عوض حيدر،**سياق الحال في الدرس الدلالي**،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،(د ط) ، ص.30- 35.

أولاً: تعريف لفظ (سياق) في اللغة والاصطلاح:

أ/- من حيث اللغة

السياق مأخوذ من (ساق، يسوق، سوقاً وسياقاً) ، نظيـر (قام، يقوم). وأصل السياق، السواق قلبت الواو منه ألفاً لسكونها وكسر ما قبلها وهو السين، و يأتـي السياق، السواق قلبت الواو منه ألفاً لسكونها وكسر ما قبلها وهو السين، ويأتي المصدر الميمي منه على صيغة (مساق) ومنه قوله تعالى:﴿ **إلى ربك يومئذ المساق** ﴾.[1] تقول العرب: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وتساوقت الإبل إذا تتابعت وساق إليها الصداق والمهر سياقاً وأساقه. وسياق المهر وسوق الهدي يقدمه وساق بنفسه سياقاً : نزع بها عند الموت. و يقال : فلان في السياق، أي في النزع ، والسياق نزع الروح.[2]

وقال ابن فارس :« السين والقاف أصل واحد ، و هو حدو الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً » .[3] أما ما ورد بشأن هذه المادة في المعجم الوسيط فنجد«السياق، المهر، وسياق الكلام تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه ».[4]

بالنظر إلى ما ورد من تعريفات سابقة، يمكن لنا أن ندل على المعاني اللغوية التالية:

- السرد والسلسلة والإجراء و مجيء الشيء على التتابع ، أغلب ما يأتي معنىالسرد لمادته الفعلية (ساق) فتقول العرب: ساق الإبل سوقاً وسياقاً إذا سردها سرداً و أوردها مكاناً.

- التقديم بمعنى تقديم الشيء بين يدي الشيء تقول العرب: ساق إلى امرأته الصداق إذا قدمه لها من أجل النكاح، ومنه سمي المهر سياقاً لأن العادة جرت بتقديمه و بذله إلى المرأة قبل الدخول بها.

---

1 –سورةالقيامة، الآية.30.

2- ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق،(ج 10) ، ص 166- 167.

3- ابن فارس،**معاجم اللغة**، مصدر سابق، (ج 01)، ص.117.

4- **المعجم الوسيط**، مصدر سابق،ص.490 .

- النزع و الانتزاع من الشيء صبراً وتدرجاً، بمعنى الخروج من عهدة الشيء على الصبر والمهلة. تقول العرب: ساق المريض سياقاً أي نزع عند الموت.

- الملابسة والمقاربة ومنه ما جاء في الأثر:« إذا شهّد الكافر وهو في السَّوق، صُلي عليه.[1]

ومن اللغويين العرب المحدثين الذين أدلوا بدلوهم في تعريف السياق نجد (عبد الوهاب الحارثي)، الذي يقول : « إن كلمة (**سياق**) تشير في الذهن إلى معنى لحوق شيء بشيء آخر ، واتصاله به و اقتفاره أثره. كما تشير إلى معنى الارتباط والتسلسل و الانتظام في سلك واحد ».[2]

يتبين من العرض المعجمي السابق أن معنى (السياق)، هو التتابع على نسق واحد.بينما عبارة (سياق الكلام) لا نعثر عليها لا عند (الجوهري) في صحاحه، ولا عند (ابن فارس) في مقاييسه، و لا عند (ابن منظور) في لسانه ؛ لكن (الزمخشري) أوردها في (أساس البلاغة) عندما ذكر سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ ، قائلاً :« ومن المجاز تساوقت الإبل، إذا تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق ، وإليك سياق الحديث ، وهذا الكلام سياقه كذا». [3] مما يؤشر على أن (الزمخشري) نحى بمدلول مصطلح (السياق) إلى استخداماته الكلامية أو اللغوية ، فدل ذلك على رسوخ

1-ينظر: نجم الدين الزنكي **نظرية السياق -دراسة أصولية** - ، دار الكتب العلمية ،بيروت، (ط 01)،2006 م،ص.34-35./ والحديثأخرجه ابن أبي شيبة الكوفي،المصنف في الآثار،تحقيق:كمالالحوت،مكتبة الرشد،الرياض،(ج03) ،(ط01)،1409ه، ص.35.

2- الحارثي ، **دلالة السياق** ،ص.85 نقلاً عن:نجم الدين الزنكي ،**نظرية السياق – دراسة أصولية** – ، مرجع سابق ، ص.35.

3- الزمخشري، **أساس البلاغة** ، ص.314.نقلاً عن:البركاوي،**دلالة السياق بين التراث وعلم اللغةالحديث** ، مرجع سابق،ص.26.

قدمه المبكر، في التعامل مع هكذا مصطلح قبل حديث علماء الغرب عن ذلك بقرون طويلة .

وممن يؤكد على أن مقصود السياق هو(التتابع و الإيراد) (تمام حسان)؛ فعنده أن « المقصود بالسياق (التوالي) ومن ثم يُنظر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب و السبك والسياق، ومن هذه الزاوية يسمى (سياق النص). و الثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)».[1]

ب/- من حيث الاصطلاح

لعل مصطلح[2](السياق) من بين المصطلحات التي استوعبت الكثير من النقاش و الجدال بين العلماء قديماً ؛ وربما كان سبب ذلك يعود بالأساس ؛ إلى أن المصطلح تجاذبته العديد من الحقول المعرفية واللغوية والدينية، مما ولد للمصطلح أبعاداً دلالية متشعبة تخدم كل حقل معرفي انتمت إليه ، ذلك أن السياق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمس التركيب اللغوي، كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة. وبقدر ما كان لعلماء الأصول مفاهيم محورية حول مصطلح (السياق) كذلك كان الشأن بالنسبة لعلماء الفقه،

1- تمام حسان، **قرينة السياق**، مكتبة عبير للكتاب، القاهرة،(د ط)،1993م، ص.375.

2- يرى الزبيدي أن الاصطلاح هو: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص .بينما قدم الجرجاني في كتابه التعريفات عدَّةَ تعريفاتٍ لمعنى الاصطلاح العلميّ، قريبٌ بعضُها من بعض، فقال: ـــ الاصطلاحُ: عبارةٌ عن اتفاق قومٍ على تسمية الشيءِ باسم ما يُنقَل عن موضعه الأول.ـــ الاصطلاحُ: إخراجُ اللَّفظِ من معنىً لغويٍّ إلى آخَر لمناسبَةٍ بينهما.- الاصطلاحُ: اتفاقُ طائفةٍ على وضعِ اللَّفظ بإزاء المعنى.ـــ الاصطلاح: إخراجُ الشيء عن معنىً لغويٍّ إلى معنىً آخَر لبيان المراد.ـــ الاصطلاح: لفظٌ معيَّن بين قومٍ معيَّنين.و يرى علي القاسمي أن المصطلح هو كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة (مصطلح مركب)وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما . و قد جعل للمصطلح الجيد شرطين :- تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل .- عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد .

و اللغة و البلاغة والتفسير وعلم الكلام وعلماء الحديث، وغيرهم حول المصطلح نفسه.

أما بشأن الترجمة الأصلية لمصطلح السياق، إلى اللغة العربية فإن« لفظ (Context) هو من السابقة اللاتينية (Con) بمعنى(مع +Text) اللاتينية أيضاً، والتي كانت تعني في الأصل (النسيج) ثم استعملت في معنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم صارت تستعمل في معنى (النص) أي تلك المجموعة من الجمل المتراصة ، مكتوبة أو مقروءة ».[1]

ثم أصبح للمصطلح مع التركيب اللغوي المعاني التالية :

- ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص .
- قيود التوارد (المعجمي) التي تراعي عند الاستعمال أكثر من وحدة لغوية مثال ذلك في اللغة العربية استعمال كلمة (الأشهب) مع الخيل والأملح مع الغنم والأزهر مع الإنسان، (و ذاك عند إرادة التعبير عن بياض اللون).
- نص لغوي يتسم بسعة نسبية ، ويؤدي معنىً متكاملاً سواء أكان ذلك النص مكتوباً أم مُتَكَلَماً به.
- الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام.[2]

وإذا جاز لنا أن نعتبر السياق ؛ بأنه الصورة الكلية التي تنتظم بداخلها الصور الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلا في موقعه من الكل؛ فالصورة الكلية تتكون من مجموعة كبيرة من النقاط الصغيرة، أو المتشابهة أو المتباينة التي تدخل كلها في تركيب الصورة ؛ فإن بعض الباحثين المحدثين قد أدلوا بدلوهم في تعريف مصطلح السياق منهم (عبد الرحمن بودرع) الذي يرى بأن: «السياق إطار عام، تنتظم فيه عناصر النص، و وحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها، وتترابط وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع

1- البركاوي، **دلالة السياق في التراث وعلم اللغة الحديث** ،جامع الأزهر ،القاهرة، (د ط)،1991 م، ص.46

2- ينظر:المرجع نفسه ، ص.46.

العناصر المعرفية التي يقدمه النص للقارئ. ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها ،وبالتي بعدها داخل إطار السياق».[1]

يستعمل مصطلح السياق في « سياقات متعددة بعضها لغوي ، وآخر اجتماعي واقتصادي وسياسي . إلا أن المعاجم تقدم له تعريفاً يكاد ينطبق من حيث المقوم الجوهري،على تلك السياقات جميعاً ؛ فالسياق في مجال تحليل الخطاب هو سلسلة الأفكار التي تجسد نصاً ما، و بالتحديد فإن السياق هو مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليه يتوقف الفهم السليم لها».[2] و« لا يشترط في تلك العناصر الحافة بالعبارة ، أن تكون قريبة بل يمكنها أن تكون بعيدة في متن الخطاب ».[3]

ومما ورد في المعاجم المتخصصة ، في علوم اللغة واللسانيات بشأن مفهوم محدد للسياق فنجد مثلاً ما ورد في قاموس السميائيات لـــ(غريماس) و(كورتيس)؛ بأن السياق هو:« مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة ، وتتعلق بها الدلالة حيث يمكن أن يكون السياق صريحاً أو لسانياً، و يمكن أن يكون ضمنياً وفي هذه الحالة، يتميز بأنه سياق خارج لساني أو مقامي».[4]و نقرأ عن مفهوم السياق في القاموس الموسوعي، لعلوم اللغة لكل من (ديكرو وتودروف) في القسم المعنون بـــ(مقام الخطاب) : مجموعة من

1- عبد الرحمن بودرع ،**منهج السياق في فهم النص**،ص.43 نقلاً عن:أسامة عبد العزيز جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق** ،(أطروحة دكتوراه)،كلية الآداب جامعة كفر الشيخ، مصر، ص.06.

2:-ANDRE LALANDE :VOCABULAIRE TECHNIQUEET CRITIQUE DE LA PHILOSOPHIE. PUF.13ED.1980. P.181

نقلاًعن:عروي،(مقال)،مجلة روافد،وزارة الأوقافوالشؤون الإسلامية،الكويت،(ط01)،2007 م،ص.25.

3-IBID.p181. نقلاً عن :عروي،(مجلة روافد)،المرجع نفسه ،ص.25.

4- A.J GRIMAS ; J. COURTES : SEMIOTIQUE RAISONNE DE LA LANGUE, HACHTTE UNIVERSITE ; PARIS,1965,P :66

القضايا التي تتعلق بالسياق والمقام؛ « فمقام الخطاب هو مجموع الملابسات التي في إطارها يتحدد فعل التلفظ سواء كان مكتوباً أو شفوياً ، وينبغي أن يفهم من هذا على حد تعبير (ديكرو):- المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ هذا الفعل مكانه».[1]

بينما نقرأ عن السياق في قاموس اللسانيات لصاحبه (جون دي بوا): «هو المحيط أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة ، ويسمى بالسياق الشفوي. أو هو مجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني ، وغالباً ما تحدد هذه العلاقات بالسياق الاجتماعي لاستعمال اللغة، و نحدده أيضاً :(المقام) وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم والمستمع في مقام ثقافي ونفسي لتجارب كل منهما».[2]

و ورد مفهوم السياق في القواميس الغربية كالتالي:

- القواميس العامة: قاموس الجيب (La Rousse De Poche) السياق: هو ما يصاحب، يسبق أو يتبع نصاً للتوضيح.

- روبير الصغير من تأليف (آلان ري ودي بوف):

-« السياق مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ)، ويتعلق بمعناها وقيمتها.

- مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما ؛ فهناك السياق السيكولوجي والسياق و السياسي والعائلي..

1-DOCROT/TODOROV :DICTIONNAIREENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE .ED SEUIL. 1972. PP417 ; 422.

2-JEAN,DUBOIS,DICTIONNAIR DE LINGUISSTIQUE, LIBRAIRIE LARROUSSE , 1973 , P:121. نقلاً عن : علي آيت أوشان ،**السياق والنص الشعري ، من البنية إلى القراءة** ، دار الثقافةمؤسسة للنشر والتوزيع ، الدارالبيضاء ، 2000 م.ص63.

- الصورة المتبادلة بين المتخاطبين .
- هويتهم.
- الفكرة التي يحملها كل واحد عن الآخر.
- الأحداث التي تسبق فعل التلفظ ».[1]

و بالنظر إلى ما ورد في تعريف (بودرع) ، وما ورد في معجم (غريماس) وقاموس (دي بوا) نلحظ القاسم المعرفي الذي تلتقي فيه هذه التعريفات حول مفهوم السياق ؛ ذلك هو مجموع الصيغ اللغوية و الوحدات النصية التي تؤشر على العبارة المعينة مما ورد تباعاً سابقاً ولاحقاً ؛ لتنطبع بذلك كلية النص في ذهن المتلقي.

بينما نرى (بيير جيرو) وعند إيضاحه لأهمية السياق ، في الكشف عن المعنى و إزالة الغامض يقول:« إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها ».[2] فالكلمة أو العلامة لا معنى لها في ذاتها لأنها قد تحتمل تغييرات دلالية كثيرة، بحسب السياق الذي ترد فيه، و هنا يأتي دور السياق ليحدد المقصودة ، و يزيل الغموض الذي يكتنفها في هذا المقام.

ثانياً: العلاقة بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي

إذا كان السوق يقع حساً كسوق الإبل والمهر، ويقع معنىً كسوق الكلام، فإنا نلحظ مدى الترابط بين المدلولين: اللغوي والاصطلاحي لدلالة السي ــاق. فالقرائن التي تساق في الخطاب قد تكون معنوية ، وقد تكون حسية والقاسم المشترك بين السوق الحسي والسوق المعنوي : هو الاتصال و المتابعة.

1-A.REY ET REDEBOVE: LE PETIT ROBERT I;1989.P: 378.

نقلاً عن :أوشان ،**السياق والنص الشعري،منالبنية إلى القراءة**،مرجع سابق،.ص.33.

2- بيير جيرو، **السيمياء** ،ص،39 نقلاً عن : جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق**،مرجع سابق، ص.03.

و هكذا يتضح بأن الخلوص إلى المعني – وفق ما ذهب إليه هؤلاء العلماء؛ إنما يتأكد على الأقل من الناحية النظرية ، عند توخي جانب آخر غير لغوي، والمتمثل في تقدير أحوال المستمعين وأحوال مقاماتهم.[1]

نتيجة لهذه القضية فإن الإحاطة بالمعنى المراد ، من سياق الجملة الواحدة كجزء من النص أو ضمن الجمل العديدة المشكلة لكلية النص ؛ يتطلب بالضرورة الوقوف على معرفة الظرف الخارجي ، الذي سيقت فيه تلك الجمل. هكذا كان موقف اللغويين العرب عموماً ، وعلماء التفسير والحديث و البلاغيين بوجه خاص بمعرفة الأحوال المصاحبة للحديث كمعرفة حال المتكلم ، أو السامع أوالبيئية العامة أو بسبب نزول الآية، أو ورود الحديث أو غير ذلك مما يسمى بالعناصر غير اللغوية ، التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد من النص.

ثالثاً: السياق وتوجيه دلالة النص في التراث العربي

في ضوء تجاذب الآراء– قديماً وحديثاً – ، حول إشكالية استفادة التـــراث اللغوي العربي القديم ، من الثقافة اليونانية أو غيرها من الثقافات الأجنبية الأخرى من عدمه ؛ أقول هل من المسلم به أن نجزم بأن فكرة (المقام) والمرادفة (للسياق الخارجي) أو(السياق غير اللغوي) ؛ في مصطلح المحدثين هي فكرة عربية أصيلة؛ أم أنها شكل من أشكال ذلك التأثر..؟.

للإجابة على هكذا سؤال تبرز أمامنا وجهتا نظر متعارضتين :الأولى ترى أن الفكرة القائلة بأن (لكل مقام مقال) [2]؛ هي فكرة يونانية الأصل وأنها انتقلت إلى العرب عن طريق الذين تأثروا بالثقافة اليونانية من فرس وهنود

1- ينظر: المرجع السابق ، ص.62 وما بعدها.

2- وردت عبارة (لكل مقام مقال) ضمن الأمثال العربية الموروثة والمنسوبة لـــ (أكثم بن صيفي) الذي نسبت إليه أمثال عديدة أخرى ،ثم صاغها الحطيئة شعراً :

تحنن عليّ هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وسريان؛ والثانية ترى أن هذه العبارة ، هي فكر عربي خالص سبق إليه البلاغيون من العرب.

و يتبنى تمام حسان فكرة حول الموضوع يقول فيها :« و حين قال البلاغيون (لكل مقام مقال) ، أي عندما راعوا ما يسمى عند المحدثين سياق الموقف، وأن لكل كلمة مع صاحبتها مقام أي عندما راعوا ما يعرف في علم اللغة الحديث بـــ(سياق النص) ؛ وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات ، لا في العربية الفصحى فقط؛وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء، لم يكن (مالينوفسكي) وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context OfSituation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتبهم تحت اصطلاح (المقام) ، و لكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي، ما وجده اصطلاح (مالينوفسكي) من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات..».[1]

والحقيقة أنه ثمة شواهد عديدة ، ضاقت بها كتب التراث العربي القديم – شعرها و نثرها – تدلل كلها على أسبقية العلماء العرب في تناولهم لهذه الفكرة وأنها من موروث العرب الثقافي الخالص. و الدليل ما« ذكره بعض الباحثين من أن طرفيها وهما (المقام) و(المقال) قد وردا بنفس المعنى في الشعر العربي الجاهلي. يقول(لبيد)[2] في (المقام):

و مقام ضيق فرجته بلسان و بيان و جدل

1- تمام حسان، **العربية مبناها ومعناها**،مكتبة الثقافة ،الدار البيضاء ، المغرب،(د ط)،(د ت)،ص.372.

2- هو الشاعر: لَبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامِري عامر بن صعصعة من هوازن (ت41 هـــ/661م)أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، مدح بعض ملوك الغساسنة مثل:عمرو بن جبلةوجبلة بن الحارث.أدرك الإسلام، و وفد على النبي (صلى الله عليه وسلم) مسلماً، و لذا يعد من الصحابة،ومن المؤلفة قلوبهم.وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً.وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً.وهو أحد أصحاب المعلقات.

ويقول الشاعر (هبيرة بن أبي وهب) في (المقال):

وإن مقال المرء في غير كنهه لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها».[1]

وأما (هبيرة بن أبي وهب) فروعة الصورة البيانية في شعره، متجلية للعيان إذ جعل كلام المرء في غير موضعه، الذي يليق به تماماً مثل وقع النبل التي تخلو من نصالها فلا فائدة ترجى منها.

إن الناظر في تراثنا اللغوي القديم ، يجد فيه جوانبَ تلتقي مع ما طرحه علم اللغة الحديث ،على الرغم من الفارق الزمني وإلى طرح أصول سياقية عربية تستند إلى التراث اللغوي، و تفيد من حاضر الدراسات اللغوية الغربية.

ولقد كان للّغويين العرب الأوائل ، فضل السبق في تناول دراسة المعنى من حيث بعدين هامين هما: البعد المعجمي والبعد التركيبي ضمن (القرائن السياقية)؛ كما استطاعوا الوقوف على الطريقة التي يتم من خلالها الوصول إلى معنى الصيغة التركيبية ، وما يستلزم ذلك من معرفة أمور ثلاثة هي: «معرفة (قصد المتكلم) ومعرفة (الظروف المحيطة بالمتكلم حال التكلم) ومعرفة (الكلام الفعلي نفسه) »[2]؛ وكذلك معرفة القرائن المقالية ؛ وهذا الذي ذهبوا إليه يقترب كثيراً من طريقة أصحاب نظرية السياق عند الغربيين المحدثين.

وقد وردت لفظة (السياق) في عبارات العلماء القدامى ، منفردة و مقرونة بغيرها فيقال:(دل سياق الكلام على كذا)، و(هذا ما يدل عليه سياق القول ومساقه) و(لابد من مراعاة سياق القول وسياقه ولحاقه). ويقولون:(سيق النص لغرض كذا أو لقصد كذا)، و(يأتي عليه السياق)، و(يرده السياق)،

1- البركاوي ، **دلالة السياق** .. مرجع سابق ، ص.57.

2- موسى العبيدان ،**دلالة تركيب الجمل عند الأصوليين** ،دمشق ،سوريا، دار الأوائل، (ط01)،2002م، ص.327.

و(يجافي السياق)، و(يناسب السياق)، و(يدل عليه مساق الكلام). [1] كما استعرض الأصوليون لفظ السياق فيقولون:« سياق الكلام و سياق النظم واللفظ الواضح فيما سيق له، وما كان الكلام مسوقاً له، وما أوجبه نفس الكلام وسياقه، وما كان السياق من أجله و الفعل في سياق الشرط».[2]

أما من أوائل العلماء العرب الذين وظفوا السياق وأشاروا إلى دوره فيكتاباتهم ومؤلفاتهم نجد الإمام (الشافعي)[3] في كتابه (الرسالة) حيث يقول:«إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وما كان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول أو وسطه أو آخره». [4]

إن عبارة الشافعي (فكل هذا موجود علمه ،في أول الكلام أو وسطه أو آخره) وربط ذلك بكلمة السياق ، يدلل بصورة واضحة على معرفة الشافعي بدور السياق المقالي اللفظي في الكشف عن المعنى المراد معرفته ، و الكلمة الواحدة في النص ربما احتاجت إلى لاحقتها ، حتى يمكننا ذلك من الإحاطة بالمقصود من المكتوب إحاطة دقيقة.

1-ينظر البخاري، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**، ضبط وتعليق:البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي،(ط02)،(ج 02) ،1994م، ص.393 – 398.

2- أشرف الكناني،**الأدلة الاستئناسية عند الأصوليين** ،ص.218.نقلاً عن:سعد العتري ، **دلالة السياق عند الأصوليين**،(رسالة ماجستير)،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة أم القرى، السعودية،2007 م، ص.61.

3- هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطلبي القرشيّ، فقيه وإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في التفسير وعلم الحديث، ولد بغزة150 هـ و توفي في مصر سنة 204 هـ.

4- الشافعي ، **الرسالة** ، تحقيق:شاكر، دار القلم،دمشق، سوريا، (د ط)، 2004 م،ص.52. نقلاً عن: جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية** ،مرجع سابق ، ص.08.

وفي جانب آخر من كتاب (الرسالة) نقف مرة أخراة عن فهم (الشافعي)، لمصطلح (السياق) في باب يسميه(باب الصنف الذي يبين سياقه معناه)مفرعاً عليه عنواناً أخر (الصنف الذي يدل لفظه على باطنه دون ظاهره) يقول «قال الله تبارك وتعالى:﴿ و اسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ [1]، فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلما قال: ﴿ إذ يعدون في السّبت ﴾ دلّ عل أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة ». [2] بل كل ضمير توفرت عليه الآية إنما عائده كان دائماً على من (أقاموا بالقرية) لا على القرية نفسها (تأتيهم، حيتانهم ، سبتهم، يسبتون، تأتيهم ،نبلوهم، كانوا، يفسقون..). و الأمثلة من هذا الصنف في الذكر الحكيم عديدة لا حصر لها .

ومن العلماء الذين قدموا لمفهوم (السياق) ، واعتبروه شاملاً لمفهوم (المقام) الإمام (الغزالي أبو حامد) حيث فسر (السياق) بـــ(المقام) وأطلق عليه لفظ الفن وأسماه (الفن الثاني)(فيما يُقتبس من الألفاظ لا من حيث صيغتها ، بل من حيث فحواها وإشارتها [3].وقد ذكر (الغزالي) تبعاً لهذا الفن،خمسة أضرب منها (الضرب الرابع) الذي يرى فيه أن فهم غير المنطوق به من المنطوق به بدلالة سياق الكلام ومقصوده كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب من قوله تعالى :﴿ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ﴾. [4] إذ لا مشاحة في أن

---

1 - الأعراف ، الآية .163.

2 - الشافعي، **الرسالة** ،ص.123.نقلاً عن:الزنكي، **نظرية السياق – دراسة أصولية –** ،مرجع سابق ، ص.40.

3- ينظر: الغزالي ،**المستصفى فيعلم الأصول** ،تحقيق :محمد أبو العلا،مكتبة الجندي،القاهرة،1971م،(ج02)،ص.72 نقلاً عن:الزنكي،**نظرية السياق – دراسة أصولية –** ، مرجع سابق،ص.42.

4- الإسراء، الآية.23.وينظر: الغزالي ، السابق، ص.74 نقلاً عن :الزنكي ،السابق ، ص.42.

حرمة الشتم والقتل والضرب أولى من قول (أف) في حق الوالدين فدل هذا على ذلك من غير توفر منطوق صريح من اللفظ يغني عن البيان. إذ مجرد سماع اللفظ من غير تأمل يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد.

وفي موضع البحث عن دور السياق في ترجيح بعض الدلالات عن أخرى، وذلك مما ورد في نقدنا العربي القديم ، نجد بعض الأقوال الشعرية المختلف في معانيها؛ و« من شواهد ذلك ما ذكره (ابن رشيق) في معنى قول الشاعر (الراعي):

هجمنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح

فقد ذهب بعض الشراح إلى أنه مدح للمخاطب بأنه يكعم كلبه لئـلا يعقـر الضيوف في حين اعتبره آخرون ذماً فيكون المعنى أنه يكعم طلبه لئلا ينبح فيدل عليه الضيف. و سعى (ابن رشيق) إلى ترجيح الدلالة الثانية ، موظفاً دلالة السياق الخاص بنظم البيت يقول : وأنا أعرف هذا البيت في هجـاء محض (للراعي) هجا به الحطيئة :

ألا قبح الله الحطيئة إنه على كل من وافى من الناس سالح

بكيت على مذق خبيث قريته ألا كل عبسي على الزاد نائح ».[1]

فثبت أن إعمال السياق مفض إلى ترجيح دلالة الهجاء على المدح بصورة ترفع الإشكال. كما كان للمفسرين رأي كذلك في توضيح الدور المهم ، الذي يمكن أن يقوم به السياق في فهم دلالة النص ، وترجيح التأويلات يقول (ابن القيم الجوزية):« السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم

1- ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ،تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت،(ط05)(ج02)،1981 م، ص.187،نقلاً عن: عروي ، **السياق المفهوم والأهمية**،ص.27.

احتمال غير المراد وتخصيص العام ، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ».[1]

و قد قدم لذلك مثالاً من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ [2]و أبرز كيف أن السياق يدل على أن المراد هو الذليل الحقير، على عكس ما يوحي به ظاهر اللفظ ، وهذا يساوق ما لاحظه (كريس بالديك) حول قلب الدلالة في سياق السخرية يقول :« حالة السخرية تظهر بجلاء كيف أن معنى عبارة ما ، يمكن أن ينقلب كلية بمعرفة السياق الذي وردت فيه ».[3]

وبإرجاع الآية المذكورة إل ى موقعها في النظم «يظهر أن المفردات الثلاث: الذوق، و العزيز والكريم؛ لا تحمل دلالتها الظاهرة المتمحضة للخير والمكانة الرفيعة وإنما تحمل معاني السخرية والتوبيخ استناداً إلى أن الإخبار متعلق بالأثيم:﴿إن شجرة الزقوم..العزيز الكريم﴾..».[4]و ما كان باستطاعتنا أن نتوصل إلى المعنى المراد من الآية لولا السياق اللغوي الذي وردت فيه. ناهيك عن المناسبة التي نزلت الآيات بشأنها و كل ذلك يقطع عن إمكانية أن يُتوصل بأن الآيات تحتمل أكثر من معنى، وهذا جد مستبعد.

وممن كان لهم حديث مستفيض عن دور السياق ، في تفسير الآيات نجد (العز بن عبد السلام) الذي يقول:« وقد يتردد معنى الآية ، بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض ويترجح بعضها على بعض ، و أولى الأقوال ما دل ّعليه الكتاب في موضع آخر أو السنة ، أو إجماع الأمة ،أو سياق الكلام ، وإذا

1- ابن القيم الجوزية ، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت،(ج04)،ص.9-10،نقلاً عن: عروي ، مرجع سابق ، ص.27.

2- سورة الدخان،الآية .49.

3-Chris Baldick/ Oxford Concise Of Literary Terms. Oxford University press.1990. p.45. نقلاً عن :عروي،نفسه ،ص.27.

4- عروي ، نفسه ، ص.28.

احتمل الكلام معنيين ، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى».[1]

أما الحنفية فيستخدمون مصطلح (سياق النظم)؛ لأن النظم عندهم بمعنى اللفظ، وهو ما انتظم الكلمة أو الجملة أو العبارة سابقاً عليها ولاحقاً لها.

ويمثلون لهذا من القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً ﴾[2] فتأولوا الأمر في الآية بالإيمان أو بالكفر أنه لا يفيد التخيير والإباحة لوجود قرينة (سياق النظم) وهو الوعيد بالنار لمن كفر وظلم ولم يؤمن.[3] وقد دلَّ معنى لاحق الآية على سابقها ، لوجود قرينة السياق كذلك. و هذا يغني عن الفهم ومن شأنه رفع اللبس، إذ مناط اللبس ها هنا هو اقتران المشيئة في الإيمان من عدمه بوعيد الله تبارك وتعالى لمن ظلم بسبب كفره- إذ جعل الكفر بمثابة الظلم - فكأن المشيئة لا تجتمع مع الوعيد وهـذا الفهم على هذا الوجه قد عالجه السياق، و أضفى عليه حُسنُ الفهم وغاية المُراد.

وإذا ما تحولنا اتجاه علماء النحو العرب القدامى ، نجد أنهم قد استخدموا كلمة سياق بمدلولها اللغوي العام ، بدون أن تحمل المدلول الاصطلاحي المتعارف عليه عند علماء اللغة المحدثين. و حول اهتمام النحاة بالعوامل الاجتماعية في اللغة نجد أنهم « لم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوي، كما لو كان شكلاً منعزلاً ، عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به، و إن لم يأخذوا مادته اللغوية من معالجتهم لها على أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، كما فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة

1-العز بن عبد السلام،**الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**،(دط)،دار الحديث، القاهرة،ص.220، نقلاً عن: عروي ،السابق،ص.28.

2- سورة الكهف، الآية.29.

3- الرازي،**المعاجم في أصول الفقه** ،تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي عوض،دار عالم المعرفة ،القاهرة ، 1994 م ،ص.150.نقلاً عن:زنكي،**نظرية السياق – دراسة أصولية** –،مرجع سابق ، ص.43.

ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي ، وأن هذه الوظيفة وذلك المعنى لها ارتباط وثيق بساق الحال أو المقام، و ما فيه من شخوص وأحداث ، وقد ظهر هذا كله في دراستهم وإن لم ينصوا عليه كمبدأ من مبادئ التقعيد، أو أصلاً من أصول نظريتهم اللغوية ».[1]

والمتأمل في آراء (الخليل بن أحمد الفراهيدي)(ت175 هـ) يرى أنه من أوائل النحويين الذين اعتمدوا على السياق اللغوي ، في دراسته للتراكيب النحوية كما يعد من الرواد الدين اهتموا بعناصر سياق الموقف ، المتمثلة في المتكلم و المخاطب والعلاقة بينهما، وعلم المخاطب بالمعنى إلى غير ذلك مما يرتبط بالمقام. و من أمثلة اعتماد (الخليل) على (السياق اللغوي) ما نسبه إليه تلميذه في معرض تحليله لقول الشاعر :

إذا تغنى الحمامُ الوُرْقُ هيَّجني و لو تغرَّبتُ عنها أمِّ عمارِ

« قال (الخليل) –رحمه الله– لما قال (هيجني) عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكرة الحمام وتهيجه، فألقى ذلك الذي قد عرف منه على (أم عمار) كأنه قال: هيجني فذكرني أم عمار. و مثل ذلك أيضاً قول الخليل – رحمه الله– و هو قول أبي عمرو: ألا رجل إما زيداً و إما عمراً؛ لأنه حين قال:(ألا رجل) فهو متمن شيئاَ يسأله ويريده فكأنه قال: اللهم اجعله زيداً أو عمراً أو وفق لي زيداً أو عمراً ».[2]

ومن بعد (الخليل) جاء تلميذه (سيبويه) (180هـ)؛ فأولى كلاً من السياق اللغوي وسياق الحال، اهتماماً كبيراً وذلك في معرض استعراضه لمعاني التراكيب؛ من حيث الذكر والحذف أو التقديم والتأخير أو التوجيه النحوي والحكم بصحة التركيب أو إحالته. و يتضح ذلك من خلال استعانته بالسياق

1- كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي**، دار الثقافة العربية ، القاهرة،(دط)، 1994م ،ص. 66.

2- سيبويه ،**الكتاب** ،مصدر سابق، ص.286.

اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة ، في التركيب فمن ذلك الاستغناء عن تكرار(كل) في قول الشاعر :

أكلَّ امرئ تحسبين اِمرأً ونارٍ توقدُ بالليل نار

بجر (نار) والتقدير و(كل نار) وذلك « لذكرك إياه في أول الكلام و لقلة التباسه على المخاطب ».[1] فقد اعتمد على عنصر لغوي ، ذكر في جملة سابقة للدلالة على العنصر المحذوف في الجملة الثانية وجعل ذكر العنصر الأول سبباً في عدم التباس المعنى على المخاطب.

و مثل ما كان اهتمام (سيبويه) بجميع عنصر السياق اللغوي ، فقد اهتم أيضاً بعناصر السياق غير اللغوي أو(الحال) ؛ كما يسميه بنفسه كالمتكلم والمخاطب، والعلاقة بينهما ، و موضوع الكلام وأثر الكلام والحركة الجسمية المصاحبة للحديث الكلامي ، وغير ذلك من العناصر غر اللغوية المصاحبة للكلام المنطوق . و من أمثلة اهتمام (سيبويه) ببيان العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وما ينتظره المخاطب من المتكلم لأن المتكلم إذا قال (كان زيد) فإن المخاطب« إنما ينتظر الخبر»[2] و إذا قال متكلم (كان حليماً)« فإنما ينتظر المخاطب أن تعرفه صاحب الصفة».[3]

رابعاً: السياق وتحققالبعد البلاغي في التراث العربي

كان مفهوم السياق في النقد القديم ، عنصراً مشتركاً بين البلاغة والنقد؛ «فالسياق في البلاغة هو(مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته).أي أن التعبير الأدبي لابد أن يحوي معنىً يناسب السامع، وهذا المعنى يتطلب شكلاً فصيحاً، و لن يكون المعنى مناسباً لمقتضى الحال إلا إذا جاء التعبير مصوِراً

1- كمال بشر ،السابق، ص.661.

2- نفسه، ص.48.

3-نفسه ، ص.49.

لأبعاد هذا المعنى، تلك الأبعاد التي تتولد في أثناء السياق ، تبعاً لدرجة الانفعال».[1]

بل لقد عدّ البلاغيون الكلام على (مقتضى الحال)، من أعمدة البحث البلاغي على مر العصور؛ و نظروا إليه على أنه (المقوم الأساس) في تعريفاتهم المختلفة للبلاغة يقول (نهاد الموسى):« إن أبرز الملامح في النظم البلاغي أنه قام على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، أو استشعار المقولة السائرة (لكل مقام مقال) و رصد على وجه التفصيل ، ما يكون من تأثير السياق سياق الحال خاصة وهي حال المتكلم ، المخاطب وسائر ما يأتلف منه (المقام) ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام ، وتأليفه على هيئات في القول تتنوع وفقاً لتنوع المقامات ».[2]

لقد أولى البلاغيون أهمية كبيرة ، ببيان أسرار التفاوت بين الأساليب ولم يفصلوا القول في بيان عناصر السياق اللفظي والحالي، وما لها من أثر في الكشف عن المعنى– كما فعل المفسرون والأصوليون– وإن اعتمدوا على السياق عند معالجة أنماط التحليل الأدبي، فأدركوا كيف يتغير معنى العبارة الواحدة بتغير المقام (الموقف الكلامي)، كما اهتموا بملمح السياق وعدوه أصلاً لما يمكن أن توصله الرسالة اللغوية ، وتنوعت تعليقاتهم حول السياق في إطار بحوثهم المختلفة للنص القرآني ، ففي إشارته إلى الكيفية التي يتم بها التوصل إلى فهم معاني القرآن، يعبر (أبو عبيدة) عن ذلك بقوله:« الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته ».[3]

1- محمد عيسى،**السياق الأدبي–دراسة نقدية تطبيقية**–،جامعة المنصورة،مصر،(دط)،2004م،ص.11.

2-نهادالموسى،**نظرية النحو العربي** ،ص.96.نقلاً عن:جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية** ، المرجع سابق ، ص.20.

3- أبو عبيدة ، **مجاز القرآن**،تحقيق:محمد سزكين ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، (ط02)،(ج 01)،1988م ، ص.19 نقلاً عن: جاب الله ، المرجعنفسه، ص.13.

لقد استخدم كثير من العلماء العرب إلى جانب استخدامهم مصطلح (السياق) مصطلحات أخراة تؤدي المعنى نفسه أوما يقارب منه ومن ذلك:(الموقف)،(الحال)،(المقام).[1]و قد ورد المصطلحان (الموقف) و(المقام) بنفس معنى السياق إذا أريدا بهما التعبير عن الموقف الخارجي أو الظروف المصاحبة لأداء الفعل الكلامي؛ و ذلك في وصف (عبد الله بن المقفع) للبلاغة فيما نقله عنه (الجاحظ) عن (إسحاق بن حسان)؛ سئل ما البلاغة ؟ قال البلاغة:« اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع.. فقيل له: فإن ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ؟ قال:إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيهما شيء، و أما الجاهل فلست منه وليس منك، و رضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال: رضا الناس شيء لا ينال».[2]

والمتأمل لما قدّم به (ابن المقفع) في تعريفه للبلاغة ، يلمح اهتمامه الصريح والضمني بوجوب مراعاة أحوال المستمعين للكلام البليغ ، وفق ظروفهم ومقاماته التي يتحلون بها ، إذ البليغ في نظره هو من يوفق في إعطاء كل ذي مقام حقه من الكلام ، و القيام وفق ذلك بالذي يجب من سياسة ذلك المقام. فمفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي ، يرادفه في التراث العربي كلاً من المقام والحال والموقف، و« أن مفهوم السياق كما فهمه العلماء العرب ، يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعاً و يمكن تقسيمه تبعاً لذلك إلى: سياق لغوي و هو المستفاد من عناصر مقاليه

1- يعتقد كمال بشرأن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شيء مهم في الدرس اللغوي ، وهو المقام ولكنهم كعادقم طبقوه بطريقتهم الخاصة ؛إذ كانت عنايتهم في المقام موجهة نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، ولهذا كانت نظرتهم إلي المقام أو مجريات الحال نظرة معيارية لا وصفية.

2- الجاحظ ،**البيان والتبيين** ،مصدر سابق، ص.116. نقلاً عن :البركاوي،**دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث** ،مرج سابق، ص. 29.

داخل النص؛ وسياق خارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية والتي تصاحب النص».[1]

وإلى هذا المعنى أشار العديد من العلماء العرب الأوائل، بضرورة إنزال الناس منازلهم عند مخاطبتهم [2] ؛ يقول صاحب (الصناعتين) (أبوهلال العسكري):«إذا كان موضوع الكلام على الإفهام(..) فالواجب أن نقسم الكلام على طبقات الناس. فيخاطب السوقي على كلام السوقة ، والبدوي بكلام البدو، و لا تتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه ، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب».[3] و يقول كذلك في موضع آخر:« و لا يكلم سيد الأُمة بكلام الأَمة و لا الملوك بكلام السوقة(..) لأن ذلك جهل بالمقامات وما يصلح في كل واحد من الكلام، وأحسَنَ الذي قال : لكل مقام مقال ».[4]

بل إن (الجاحظ) له فهم عجيب في هذا المعنى ، وذلك حينما يتعلق الأمر بضرورة مراعاة الظروف والملابسات المحيطة بأداء الكلام وحسن المواءمة بين غرضه العام وبين البيئة التي حدث فيها هذا الكلام . يقول (الجاحظ):«ومتى سمعت– حفظك الله – بنادرة من نوادر الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها (..)، و كذلك إن سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فإياك و أن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً ؛ فإن ذلك

1- البركاوي ،**دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**، مرجع سابق ، ص.31.

2- إلى هذا المعنى يشير (أولمان) إلى أن الهدف العام من الكلام هو التأثير في نفس السامع و إثارة مشاعره و تبقى وظيفة الكلام هي مجرد التعبير عن العواطف و الانفعالات و إثارة المشاعروالتأثير في السلوك الإنساني ..

3- العسكري،**الصناعتين**، مصدر سابق، ص. 21.

4- نفسه، ص.19.

يفسد الإمتاع بها ويخرجها منصورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم بها ».[1]

وإذا كان الجاحظ من الذين يؤكدون على أهمية الصياغة ، باعتبارها تشكل جوهر الأدب، فإنه قد اشتهر كذلك بحديثه المستفيض عن(الصياغة) ذلك أن الدارس المحقِق يدرك أنه لم يهمل جانب المعنى ، ولكنه يرى الصياغة إذا وقعت في إطار السياق الذي يتطلبها تحقق الأدب الحقيقي . يقول عن ذلك:«أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ؛ صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة».[2]

و(الجاحظ) كرائد من رواد النقد القديم ؛ يكتشف بفكره المتقدم عناصر مهمة في الصياغة ، تعد أساساً من أهم الأسس التي ينادي بها المنهج اللغوي في النقد المعاصر، بخاصة في الاتجاه البنيوي ، الذي يرى أن سياق النص لابد أن يكون لغوياً يرتبط بالمرجعية اللغوية للشاعر، أو القارئ على السواء، فلكل أديب أو شاعر ألفاظه أو معجمه اللغوي الخاص. يقول (الجاحظ) :« لكل قوم ألفاظ حظيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور وكل شاعر في الأرض ، وصاحب كلام موزون فلابد أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ».[3]

وقد كان (بشر بن المعتمر)- قبل (الجاحظ) – مستلهماً روح الكلام وبلاغته والقدرة على التأثير في السامع، وذلك عندما دعا إلى ضرورة مراعاة

1-الجاحظ،**البيان و التبيين**،ص.146.نقلاً عن:البركاوي،**دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**،مرجع سابق ، ص.61.

2- الجاحظ ،**البيان والتبيين**، ص.83.نقلاً عن: محمد عيسى ، **السياق الأدبي – دراسة نقدية تطبيقية**، مرجع سابق ،ص.20.

3-السابق،(ج.03)،.139.نقلاً عن: محمد عيسى،**السياق الأدبي** ،السابق ،ص .21.

أحوال المخاطبين ، و النظر في مستوياتهم وظروفهم الاجتماعية والثقافية؛ يقول بشر:« و ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات ، فيجعل كل طبقة من ذلك كلاماً ، و لكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك المقامات ».[1]

و المتأمل لما ورد في صحيفة (بشر بن المعتمر) لا يجد فقط اهتماماً بالسياق اللغوي بل اهتمام كذلك بسياق الحال يقول (بشر):« المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يقبح بأن يكون من معاني العامة، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال ».[2]

وقد اعتاد أهل البلاغة على وجهات نظر متعددة ؛ حينما أرادوا صياغة تعريفات (علم البلاغة) فمنها ما كان مركزاً على جانب المخاطب(المتلقي) بوصفه الطرف الثاني في عملية الاتصال كما نلمح ذلك في تعريف الجاحظ (255 هـ) الذي يقول:« لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظة ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه في قلبك ».[3]

و منها ما كان يراعي جانب المتكلم (المُرسِل للخطاب) من ذلك ما نجده عند (أبي هلال العسكري) حينما يقول:« البلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن».[4] كما لا يغفل مراعاة كذلك حال المخاطبين و ظروف خطابهم و مكانة كل فريق منهم على قدر طبقتهم و قوتهم في المنطق و يستشهد على ذلك بما فعل النبي – صل ى الله

---

1 - السابق ، ص.139. نقلاً عن: محمد عيسى،نفسه، ص.21.

2- نفسه،(ج01)،ص. 138. نقلاً عن: محمد عيسى، نفسه، ص.13.

3- نفسه،(ج01)، ص.115. نقلاً عن: محمد عيسى، السابق، ص.02.

4- العسكري، السابق، ص.08.

عليه وسلم – فإنه « لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ؛ كتب إليهم بما يمكن ترجمته فسهل الألفاظ غاية التسهيل ،حتى لا يخفى منها شيء مع من له أدنى معرفة بالعربية، و لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخّم اللفظ ، لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله ».[1]

كما كان (للعسكري) رأي في أن اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعاني وأن السياق هو الوسيلة التي تفرق بين (قصدية) معنىً في مقام عن معنى آخر؛ فالمعاني تناسب ما تشير إليه. يقول :« الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء، يوجب اختلاف المعاني ؛ و أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة عرف ..».[2] فلا قيمة للكلمة إلا من خلال سياقها التي قيلت فيه، ومقامها التي تدل عليه. بل إنه ينوه على أمر (الغرض) الذي يكتب فيه و يراه داخلاً في أمر المقام، متحكماً في خصائص الخطاب« سبيل ما يكتب به في باب الشكر ألا يقع فيه إسهاب (..)، و سبيل ما يكتب به التابع إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة النظراء ألا يكثر من شكاية الحال ورقتها (..)، بل يجب أن يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة».[3] و في قوله (ما يكتب التابع إلى المتبوع) إشارة بينة إلى أحد عناصر المقام ، و هو العلاقة بين المشتركين في الخطاب.

أما (قدامة بن جعفر) فقد كان له وجهة نظر ، تتعلق بظروف المدح من خلال مراعاة المقام؛ ذلك أن المدح يختلف بحسب الممدوح . يقول (قدامة): «فأما مدح ذوي الصناعات فأن يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة ، والروية وحسن التنفيذ والسياسة (..)، و أما مدح القائد فبما يجانس البأس

1- نفسه ، ص .155.

2-العسكري، **الفروق في اللغة**، دار الفكر،دمشق، سوريا (د ط)، 2002 م، ص.13.نقلاً عن:جاب الله، المرجع سابق،ص.15.

3- السابق، ص.157-158.

والنجدة ويدخل في باب الشدة والبطش والبسالة ، وأما مدح السوقة من البادية والحاضرة فينقسم بحسب انقسام السوقة إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب وإلى الصعاليك والخراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم». [1]

وأما (ابن قتيبة) فيقدم وصايا للكُتَّاب بوجوب (مراعاة مقتضى الحال) عند ممارسة الصنعة، و ذلك في الألفاظ والمعاني على السواء يقول:« (..) ونستحب له (أي الكاتب) أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام..». [2]

ومن التعريفات التي راعتها البلاغة نجد (المقام) الذي يقال فيه الكلام، فـ(القزويني) مثلاً (739 هـ) يميز بين (بلاغة الكلام) و(بلاغة المتكلم)، ويضع كل منهما في موضعه ، فيعرف بلاغة الكلام بقوله:« هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته». [3] مركزاً على جانب (السياق) وما يتلاءم معه من ألفاظ ، مناسبة تقتضي وصول الرسالة في جانب من الفصاحة، لكن «السياق الذي يذهب إليه (القزويني) هو(سياق الموقف)، و هو استخدام خاص لدلالة السياق عند البلاغيين حين التمييز بين (سياق النص) ، و(سياق الموقف أو المقام) أو ما يسميه البلاغيون(مقتضى الحال) ». [4]

1- قدامة بن جعفر ،**نقد الشعر** ، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (ط03)،1979م، ص.85-86.

2- ابن قتيبة ،**أدب الكاتب** ، تحقيق : محمد الحلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1997م ، ص. 19 ،نقلاً عن: أسامة جاب الله، المرجع نفسه،ص.15.

3- القزويني، **التلخيص في علوم البلاغة** ، مصدر سابق، ص.04.وينظر: أحمد مصطفى المراغي ، **علوم البلاغة**، دار إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ،(ط01) ، 1992 م ،بداية من الصفحة،27.

4- جاب الله، المرجع سابق ،ص.03.

ومن الذين اعتمدوا المقولة البلاغية (لكل مقام مقال) (ابن رشيق) أساساً لفكرة السياق وتمثلاتها في الشعر والنثر يقول في حديثه عما يحتاجه الشاعر في صناعته:« أول ما يحتاج إليه الشعر بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية حسن التأني والسياسة ، و علم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل و أوجع، و إن فخر خبَّ و وضع، وإن عاتب خفض و رفع، وإن استعطف حنَّ ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً كان، ليدخل إليه من بابه ويداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي تتفاوت به الناس وبه تفاضلوا وقد قيل: لكل مقام مقال».[1]

ولقد أولى البلاغيون (للمقام) أهمية قصوى من منطلق اهتمامهم (بالسياق)[2] والمقام عندهم يتضمن ،عناصر شتى أهمهما الخطاب و طرفاه المتكلم والمستمع وما يكتنفه من ظروف وملابسات و قد أدى بهم ذلك إلى الخوض في قضايا أخرى كانسجام النص وتماسك عناصره.

ويظهر إدراكهم لأهمية السياق في اشتراطهم مطابقة الكلام لـــ(مقتضى الحال)[3]، و اشتهرت مقولتهم: (لكل مقام مقال) و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام)[4]، والتي تعبر عن ذلك، إذ لا يقتصر المعنى على السياق اللغوي

1- ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر** ، (ج01)، ص.199.نقلاً عن: أسامة جاب الله، المرجع نفسه، ص. 19.

2- يرى بعض الباحثين أن البلاغيين يضطربون في التفريق بين مفهومي الحال والمقام ؛ فبينما يؤكد بعضهم على أنهما متقاربان في المفهوم، وأن التغاير بينهما أمر اعتباري ،يذهب البعض الآخر إلى أنهما أمر واحد ؛وهو ما يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التراكيب.أما مقتضى الحال فهو: صورة خاصة ترد في الكلام زائدة عل أصل معناه قد اقتضاه الحال واستدعاها المقام .

3- هو أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها و مناسباً للموقف الذي يتحدث فيه.وقد قال عنه النحاة والبلاغيون:(إن خير الكلام ما كان مطابقاً لمقتضى الحال) ،و قالوا :(إن لكل مقال مقالاً) .

4 - ينظر: **الإيضاح** للقزويني ،(ج01)،ص.09.و:فوزي إبراهيم عبد الرزاق ،**السياق ودلالته في توجيه المعنى**،**(رسالة دكتوراه)**، كلية الآداب، جامعة بغداد ،(د ت) ،1996م،ص.34.

(المقال)، بل يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام)، يقول تمام حسان « لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال ، بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يُعَـدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر، في دراسة اللغة».[1]

ويقول كذلك« حين قال البلاغيون (لكل مقام مقال) و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام) وقَّعوا عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط؛ وتسلمان للتطبيق في إطار كل الثقافات علىالسواء. و لم يكن (مالينوفسكي) و هو يصوغ مصطلحه الشهير(سياق الحال) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها ».[2]

كذلك كان (التفتازاني)(791 هـ) له تصور حول السياق فهو الحال (النَّصبَة) عنده يقول في تعريفه لبلاغة الكلام:« هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به لأصل المراد خصوصية ما ، و هو مقتضى الحال، مثل كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال وقولك: إن زيداً في الدار، مؤكداً بأن كلامك مطابق لمقتضى الحال ».[3]

ومن البلاغيين الذين بحثوا كذلك في (مظاهر السياق) ما أوضحه (علي بن عبد العزيز الجرجاني) وذلك في معرض حديثه عن تأثير بعض المواقف على (سياق البناء اللغوي) يقول (الجرجاني) عن أسباب اختلاف الناس في

1 – تمام حسان ، **اللغة العربية (معناها ومبناها)**، مرجع سابق ،ص.337.

2- ينظر:مسعود بودوخة،**السياق عند البلاغيين ،ملامحه وتطبيقاته**،مجلة التراث العربي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(ع111)،2008 م، ص.245.

3- التفتازاني، **المطول ،شرح تلخيص المفتاح**، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ص.268.نقلاً عن: جاب الله، مرجع سابق، ص.20.

مقامات التعبير: « يرِق شعر أحدهم ويصلب ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، و دماثة الكلام بمقدار دماثة الخِلقة ، و أنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الجافي منهم كزّ الألفاظ معقّد الكلام، وَعِرَ الخطاب حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته ، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ».[1]

ويؤكد (الجرجاني) على دور السياق في التشكيل ، فإذا « صـــادف اللفظ سياقاً يتطلبه اطمأن فيه ، وإذا لم يوافق سياق المعنى ، كان نابياً لأنه لم يتلاءم مع ما يستدعيه السياق». [2] و في هذا المقام يقدم (الجرجاني)- بخاصة في كتابه (الدلائل)- العديد من الشواهد المتنوعة ، التي تؤكد على دور السياق في انتقاء الألفاظ، وأن الكلمة في موضع ما من الصياغة يكون لها تأثير على النفس، لا يمكن إخفاؤه بينما نرى اللفظة نفسها في موضع آخر ، تثقل على النفس فيغيب عنها رونقها وأنسها.[3]

ولقد كان لقضية (السياق) مفهوم يكاد يكون متكاملاً عند (عبد القاهر الجرجاني) إذ رأى أن المعنى له مستويان: « المستوى النفسي والمستوى اللغوي؛ أي مستوى الوعي قبل أن يلتبس باللغة . ثم المستوى الآخر الذي يكتسب الأبعاد الخاصة بعد إبرازه في أسلوب لغوي ، وهذا الأخير؛ أي مستوى المعنى في إطار التفاعل بين دلالات الألفاظ ، مع دلالات التركيب

1- القاضي الجرجاني ، **الوساطة بين المتنبيوخصومه** ،تحقيق:محمد إبراهيم وعلي البجاوي ،المكتبة العصرية، بيروت،(ط01)،2006م،ص.187.نقلاً عن:أسامة جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية**،مرجع سابق ، ص.15.

2- نفسه ، ص.30.

3- ينظر: ما أورده الجرجاني من شواهد في **(دلائل الإعجاز)** ،مصدر سابق، بداية منالصفحة.57.

أوما يسميه عبد القاهر (النظم)(..) ، لا يتحدد بعيداً عن السياق [1] و قد عبر عن هذين المرحلتين من مراحل المعنى بتعبيرين آخرين في بعض المواضع ، الأول: الغرض ، و هو الفكرة قبل أن تتشكل أو تصاغ في أسلوب، والثاني: المعنى وهو ما نتج عن تفاعل دلالات الألفاظ مع دلالات النحو».[2]

وفي حديث (الجرجاني) عن النظم حديث كذلك عن السياق [3] ذلك أنه «لا يَعُدُ الكلمة نقطة البدء ، وإنما العكس هو الصحيح فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله، و حينئذٍ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ ، و علاقتها فيه ثانياً». [4] كما أنه نظر « في الكلمة المفردة قبل دخولها التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلام إخباراً وأمراً وتهياً وتعجباً فوجد أنها لا تؤدي معنىً من المعاني ، التي لا سيبل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى الكلمة ، وبناء لفظة على لفظة بل إنها تفقد خصوصيتها في حالة الإفراد، فلا يختص بها إنسان دون إنسان».[5]

ويرى بعض الباحتين أن الجرجاني قد توصل في زمانه ، إلى ما توصل إليه علماء اللغة في العصر الحديث ، من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات ، هذه العلاقات قد تُوَلِّدُ انطلاقاً من الأجزاء (المتعالقة) صفاتٍ وخصائصَ ليست لأجزائها بالأصل. يقول (المسدي):« ومما

1- يرى بعض الباحثين أن الفرق بين مصطلحي (النظم)و(السياق)هو أن السياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها.

2- محمد عيسى،**السياق الأدبي، دراسة نقدية تطبيقية**، مرجع سابق ،ص.27.

3- يرى(شوقي ضيف) أن نظرية النظم عند (الجرجاني)،ما هي إلا تنظير لفكرة المقام ومحاولة لرصد مختلف السياقات ،وما يناسبها من أساليب التعبير ،فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو ما يسميه الإمام الجرجاني باسم (النظم)،الذي هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.

4- محمد عبد المطلب ، **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، 2004م، ص.241.نقلاً عن:جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية** ، مرجع سابق، ص.16.

5-محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني** ،الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة،(ط،01)،1995م، ص.60.

لا شك فيه أن الكلام من الظواهر التي تخضع لقانون تفاعل الأجزاء، ولما كان الكلام نتاج لمفردات الداخلة في تركيبه ، فإنه قد يبدو حاملاً في مجمله للسمة النوعية التي تحمله جميع أجزائه ، غير أنه بموجب قانون الجدلية بين الجزء والكل؛ فإنه يحصل للكلام – انطلاقاً من مجموع أجزائه– سمات ليست لأجزائه ».[1]

و إذا ما نظرنا إلى المقام على أنه يمثل سياق الموقف ، وجدنا ذلك أيضاً واضحاً عند البلاغيين فهذا (الجرجاني)، يفصل في حديثه عن بلاغة أسلوب التقديم والتأخير ، رابطاً بين صياغته وبين سياق الموقف، أي رابطاً بين المقام والمقال أو بين بنية السياق وبيئته، وثار على اللغويين العرب ؛لأنهم لم يفيدوا من مبدأ جيد وضعه سيبويه، مؤداه ربط الكلام بمقام استعماله.[2]

وقد كان (الجرجاني) واحداً من البلاغيين ، الذين أولوا اهتماماً كبيراً بقضية السياق الثقافي ، وذلك عند التمييز بين الحقيقة في الكلام والمجاز فيه ، وما يتصل بثقافة المتكلم ومعتقداته. نستشف ذلك من خلال تعليقه على ما جاء في قول الشاعرين (الصلتان العبدي) و(ذو الأصبع العدواني). فللأول ينسب قوله:

أشابَ الصغيرَ و أفنى الكبيرَ كَرُّ الغداة و مَرُّ العشيِّ

وللثاني قوله:

أهلكنا الليلُ والنهارُ معاً و الدهرُ يغدو مصمِّاً جَذَعاً

1- المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدارالعربية للكتاب،تونس،(دت)،1981م، ص.75.

2- ينظر:زهران البدراوي،**عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني،المفتن في العربية ونحوها** ،دار المعارف، القاهرة، (ط04)،1987 م،ص. 238-243.

يقول (الجرجاني):« كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقادهم التوحيد، إما بمعرفة أحوالهم السابقة، أو أن تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو، ما يكشف عن قصد المجاز فيه ».[1]

كما كان (للجرجاني) حديث عن تجلي أثر السياق في علم البيان من حيثكون الصور البيانية لا يمكن فيها الاعتماد على ظاهرة اللفظ وحده لاستخلاص المعنى، و الدلالة فيه لا تحصل بمعرفة المعاني المعجمية للألفاظ ؛ بل المعنى هو الدلالة الثانية في العموم. يقول: « الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى غرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه ، الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى ، دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة و التمثيل ».[2]

بل هناك من الباحثين من يعتبر أن كتابا (الجرجاني) (الدلائل والأسرار)؛ أكبر دليل على اهتمام البلاغيين بفكرة السياق ، يقول (الطاهر حمودة):« إن كتابا (الجرجاني) (الدلائل) و(الأسرار)، يمكن اعتبارهما خير ما يمثل عناية البلاغيين بالسياق اللفظي (النظم) و أهميته في تحديد قيمة الكلمة ، وبيان تفاوت البلغاء في إنشائهم ، حسب مقدراتهم و توفيقهم في إحكام النظم واستعمال وسائله في الدلالـة على المعاني ».[3]

أما (السكاكي)(626هـ) فقد تحدث عن مبدأ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، آخذاً بعين الاعتبار مقامات الكلام من خلال سياقاتها المتنوعة، و ذلك بحسب مقامات المتلقي للخطاب. يقول:« لا يخفى عليك أن مقامات الكلام

1- الجرجاني ، **أسرار البلاغة**، ص.389.نقلاً عن: جاب الله، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية** ، المرجع سابق، ص.18.

2- نفسه ،ص.262.

3- الطاهر حمودة ، **دراسة المعنى عند الأصوليين** ،منشأة المعارف،،الإسكندرية،مصر، (د ت)،1981م،ص.224. نقلاً عن : جاب الله ، المرجع نفسه، ص.18.

متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، و كذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي (..)، و ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، و هو الذي نسميه (مقتضى الحال) ».[1]

ومما أشار إليه (السكاكي) كذلك اشتمال ظروف المخاطبين على كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية الثقافية ؛ وذلك عند حديثه عن مناسبة الجمع بين بعض الألفاظ ، دون بعض ، بالنظر إلى كونها تنتمي إلى حقل واحد يعرف من خلال الخلفيات الاجتماعية و الثقافية للمخاطب. يقول« ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن إلى التنبه لأنواع هذا الجامع و التيقظ لها. فمن أسباب تجمع صومعة قنديل و قرآن؛ ومن أسباب تجمع بين دسكرة وإبريق وخلان».[2]

ويقدم (السكاكي) مثالاً عن ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالـــى:﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، و إلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾،[3] و الناظر في الآيات ربما استثقل فهم الجمع بين الإبل والسماء والأرض والجبال لعدم وجود داعي الجمع بينها، البعير عن جنابه في مقام النظر، ثم لبعده في خياله عن السماء ، و بعد خلقه عن رفعها وكذا البواقي».[4]

1- السكاكي، **مفتاح العلوم**،تحقيق:نعيم زرزورة ،دار الكتاب العلمية،بيروت،(ط02)،1987م ، ص.19.

2- نفسه ، ص.157 .

3- سورة الغاشية، الآية : 17- 20.

4- السابق ، ص157.

II. النظرية السياقية في الفكر اللغوي الغربي

توطئة

يدل السياق عند اللغويين المعاصرين ، على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر ؛ فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، ويرادفه القرينة وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر، لغرض تحديد الدلالة، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصصات كثيرة.[1]

أولاً: تعريف (السياق) بوصفه نظرية:

01/- تعريف مصطلح (نظرية) وبيان المراد بـــ (نظرية السياق):

أ/- من حيث اللغة

معلوم أن مصطلح (نظرية) مصدر صناعي مأخوذ من مادة (ن ظ ر) ، والمعاجم العربية لا تقدم بياناً لهذه اللفظة ؛ إلا باعتبار جذرها وهو(نظر، ينظر، نظراً). ومن المعاني التي جاءت هذه المادة لإفادتها :

- الإبصار بالعين، من ذلك قوله تعالى:﴿ فنظر نظرة في النجوم ﴾.[2]
- التأمل والتدبر، كقوله تعالى:﴿ فأنظر كيف كانت عاقبة المكذبين﴾.[3]
- الانتظار، كقوله تعالى: ﴿ أنظرونا نقتبس من نوركم﴾.[4]

- ومما قالته العرب بلفظ (النظر) ويحمل معنى التقابل والتحادي: داري تنظر إلى دار فلان.[5]

ب/- من حيث الاصطلاح

1- ينظر فايز الداية ،**علم الدلالة العربي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،(د ت)،1988 م، ص.32.

2- سورة الصافات ، الآية .88.

3- سورة النمل ، الآية .51.

4- سورة الحديد ، الآية. 13.

5- ينظر ابن منظور،لسان العرب، (ج05)،ص.15.والرازي ،**مختار الصحاح** ،بيروت،مكتبة لبنان ناشرون،1995م،(ج01)، ص.278.نقلاً عن:الزنكي،**نظرية السياق دراسة أصولية** ،مرجع سابق، ص.69.

ورد مصطلح (نظرية) في المصادر الإسلامية القديمة وصفاً للعلوم، والياء فيه للنسبة والتاء للدلالة على التأنيث فقط.

أما باعتباره مصدراً صناعياً فلم يكن متداولة قديماً، وقد عُرّف حديثاً بتعريفات عديدة نجملها على النحو التالي:

– « لفظة مرادفة للنسق والذي هو مجموعة من القضايا المرتبة ، في نظم معين بعضها لا يُبرهن عليها في النسق ذاته ، وبعضها يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات».[1]

– « فرض علمي يربط عدة قوانين بعضها ببعض ، و يردها إلى مبدأ واحد يمكن أن تستنبط منه أحكاماً و قواعد».[2]

– « فرض علمي يمثل الحالة الراهنة للعلم ، و يشير إلى النتيجة التي تنتهي عندها جهود العلماء في حقبة معينة من الزمن».[3]

– « منظومة من المقترحات العلمية ، التي تعطي مبادئ مفسرة ومحللة للموضوع الذي تدرسه ».[4]

– « تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة ، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ».[5]

1- وهبة مراد،**المعجم الفلسفي**، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، (ط 03)، 1979 م، ص.237-447. نقلاً عن: الزنكي ،مرجع سابق ، ص.71.

2- مدكور إبراهيم، وزملاؤه،**المعجم الفلسفي**،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة،(د ط)، 1979م ،ص.202 .نقلاً عن :الزنكي ، مرجع سابق، ص.72.

3- وهبة مجدي وزميله، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، بيروت، مكتبة لبنان،(د ط)، 1979 م، ص.226-227.نقلاً عن:الزنكي، مرجع سابق ، ص.72.

4-AUTNER,A-DICTIONARY-OF-PHILOSOPHY-LONDON :BLAKWELL , 1996 , P. 122 نقلاً عن :الزنكي، مرجع سابق،ص.72.

5- صليبا جميل،**المعجم الفلسفي**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (ج02)، 1982م، ص.77.

وأي كان الأمر في تعريف الحداثيين لمصطلح (النظرية) ؛ فإن ما يلزم الأمر في توفره المعاني التالية:

- خاصية الفكر المرتب.
- خاصية الفكر المرتب ترتيباً منهجياً.
- خاصية القيام على أساس حقائق علمية.
- آلية تعميم العلاقات القائمة بين تلك الحقائق على الموضوع المدروس؛

«إذ النظرية بناء فكري مرتب ترتيباً منهجياً ، مبني على مجموعة من الحقائق العلمية السابقة، لتفسير العلاقات القائمة بين تلك الحقائق وتعميمها ، على أفراد الموضوع الذي يُعالج بالدراسة ».[1]

ثانياً :السياق قبل (فيرث)

لم تستطع المناهج التي ظهرت قبل مدرسة (فيرث)، أن تقدّم لنا فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدد على يديه؛ وأصبح نظرية دلالية متكاملة الجوانب؛ إذ أخذ اللغويون الاجتماعيون على علم اللغة الحديث، إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللغة، ويتطلعون من وراء ذلك إلى منهج في درس اللغة يستشرفها، من خلال بُعْد أوسع، ويحاول أن يتبين كيف تتفاعل اللغة مع محيطها.

بيد أن تفكير (فيرث) لم يكن بمعزل عن الدراسات السياقية ، التي سبقته إذ كان من الطبيعي أن يلم بها جميعها ، من أجل أن يحدد الاتجاه اللغوي واللساني الذي يصب في الإلمام بفكرة السياق.

وإذا كان (سوسير) مؤلِف (دروس في اللسانيات العامة)، قد أكتسب شهرة واسعة في ميدان علم اللغة؛ فإن الفضل في ذلك يعود إلى هذا المؤلَف لما احتواه من جملة مبادئ لغوية عامة ، والتي أصبحت فيما بعد ركائز

1- الزنكي، **نظرية السياق – دراسة أصولية–**، مرجع سابق، ص.72.

أساسية في البحث اللغوي.« وقد أتخت هذه المبادئ، ثنائيات أو ثلاثيات متقابلة أو متكاملة أو متقاطعة من مثل ثنائية اللغة والكلام، و التاريخي والآني، والسياقي والإيحائي».[1]

بيد أن حديث (سوسير) عن العلاقات اللغوية « كانت من أهم الشواغل التي اتخذت مساحة في مقولاته ، وراء الكشف عن عمل نظام اللغة و كيف تتحكم في سير عملها، فإنه وصل إلى القول بالترابطات السياقية و الإيحائية، التي يعبر عنها في علم اللغة بالتقاطع الشهير ذي المحورين الرأسي والأفقي».[2]

أما (فندريس)(VENDRYES) « فقد عالج فكرة السياق،عندما تحدث عن المشترك الفظي، وأن السياق يمنع تعدد المعاني أو الوظائف، بحيث يشكل دائماً العامل الحاسم الذي يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك (..) و يرى بأن السياق الذي يحدد الكلمة، هو سياق ذهني و من ثم ينتمي إلى اللغة لا الكلام».[3]

بينما يعتقد (ستيفن أولمن) أن نظرية السياق، إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن ، فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة، لتحديد معاني الكلمات فكل كلماتنا تقريباً تحتاج على الأقل، إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي.[4]

1- ضيف الله الطلحي،**دلالة السياق**، مطابع جامعة أم القرى ،السعودية،(ط 01)، 2003 م ،ص.166.

2- نفسه، ص.168.

3- السابق، ص.172.

4- ينظر: أولمان،**دور الكلمة في اللغة**،ترجمة:بشر،مكتبة الشباب،القاهرة،(ط 10)،1986م.ص.66-67.

بل كان يعتقد بأن مفهوم السياق، يجب أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة اللاحقة فحسب؛ بل والقطعة كلها والكتاب كله، وهو ما يطلق عليه سياق النص.[1]

كما كان يعتقد بأن الكلمة تنعدم قيمتها إذا اكتسبت معنىً خارج السياق الذي تقع فيه . إذ بإمكانها أن تحتمل أكثر من معنىً فلا قيم حضورية لها إلا من خلال سياقها « فالذي يعين قيمة الكلمة هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة ، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها. والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية ،التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية ».[2]

إلى ذلك كانت« البداية الحقيقية لـ(نظرية السياق) متمثلة في جهود عالم الاجتماع، والأجناس البشرية (مالينوفسكي)[3] عندما صادف صعوبات جمة، أثناء ترجمته لبعض الكلمات والجمل في اللغات البدائية ، وخاصة لغات الهنود الحمر في أمريكا إلى اللغة الإنجليزية (..) و من ثم فإنه عرَّف معنى الكلمة أو الوحدة اللغوية ، بأنها الوظيفة التي تؤديها في سياق ما، ثم صاغ عبارته الشهيرة (Context Of Situation) التي يمكن ترجمتها بـ(سياق الموقف) أو(الظروف الخارجية) المصاحبة للأداء اللغوي، و قد مثلت هذه العبارة نقطة الانطلاق الأساسية لنظرية السياق عند (فيرث) ».[4]

1- ينظر: نفسه ،ص.62.

2- فندريس، **اللغة**،ترجمة:الدواخلي، والقصاص، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ،(ط03)،1967م، ص.231.

3- يرى بعض اللغويين المحدثين أن (مالينوفسكي) هو أول من استعمل مصطلح السياق ،و إليه تنسب نظرية السياق إذ تناول اللغة في دراسته لأثرها في المجتمعات البدائية ، بوصفها صيغة من الحركة ، وليست أداة انعكاس جامدة ، فاللغة الحية يتحكم بها السياق وأن وظيفة اللغة تتجاوز إيصال الفكرة ،والانفعال فهي نوع من السلوك، مما يعلل الأخذ بالمقام (الموقف الكلامي) أو(القرائن الحالية) وهي جميع ما يحيط بالنص ، فالكلام والموقف مرتبطان في أداء المعنى بما يسمى: سياق الموقف .

4- البركاوي ، **دلالة السياق في التراث وعلم اللغة الحديث**، مرجع سابق ،ص. 48

لقد تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى ، كالنظرية الإشارية التي قامت على يد كل من (أوجدن وريتشاردز) اللذان ظهرت أفكارهما في كتابهما(معنى المعنى) و النظرية التصورية ، أو العقلية للفيلسوف(جون لوك) والنظرية السلوكية التي يعد (بلومفيلد) المسؤول عن تقديمها إلى علم اللغة.

ولكن على الرغم من ذلك لم تستطيع هذه المناهج التي ظهرت قبل مدرسة (فيرث) أن تقدم لنا فكرة السياق بالمفهوم التي تحدد على يديه ، وأصبح نظرية متكاملة الجوانب « إذ أخذ اللغويون الاجتماعيون على علم اللغة الحديث، إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللغة، و يتطلعون من وراء ذلك إلى منهج في درس اللغة ليستشرفها ، من خلال بُعدٍ أوسع، و يحاول أن يتبين كيف تتفاعــل اللغة مع محيطها».[1]

إن الواجب يملي علينا « القول بأن هؤلاء الغربيين، قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق،على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية. و وضعوا لها من المعايير والإجراءات، ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل و التفسير».[2]

1- نهاد الموسى،**نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**،المؤسسة العربية للدراساتوالنشر،(ط01)، 1980م، ص.86-87.

2- الطلحي،**دلالة السياق**، مرجع سابق ،ص.165.

ثالثاً: نظرية السياق عند (فيرث)[1]

سعت المدرسة الانجليزية منذ الوهلة الأولى ، إلى اعتبار الظروف المحيطة باللغة ركن مهم في عملية التحليل اللغوي ، بخلاف ما كانت عليه المدارس اللسانية الأخرى التي قررت أن البحث في اللغة ؛ هو اللغة في ذاتها مستبعدة كل العناصر الخارجة عن اللغة أثناء التحليل ، إذ « أدخل أصحاب النظرية السياقية من اللغويين الانجليز في عملية التحليل اللغوي بعض العناصر الخارجة عن اللغة (السياق الخارجي) وذلك بخلاف المدارس التركيبية الأخرى الثلاث (المدرسة الأمريكية، مدرسة براغ، مدرسة كوبنهاجن) التي نظرت إلى اللغة باعتبارها منظومة من العلاقات ؛ و أنها بنية متكاملة تتكون من عناصر لغوية داخلية ،لا يستطيع أحدها أن يعمل بمفرده ، و إنما يعمل كل منها في إطار النظام العام للّغة وأن موضوع البحث اللغوي هواللغة في ذاتها، و قد ركزت هذه المدارس على الناحيتين (الفونولوجية) و(النحوية)، كما أكدت على استبعاد كل العناصر الخارجة عن اللغة ».[2]

كما اقتنع (فيرث) بأن مسألة التحليل اللغوي لا يمكن أن تتملص من الموقف الخارجي المحيط بمُنشئِ اللغة؛ من أجل ذلك قرر بأن « التفوهات (كلمات أو عبارات أو جمل) إنما تؤدي وظيفتها في إطار موقف خارجي ، كما أن عناصر الوحدة اللغوية لا يعمل أي منها إلا في ضوء علاقته بالعناصر الأخرى، والمراد بالوحدة اللغوية هنا الجملة وليست الكلمة أو العبارة ، ذلك أن

1-جونروبيرت فيرث (1890-1960م) لغوي بريطاني ،وشخصية رئيسية في تطوير علماللغة ببريطانيا ، يعرف إجمالاً بعلم اللغة الفيريثيات وبنظريتهالسياقية عن المعنى وأفكاره. ولد فيرث في (كيغلي ، يورك شاير بإنكلترا) . وكان أستاذ اللغة الإنكليزية في جامعةالبنجاب بلاهور ، بالهند من (1991إلى 1928) كما كان محاضراً في علم الأصوات في الكلية الجامعة بلندن من (1928إلى 1938). و رئيس قسم علم اللغة العام في جامعة لندن من: (1928 إلى 1956). وتتضمن أعماله المنشورة: الكلام (1930) وألسنة الرجال(1937)وتظهر كتاباته العديدة الأخرى فيصفحات في علم اللغة ب ين (1934إلى 1951).

2- السابق، ص.48.

الجملة هي وحدها وحدة الاستخدام الكلامي ، ولم تعد ما كان ينظر إليها في النحو التقليدي (وحدة فكرية) أو(وحدة للكمال النحوي) ، و أصبحت وحدة اتصال في الموقف الخارجي للسياق، ومن هنا فقد استبعد (فيرث) كل المعايير العقلية».[1]

ولقد نظر(فيرث) إلى المعنى [2]على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس وليد لحظة، معينة لم ا يصاحبها، من صوت وصورة ، ولكنه أيضاًحصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع: فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية ، من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال.[3]

كما أن (فيرث) ينظر إلى المعنى على أنه مركب من « الوظائف اللغوية الصوتية والصرفية و النحوية والمعجمية، و سياق الحال الشامل لكل ما يتصل بالمتكلم و المخاطب والظروف الملبسة و البيئة. ومن ذلك الصمت والضحك والإشارة».[4]

لقد كان المعنى عند فيرث « حجر الزاوية في النظرية النحوية؛ فوظف مصطلح التركيب، وذهب إلى أنها تلك العلاقات التبادلية بين العناصر اللغوية، في نص أو جزء منه،على مستويات من بينها المستوى النحوي، ومن خلال

1- نفسه ، ص.50.

2- يرى (وليم إمبسون) أن السياق يعد عاملاً حاسماً في تحديد دلالة اللفظ والتراكيب ، وهي في نسقها ونصها، حيث إن معاني الكلمات هي نتائج لا يتوصل إليها، إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التفسيرية لكامل الكلام ، أي لمجموع مكونات النص السياقية.

3- ينظر : **علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**، دار الفكر العربي ، القاهرة،(دت)،2006 م، ص.371.

4- بشر، **دراسات في علم اللغة** ، مرجع سابق،ص. 175.نقلاً عن: **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية**،مرجع سابق، ص.56.

ظاهرة تركيبية هي التوالي تبنى على علاقة أفقية نحوية تبادلية، بين الفصائل النحوية كالأداة و الاسم و الفعل و الظرف ».[1]

وقد وظف (فيرث) في دراسته اللغوية ، مصطلح التركيب « واتخذ منه علاقة بين العناصر اللغوية في نص أو جزء منه ، وكان التلازم أو المصاحبة وهي تلك العلاقة الدلالية، بين الكلمات إحدى ظواهر هذا التركيب، في محاولة منه لإظهار أثر العلاقات الأفقية في المعنى».[2]

وينقسم السياق عند علماء اللغة الغربيين ؛ وعلى رأسهم (فيرث) إلى السياق اللغوي، و السياق الموقفي وقد أضاف إليهما أحد أتباعه وهو (جون لوينز) السياق الثقافي .أما عناصر سياق الحال فقد رأى (فيرث) أنها جزء من أدوات علم اللغة؛ ولهذا اقترح العناية بالعناصر الآتية :

- الملامح الوثيقة بالمشتركين كالأشخاص ، والخصائص الذاتية المميزة للحدث الكلامي أو غير الكلامي لهؤلاء المشتركين.
- الأشياء ذات الصلة التي تفيد في فهمه .
- تأثيرات الحدث الكلامي.

رابعاً: السياق بعد (فيرث)

لقد شكلت ظاهرة المصاحبة أو التلازم ، أو الرصف أو التراصف أو التساوق أو التضام، على اختلاف التسميات اتجاهاً دلالياً قائماً بذاته عرف بــ(نظرية الرصف)؛ أقصي فيها الجانب المقامي أو سياق الحال، واقتصر على السياق اللغوي فقط .[3]

و كان تلامذة (فيرث) من أوائل من تبنى تلك الفكرة ، وطوروها لتستحيل نظيرة من نظريات الدرس الدلالي، « فكان أبرزهم اللغوي (هاليداي)

1-محمود نحلة،**علم اللغة النظامي،مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي** ،ملتقى الفكر، الإسكندرية،مصر،(د ط) ، 1998 م ،ص.

2- نفسه ، ص.19.

3- ينظر:علي عزت،**الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب**،دار الآداب القاهرة،(دط)،1996م، ص.30.

الذي صقل المفهوم وبسطه في دراسة له بعنوان:(Lexis As A Linguistic Level)».[1]

لقد عني (هاليداي) بالرصف، وهو عنده وجوب مراعاة وقوع الكلمات مجاورة لبعضها؛ حيث يعد الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة، وتكون قائمة الكلمات المتراصة مع كل كلمة جزءً من معناها،بحيث تتطلب كلمة ما حضور سلسلة من الكلمات، التي تتراصف معها سياقياً وتتوافق معها في الوقوع[2]؛« ولأن الطبيعة الخطية للغة الإنسانية، تقتضي تسييق العناصر اللسانية الدالة بتواترها وتلاحقها ضمن متواليات لسانية غير متناهية »[3]؛ فإن (هاليداي)، يؤكد على أن « وقوع عنصر في محيط مصاحبي، يمكن فحسبدراسته في ضوء الاحتمال».[4]

لقد أكد كل من (هاليداي) و (رقية حسن) من خلال كتابيهما (اللغة والسياق والنص) على الفكرة الأساسية التي تهدف إلى إجلاء العلاقة بين النص والسياق هذه العلاقة المؤكدة فحواها أن « كلاً من النص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر ».[5]

وهو ما يؤكد عليه (جون لاينز) أيضاً إذ يرى أن « كلاً منهما متمم للآخر وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها أما السياقات فيتم

1- محمد عبد العزيز، **المصاحبة في التعبير اللغوي**، دار الفكر العربي، القاهرة،(د ط)،1990 م،ص17.

2- ينظر: أحمد قدور، **مبادئ اللسانيات** ، دار الفكر ، دمشق، (د ط)، 1996 م، ص.330.

3- أحمد حساني، **السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية ، مقاربة لسانية** ، د م ج ، الجزائر ، (د ط)، 1993 م ،ص.126.

4- محمد عبد العزيز،**المصاحبة في التعبير اللغوي**، مرجع سابق، ص.24.

5- يوسف أوغليسي، **الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، بحث في المنهج والإشكالية** ،رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر،(دط)،2000م،ص.117-118.نقلاً عن:فاطمة لحامدي، **السياق والنص، استقصاء دورالسياق في تحقيق التماسك النصي** ،(مقال)،مجلة الآدابوالعلوم الإنسانية ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة،(ع جوان)،2008م، ص.06.

تكونها وتحويلها، وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة ».[1]

و بالإضافة إلى هاليداي هناك تلميذ آخر هو ماكنتوش(Mc Intosh) الذي توصل إلى تقسيم المصاحبة إلى نوعين؛ أولهما المصاحبة العادية التي تعرف بأنها المصاحبة التي يمكن أن ننسبها إلى قائمة من القوائم التي نتعامل معها، والتي تشبه في دقتها ونظامها، المعاجم الكبيرة فإذا قلت: (صهيل) توقعت مباشرة الخيل أو الحصان، و إن قلت (خرير) لتنبأت بلفظ الماء وليس الجمل.

أما المصاحبة غير العادية فهي ذلك النوع، الذي يرجح أن يكون من الأهمية بمكان في الأدب، إذ أنها جزء من الجهاز الذي يستطيع من خلاله، توصيل شيء لا يمكن توصيله بالوسائل العادية، وهو بذلك يضع لنا مشكلة ، لا يمكن أن نلجأ في حلها إلى أي خبرة ذات علاقة مباشرة.

1- جون لاينز ،**اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس الوهاب، دارالشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية ، العراق ،(ط01)،1987م ، ص.215، نقلاً عن :فاطمة لحامدي،نفسه، ص.06.

الفصـــــــــل الثالث:

الفكر اللغوي الغربي،مقترحات حول الممارسةالنصية.

المبحث الأول- مدخل إلى اللسانيات النصية،التاريخ والتطور:

أولاً : تاريخية التطور من نحو الجمل[1] إلى نحو النص:

توطئة

يحتل التراث النحوي مكانة متميزة في أي ثقافة إنسانية؛ نظراً لحجمه الهائل وكثرة العلماء الذين حرصوا على دراسته، والتأليف فيه ثم خاصة لحضوره الدائم في الذاكرة الجماعية، لهذه الشعوب وتوجيهه لكثير من اختياراتهم وسلوكياتهم.

وفي تراثنا العربي ، يكاد يجمع ناقدو التراث على أن بالنحو العربي عيوباً تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ، ضرورة ملحة ومهمة أساسية من مقتضيات عصرنا ومستلزمات نهضتنا وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى وتباينوا في تشخيص هذه العيوب ، وتعيين طرق الإصلاح تبايناً يجعل الباحث يتساءل عن قيمة الأسس التي اعتمدوها ومدى سلامتها؛ وإن كان لا خلاف في أن ذاك العمل على بساطته من حيث الأسس العلمية المعتمدة فيه ، كانت بمثابة باكورة انطلاق لمفاهيم لسانية لم تستقر مصطلحاتها ومناهجها ونظرياتها ؛ إلا مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

ونكاد نلمس بين اللغويين العرب المعاصرين شبه إجماع على أن النحاة العرب القدامى « لم يحسنوا دراسة الجملة لعدم توفيقهم في تحديد موضوع الدراسة(..)، لكنهم تباينوا في تحديد المطلوب منهم- أي النحاة القدامى – وفي هذا السياق؛ يمكن أن نتبين موقفين اثنين: أما الأول فهو ينقدهم بأنهم ضيقوا مجال دراستهم تضييقاً مخلاً، و أما الموقف الثاني فهو يتهمهم بأنهم وسعوا من

1- يعرف ابن هشام في مؤلَفه (مغني اللبيب) الجملة بأنها عبارة عن:فكرة تامة أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة، أو نمط تركيبي ذو مكونات تشكيلية. ويرى بعض المحدثين أن الجملة في عمومها تقع في إطارين مختلفين : فإن كانت من النوع الذي يقصد به المتكلم تحقيق الاتصال أو نقل المعلومات بينه و بين مجتمعه؛ فإنها تتسم بتتميم الفائدة في ذاتها أو بذاتها أو بالأجزاء المرتبطة بها في السياق النصي؛ أما إن كانت من النوع الثاني كالهمهمة أو مخاطبة الذات ، في جلسة اجتماعية ليستبين ،حاضريها ميادين مشتركة للحديث ،فتكون الجمل مقطوعة عن السياق أوهي قابلة للقطع عن السياق..

حدود ما تقتضيه صناعتهم ، بشكل أفقد دراستهم التجريد الذي يقتضيه العلم ».[1]ولعل أهم فرق يميز البحث الحديث ؛ في بناء الجملة عن البحث العربي القديم « يكمن في أن الجهد العربي دار حول محور نظرية العامل ؛ بينما البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلةً للتعبير عن معنى، ومن ثم يعد المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة ».[2]

كما بدا للمحدثين عدم عناية القدماء بالجملة لذاتها ، خاصة عندما لم يهتموا بها إلا بمقتضى ما لها من علاقة بالإعراب [3]، و بما أن الإعراب عند المحدثين محوره الكلمات المفردة ، قال كثير منهم إن القدامى لم يدرسوا الجملة إلا إذا أمكن لها أن تعوض المفرد. يقول (المهيري) « إن دراسة الجملة كانت رهينة دراسة المفردات،لا يكترث لها إلا إذا أمكن أن تعوض المفرد ؛

1- عز الدين مجذوب ، **المنوال النحوي العربي** ، **قراءة لسانية جديدة**، نشر كلية الآداب سوسة ، تونس،(ط01)، 1998م، ص.113.

2- حاتم الضامن، **علم اللغة** ، مرجع سابق، ص. 65.و ينظر : الجزء المخصص من هذا البحث ؛والمتعلق بإشكالية التعالق بين اللفظ والمعنى في الفصل الثاني.

3- استقر عند كثير من اللغويين المعاصرين، أن تخليص النحو العربي من نظام العوامل، هو تخليص له من منهج غير لغوي ،مثلما هو عند مهدي المخزومي الذي يقول :إن إصلاح منهج الدراسة النحوية لن يتم إلا إذا خلصنا الدرس النحوي ،مما علق به من شوائب جرها عليه منهج دخيل وهو منهج الفلسفة؛ الذي حمل معه إلى هذا الدرس فكرة العامل(..)فمثلاً يقول النحو التقليدي عن كلمة خالد في نحو: جاء جاء خالد إنها فاعل لفعل جاء الأول، أما فعل جاء الثاني فلا فاعل له وكأننا بأصحاب نظرية العامل والمعمول، يقولون بإمكان وجود فعل بلا فاعل .أما نظرية العامل البلاغي ، فقد خالفت ذلك النحو بقولها؛ إن كلمة خالد فاعل لكلا الفعلين المؤكد الأول والمؤكد الثاني في أن واحد ذلك أن كليهما مسند إلى خالد دون سواه..! ونحن نتصور أن فكرة العامل، قد صبغت النحو العربي بميزة لغوية هامة ،هي من صلب ما تتمتع به اللغة العربية ،من ميزات وفق مستوياتها النحوية والصرفية والمعجمية والدلالية؛ زيادة على أن فكرة العامل اقتضتها ولادة جديدة لعلم جديد- كسائر العلوم- كان من الطبيعي أن يمر عبر تشكله بمراحل معينة ،وذلك وفق طبائع ذهنية معينة، في وسط بيئي له خصائصه الثقافية والفلسفية والدينية.

وبذلك يُفسر تبويب الجمل عند القدامى، إلى جمل لها محل من لإعراب ، وجمل لا محل لها من الإعراب..».[1]

أ/-من جزئية الجملة إلى كلية النص

حين أخذ علم اللغة المعاصر في الظهور ، اقتصرت الأبحاث في العادة على إطار الجملة ، باعتبارها الوحدة الكبرى ذات البنية الصميمة .أما البنى الأخرى المجاوزة للجملة ، فكانت على اختلافها تلحق بعلم الأساليب . و حين يتخطى المرء حدود الجملة ؛ يجد نفسه في مجال يتسم بقدر أكبر من حرية الاختيار والتنوع، وبدرجة أقل من التوافق مع القواعد المقررة.

هذا التخطي لحدود الجملة لم يكن وقتها متاحاً، فقد كانت الجملة تعتبر الوحدة الرئيسة للدرس اللغوي النحوي.« فأخذ علماء اللغة يدرسون الأبعاد الدلالية في حركة مبانيها، ودراسة وحداتها الصرفية، وما يترتب على ذلك من تسمية الجملة –اسمية أو فعلية – ودراسة خلافات العلماء في ذلك؛ أو تتصرف الدراسة إلى معرفة الحذف ، أو الزيادة في الجملة الواحدة ، مع تعدد وجهات نظر العلماء في دراسة المعاني المترتبة على ذلك كله ؛ مع أن جل النحاة درسوها من حيث الحركة الإعرابية ، وما يسببها حذفاً أو إضماراً أو ذكراً ، من غير اهتمام كبير بما يترتب على أي عنصر من هذه العناصر من حيث الدلالة والمعنى، ولا من حيث الخروج على أصل المباني في التركيب الجملي أو على أصل حركاته».[2]

ونتيجة لذلك كانت الدراسات النحويةّ ، محصورة في حدود الجملة في التحليل اللغوي، تاركةً تحليل النصّ للبلاغة والأسلوبيّة، وهذا ما أثرى التراث اللغوي الذي شكّل حصيلة جوهريةّ ، أمدّت الوصف النحوي للنصّ بمفاهيم

1-عبد القادر المهيري، **الجملة في نظر النحاة** ،حوليات الجامعة التونسية ،ع(10)،1966م،تونس، ص.36.نقلاً عن: مجذوب، المنوال النحوي العربي ،السابق ، ص.117.

2- خليل أحمد عمايرة، **المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي** ،وائل للنشر التوزيع،عمان، (ط01)،2004م ، ص.340.

وأدوات لا يمكن الاستغناء عنها« لكنّ إطار نحو النصّ ومبادئه ، يلزم البحث عن نماذج أشمل وطرق وصف ، مغايرة قادرة على استيعاب ذلك التحوّل ، وتقديم محاولات جديدة لتحقيق الكفاية الوصفيةّ والتحليليّة ».[1]

وكان من الطبيعي أن ينبري الدارسون المحدثون لمكمن الخلل والعوار ، الذي وقع فيه الدارسون الأقدمون ، حينما استعرضوا الأسس التي تقوم عليها مفاهيمهم المتعلقة بالجملة إذ « ثمة اتفاق بين كثير من الدارسين المحدثين ، على أن النحاة العرب الأوائل ؛ لم يدرسوا الجملة دراسية وافية ، و ربما كان مرد ذلك إلى أمرين اثنينأولهما : يعود إلى أن النحاة العرب ، لم يحددوا تحديداً مرضياً موضوع دراستهم ،ولذلك أخطؤوا المادة التي اعتمدوها لبناء منوالهم. وثانيهما: هو أن المنوال النحوي الموروث ، غير مطابق لمعطيات اللسان العربي ».[2]

ويبقى هامش الفرق بين صفتي العلمية من جهة؛ و المعيارية من جهة أخرىبمثابة الفيصل الذي ألحّ عليه علماء اللغة المحدثون ، حينما حددوا نقاط الاختلاف بين النحو التقليدي ونحو النص.لذلك يرى بعض المتابعين أن«الألسنية الحديثة تمتاز على علم القواعد التقليدي ، في أن الأولى تقوم على مراقبة الوقائع اللغوية ، دون أن تفضل بعضها عل حساب بعض ، باسم بعض المبادئ الجمالية أو التربوية ، إذ أن علم اللسان يعتمد على الرؤية العلمية ، وليس على الرؤية الافتراضية التي كثيراً ما لجأت إليها علوم القواعد القديمة ؛ انطلاقاً من معيار الخطأ والصواب.لذلك تقف الألسنية الحديثة ذات الرؤية العلمية المجردة،على النقيض من علم القواعد التقليدي ، ذي الرؤية المعيارية الافتراضية. و هي رؤية لم تنتج منها قواعد لغة من اللغات ؛ بما في ذلك علم

1- سعيد حسن بحيري؛ **علم لغة النص** ، **المفاهيم والاتجاهات** ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، القاهرة، (ط01)،1997م،ص.141.

2- عز الدين مجدوب ، **المنوال النحوي العربي**، مرجع سابق، ص.113.

النحو العربي ، على الرغم من اعترافنا بالمجهودات الهائلة ، التي قام بها علماء النحو والصرف العرب، مما ينذر لها نظير في اللغات الأخرى ».[1]

ولعلّ من أبرز دواعي التحوّل من نحو الجملة إلى نحو النصّ؛ أنّ الأخير لا يقرّ للجملة بالاستقلال، مما يجعل نحو الجملة غير كاف لوصف تتابعات كبرى تتجاوز الجملة، وظواهر تتعلق ببنية النصّ ككلّ، أي أَنَّ الجملة ذات دلالات جزئيةّ في النصّ، ولا يمكن أن تقرّر الدلالة الحقيقيّة لكلّ جملة داخل كليّة النصّ، إلّا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في التتابع الجملي، ذلك أن نحو النصّ يتطلع إلى تصور يرى من خلاله النص – مهما صغر حجمه– على أَنَّه وحدة كليةّ مترابطة الأجزاء، أو بنية معقدة متشابكة متلاحمة دلالياً، يتحقق التماسك بين عناصرها.

ولم يكن بوسع التحليل اللساني فيما مضى، إلا الوقوف عند حدود الجملة إذ كانت هذه مصممة، بوصفها إطاراً نموذجياً للإدماج الإجمالي، لكل الأحداث الملائمة لسانياً من غير اهتمام بأدنى تفكير ، بالمستويات المحتملة لتنظيم فوقمستويات الجملة. بل إن (سوسير) وفي حديثه عن الجملة[2] لا يعتبرها جزءاً

1- أحمد حمو، **محاولة ألسنية في الإعلال (مقال)**،مجلةالألسنية،(دورية)، وزارة الإعلام،الكويت ،1989م، ص167.

2- يعتقد البعض أن المعايير المعتمدة في تعريف الجملة هي:- معيار الشكل أو الكتابة ، وتتمثل في إبراز الحرف الأول واستخدام الترقيم في نهاية الملفوظ.- معيار الدلالة فالجملة هي الملفوظ التام الإفادة.- معيار الوقف، وهو المعيار الذي وصفه (مونان) بالقول :(تعرف الجملة صوتياً بالوقف والسكت، وخصوصاً تغير الخط الانغامي،كما في : الإبلاغ الافصاحي، التعجب، الإنكار، السؤال ، الأمر، الالتماس أو الترغيب والترهيب..إلخ). أما (جون لوينز)،فيذهب في تقسيم الجملة إلى نوعين : - جملة نصية :و هي التي تستقل في دلالتها داخل النص — جمل غير نصية: وهي عبارة عن جزء الجملة ، فالحكم عليها بأنها جملة نصية يوجد حينما تعطي دلالة ما كأنها نص.

من لسانيات اللغة ؛ ولكن من لسانيات الكلام. يقول (دي سوسير):« الجملة هي نموذج التركيب الأمثل ولكنها تنتمي إلى الكلام وليس إلى اللغة ».[1]

و قد كان العالم (دي بوجراند) من علماء اللغة ، الذين حددوا بدقة الفوارق التي رآها جوهريّة ، بين مجال الدراسة النصيّة ونظيرتها في الجملة. هذه الفوارق تفسح مجال البحث واسعاً أمام النص ، باعتباره نظاماً فعالاً و أن الجملة مجال البحث فيها ، منطلقه الأساسي من كونه نظام افتراضي، وأن الجملة تتسم بالمعيارية الصارمة ، بينما النص يخضع لمعايير في تعريفه من بينها الاتساق والانسجام[2] و القصدية.. و غيرها.

إضافة إلى ذلك أنّ قيود القواعد المفروضة ،على البنية التجريديةّ للجملة في النصّ، يمكن أن يتمّ التغلّب عليها بالاعتماد على سياق الموقف، كما أن الحكم على مقبولية الجملة عن أخرى ، يختلف تماماً عن نظيره بالنسبة للنص ،على اعتبار أن النص يعتمد على دوافع الموقف والإسهام في عملية الاتصال، وهناك فارق آخر يتمثل في الأعراف الاجتماعيّة ؛ التي تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل، و أن العوامل النفسيّة أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل، و أنّ النصوص تشير إلى نصوص أخرى ، بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل الأخرى.[3]

وحينما يجنح الباحثون في تحليلهم الخطاب ، بمنهج نصي يستند إلى سياق الموقف و بساط الحال ومرجعية النص ؛ يقفون عند الإعراب لكن سرعان ما يتجاوزونه ؛ « معتبرين منهج صناعة الإعراب وحده ، قاصر عن تحقيق الهدف من التحليل اللغوي ، لذلك لا يَلْزَمون منهج التحليل بالجمل؛ لأن

1- منذر عياشي ، **العلماتية و علم النص (نصوص مترجمة)**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب ، (ط01)،2004 م ،ص.120.

2- سيكون لنا حديث مفصل عن مظاهر اتساق وانسجام الخطاب في مباحث لاحقة.

3- للمزيد من تفاصيل هذه الفوارق ينظر: روبرت ذي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء** ، ترجمة: حسان تمام ،دار عالم الكتب، القاهرة ، (ط02) ،2007 م، بداية من الصفحة. 89.

الجمل كيان لغوي محدود ، و فيه الممكن وفيه المفترض ، إذ يمكن تصور جمل متكلفة إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابع ، أو أكثر ابتذالاً مما يمكن قبوله ، أو لكونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملي في الأداء ، و لذلك فتحليل الخطاب بنحو الجمل ، يبتعد بالنص عن سياقه الواقعي وأبعاده التداولية و يركن به في زاوية التجريد والشكلانية ».[1]

وبمقدار ما يجب علينا معرفته ،حول اتساع الهوة العلمية بين علم اللغة ، النصي و بين علم اللغة الجملي؛ فإن الأمر يتطلب منا الإقرار باستحالة الفصل بينهما ، واعتبار خاصية التداخل أو الانفصال أو الاشتمال بينهما أمراً غير منطقي ولذلك « لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين علم اللغة النصي و علم اللغة الجملي، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان ، نحن ننطلق أكثر من ذلك ، من كون العلاقة تكاملية بين علم اللغة النصي و علم اللغة الجملي؛ حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي ، على أنها تمهيد ضروري لأبحاث علم اللغة النصيمن جهة؛ لكنها ومن جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة النصي الأكثر شمولاً».[2]

وبحلول القرن الثامن عشر ، أعيد البحث في مسالة الجملة إلى السطح . وكان من أهم ما عكف البحث اللغوي على درسه ، منذ ذلك التاريخ إلى اليوم «مسالة العلاقة الدلالية بين الجملة وبين الكلمات المكونة لها ، فالجمل هي بوضوح أكثر من محصلة الكلمات المكونة لها ، من زاوية النظر الدلالية أو القواعدية . وقد اتجه التراث الغربي إلى التركيز على الكلمات ، باعتبارها

1- بودرع ، **في لسانيات النص و تحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم** ، 2013 م بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية.ص.13

2- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي** ،ترجمة: فالح العجمي، جامعة الملك سعود ،النشر العلمي والمطابع،الرياض،(د ت)،1996م ، ص.08

الحوامل المفردة الصغرى للمعاني ، و الى النظر إلى الجملة بوصفها محصلة لجميـــــــع الكلمات، في أنماط معينة من القضايا المنطقية ».[1]

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لمرحلة تحليل الجملة ، التي تجاوزتها الدراسات اللسانية الحديثة ؛ فإن الأكيد أن علم اللغة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي ، قد تطور تطوراً لافتاً ؛ وأضحى مثل كل فروع العلم ،والمعرفة الإنسانية ومثل كل مناحي الثقافات البشرية، عبارة عن نتاج لماضيه المتراكم من الممارسات والتصورات والإسهامات، التي قدمها الأولون وفق ما كان متاح لهم من المناخ العلمي العام.« إذ القاعدة العامة أن العلوم الجديدة ، تنمو كتخصصات من قلب علوم أخرى ، قائمة بوسائل متقاطعة . فالمناهج التاريخية والفيلولوجية وحتى الوصفية ، لم تعد كافية لتضمن المبادئ والإجراءات الجديدة؛ عندئذ وجهت العناية إلى اللغة باعتبارها نظاماً ؛ مما أدى إلى بروز نظرية اللغة ونشوء علم اللغة النظري ».[2]

وكان من الطبيعي أن يتجه البحث اللساني ، إلى ما هو أوسع من ذلك وأعم؛ إذ هناك عدد من العوامل يحدد التحولات والتطورات ، في علم معين . فكل علم من العلوم،ينمو من خلال ماضيه كما أن الوضع الذي وصل إليه العلم، في الجيل السابق يقدم نقطة البداية إلى الجيل الثاني الذي يليه. من هنا كانت بداية بزوغ علم جديـد هو علم النحو النص؛ الذي جاء على أنقاض علم أفل نجمه، وأضحى منتراكمات الماضي ألا وهو علم الجملة.فما هو علم نحو النص ؟ وما هي أسسه العلمية واللغوية ، التي حددها علماء اللغة المحدثون له..؟ وهل يمكن الجزم أن البحث اللساني الحديث ، قد تجاوز بشكل نهائي مرحلة علم تحليل الجملة..؟.

1- ر.هـــ.روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب** ،عالم المعرفة ـــإصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،(د ت)،1997م،ص.251.

2- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة كتب ثقافية، (ع164)، 1992م، ص.230.

ب/- مفهوم نحو النص

يرى بعض الباحثين أنه لكي نتوصل إلى المفهوم القار لمصطلح (نحو النص) يجب أن نعمل على تفكيك تركيبه ، بمعنى نقف على مفهوم مصطلح (نحو) منفرداً ثم مصطلح (نص) كذلك ؛ ثم نتحرى الصحة العلمية في الأساس الذي قامت عليه الإضافة بين (نص) و(نحو) ، بما يوصل إلى تصوره تصوراً مستقلاً بذاته،« لا سيما وأن مصطلح نحو النص ، لم يكن مركباً تركيباً لقبياً من كلمتين (نحو) و(نص) بحيث صار المصطلح (نحو النص) ،علماً لقبياً يدل على مفهوم خارج عن معنى جزأيه ، فنشأ معناه من جمع معنى كل عنصر فيه إلى معنى العنصر الثاني، لذا فإن فهم كل مفردة منفردة ، يؤدي بالضرورة إلىالوصول إلى مفهوم هذا العلم ، و قد استقر مفهوم النحو مصطلحه ، في غير كتاب من كتب النحو قديماً وحديثاً، و اتفق على مفهومه عموماُ».[1]

1- عمر أبو خرمة ، **نحو النص- نقد النظرية و بناء أخرى** ،عالم الكتب الحديثإربد، الأردن ،(ط01)، 2003 م ، ص.23. و يراجع التعريفات التي أدرجناها لمفهوم مصطلح (نص) بداية من الصفحة 24.لكننا هنا لابأس أن نستأنس، بما توصل إليه الباحث في تعريف التراث للنص ننقله كما جاء: (وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الزهري ،أي أرفع له وأسند: يقال نص الحديث إلى فلان رفعه ،و كذلك نصصته إليه. و المعنى أن الزهري يعدد الحديث الذي يسمع كما هو بلا زيادة و لا نقصان ولا إضافة ولا حذف؛ لذا استخدم عمرو بن دينار لفظين لتوضيح مراده و هما : أرفع وأسند فهو يرفع الحديث إلى صاحبه، ويسنده دون التدخل فيه لا باللفظ ولا بالمعنى، من هنا يمكن أن نستنتج معنى إضافياً ،لم يلتفت إليه الدارسون العرب وهو معنى الثبات في النص و التثبيت للمنصوص. و صار يوازي قولنا (نصصت الحديث إلى فلان) قولنا :نسبته إليه من غير تدخل فيه ، و قد أشار صاحب اللسان إلى معنى الثبات في مادة (نص) إذ قال:النصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض ،و تحركه إذا هَمَّ بالنهوض ؛و من هنا يمكن لنا أن نفهم أن قول صاحب اللسان : نصت الظبية جيدها رفعته ، أي أقامته ثابتاً باتجاه . ونفهم أيضاً أنها أخرجت كل الطول المحتمل في جيدها ، و لم تبق مجالاً لزيادة و لم تخف شيئاً من ذلك الطول. والمعنى بلغت في رفعه أقصى درجات الرفع الممكنة، وهذا معنى آخر غير معنى الرفع والكشف ، وغير معنى الوضوح وغير معنى الثبات أيضاً— ومما جاء في اللسان و لم يلتفت إليه قوله : نص المتاع جعل بعضه عل بعض ،و هذا يبين سبباً من أسباب جعل الكلام المتراكب على بعضه بعضاَ نصاً (..) إذن النص في العربية ،لا يعني الظهور والوضوح الانكشاف كما ذهب إلى ذلك غير أحد؛ بل يدل هذا اللفظ جملة على أمور ؛أحدها الوضوح والانكشاف، و يحمل دلالات أخرى أيضاً؛ ليست أقل حضوراً في الذهن من الوضوح والانكشاف ،و كل تلك المعاني التي عرضت أعلاه كانت حاضرة في

بينما يتحدث الزّناد على مصطلح الشرعية العلمية ، في وجود كلا العِلْمَين (نحو النصوص) و(نحو الجملة) و« الشرعية هنا علمية منهجية والنظر فيها يستدعي تناول العلمين: في ما يجمع بينها، في ما يجمع تأسيس اللاحق منهما ؛ أي نحو نصوص . وفي ما يفرق بينهما، فيحتم وجودهما مفترقين أو مجتمعين في القليل أو الكثير (..)، فضبط حدود كل من العلمين، يقوم على أكثر الركائز قراراً في تصنيف العلوم ، و ذلك بالنظر في أس كل علم: الموضوع والمنهج والغاية..».[1]

ويرى سعيد بحيري في لفظة (نحو) ، في مصطلح (نحو النص) بأنه لا يمثل جانب المعيارية المتمثل في القواعد الواجب إتباعها ، والتي تجعل من النص متفكك الأوصال ،تبحث في الدلالات الجزئية فقط؛ بل « يعني مجموعة من القوانين الاختيارية، التي استخلصت من النص ذاته، فليست لها إذن سلطة خارجية إجبارية ، يتحتم أن يخضع لها النص (..) ومن هنا كان اتجاه نحو النص، إلى تحديد المعنى الكلي للنص ، وتحديد مجموعة القوانين الحاكمة لبنية المعنى، تلك البنية التي تتجاوز الدلالات الجزئية فيه ؛ لأن التعامل معه يكون في صورته الكبرى أو البنية الشمولية ».[2]

إن نحو النص واحد من المصطلحات ،« التي حددت لنفسها هدفاً واحداً وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة

الذهن، لما وضع العربي هذا اللفظ (النص) إزاء مفهومه الاصطلاحي. و يمكن تركيز الحديث في مميزات النص بالنقاط التالية :(الظهور والثبات وعلو المصدروالاستقصاء التام والتركيب والترتيب والاقتصاد).ثم يختم بقوله :(أدرك علماء العرب الأوائل ،الخصائص المحددة للنص إدراكا تاماً ،ضمن الحقيقة اللغوية .في حين لم يدرك المتقدمون هذه الخصائص ؛في ثقافتهم النحوية بل استجلبوها من الفكر الغربي ، وبناء على هذا بقيت الثقافتان العربية والغربية في مجملهما ؛ تميزان بين العمل الأدبي والنص ، و أفرز التمييز متشددين متساهلين ،في تحديد مفهوم النص في الفكرين :العربي والغربي..).

1- الأزهر الزناد، **نسيج النص،بحث فيما يكون الملفوظ نصاً**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (ط01)، 1993 م،ص.15.

2- سعيد بحيري ،مرجع سابق،ص.218.

لأشكال التواصل النصي، و قد اشترك مع مصطلح نحـــو النص في تحقيق هذا الهدف بعضالمصطلحات ، التي تعنى بذلك أيضاً وهي (علم النص) و(علم اللغة بعض المصطلحات، التي تعنى بذلك أيضاً وهي (علم النص) و(علم اللغة النصي) و(نظرية النص)».[1]

ويأتي علم (لغة النص) مرتبطاً بعلم النص ، الذي يدخل في حساباته دراسة النص، من جوانب كثيرة بعضها لغوي وكثير منها غير لغوي.وعلى هذا تكون (لسنيات النص) تعني:(علم لغة النص) أو(نحو النص) . ويشير صلاح فضل إلى اسم (فان دايك)، باعتباره مؤسس(علم النص). ربما كان ذلك بمفهومه اللغوي ، الذي يعني علم لغة النص في السبعينيات ؛ حيث سبقه (هاريس) (Harris) مع بداية النصف الثاني من هذا القرن ، حيث نشر دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان: (تحليل الخطاب) (Discours Analysis)، الذي قدم فيه أول تحليل منهجي لنصوص بعينها.

أما (فان دايك) فهو الذي وضع تصوراً كاملاً لنحو النص ، منذ بداية عام 1972م متجاوزاً الآراء التي كانت مطروحة عن نحو النص ، ومحاولاً إقامة أنحاء النص في كتابه:(بعض مظاهر نحو النص) (Some Aspects of Text Grammar)، حيث كان يقرن بين النص والخطاب في معنى واحد . الأمر الذي أقلع عنه عام 1977م في كتابه (Text And Context)، حيث فرق بين الخطاب والنص محاولاً إقامة نحو عام للنص ، يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية.[2]

1- برند شبلنر، **علم اللغة الدراسات الأدبية- دراسة الأسلوب – البلاغة – علم اللغة النصي** ، ترجمه وقدم له وعلق عليه :محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع القاهرة ،(ط 01) ، 1987م ، ص.182.

2- ينظر :سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي – النص، السياق** ، المركز الثقافي العربي، بيرو ت ،الدار البيضاء،(د ط)، 1989م ، ص.15.

وتنطلق تصورات نحو النص من فرضية ، أن النص في الأساس يمكن تحديده بأنه مركب بسيط، من جمل تقوم بينها علاقات تناسق. و إزاء هذه النظرية؛ فإن النصوص عادة تمثل فيها الخصائص الخمس الآتية:

- تعاقب أفقي للجمل.
- تحديد الجهة اليسرى واليمنى.
- الاستقلال النسبي.
- التناسق داخل تتابع الجمل.
- العلاقات الدلالية بين المكونات السطحية.[1]

ولقد أدرك اللسانيون[2] أهمية الانتقال، من (نحو الجملة) إلى (نحو النص) وذلك لأمور تتمثل في:

- « أن الجملة ليست قادرة على وصف اللغة، كعلم له ارتباط وثيق بالعلوم الإنسانية الأخرى؛ كالفلسفة وعلم الاجتماع والمناحي الثقافية الخاصة بالشعوب.
- أهمل نحو الجملة السياق الاجتماعي، رغم أهميته الكبرى في الدرس اللغوي، فاللغة عبارة عن وسيلة اتصال ،بين أفراد المجتمع للتوصل إلى غايات مقصودة»[3]« كما أن السياق من أهم عوامل الاتصال وأداء المعنى» [4].

فالمستوى الدلالي من أهم متطلبات علم نحو النص، بالإضافة إلى المستوى النحوي والمستوى الدلالي.

1- ينظر : التفاصيل في ،فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**،مرجع سابق، بداية من الصفحة :25.

2- لمعرفة الفارق بين مصطلحات اللسانيات والألسنية وعلم اللغة ينظر : أحمد مختار عمر : **المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية** ،(مقال)ـــ مجلة (عالم الفكر)،محور الألسنية ،وزارة الإعلام ،الكويت،(ع03)،(م20)،1989م.

3- يحيى الحمد، **الاتجاه الوظيفيودوره في تحليل اللغة**، عالم الفكر، الكويت،(د ط)،1989م، ص.71.

4- إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ** ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،(دط)،1986 م، ص.50.

- نحو النص قادر على معالجة العقبات النحوية، فيما وراء الجملة وعلى وصف الخواص الأسلوبية، إلى تحقيق الاستمرارية البنيوية للنص.[1]

- نحو النص يعمل بهذا المفهوم على تجاوز الدلالة الموجودة، في المفردات ليصل إلى الترميز الملفوظي داخل التراكيب.[2]

وتبقى ميزة نحو النص أو علم النـــص في أنه « أفاد من نحو الجملة مبنىً ومعنىً ، و من الدراسات الأسلوبية ومنالمناهجوالمعارف السابقة ، ولكنه أضاف إلى ذلك ما يثبت نصية النص وبلاغة الخطاب ، من غير أن يقتصر على المناهج التي كانت تجزيء النص ، ثم تقف عند الأجزاء فقط. فكل ما ساعد على تصور النص كياناً لغوياً ، متعدد المستويات مكوناً من أجزاء مترابطة أو أنظمة متشابكة. و إنشاء علم للنصوص هو المنهج الأنسب للخطاب المدروس ؛ لأنه منهج يستمد مادته وقوانينه و مفاهيمه، من تشابك الأنظمة ».[3]

لقد تجاوز التحليل اللغوي في العصر الحديث، « النظرة الجزئية للخطاب وما يرافق ذلك من هيمنة الوقوف ، عند حدود الكلمة المفردة (..) إلى النظرة الكلية الشاملة للنص المكتوب، والخطاب المنجز وإلى التحليل النقدي للخطاب . وأصبح تجاوز الجزئي إلى الكلي ، طريقة في التناول ومنهجاً في التحليل ، وسمة من سمات الفكر والثقافة في هذا العصر، يكشف الأدب بأجناسه وإبداعاته ونصوصه ، ويبرهن على نصيته وكليته وتناسق أجزائه وانسجامها».[4]

1- ينظر :جاب الله ، **نظرات في مصطلحات اللسانيات النصية**،مرجع سابق،ص.03.

2- ينظر:خيرة حمرة العين،**لسانيات النص**،(مقال)،مجلة،(علامات في النقد)،(ع38)،2000م،ص.349 .

3- بودرع ، **في لسانيات النص و تحليل الخطاب** ،مرجع سابق ،ص.11.

4- السابق، ص.18.

ج/- موضوعات نحو النص

في مجال التقابل بين مختلف أصناف علوم اللغة الحديثة ؛ فإن نحو النص ما زال دون غيره بحاجة واضحة إلى الخاصية العلمية ، التي تثبت تميزه وهويته. ومن ثمة تحديد ملامح تصوراته واتجاهاته ، وربما يعود سبب عدم التميز هذا إلى أن نحو النص ، ما زال يتطور بشكل متسارع، و ذلك من خلال ظهور العديد من النظريات والتحاليل ، والدراسات المتفقة أحياناً والمختلفة أحايين أخرى.

ويقرر بعض الدراسيين المحدثين ، أن« نحو النص من حيث هو بنية كلية، موضوعة في سياق ما أو في مقام ما ؛ ولهذا فموضوعه محدد في إطار ما يكون به الملفوظ نصاً، وهو يختلف عن نحو الجملة، اختلافاً بيناً حيث يحدد نحو الجملة، مجموعة من القواعد للدراسة محاولاً إثباتها من خلال النماذج ، التي يمكن أن تصنع من أجل ذلك . أما نحو النص فيدرس النص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه. و لهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد الكبرى ، التي تعترف للنص بنصيته». [1] فنحو النص هو« نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة ،بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة. وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة ثم النص أو (الخطاب) بتمامه».[2]

ومن العلماء الذين قدموا إسهاماً، يتعلق بالموضوعات التي تحدد لعلم نحو النص؛ العالم (دي بوجراند) الذي يرى أن النص ومن خلال تحديد النموذج النحوي فيه، ينبغي أن يشمل على الموضوعات التالية :

1- أحمد عفيفي، **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مرجع سابق، ص.55.

2- سعد مصلوح، **من نحو الجملة إلى نحو النص** ،الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية ، جامعة الكويت، (د ط)،1989م ،ص.407.

- « التفريق بين الأقسام الرئيسة والفرعية للعناصر ، كالتفريق بين الكلمات الوظيفية والحروف والروابط المساعدة ، والكلمات المعجمية وهي الأسماء والأفعال والصفات والظروف.
- التعرف على التراكيب الكبرى، في قياس نمطي لتحديد المألوف منها.
- الروابط وتشمل أداة مطلق الجمع، وأداة التخيير وأداة الاستدراك وأداة التبعية للتراكيب .
- التفريع والتكرار والإدماج والعناصر الصالحة ؛ لأن يستغنى عنها والعناصر غير المتواصلة والتراكيب الملبسة، والتراكيب الناقصة و الخاضعة للحذف».[1]

إن نحو النص « يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ، ومستويات اللغة ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي ، والنماذج الهيكلية المتنوعة النظرية والتطبيقية».[2] كما أنه يمكن أن يكون« معيناً على تفسير ما عجزت عنه الأنحاء الأخرى(..)، و كذلك فإن كثير من الظواهر التي تستعصي على الوصف في اللسانيات المعاصرة، يمكن أن تعالج أو تصاغ بطريقة أفضل، في اللسانيات المعاصرة ؛ إذا وصفت من جهة العلاقات القائمة ، بين الجمل في نص يتصف بالتماسك ، لذلك كله أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين المعاصرين، ضرورة لا اختياراً».[3]

ثانياً:تاريخ البلاغة، و نحو النص

جاء الاهتمام في العصر الحديث بعلم نحو النص، كدعوة صريحة من أجل الاهتمام بنظام اللغة باعتباره تركيباً، و لكن ظل هدا التركيب،لا يلقى في النثر الفني ما تلقاه جملة بسيطة وحيدة الجهة، لكن البلاغة بوجه عام عرفت غير قليل عن حقائق التطور اللغوي، « لقد أدى انحسار الاتجاهات التخصصية

---

1 - عفيفي ،السابق ، ص.56.

2- بحيري ،**علم لغة النص** ، **مرجع**، سابق، ص.143.

3- مصلوح ،السابق ، ص.416.

الدقيقة في العلوم الإنسانية ، إلى تطلع الباحثين إلى علم جديد ، يعود فيجمع شتات الجزئيات المبعثرة في نظام عالمي شامل ، متداخل الاختصاصات يهدف إلى استثمار نتائج البحوث ، في العلوم الإنسانية الجديدة . الأمر الذي دفع بكثير من العلماء في الثقافات المختلفة في آن واحد ، إلى إعادة قراءة تراثهم البلاغي. لقد أجمع الباحثون على أن البلاغة ، هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص والسيميولوجيا ، وهي النموذج المؤمل عليه للعمل الإنساني، في إطاره الشامل الجديد».[1]

وإذا كانت البلاغة الكلاسيكية ،قد أدركت درجة عالية من التقنية المحددة، في إرهاف الأدوات التحليلية المتصلة بما وراء اللغة ؛ طبقاً للمنظومات السائدة في عصرها ؛ فإن هذا قد جعلها مهيأة لأن تخطو في العصر الحديث لأداء دورها كآجرومية أو نحو لإنتاج الخطاب .

وهذا ما يعلنه مؤسس علم النص (فان دايك) بقوله :« إن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام في وصف النصوص ، و تحديد وظائفها المتعددة ، لكننا نؤثر مصطلح علم النص؛لأن كلمة البلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة. كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ، و وسائل الإقناع. وإذا كانت البلاغة قد أخذت تثير الاهتمام مجدداً ، في الأوساط اللغوية والأدبية ؛ فإن علم النص هو الذي يقدم الإطار العام لتلك البحوث، مما يشتمل على المظاهر التقنية التي لا تزال تسمى بلاغة ».[2]

غني عن القول أن النحو في مضمونه، يشير إلى إحدى الركائز الأساسية في علم اللغة؛ بل ويغطي مجالاً واسعاً من الظواهر اللغوية. و علماء اللغة بصدد التمييز بين أنواعاً من النحو فهناك « النحو الوصفي والنحو النظري ،

1- فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص** ،مرجع سابق، ص.232.

2 - Van Dijk ; Teun A.La Ciencia Del Texto .Trad .Barcelona; 1984 نقلاً عن:فضل،**بلاغة الخطاب وعلم النص**، نفسه ،ص.234.

والنحو السطحي والنحو العتيق والنحو الشكلي والنحو الفكري والنحو المقارن. و يشير مصطلح (نحو) في معنىً ضيق له إلى مستوى من التنظيم البنيوي ، يمكن دراسته بصورة مستقلة عن الفونولوجيا ، و هو الدلالة و ينقسم بشكل عـام إلى نظم الجملة والصرف».[1]

ومن البديهي أن النحو الذي ارتبط مدلوله بحقل اللسانيات ، في العصر الحديث قد تجاوز مفهومه الضيق الذي عرف به من قبل ؛ بل وتشعبت نظرياته وبحوثه و مجالاته ؛ و صار مُتداولاً في علم اللغة مفهوم (الصحة النحوية) الذي يعني « توافق جملة ما (أو جزء من جملة ما) مع قوانين نظام نحوي خاص بلغة معينة ، أما رتبة الكلمة فهو مصطلح يستخدم في التحليل النحوي ليشير إلى الترتيب التتابعي للكلمات في وحدات لغوية أوسع ، و تعتمد بعض اللغات مثل الانجليزية على رتبة الكلمة كوسيلة للتعبير عن العلاقات النحوية، داخل الأبنية. وفي اللغات الأخرى مثل اللاتينية الغربية ، نجد ترتيب الكلمات أكثر مرونة ، إذ العلاقات النحوية يشار إليها في اللغة اللاتينية عن طريق التصريفات، وفي اللغة العربية عن طريق الإعراب ».[2]

ويطلق اللغويون المحدثون على النحو [3] القديم النحو التقليدي؛ ويوجهون إليه نقداً يمكن إجماله في المحاور التالية :

– افتقاد النحو التقليدي للمنهج العلمي الموضوعي، الذي يعتمد على درس الأشكال اللغوية، باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها ، من خلال قوانين العلاقات كما هو الحال في النحو الوصفي، في إطار علوم اللغة الحديث؛ وإنما

1- جون لوينز، **اللغة وعلم اللغة** ،ترجمة وتعليق: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، القاهرة ،(ج01) ، (ط01)،1987م، ،ص.139.

2- نفسه ، ص.154.

3- النحو(Syntax):يظن الكثير من الناس أن النحو هو الإعراب ، و الصواب أن النحو أشمل و أعم منالإعراب؛ إذ النحو دراسة للعلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة مع بيان وظائفها..كوظيفة الفاعل بفاعليته في الفعل المضارع و وظيفة المفعول به بمفعوليته..

يعتمد النحو التقليدي على المنهج الذاتي ، الذي يحدد قواعد اللغة بناءً على فهم المعنى، وبذلك يرتبط بالدرس نفسه وليس بظواهر اللغة .

– تأثر النحو التقليدي بالمنطق ، وأكبر مظهر من مظاهر هذا التأثر اهتمام التفكير النحوي القديم ،بنظرية العامل التي من خلالها يمكن معرفة العلة الكامنة وراء الظواهر النحوية، فجعل اللغة عقلاً يفسر الظواهر والقواعد النحوية، من خلاله في حين أن النحو الوصفي، في إطار علم اللغة الحديث ، يهتم بتقرير الحقائق اللغوية ويفسرها في إطار ظواهر اللغة نفسها ، دون فرض القواعد أو اللجوء إلى ظاهرة غير لغوية لتعليل القاعدة .

– تداخل مستويات التحليل اللغوي في النحو التقليدي (الصوتي، الصرفي، النحوي، و الدلالي)، في حين يميز النحو الوصفي بين مستويات التحليل اللغوي؛ فحدد لكل مستوى أسساً واضحة تميزه، مع عدم إهمال العلاقة بين مستويات التحليل اللغوي.

– قيام النحو التقليدي على أساس معياري ،حيث لا يميز بين اللغة المطوقة واللغة المكتوبة ،وأقام القواعد على نصوص مختارة من اللغة المكتوبة فقط . وحينما يصطدم مع الواقع والاستعمال اللغوي ؛ فإنه يلجأ إلى التأويل و تقديم تفسيرات فيها تكلف، كي تتلاءم الظواهر اللغوية مع قواعده المعيارية.[1]

ثالثاً:حول لسانيات النص ..النشأة والمصطلح والأسس:

توطئة

جعل بعض اللغويين المحدثين من سنة 1957م، المنطلق الفعلي للبحث في بناء الجملة، فقد نالت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة ، نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام ، ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة ؛ فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة. و قد كانت هذه التصورات حول بناء الجملة بمثابة المدخل العلمي الحقيقي و المحفز القوي ، الذي دفعهم إلى أن

1- ينظر:محمد داود ، **العربية وعلم اللغة الحديث** ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،(د.ط)، 2001 م ، ص.170.

يتجاوزوا المستويات الدلالية والنحوية للجملة ، إلى عالم أرحب وأوسع من ذلك؛ هو عالم النص. فكان أن أدى ذلك إلى ظهور حقل جديد من الدرس اللغوي عُرف مع مرور الوقت بـــ(لسانيات النص).

هذا و قد جاءت لسانيات النص كاتجاه جديد في التحليل اللغوي، لتفاعل مجموعة من العلوم المتنوعة : اللغة، الاجتماع ، و الثقافة ، واتجاهات الفن .. بالإضافة إلى البحوث اللسانية المكثفة؛ التي قامت بها المدارس اللسانية الأوربية والأمريكية لفترة طويلة، إذ تعد المحرك الأكبر لبروز إرهاصات (لسانيات النص). يقول (سعد مصلوح) : « ولدت آجرومية النص ، من رحم البنيوية الوصفية، القائمة على آجرومية الجملة في أمريكا وكان مقال(هاريس) عن تحليل الخطاب من معالم الطريق في هذا الاتجاه، ثم شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوروبا، توجهاً قوياً نحو الاعتراف بآجرومية النص ، بديلاً موثوقاً لآجرومية الجملة ، و فتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعد الأثر، في دراسة اللغة و وظائفها النفسانية والاجتماعية والفنية والإعلامية».[1]

أ/- لسانيات النص[2]..المصطلح والمفهوم

بدأ مذهب لسانيات النص بالبحث المتحمس ، عن حد النص والتعريف بالعوامل المكونة له والمحيطة به. و ما يمكن أن يقال هو أن المشروع العلمي أسفر عن اكتشافات هامة، واتجاهات خصبة للبحث اللساني عامة، و أسهم في فهم كثير من الظواهر المتعلقة بالنص ، وإطاره التواصلي. كما اتجه إلـــى تكسير حدود الجملة ، واعتبار (النص) أعلى مستوى لدراسة ظواهر اللغة.

1- سعد مصلوح ، **في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية** ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ،(ط01) ، 2006 م، ، ص.225.

2- في اللغة الفرنسية سمي (علم النص) (Science du Texte)، وفي الانجليزية سمي (تحليل الخطاب) (Discourse Analysis).ويستهدف علم النص ما هو أكثر عمومية ، و أكثر شمولية فهو يتعلق من جهة بكل أشكال النص الممكنة ، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها ، ويعنى من جهة أخرى بمناهج نظرية وصفية وتطبيقية.

لقد أدى التطور في السنوات الأخيرة ، إلى أن مشكلات تحليلات النصوص وأهدافها في فروع علمية مختلفة؛ قد شكلت بصورة حتمية موضوعاً عرفياً متداخلاً ، و هو في إطار علم مترابط داخلياً ،متداخل الاختصاصات جديد؛إنه (علم النص).يقول اللغوي الألماني (روك) (Rook):« أخذت اللسانيات النصية، بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية ، و كيفية جريانها في الاستعمال شيئاً فشيئاً ، مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة (..) وينبغي أن ندرج في مفهومنا للنص ، كل أنواع الأفعال التبليغية التي تتخذ اللغة وسيلة لها ».[1]

والمتأمل لما وصل إليه مسار الدرس اللغوي النصي، في الوقت الحاضر «يمكن أن يتبين أن أكثر إسهامات الدراسة النصية ، لم تتوقف عند حد الدراسة المجردة لظواهر النص المفردة، بل تحاول التعريف المناسب بكليات النص؛ وتمضي تلك الدراسات في جهودها ، متزامنة مع سعيها إلى إيضاح أبنية النص، في طبقات معينة من النص في اللغ ــات المختلفة، على شكل روابـط أحداث مركبة ».[2]

ولقد حاز (علم اللغة النصي) الآن ،على صفة العالمية باعتباره حقلاً يملك من الخصائص العلمية، التي تميزه عن باقي العلوم اللغوية الأخرى؛« إذ أصبحت النصوص بأبنيتها وشروطها الوظيفية ، موضوعاً مركزياً في الدراسة اللغوية. كما أمكن إيضاح كثير من المشاكل المفردة ، بشكل مرض تقدم إسهامات حلول مختلفة ، لتبيين وظيفة النصوص. من هنا يجب النظر إلى الدراسات المتعلقة بالنص ، على أنها حقول متداخلة الإشكاليات ؛ فثمة حقول عديدة تؤدي دوراً هاماً في إيضاح ظواهر النص ، بشكل خاص كبحث

1- خولة الإبراهيمي ، **مبادئ في اللسانيات** دار القصبة ، الجزائر ،(دط)، 2000 ، ص .167-168.

2- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، مرجع سابق ، ص.105.

الاتصال وعلم الاجتماع ، و علم النفس وعلم التربية وعلم القانون (..) وغيرها».[1]

ويعتبر علم اللغة النصي « فرع من فروع علم اللغة ، و الذي يدرس النـــص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى ، و ذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة و المرجعية وأنواعها ، والسياق النصي و دور المشاركين في النص (المرْسِل والمستقبِل) ، و هذه الدراسة تتضمن النص المنطوق و المكتوب على حد سواء ».[2]

وقد « تكوَّن بالتدريج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من السبعينات، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهاراً عظيماً. و تقوم المراجع المتخصصة الوفيرة شاهدةً على الدرجة العالية؛ التي يسهم بها هذا الوافد الجديد إسهاماً حاسماً، مع العلوم اللغوية في تطور علم اللغة بشكل عام».[3]

لقد كان من الطبيعي بعد ظهور هذا الوافد الجديد من الدراســات اللسانية؛ أنيشهد زخماً كبيراً من الآراء و النظريات، وتعدد المصطلحات التي تتبنى خصائصه اللغوية و المنهجية. نتيجة لذلك لا غرابة أن نصطدم في كثير من مؤلفات هذا الحقل، بكثير من مسمياته المتعددة فنجذ من ذلك : (علم لسانيات النص) أو (علم التراكيب) أو (علم نحو النص) أو (علم اللغة النصي) أو (علم لغة النص) .. و غيرها.

و أي كانت مسميات هذا العلم، يبقى الأكيد أنه « يعالج الظواهر اللغوية في إطار النص، بوصفه وحدة كبرى ولا يقف عند حدود الجملة فحسب، إذ يتم دراسة علاقات الربط بين الجمل المتعددة، في إطار النص الذي يحويها ».[4]

1- نفسه ، ص.105.

2- صبحي الفقي،**علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،– دراسة تطبيقية على السور المكية –**، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة ،(ط01)،2000م ، ص.36.

3- فولفجانج هاينه منوديتر فيهفيجر،المرجع سابق، ص.03.

4- إبراهيم الكريم،**تحديد المفاهيم**،**(مقال)**، مجلة العلوم الاجتماعية، (ع 13)، (س06)، ص.61.

كما « يهتم بدراسة ظواهر تركيبية نصية منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية ، والتراكيب المجزأة وحالات الحذف والتحويل إلى الضمير.. وغيرها ».[1] بالإضافة إلى ما يقوم به هذا العلم، في إطار الحدود الدلالية الكلية للنص ، بوصفه وحدة كبرى غير مجزأة ؛ فإنه يؤدي كذلك إلى اكتشاف بلاغة الخطاب والوقوف على جمالياته ، وقيمه البلاغية المتجددة؛ التي لا يقوى نحو الجمل المحدود عل استخدامها.

لقد أتاحت (لسانيات النص) الانفتاح على مجالات معرفية وثقافية مختلفة، ولم تعد دراسة اللغة منحصرة في دائرة الأصوات والتركيب ، و لكنها في ظل لسانيات النص وتحليل الخطاب انفتحت على الأنساق المعرفية ؛ لأن اللغات الإنسانية تمثل مرتكزاً رئيساً للثقافة ومرآة حقيقية لها.[2]

ب/- لسانيات النص ، و مقترحات الفكر اللغوي الغربي

لقد عبر بعض اللغويين عن ضرورة توسيع مجال علم اللغة، ليتجاوز علم اللغة النسقي المحصور في الجملة، و بذلك يمتد علم لغة الجملة، إلى علم لغة النص أو ما فوق الجملة. عن هذا المعنى عبر هاريس(Harris)[3]متنبئاً من سنة 1952 م بقوله « اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة ، بل في نص متماسك بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة، إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءاً من المونولوج وانتهاءً بمناظرة جماعية مطولة. لذا لا يجب تحليل الجمل دائماً فقط، في سياق النصوص على أنها أجزاء من خطاب أعم».[4]ما يعني حسب (هاريس) أن المطلوب بالدراسة ، هو مجموعات العناصر في قطع كلامية مترابطة ونصوص كاملة ، حتى نتمكن بذلك من

1- السابق، ص.62.

2-ينظر :عبد الفتاح يوسف ،**لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة** ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، (ط01)، 2010 م، ص.09- 28.

3- هو واحد من اللغويين الأوائل والذي جعل من النص المجال الحقيقي للدراسة اللغوية.

4- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر،المرجع سابق ، ص.21.

تجاوز حاجز علم لغة الجملة. و كان (هاريس) من الذين عنوا بدراسة الجملة عرضاً، « إذ اعتبر كلاً من الكلمة والجملة، وحدتين كلتاهما مؤلفة من أصوات دالة ،غير أن الكلمة لا تتجزأ إلى وحدات صوتية دنيا ، أماّ الجملة فتتجزأ إلى وحدات صغرى، لكل واحدة منها دلالة في ذاتها».[1]

و إذا كان (هاريس) متنبئاً بما سيؤول إليه (علم اللغة الجملي)، مع بداية الخمسينات من القرن الماضي ، « فقد ظهرت منذ النصف الثاني للستينات ، أولى المحاولات للانتقال من التحليل المقصور على الجملة ، إلى تحليل أزواج الجمل، و كان لهذا صلة على الأقل بمفهوم الجملة، إلى المسلم به في النحو التوليدي التحويلي. فقد اجتهد (هايدولف) (K.e.Heidolph) في استنباط قواعد العلاقات السياقية للجمل في نحو توليدي ؛ كما كان (إيزنبرغ)(Iceberg) أول من حاول أن يطور نحواً شاملاً للنص، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي ، لإنشاء الجمل لتشمل قاعدة النص».[2]

و إذا كان « مفهوم علم اللغة النصي عند (فان ديك) (Van Dijk)، يقوم على اعتبار أنه علم شامل، و على أنه (علم النص) ؛ فإن الواجب على علم اللغة النصي ، أن يبقى محصوراً في أبنية النصوص وصياغتـــها، مـــع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة».[3]

ج/- مظاهر العلاقات النحوية

تتحقق العلاقات الدلالية ، من خلال مجموعة من السمات النصية ، النحوية والمفرداتية أو بعبارة أخرى توجد مجموعة من الرسوم النصية ، التي تعبر عن هذه العلاقات.والعلاقات النحوية بين العبارات داخل الجمل أنواع منها: علاقات نظيرية ، وتبعية ، و احتواء:

1- ر.هـــ.روبتر ، **موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)**، مرجع سابق،ص.252.

2- نفسه، ص.24.

3- نفسه، ص.11.

– النظيرية: العبارات متساوية أو معطوفة ؛ مثال:(كانت العصافير تغني والسمك يقفز).

– التبعية: توجد عبارة ملحقة تابعة لعبارة أخرى رئيسية؛ مثال: (تغني الطيور لأن الشمس مشرقة) العبارة التي تبدأ بـــ:(لأن) هي العبارة الملحقة.

– الاحتواء: يمكن أن تكون العبارة عنصراً ذا وظيفة ، ضمن عبارة أخرى أو عنصراً في ركن ، مثال:(الرجل) في العبارة:(الرجل الذي حضر إلى العشاء).[1]

1- نورمان فاركلوف، **تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي** ، ترجمة: طلال وهبة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،(ط 01)، (2009 م)،ص.184.

المبحث الثاني : العلاقات النصية و ظاهرة تماسك الخطاب

أولاً : مظاهر التعالق و تجليات النصية:

استقر لدى علماء النصية والمهتمين منهم بتحليل النصوص ، أنه لكي يصبح للتماسك و الترابط النصي حضوراً واجباً في أي نص ، لابد أن تمتلك كل وحدة من وحداته، بعض أشكال التماسك مع الوحدة السابقة عليها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، لابد أن تحتوي كل وحدة على الأقل ، على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدماً ،كما أن بعض الوحدات يمكن أن تحتوي على رابطة، تربطها بما سوف يلحقها.

و إذا خلا النص أو الخطاب من هذه الأشكال الرابطة ، سواء أكانت هذه الأشكال معنوية قائمة بين مكونات النص ، بنفسها أم معنوية بغيرها تعبر عنها الأدوات؛ فإنه يصبح وحدة متراصة لا يربط بينها رابط ، ويصبح النص جسداً بلا روح. و يقرر البحث أنه إذا كان التماسك أو الترابط هو العلاقات ؛ فإن العلاقات نفسها هي المسؤول عن ظاهرة التماسك أو الترابط النصي.علاقات نصية تربط بين وحدات النص، و مفاهيمه شكلاً و مضموناً .

لا بأس – في هذا الصدد – و نحن نرمي إلى الحديث عن الأسس اللغوية، التي حددها اللسانيون المحدثون ، و التي بموجبها نقف بدقة عن المفهوم الدقيق لظاهرة التماسك النصي ، أن نعرج على فهم مصطلحين لهما دخل مباشر بهذا الحقل، ألا و هما : مفهوم (العلاقة) ومفهوم (النصية).

أ/- حول مفهوم مصطلح العلاقة (Relation) في المعجم

جاء في (لسان العرب)، مادة (علق):« عَلِقَ بالشيء علقاً وعلقه؛ نشبفيه؛ قال (جرير):

إذا علقت مخالبُهُ بقرن أصاب القلبَ أو هتكَ الحجابَ

وفي الحديث: فعلقت الأعراب به: أي نشبوا و تعلقوا (..)، وقال (اللحياني): العلق:النشوب في الشيء(..)، و علق به علاقة وعلوقاً: لزمه (..) ويقال:علق الشيء يعلقه تعليقاً و تعلق به، وتعلقه».[1]

وجاء في المعجم الوسيط في مادة (علق):« العلاقة: الصداقة(..) وفي البيان: المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكتابة ».[2]

ونقرأ لـ(لجرجاني) في كتابه (التعريفات):« (العَلاقة) بالفتح ، في المعاني وفي الصحاح :علاقة الخصومة والمحبة ونحوها، وشيء بسببه يستصحب الأول الثاني كالعملية والتضايف».[3] فالمعنى المشترك كما يبدو هو: النشوب واللزوم والمواصلة والسبب والاستصحاب والمنسابة . فالعلاقة هي تعليق شيء بشيء آخر ، يجمع بينهما سبب أو مناسبة.وما هو مقصود هو أن هذه العلاقة، تكون جسراً تتواصل من خلاله ، وحدات أجزاء النص الواحد المطول منها والقصير.

ب/- أقسام معايير النصية (Textualité):

يعتبر مفهوم النصية أهم المقومات التي يقوم عليها علم اللغة النصي، بل هو المفهوم الذي يبرز أساساً وجود هذا العلم كعلم مستقل وهي- أي النصية- تعني الملامح المميزة للنصوص ، أو المبادئ والمعايير التي تحكم النص بالنصية، أو ما به يكون الكلام نصاً.

وقد صار من الممكن تسجيل بعض النقاط المركزية ، التي يجب على كل (نظرية النص)، أن تعالجها لكي تستحق اسمها:

- التماسك: يشير المصطلح إلى الأدوات الكلامي ـة، التي تس ـــوس العلاقـات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية ، أو بين الجمل و لا سيما

1- ابن منظور،**لسان العرب**، مادة(علق)، مصدر سابق، ص.1031.

2- **المعجم الوسيط**، مادة (علق).الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، مرجع سابق.ص.541.

3- الجرجاني ، **التعريفات**، مصدر سابق ،ص.199.

الاستبدالات التركيبية ، التي تحافظ على هوية المرجع ، ويعد تماسك الجملة المنتقلة جزءاً مباشراً من التحليل النصي.

- الانسجام: يضمن الانسجام التتابع الاندماج التدريجي للمعاني ، حول موضوع الكلام وهذا يفترض قبولاً متبادلاً للمتصورات ، التيتحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناءً عقلياً، و يمكن للروابط أن تكون مختلفة من طبيعة مختلفة: سببية، غائية، قياسية.. إلخ.

- القصدية والقبول: يعد كل نص بنية قصديه ، و هو بوصفه كذلك يخضع لمعايير من القبول.[1]

وفي هذا الصدد يقترح (دي بوجراند) ، سبعة أسس لجعل النصية أساساً مشروعاً، لإيجاد النصوص واستعمالها و هي:

01/- الاتساق السطحي[2](Cohésion)

وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية، على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط و وسائل التضام ، تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتركيب والجمل، و على أمور مثل: التكرار والألفاظ الكنائية و الأدوات والإحالة المشتركة الحذف والروابط. و يذهب البعض إلى ترجمة مصطلح (Cohésion) بالتماسك معتبراً إيَّاه « السمة التي تعكس تبعية الأبنية السطحية (Cohésion) بالتماسك معتبراً إيَّاه « السمة التي تعكس

1- ينظر: منذر عياشي،**العلاماتية وعلم النص** ، مرجع سابق ، بداية من الصفحة. 132.

2- يسميه فريق آخر من اللغويين (التناسق) أو (السبك)، و يرى بأنه ليس مجرد سمة للنصوص؛ بل أكثر من ذلك قضايا من نتائج الإدراك، لدى مستخدم النص .فالتناسق لذلك لا ينشأ إلا بواسطة العلم المهيأ في النص(عالم النص) مع (عالم العلم) المخزون لدى شريك الاتصال..

تبعية الأبنيةالسطحية في النص، بعضها إلى بعض و تعتمد عل التبعية القواعدية ».[1]

02/- الانسجام الداخلي أو (الحبك)(Cohérence)

وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة ، لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه ، و تشتمل وسائل الالتحام على :

- العناصر المنطقية كالسببية والعموم و الخصوص .
- معلومات عن تنظيم الأحداث و الأعمال والموضوعات والموقف.
- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ، و يتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي عرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.

ويتعلق مقياسا (الاتساق السطحي) و(الانسجام الداخلي) ، « بمادة النص وبنيته:الاتساق السطحي يرجع إلى العلاقات النحوية ، بين عناصر النص السطحية أي العبارات اللغوية. إن ظواهر التكرار والتوازي وحكاية الأقوال ، واعتماد الضمائر والحذف والزمن والجهة و الوصل، وفي النص الشفوي ظاهرة النغمية ، تلعب دروا هاماً في إنتاج النص وفي تقبله خصوصاً ، إذ أنها تسهم في استمراريته وثبوته. أما الانسجام الداخلي ؛ فهو استمرار على مستوى المعنى».[2]وعدا هذين المفهومين الجوهريين اللذين يلتصقان بالنص مباشرة؛ يذكر(دي بوجراند) و(دريسلر) أيضاً خمسه أصناف أساسية للاستخدام اللغوي وهي :

1- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، مرجع سابق،ص.93.

2- كورنيليا فون راد صكّوحي، **لسرانيات النص،- أولسانيات ما بعد الجملة و ما قبل الخطاب**،(مقالات في تحليل الخطاب)، تقديم :حمادي صمود، جامعة منوبة،(د ت)،2008 م ،ص.65.

03/- القصد (Intentionnalité)

و هو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما ، من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام. و أن هذا النص وسيلة متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.

04/- القبول (Acceptabilité)

و هو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام .

05/- رعاية الموقف(Situationalité)

وهي تتضمن العوامل،التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه. إن رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل.

06/- التناص (Intertextualité)

وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ، مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة ، سواء بواسطة أو بغير واسطة. إن علاقة النصوص بعضها بعض ، حظيت باهتمام كبير لا في إطار البحث عن الأنماط النصية فقط، ولكن أيضاً في ميدان الدراسات الأدبية .ومفهوم التناص لدى بعض دراسي الأدب الفرنسي مثل (بارث ، وكريستيفا ، وباختين) أي علاقة النص بالنصوص قبله وبعده ؛ بحيث يصبح النص مجرد مرحلة تتقاطع فيها أصوات النصوص السابقة واللاحقة. فالتناصية هي الأخرى مقياس للنص ، بل مرادف لمقياس النصية في حد ذاته.

07/- الإعلامية (Informativitè)

و هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية ، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة.[1]

و هذه المعايير ينسحب كل منها عل جانب من جوانب النص ، فالأول (السبك) أو(علاقات الترابط المنطقي) ، يتناول المستوى التركيبي والثاني(الحبك) أو(التماسك الدلالي)، الذي يتناول من خلال (علاقات الترابط المفهومي) والثالث (القصدية)، يكون على مستوى الهدف الذي يحققه النص ، حيث يتناول قص المبدع أو منشئ النص ، والرابع (القبول) يكون على مستوى المتلقي، أي ماذا فهم المتلقي من النص؛ و الخامس (الموقف) ويتعلق بالسياق أو المناسبة التي تولد عنها النص ، والسادس (التناص) و هو المتمثل في (علاقات الاستدعاء) المسؤولة عن تعلق نص بنصوص أخرى ، و تبعيته لها وتداخله معها والسابع (الإعلامية) أو(الإخبارية)، و يتعلق بالكم الذي يحمله النص من المعلومات والحقائق.[2]

وإذا نحن رمينا إلى الجمع بين ما يرمي إليه مصطلحا (علاقة) و(نصيَّة) في حقل اللسانيات النصية، قلنا هي الجسور أو الوشائج الدلالية المستنبطة من

1- للمزيد فيما كتب حول (معايير النصية) ينظر: **العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ،دراسة في ضوء نحو النص** (أطروحة دكتوراه)،أحمد رضوان ، إشراف:حماسة عبد اللطيف،جامعة القاهرة ، مصر، 2012 م،بداية من الصفحة 134.

2- إن هذه المقاييس السبعة المذكورة على شهرتها وانتشارها ، لدى أهل الاختصاص ليست هي الوحيدة التي طورها علماء لسانيات النص ، فهناك مقاربات أخرى لتحديد النص من خلال مقاييس النصية منها مثلاً :مقياس الموضوعاتية(Thèmaticitè)فـــ(ماكيلداي)(R.Makeldey) مثلاً يرى أن وجود موضوع يعتبر ميزة من ميزات النص ،إذ أنه لا يوجد نص ليس له موضوع.بينما نجد عند(كراوزي)(W.D.Krause)،ترتيباً هرمياً بين مقاييس النصية، إذ يعتبر الوظائفية و الكلية والتناص.إن الوظائفية التواصلية مثلاً ،التي تحدد أساساً من خلال عوامل خارجية ،تسود جميع الصفات الأخرى للنص ،مثل المؤسساتية وهي ملاءمة المقام والنية والمقبولية ومدى الإفادة . أما الكلية فتظهر من خلال مقاييس داخلية مثل الاتساق السطحي، والانسجام الدلالي و وجود بنية معينة.

القرائن اللفظية أو المعنوية ؛التي تسهم في تماسك وارتباط وحدات النص وأجزائه.

هذا عن مفهوم العلاقات النصية، أما عن طبيعة العلاقات فإن « أغلب علماء النصية يرون أنها ذو طبيعة دلالية ».[1] و دليل ذلك أن التماسك أو الترابط اللفظي، المستنبط من القرائن اللفظية وهو المهتم بالروابط، التي تجري في سطح النص وهو الظاهر ، يحمل لا شك منظراً دلالياً وإن كان ذلك يأتي عرضاً،لأنه ينطلق من الشكل إلى الدلالة المعبرة عنه، أو من اللفظ إلى المعنى إذ إن كل الروابط اللفظية؛ التي تربط ظاهر النص تحتوي بالضرورة على قدر من الدلالة التي يتم الربط وفقاً لها. هذا من جانب و من جانب آخر ، يكون التماسك أو الترابط المعنوي دلالياً كذلك .

وإذا كانت العلاقات النصية ذات طبيعة دلالية ، فإنه « يبقى أن نميز بين العلاقات المعنوية ، القائمة بين مكونات النص من جهة، وبين الأدوات والعبارات المعبرة عن هذه العلاقات المعنوية، داخل النص من جهة أخرى».[2]

هذا عن علاقات التماسك الطولي ، الذي يتحقق من خلال العلاقات الدلالية الرابطة بين الوحدات النصية ، في متتالية يمكن أن ترتكز على الدلالات، أو الروابط بين العناصر المشار إليها.[3]

وكذلك في التماسك الكلي ؛ فإنه يرتكز على طبيعة دلالية ، والتماسك الدلالي الكلي ، يتحقق من خلال النظرة الكلية للنص في إطاره المقامي

1- سعيد بحيري ،**علم اللغة النصي**، ص.126 ، نقلاً عن:**العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، دراسة في ضوء نحو النص**،مرجع سابق، ص.139.

2- براون ويول،**تحليل الخطاب**، ترجمة و تعليق:الزليطي والتريكي، دار البشر العلمي والمطابع ،جامعة الملك سعود ،الرياض، السعودية ،(د ط)،(د ت)، ص.233.

3- ينظر :فضل،**بلاغة الخطاب وعلم النص** ،سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت،(ع 164)، 1990: ،بداية من الصفحة:241.

والمقالي، بكل محتوياتهما وصولاً إلى البنية الكبرى للنص ، التي « تمتاز بطبيعة شمولية وبطابع كلي ، وأبعاد إطارية».[1]

ج/-وظائف العلاقات النصية وأهميتها

تلعب العلاقات النصية درواً مهماً في الدراسات النصية ؛ لأنها محور النص في البناء و التحليل، و بدونها يظهر النص على أنه مقاطع صوتية غير مفهومة؛ ومن ثم فإن التأكيد عل إبراز العلاقات ودورها في النص، أمر يساعد على تفسير النص من جهة، و من جهة أخرى تعين و تساعد هذه العلاقات على التماسك و الترابط بأجزاء النص و وحداته. و قد عدَّ بعض الباحثين العلاقات النصية شرطاً ضرورياً وكافياً على ما هو نص ، وعلى ما هو ليس بنص. والعلاقات النصية تقوم بوظائف أهمها :

- إنتاج نص متماسك ؛ لأنها تعطي النص سمة المقبولية الصحيحة ، و ما دام النص قد حصل على المقبولية من قبل المستقبل ، فإن هذا يضمن نجاح عملية الاتصال اللغوي و من ثم تتحقق معايير النصية أو الكفاءة النصية.[2]

- كم أنها تجعل النص شبكة نسيجية ، من الصعب فك عراها ، لأنها تعزز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية، التي تترابط و تتماسك فيما بينها لتشكل النص ، وذلك على اعتبار أن النص نسيج من الجمل يترابط بعضها مع بعض.[3]

و تعمل العلاقات النصية على تحقيق الفهم الصحيح للنص ، بتنظيم أفكاره وتتابعاته الدلالية المختلفة، نظراً لما توفره من السبك القائم على علاقة الإحالة، والحذف والاستبدال والربط والتكرار أو الحبك، القائم على علاقات التسلسل المنطقي أو بالتناص القائم على علاقات ، لديها القدرة على صنع

1- صبحي الطحان ، **بنية النص الكبرى** ، ص، 237، نقلاً عن رضوان،**العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم** ..، مرجع سابق، ص.140.

2- ينظر : دي بوجراند ، **النص والخطاب و الإجراء، مرجع سابق**،ص،104- 299.

3- ينظر: الزناد، **نسيج النص**، مرجع سابق، ص.11.

جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة، و ذلك من خلال الاستدعاء حيث الربط بينها ربطاً واضحاً ، و هذا ما يؤكد أهمية العلاقات النصية .

لذا فإن دراسة العلاقات النصية ، تعني الكشف عن الأدوات و الوسائل التي تمكن المحلل من اكتشاف طرق بناء النص، و لم يكون هذا النص ناجحاً وذلك غير ناجح ؟ ولمِ يَؤثر هذا النص، في الإنسان فيدفعه إلى التواصل؟ و لمِ لا يؤثر ذلك النص ، و يدفع الإنسان إلى الملل؟ وباختصار إن دراسة هذه العلاقات هي دراسة لطرق بناء النص ، و كذا دراسة وسائل و أدوات تحليله.على أن من علماء اللغة المحدثين، من يرمي إلى تقسيم النص وفق نوع العلاقات المتوفرة فيه إلى المعايير التالية:

ثانياً : تقسيم العلاقات في النص ومعاير التقسيم :

ثمة تقسيمات للعلاقات في النص ، متعددة يختلف كل تقسيم منها حسب المعيار الذي كان على أساسه، وأبرز معايير التقسيم ما جاء على النحو التالي:

أ/- تقسيم العلاقات في النص من حيث الدال والمدلول

تنقسم العلاقات في النص من حيث الدال والمدلول ، إلى علاقات ملفوظة وعلاقات ملحوظة ، وهذه الثنائية تنظر إلى العلاقات بين أجزاء أو وحدات نص ما، من حيث ما يدل عليها و يفيدها، فإما أن يدل عليها بلفظ فتنسب إليه ، فتسمى علاقات لفظية أو خطية ، و إما ألا يدل عليها بلفظ بل تعتمد على فهم المتلقي ولحظه لها ، من قرائن نصية و مقاميه فتسمى حينئذ علاقات مفهوميه أو لحظية. و يؤخذ هذا الطرح من قول تمام حسان :« تردك العلاقات بواسطة القرائن الدالة عليها (..)، واللغة نظام لفظي يربط الألفاظ بالمعاني ، بواسطة نوعين من القرائن : أحدهما يسمى القرائن اللفظية ، والآخر هو القرائن المعنوية، أي أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يستدل عليها بقرائن لفظية ،

فنسميها علاقات ملفوظة و قد يستدل عليها بقرائن معنوية ، فنعرفها باسم العلاقات الملحوظة، أي التي لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية».[1]

وفي هذا الصدد كذلك، يعبــــر(م حمــد حماسة عبد اللطي ــف) عن وجهة نظرتصب في نفس الإطار ؛ يقول فيها:« النص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية ، تعمل على تماسكه و ترابط أجزائه، وعلى من أن يتصدى لتفسير النص ، أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها ، و قد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة تتمثل في بعض الأدوات ، كالعطف والسببية (كالفاء مثلاً) وبيان الغاية والاستدراك .أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص، بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية و هذه العلاقات الدلالية هي التي (..) تساعد على ربط الإشارات في النص ، ببعضها وتعين على تطورها وأسلوب تحولها؛ حتى تكون في النهاية خيطاً قوياً يربط النص رابطاً خفياً، يحتاج إلى تلطف لكشفه».[2]

ب/- تقسيم العلاقات في النص من حيث الوضع أو المستوى

تقسم العلاقات في النص من حيث الوضع أو المستوى ، إلى علاقات أفقية وعلاقات رأسية ، وهي عبارة عن منهج لتناول النصوص ، من أجل الكشف عن تعانق الروابط الرأسية و الأفقية داخل النص الواحد ، و يؤخذ هذا الطرح من قول حماسة عبد اللطيف « تنتظم القصيدة وفق نوعين من العلاقات النحوية، الأولى: هي ما أسميه العلاقات الأفقية ، وأعني بها ترابط الجملة الواحدة، في داخلها بواسطة العلاقات النحوية المعروفة على مستوى الجملة الابتدائية، والخبرية أو الفعلية الفاعلية، ويلحق بكل منها متعلقات وتوابع وما يتسلط عليها من معاني الاستفهام، و النفي والتوكيد والعطف(..). والثانية:

---

1 -تمام حسان، **العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني** ،(مقال)،مجلة الدراسات القرآنية،كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن،(م03)،(ع 02)،2001 م،ص.187-188.

2-حماسة،**اللغة وبناء الشعر**، ص.45 نقلاً عن:رضوان،**العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم- دراسة في ضوء نحو النص**، مرجعسابق، ص.158.

هي ما أسميه العلاقات الرأسية؛ وأعني بها تماسك القصيدة كلها في إطار واحد، محكوم بعلاقات نحوية سياقية توثق من عرى الترابط بين الجمل بعضها والبعض الآخر، مضافاً إليها الإشارات المتشابهة في الجمل أو الوظائف النحوية المتكررة».[1]

ج/- تقسيم العلاقات في النص من حيث البنية العميقة والبنية السطحية

أما (جون كوين) فيرى من جهته ، أن نوع العلاقات في النص يمكن أن تقسم من حيث البنية العميقة البنية السطحية إلى صورتين، الأولى :« علاقات الربط الواضح ، و يجري الربط بها من خلال وسائل تركيبية قوية ، ظاهرة على سطح النص . و هذه الوسائل التركيبية قد تكون حرف عطف (الواو، لكن،..)، أو ظرف (مع أن،..) والثانية: علاقات الربط التضمني، ويجري الربط بها من خلال تجاور بسيط بين القضايا أو الجمل. ثم قدم (كوين) هذين المثالين :

- السماء زرقاء والشمس تتلألأ.

- السماء زرقاء، الشمس تتلألأ».[2] ثم قال « و نحن نرى أن العبارة الثانية خالية من حرف العطف، وهي مساوية في المعنى للعبارة الأولى. و في الواقع فإن التجاور أكثر وسائل الربط شيوعاً ، فوجود حرف (الواو) في صدر كل جملة، يثقل المقال بدرجة ملحوظة .والكلام المكتوب يفضل اللجوء إلى مجرد التجاور».[3]

والربط- كما هو واضح- جاء من قبيل التجاور ، الذي آزرتـــــــه نظرية الحقـــــول الدلالية، التي تربط بين السماء والشمس (من حقل دلالي واحد)، وقد ارتبط بهما الأولان و التلألؤ، مما جعل الترابط العام واضحاً

1- حماسة عبد اللطيف، السابق، ص.45 نقلاً عن:رضوان، السابق، ص.158.

2- جون كوين، **بناء لغة الشعر** ، ترجمة وتقديم: أحمد درويش ، دار المعارف القاهرة ، (ط03)،1993م، ص.189-190. نقلاً عن: رضوان ،السابق، ص.159

3- السابق، ص.190، نقلاً عن:رضوان، السابق، ص.159.

بالتضمن، دون وجود حرف رابط في ظاهر النص. و يوضح (كوين) ذلك قائلاً: « إن كل ربط يستلزم وحده وحدة في المعنى ، بين الأجزاء التي يربط بينها ».[1]

1- نفسه،ص.192.

المبحث الثالث: مقومات تماسك النص/ الخطاب، و تشكل بناءاللغة

أولاً: مفهوم النص من حيث اللغة والاصطلاح:

أ/- مفهوم النص من حيث اللغة

الحديث عن مفهوم محدّد للنصّ ، يقودنا إلى مجموعة كبيرة من التعريفات التي تعكس وجهات نظر متعدّدة، تنطلق من المرجعيّات الفكريّة و التراكمات لمعرفيـــّة لكلّ لغة. فقد ارتبط ظهور مصطلح النصّ « بظهور عدد من المؤسسات في ضعف الذاكرة وفعل الزمن، فيتخذ الملفوظ حيزاً في الفضاء، ويستقلّ بوجوده فيخترق العصور».[1]

يعدّ مفهوم النصّ في الثقافة العربية من المفاهيم ذات الدلالات المتعدّدة ، فلوجلنا بالنظر في ما أوردته المعجمات العربية ، تحت مادّة (ن ص ص) لوجدناها تدور في فلك المعنى اللغويّ للنصّ، من دون الحديث عن المعنى الاصطلاحيّ للكلمة ، إلاّ إشارات بسيطة كالتي نراها عند (ابن منظور) (ت711هـ) في لسان العرب؛ إذ يقول:« قول الفقهاء: نَصُّ القرآن: ونَصُّ السنة، أي ما يدلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ».[2]

الأعمّ الأغلب من معاني مادة (ن ص ص) في المعجمات العربيّة ، تدور حول محور البيان والظهور والارتفاع، فالنصّ عند (الفراهيديّ) (ت175هـ) هو الرفع و الظهور، يقول: « نصصت الحديث إلى فلان نصّا، أي رفعته(..)، والمنصّة التي تقعد عليها العروس (..)، و الماشطة تنصّ العروس، أي تقعدها على المنصّة، وهي تــنصّ، أي تقعد عليها أو تشرف لترى من بين النساء» .[3] يتبيّن من هذا ، أَنَّ معنى النصّ هو الرفع والارتفاع؛ فرفع النصّ يُوجب

1-الزناد، **نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا** ، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت،(ط1)، 1993م، ص.12.

2- ابن منظور،**لسان العرب**، مادة(ن ص ص)،(م7 0)، مصدر سابق،ص.98.

3-الفراهيدي،**كتاب العين** ،مادة(ن ص ص)،تحقيق:مهدي المخزوميّ والسامرائيّ،دار الشؤون الثقافية، بغداد،(م07) ،1984م، ص.86-87.

إعادته إلى أصله عن طريق سلسلة رواته. والمنصّة مكان مرتفع تجلس عليها العروس لترى، ومنه أيضاً« نصّت الظبية جِيدَهَا؛ رفعْه ».[1]

ومن معاني النصّ أيضاً هو منتهى الشيء وبلوغ أقصاه، ومنه حثّ الناقة لاستخراج أقصى سيرها « و نصصت ناقتي؛ رفعتها في السير(..)، ونصّ كلّ شيء: منتهاه، وفي الحديث (إذا بلغ النساء نصّ الحقاق ، فالعصبة أولى)؛ أي إذا بلغت غاية الصّغر ، إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية ».[2] ومنه أيضاً استقصاء مسألة الرجل حتى يستخرج ما عنده« يقال نصّ ما عنده أي استقصاه »[3]، فالاستقصاء هنا التتبّع لبلوغ الغاية.و« منه ما روي عن (كعب) أنــه قال: (يقول الجبار: احذروني فإنـــي لا أناصّ عبداً إلاّ عذّبته؛ أي لا استقصي عليه إلاّ عذّبته) ».[4]

ومن معاني النصّ، الحركة والتحريك. يقول الخليل: « و النصنصة: إثبات البعير ركبتيه في الأرض، وتحرّكه إذا همّ بالنهوض(..)، و نصنصتُ الشيء حرّكته ».[5] ومن معانيه أيضا التراكم، وجعل بعض الشيء على بعضه «المتاع نصّا، جعل بعضه على بعض ».[6] ومن معانيه الاستواء والاستقامة «وانتصَّ الشيءُ وانتصب، إذا استوى واستقام ».[7] ومن معانيه التعيين والتوقيف فــ« النصّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنصّ التوقيف،

1- ابن منظور، مادة (ن ص ص)؛ مصدر سابق، (م 7 0)، ص.97.

2- الفراهيدي،السابق، مادة (ن ص ص)،(م7)،ص. 86-87.

3- نفسه، مادة (ن ص ص)، (م7 0)، ص.87.

4- الأزهريّ، **تهذيب اللغة** ،إعداد وإشراف : محمّد مرعب وآخرين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،(ط01)، (م12)،2001م، ص.83.

5- الفراهيدي، مادة: (ن ص ص)، مصدر سابق ،(م7 0)،ص.87.

6- ابن منظور، مادة:(ن ص ص)، مصدر سابق، (م7 0)، ص.97.

7- نفسه،(م 07) ،ص. 97.

والنصّ التعييــن على الشيء». [1] وجاء في أساس البلاغة « ونُصَّ فلان سيّداً نُصّبَ». [2]

يتبيّن ممّا تقدّم أَنَّ للنصّ دلالات متعدّدة متنقّلة ، بين الدلالة الحسيّة والدلالة المعنويـــّة. ولعلّ الباعث من وراء تنقل المفردة، هو مرورها عبر مراحل التطور الدلاليّ، أو بسبب تعدّد لهجات اللغة الواحدة. وتبقى الدلالة المشتركة لمفردة (نصّ) هي الكشف والظهور، ويعزّز هذا القول، قول (ثعلب) (ت291 هــ) من أَنَّ « النصّ كشف وإظهار، وكلّ مظهر فهو منصوص، وكلّ تبيين وإظهار فهو نصّ ». [3]

ب/- مفهوم النص من حيث الاصطلاح

أمّا عن المعنى الاصطلاحيّ لكلمة (نصّ) [4]، فإنّ انتقال أيــّة مفردة بين مجالات العلوم، تمنحها دلالات أخرى قد تقترب من دلالتها اللغويةّ ، وقد تبتعد عنها، هذه الدلالات خاضعة للسياق الذي وردت فيه، و الحقل المعرفيّ الذي يتبناها. ومن هذه المفردات كلمة (نصّ) التي استعملت في ميدان العلوم الدينيّة،- الفقه وعلم الأصول خاصّة- فقد تحولت إلى« مصطلح دلاليّ يشير

1- الأزهريّ، السابق،(م12)، ص.116.

2- الزمخشري،**أساس البلاغة**، دار ومطابع الشعب،القاهرة،(د ط)،1960م ،ص.962.

3- ثعلب، **مجالس ثعلب**، تحقيق محمّد هارون؛ دار المعارف،(د ط)،(م01)،1969م ، ص.90.

4- يقترح بعض اللغويين المحدثين نموذجاً (لإنتاج نص)، يمر عبر المراحل التالية:- التخطيط، وضع الهدف ، واختيار أنواع النص: في هذه المرحلة يتدبر منتج النص بواسطة (تحليل – الهدف – الوسيلة) كيف يمكن الوصول إلى أفضل حالات الغاية المرغوبة بأنجع الطرق.- تشكيل الأفكار: توافق هذه المرحلة الابتكار في البلاغة ،أو وجود الأفكار إذ يفهم من الفكرة تشكيل المضمون من الداخل ، مما يعطي بواسطته نقاط توجيه مسبقة .- التطوير: يحدث في هذه المرحلة ترتيب المضامين المنتظمة داخلياً في الذاكرة ، والبحث عن مجالات العلم المخزنة.- العبارة:لأن المراحل السابقة ،تعد أيضاً تصورات مرسومة ؛ فإنه يحصل الآن البحث عن العبارات التي تصلح لتنشيط المضمون الذهني المعني ، وتنتج عن ذلك أفضليات ، التي ثم تنشيطها مسبقاً لدى المتكلم .- التركيب القواعدي: يتم في هذه المرحلة وضع العبارات في علاقتها القواعدية، و يتم ترتيبها في بنية النص السطحية .

إلى البيّن بذاته، الواضح وضوحاً لا يحتاج معه إلى بيان آخر، وذلك بالمقارنة بأنماط دلاليّة أخرى، تحتاج إلى بيان وشرح مستقلين عنها ».[1] فالنصّ إذن هو الواضح البيّن، فهذه الدلالة الاصطلاحيّة تشترك في جانب كبير منها، مع دلالة الكلمة اللغويّة، التي تشير إلى « ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً، أو ما لا يتحمل التأويل »[2]، وهي مدار ورود الكلمة في كتب الفقه والأصول.

أما (الشافعي) (ت204هـ) فيشير إلى هذا المعنى الاصطلاحيّ ، حين يصف النصّ بأنّـه « مستغنى منه بالتنزيل عن التفسير ».[3] ونجده يضع النصّ مقابل الاستنباط ،عند حديثه عن أهميّـة طلب العلم بما أنزل الله في كتابه العزيز؛ يقول:« فحُقَّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، أو الصبر على كلّ عارض دون طلبه، وإخلاص النيّة لله في استدراك علمه: نصّاً واستنباطاً ».[4] و يقول في موضع آخر : « فإنّ من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، وفّقه الله للقول والعمل بما علم منه ؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه..».[5]

وفي كلامه عن الوجوه التي أبان الله تعالى لخلقه في كتابه ، نجده يؤكّد معنى النصّ الذي أشار إليه في النصوص السابقة، يقول « فمنها : ما أ بلن ه لخلقه نصّاً، مثل جمل الفرائض في أَنَّ عليهم صلاةً وزكاةً وحجّاً وصوماً. وأنّـه حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصّ الزنا والخمر ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبيّن لهم كيف فرض الوضوء من غير ذلك ممّا بيّن نصّاً ».[6] فالنصّ هنا هو ما أشار صراحة ، إلى الأحكام فهو من الوضوح

1-نصر حامد ،**النصّ**..**السلطة الحقيقية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،(ط1)،1995م،ص.151.
2- الجرجانيّ ،**التعريفات**،تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربيّ، بيروت،(ط1)،1985م، ص.309.
3- الشافعيّ،**الرسالة**، تحقيق وشرح:شاكر،المكتبة العلمية،القاهرة،(د.ط)،(د ت)،ص.14.
4- السابق ،ص.19.
5- نفسه ، ص.19.
6- نفسه ، ص.21.

بمكان، لا يقبل معه الاستنباط والاجتهاد، فالنصّ على الفرائض واضح وهو ما ذكره جلّ شأنه، في كتابه العزيز من دون الحاجة معه إلى إيضاح.

أمّا مفهوم النصّ في عرف الأصوليين، فقد تنقّل بين الظاهر والمفسّر والحقيقة والمجاز ،« النصّ بالفتح والتشديد هو في عرف الأصوليين ، يطلق على معان، الأوّل، كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنّة ، سواء كان ظاهراً أو نصّاً أو مفسّراً حقيقةً ،أو مجازاً عامّاً أو خاصّاً اعتباراً منهم للغالب، لأنّ عامّة ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النصّ ، و إشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ ».[1] ويعضّد هذا القول تقسيم الإمام (الغزاليّ) (ت 505 هـ) للنصّ؛ فالنصّ « ضربان؛ ضرب هو نصّ بلفظه و منظومه ،(..) وضرب هو نصّ بفحواه ومضمونه ».[2]

ج/- تباين تعريف النص بين اللغة والاصطلاح

مما سبق ذكره، نرى أنّ المعنى الاصطلاحيّ، لم يبعد كثيراً عن دائرة المعنى اللغويّ لكلمة (نصّ)، فهي تعني الظاهر الذي لا يحتمل التأويل، و أن لا يتطرّق إليه احتمال إلا بشرط أن يعضّد هذا الاحتمال بدليل. إلاّ أَنَّ هذا المفهوم بدأ يخرج من دائرة الخصوص إلى العموم ، الذي يشمل جميع ما ورد عن صاحب الشريعة، وكما رأينا من تعريف التهانويّ (ت 12هـ) للنصّ، الذي أخذه عن أبي البقاء الكفويّ (ت 1094هـ)[3]، و وسّعه ليشمل أيضاً – فضلاً عن النصّ والمفسّر–، الحقيقة والمجاز عامّاً وخاصاً.

1- التهانوي،**موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**،تقديم :رفيق العجم وآخرين ،مكتبةلبنان ناشرون،بيروت،(ط01)،(م 02)،1996م،،ص.1695-1696.

2- الغزاليّ ،**المستصفى من علم الأصول** ،دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ،بيروت،(ط03)،(م01)،1993م، ص.335.

3- ينظر:الكفوي ،**الكلّيّات** ،إعداد: درويش والمصري ،مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت،(ط2)،1998م،ص.908.

ثانياً: مفهوم النص في الثقافة الغربية

لما كانت الدراسات اللغوية التي تناولت الجملة بالتحليل ، تتسم بكثير من التداخل والاختلاف في مراحلها المختلفة ؛ ولما كانت هذه الدراسات بمثابة المدخل الطبيعي، لما جاء بعد ذلك من تحاليل شملت بيئة أوسع و أعمق هي بيئة النص، كان من الطبيعي « أن تعددت تعريفاته وتنوعت ؛ بل وتداخلت إلى حد الغموض أحياناً أو التعقيد أحياناً أخرى ، فبعض التعريفات تعتمد على مكوناته الجملية و تتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط ، وبعضها الآخر يعتمد التواصل النصي والسياق ، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة ، والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً ؛ فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات، التي تقربنا من ملامحه».[1]

لقد مثَّل النص – قديماً وحديثاً– على الأقل من الناحية العملية ، موضوع البحث و وسيلته الأساسية ، في علوم مختلفة مثل : البلاغة و اللاهوت ، والإسلاميات والتاريخ و الفلسفة و القانون والأدب وغيرها؛ و لكن بالرغم من هذا الانتشار لظاهرة النص ومكانتها الكبرى في حياتنا، و حاجتنا الماسة إليه؛ فإن تعريف النص وتحديد ماهيته ، ظل مشروعاً غير سهل الضبط. و لقد انشغل الباحثون بعلم اللسان منذ أواخر الستينات ، بهذا المفهوم حتى تبلورت مدرسة **للسانيات النص**، و واجهوا صعوبة تحديد مفهومه و مجاله، و تباينت المقاربات في هذا الصدد.

لكن صعوبة تحديد مفهومية النص ، ليس مصدرها فقط « قابليتُه للدراسة من عدة وجوه ، و إمكانية تطبيق مقاربات مختلفة متنوعة ؛ ولكن من حيث أنه وسيط مفتوح بدون حدود واضحة ، و ذلك من جهات مختلفة:

1- أحمد عفيفي، **نحو النص – اتجاه جديد في الدرس النحوي** ، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،(ط01)، 2001م ص.21.

– من حيث الطول: هل يمكن أن نعتبر أقوالاً – تُمثَل في جملة واحدة ، أو في أقل من جملة– نصوصاً ؟

– من حيث السند: هل هو الكتابة أم الخطاب الشفوي و هل نكتفي بنظام اللغـــــة أم يمكن أن تدخل في مفهوم النص ، أنظمة علاماتية أخرى تسهم مع اللغة في تكوين الدلالة ، مثل الصور و كل ما يتعلق بطرق العرض الإعلامية ، في الأقراص المدمجة(..) وغيرها ؟ ».[1]

ينحدر الأصل اللغويّ لكلمة نصّ (Text:Texte) في الثقافة الغربيّة، من الأصل اللاتينيّ للكلمة(textus). و تعني أصلاً النسيج أو الأسياخ المضفرة، مأخوذاً من الفعل اللاتينيّ (texere) ويعني نسج أو جدل. [2] ثم انتقل هذا المعنى اللغويّ إلى النصّ، الذي عُدّ نسجاً من الكلمات « إذ العلاقة بيّنة في هذا النقل، فإذا كان النسيج الماديّ يتكوّن من السدى و اللحمة والمنوال(..)؛ فإنّ النصّ يتكوّن من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة ». [3] فالنص النسيج العام، الذي يتألف من خيوط متناسقة على هيئة مخصوصة، و يتعدى الجملة باعتباره سلسلة من الجمل، يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة و مبدأ الاتساق والتناسق.

ويرى الأزهر الزناد أن « معنى النسيج يتوفر في المصطلح الأعجمي ، المقابل لمصطلح نص (texte)؛ على أن هذا المعنى ليس غريباً عن تصور العرب للنص. فقد تبين لنا أن الكلام عند العرب ، يكون نصاً إذا كان نسيجاً والنص والنسيج في بعض الوجوه يلتقيان. ففي لسان العرب (مادتا: ن ص ص

1- صكّوحي، **لسنيات النص، أو لسانيات ما بعد الجملة ما قبل الخطاب**،مرجع سابق ،ص.51.

2- ينظر:هاينه من فولفانج وديتر فيهفيجر،مدخل **إلى علم اللغة النصيّ**،ص.4.

لعله ثمة تقارب بين المفهومين العربي والغربي..و ذلك أن النسج فيه بذل وجهد يكتمل و يبلغ أقصاه ، إلى أن يكون بساطاً نتيجة التفاعل يتم بمقتضاهما ضم الخيوط إلى بعضها ،حتى يظهر ذلك ويرتفع ،بعد أن كان خيوطاً غير ظاهرة المعالم وعليه فلا يعد النص نصاً ؛إلا إذا كان نسيجاً لغوياً محكماً ظاهر الدلالة.

3- محمد مفتاح، **المفاهيم معالم**، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب،(ط1)،1999م ، ص.16.

– ن س ج) (النص: جعل المتاع بعضه على بعض) ، و(النسيج: ضم الشيء إلى الشيء)، فالأول تركيب والثاني ضم والتركيب والضم واحد».[1] فالنص نسيج من الكلماتيترابط بعضها مع بعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة، في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح (نص).

و في المعجم الصغير للمصطلحات اللغوية (kleines-Worterbuch Sprachwissenschafticher-Termini) الصادر سنة 1975م، لا نجد مصطلح (نص) مادة من مواده، لكننا نجد تحت (نظرية النص) التوضيح التالي: « تنظر نظرية النص إلى النص، بوصفه وحدة كلامية تامة . مستقلة نسبياً يحققها المتكلم بهدف معين، و في إطار ظروف مكانية و زمنية محددة ، ويفرق بينها مجرد توال لأي عدد من الجمل».[2]

لقد تطورت التعريفات المختلفة للنصوص، على أساس أوجه فهم مختلفة للتماسك النصي. فهذا (بليرت) (bellert)، يتحدث في مقالته عن شرط التماسك الدلالي؛ أي عن شرط أن يفهم تتابع الجمل على أنه نص مترابط. ويرغب (ايزنبرج) أن يفهم تحت النص، تتابعاً من الجمل يترابط من خلال وسائل التنصيص.[3]

بينما نجد (هارتمان) يعرّف النصّ بأنـــّـه : « متوالية من الكلمات المنطوقة فعلاً في اللغة، فالنصوص قد تكون نسخاً منقولةً أو مادّةً مسجّلةً، أو أن تكون نتيجة تدوين عمل أدبيّ، أو قطعة من معلومات – نصّ رسالة مثلاً».[4]

1- الزناد،**نسيج النص**، مرجع سابق، ص.06.

2- زتسيسلاف و اورزنياك ، **مدخل إلى علم النص– مشكلات بناء النص**،ترجمة وتعليق : بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة،(ط01)،2003 م، ص.53.

3- ينظر:المرجع نفسه ،ص.54.

4 -Hartman, R.R. K and F. C. stork; Dictionary of Language and linguistics; Applied Science published; London; 1972, p.p. 238.

و يرى أَنَّ النصّ – في نظر اللغويّين– يعمل كأساس للتحليل اللغويّ، فبعض النصوص تشير إلى التفاصيل المتحصّلة عن اللغات المنقرضة، أوفي ميدان تعلّم اللغة ،الذي يمثّل التعامل مع النصوص جزءً مهمّاً منه. أو في ميدان الترجمة..وغيرها.[1]

النصّ هو تدوين هذه الامتدادات اللغويةّ، يقول (بول ريكور) « لِنُسَمّ نصّاً كلّ خطاب تثبته الكتابة، وعلى هذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسساً للنصّ..».[2] لكن هل يقتصر النصّ على كونه مدونة كلاميّة ، تتألف من جمل متوالية؟ نجد أَنَّ (هاليداي وحسن) يوسعان المفهوم ليشمل المنطوق والمكتوب، فلا يقتصر تعريف النصّ عندهما بالمكتوب دون المنطوق، يقولان « تستعمل كلمة النصّ (Text) في علوم اللغة للإشارة إلى أيّ مقطع، منطوق أو مكتوب، ومهما كان طوله، ليشكّل كلاّ موحداً ».[3]

كما نجد أَنَّ (كريستال) و(هاينه من) و (فيهفيجر) لم يقصروا تعريف النصّ على كونه منطوقاً أو مكتوباً، و إنمّا ادخلوا أصنافاً أخرى تشمل علاماتِ الطريق والمحادثات، و التقارير الإخباريّة و الصور الرمزيةّ، و القصائد والإعلانات.. وغيرها.[4] و يبرّران إدخال هذه الأصناف تحت مفهوم النصّ، اعتماداً على وظيفة النصّ الرئيسة؛ وهي الوظيفة التواصليّة (Communicative-Fonction) التي « تُعرف بسمات مثل الاتــّساق (Cohésion)، والانسجام (Cohérence)، والإخبارّية (Informative-

1 -See: Ibid, 237-238.

2- ريكور بول ،**من النصّ إلى الفعل**، ترجمة محمّد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة،القاهرة،(ط1)، 2001م ،ص.105.

3 -Halliday (M.A.K.) And Ruqaya Hassan; Cohesion in English; Long man; 1st pub; New York; 1976; p.p.1.

4 -See Crystal; S.V (text); p.p. 350.

Ness)، وهذه السمات هي التي توفر تحديد الكيفيّة، التي تنشئ وحدة النصّيّة أو النسيج ».[1]

والتواصليّة ليست الوظيفة الوحيدة للنصّ، وإنمّا على النصّ أن يتّسم بسمات أخرى، « لأن الناس في أغلب الأحيان ينظرون إلى الكلمات ، و كأن لكل كلمة كياناً مستقلاً منفصلاً ، لكنه لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تام ، بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها ؛ و التي تحدد معناها. و لو نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر دلالية ، لوجدنا من الأفضل اعتبار البنية المعجمية للغة ، شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى ، أي أنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثّل كل خيط فيه إحدى العلاقات، و تمثّل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة».[2]

و هذا ما جعل (جون لاينز) يعترض على التعريف التقليدي للنصّ ، بكونه سلسلة من الجمل المتتابعة وظيفتها التواصل، و يرى أَنَّ هذا التعريف غير مرض، وعاجز عن توضيح الوحدات التي يتكوّن منها النصّ،سواء أكانت جملاً أم غير جمل « فليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها في سلسلة، إنمّا ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النصّ في مجمله أن يتّسم بسمات التماسك والترابط ».[3]

فالنصّ – وبحسب مفهوم (لاينز)–، لا يكون نصّا إلاّ بوجود علاقات داخليّة تنتظم فيها متواليات الجمل، وهذه العلاقات هي التماسك والترابط ، وعلاقات خارجيةّ يحكمها السياق. و يخلص إلى أَنَّ كلاّ من النصّ والسياق يتمّم كلّ منهما الآخر، و يفترض مسبقا كلّ منهما الآخر، وتعدّ النصوص « مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها

1-See Crystal; S.V (text); p.p. 350.

2- جون لاينز، **اللغة و المعنى و السياق** ،ترجمة: عباس صادق الوهاب ،مراجعة:يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ،الرباط،(ط01)،1987 م،ص.83.

3- نفسه؛ ص.218-219.

وتعديلها، بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون، والكتاب في مواقف معينة».[1]

و إذا كانت الأدبية سمة جمالية و فنية ، تسعى النصوص بمختلف أصنافها ومستوياتها إلى تحقيقها « فإن النص الأدبي في نظـــــــــر (إيكـو)، غيـــر مكتمل نظراً لأن الأمر لا يتعلق بالجانب اللساني، الذي يسعى إلى تحديد النص الأدبي فقط إلي إرسالية، بما في ذلك الجمل والكلمات المعزولة ، التي ترد خارج النسيج التركيبي العام. إن النص الأدبي يتميز عن باقي الأصناف التعبيرية الأخرى ببنائه المركب ، الذي تتداخل فيه عدة عناصر و مكونات، فهو نسيج علاقات معقدة. إن العمل الأدبي عمل مفتوح ونسيج فضاءات بيضاء، ينبغي ملؤها إنه عبارة عن آلة كسولة أو مقتصدة، ذات طابع اختزال يحيا بما يقدمه القارئ، من قراءات و دلالات وما يملؤه من فضاءات بيضاء».[2]

ولا ينظر للنص من موقع الأدبية التي تتوفر له فقط ؛ و إنما النص يكتسب بقاءه كذلك من خلال متلقيه، و لهذا « يميز(إيكو) بين النص المغلق والنص المفتوح ؛ فالنص المغلق يتمثل في ذلك البناء النصي ، الذي لا يمكن تأويله إلا من طرف ذلك القارئ النموذجي ، الذي يقترحه النص نفسه والمحدد بدقة. أما النص المفتوح فإنه وإن اقترح قارئه النموذجي ، يبقى قابلاً للقراءات المتعـددة والتأويلات المختلفة ».[3]

أما (فان ديك) ، فتندرج تصوراته حول مفهوم النص ضمن إطار أوسع ، يشمل أنحاء النص كلها حيث « لا يقف عند البنى السطحية والتركيبية للنص ، ولكنه يتجاوزها إلى ربط النص ببنيات خارجية . ساعياً بذلك إلى إقامة تصور

1- السابق، ص.215.

2- آيت أوشان ، **السياق والنص الشعري**، المرجع سابق، ص.108.

3- السابق، ص.109.

متكامل حول النص، يسمح ببناء نظرية منسجمة تتجاوز الحد السكوني، الذي تقف عنده السرديات إلى مقاربة دينامية النص». [1] و تبقى تصورات (فان ديك) حول النص تمثل مدخلاً أكثر من مهم ،لإسهاماته حول قضايا **انسجام الخطاب**، ضمن حقل (لسانيات النص).

وإذا كان (برينكر) (brinker)، و من منطلق أن موضوع النص، يكون في الإسهام الدلالي منطلقاً وأساساً لدراسات علم اللغة النصي ، و أن العلاقة المشتركة لموضوع النص في كل أجزاء النص، يمكن أن تعد علامة مهمة في التناسق؛ يرى في تحديد النص أنه « تتابع مترابط من الجمل ومتماسك لا تحتضنها أية وحدة لغوية أكبر منها (..)؛ و أنه كمية منتظمة من القضايا ترتبط بخلفية قاعدة النص الموضوعية، بواسطة علاقات دلالية- منطقية » ؛[2] فإن (عبد المالك مرتاض) يرى أن النص « شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والأيديولوجية، تتضافر فيما بينها لتكون نصاً ».[3]

ومهما تشعبت الآراء حول مفهم النص، بين العلماء قديماً وحديثاً« إلا أن أغلب اللسانيين يجنحون إلى أن النصوحدة متكاملة تشدها خاصية الترابط ، حيث يقوم النظام الكلي للنص، على مبدأ التماس المتمثل في الخاصية الدلالية الجامعة للنص». [4] و إلى شرط الوحدة المتكاملة الواجب توفرها في النص ، يكون تصور (هاليداي ورقية حسن) لهذا الكائن اللغوي؛ فقد أشارا إلى أن

1- نفسه ، ص.77.

2- عبد القادر شرشار، **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص** ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، سوريا،(دط)،2006م ،ص.47.نقلاً عن :النعيمي، جذور **نحو النص في التراث النحوي** ، الكتاب نموذجاً، جامعة تكريت للعلوم الإنسانية،العراق ،(م17)،(ع07)، 2010م،ص.08.وينظر :فولفجانج هاينه منوديتر فيهفيجر،المرجع سابق ، ص.50.

3- السابق، ص.46.

4- ياسين سرايعية ، **مقاربة نحو النص في تحليل الخطاب** ،(مقال) جامعة ابن خلدون، مجلة العلوم الإنسانية ،تيارت ،الجزائر،(ع 35)،(س05)،2007 م ، ص.03.

«كلمة نص(text) تستخدم في علم اللغويات ، لتشير إلى أي فكرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة . و يظهر واضحاً هذا التركيز على أن النص يتضمن المكتوب والمنطوق ، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً » .[1] و من هنا يأتي تعريف النص على أنه، « نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث تفرض شكلاً ثابتاً و وحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ».[2]

بينما ترى (جوليا كريستفا)(KristevaJulia)، النص ساحة لغوية مفتوحة أمام تمظهرات نصوص أخرى؛ إنه « جهاز عبر لغوي ، يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات المتوالية ، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة، من الأقوال السابقة المتزامنة معها. و النص لذلك إنما هو عملية إنتاجية مما يعني أمرين :

– علاقته باللغة التي يتموقع فيها، تصبح من قبيل إعادة التوزيع عن طريق التفكيك، و إعادة البناء مما يجعله صالحاً يعالج بمقولات منطقية، و رياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له .

– يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص؛ ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى متداخلة الدلالة».[3]

والنصو بهذا الزخم من اختلاف الرؤى حول كينونته الظاهرة والخفية؛ يبقى دائماً شكلاً مدركاً بالحاسة البصرية، و مرتبطاً تكويناً بالكتابة وقد يكون ذلك باعتباره مجرد رسم للحروف، ولو أنه يبقى تخطيطاً فهو إيحاء بالكلام وبتشابك النسيج. كل نص هو تناص ، و النصوص الأخرى تتراءى فيه

1- عفيفي،**نحو النص.. اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مرجع سابق، ص.22.

2- نفسه ، ص.26.

3- جوليا كريستفا،**علم النص** ،ترجمة: فريد الواهي ، مراجعة: عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ،(ط02) ،1997 م ،ص.14.

بمستويات متفاوتة، و بأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى؛ فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة.

إن مفهوم النص مرتبط تاريخياً بعالم بأكمله من النُظم ، بالقانون والدين والأدب والتعليم. النص موضوع أخلاقي، أي حين تشارك الكتابة في العقد الاجتماعي؛ إنه يفرض نفسه و يطالب بأن نطبقه و بأن نحترمه ، و لكنه في المقابل يَسِمُ الكلام بسمة نفيسة جداً ألا وهي الضمان.[1]

إلى ذلك تبقى التعريفات التي استعرضت ماهية النص كثيرة ومتداخلة؛ فبعضها يقصر النص على المنجز كتابةً، و بعضها الآخر يجمع في تعريف النص بين المكتوب والملفوظ ، ومنها ما يراعي في التعريف جانب الوظيفة التواصلية ، ومنها ما يهتم بعنصر التتابع بين ألفاظ النص ، ومنها ما يركز على الوظيفة الدلالية للنص.[2]

ثالثاً: مفهوم الخطاب من حيث اللغة والاصطلاح:

أ/- مفهوم الخطاب من حيث اللغة

تعتمد الثقافة العربية بدرجة أولية في الوقوف على دلالة لفظة (خطاب) على القرآن الكريم، و اعتماداً كذلك على التفاسير التي قامت على بعض الآيات. فمن الآيات التي احتوت لفظة(خطاب) ؛ قوله تعالى:﴿ فقال أكفلنيها ، وعزني في الخطاب﴾.[3]و قال تعالى:﴿ و شددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة و فصل

1- ينظر: البقاعي، **دراسات في النص والتناصية** ،(مجموع مقالات في مجلات متعددة)(المصادر الأصلية للنصوص المترجمة، لـــ:رولان بارت،مارك أنجينو ،ليون سومفيل، جيرار جنيت، روجر فايول)،ترجمها وقدم لها وعلق عليها: البقاعي ، دار المعارف ،حمص، سوريا ،(ط 01)، 1998م،ص.27-38.

2- ينظر في إشكال كثرة تعريفات النص واختلافها :محمود الجاسم، **مفهوم النص في العربية بين القديم والحديث**،(مجلة جذور) ،النادي الأدبي الثقافي،جدة ،(ع 31)،2010 م ، ص.45-64.

3- سورة:ص،الآية:23.

الخطاب﴾.[1]و قال تعالى:﴿ رب السموات والأرض، و ما بينهما، لا يملكون منه خطابا﴾.[2]

أما ما ورد في بعض التفاسير عن مفهوم (الخطاب) ، فنجد الإمام(الزمخشري) (ت538 هـ) يورد في(كشافه) « الخطاب البين من الكلام الملخص، الذي يتبينه من يخاطَب به و لا يلتبس عليه ».[3] و لا يبعد تفسير (ابن العربي) (ت 638 هـ) عن تفسير (الزمخشري) و إن كان يحصر دلالته في الشريعة؛ بقوله:« وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام، أي الحكمة النظرية والعملية والشريعة، و فصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام ، المتعلق بالأحكام».[4] بينما نقرأ عند (النيسابوري)(ت850 هـ) في غرائب القرآن تفسيره لعبارة (فصل الخطاب) « القدرة على ضبط المعني والتعبير عنها بأقصى الغايات، حتى يكون كاملاً مكملاً فهماً مفهماً».[5]

هذا عن التفاسير أما المعاجم؛ فتكاد لا تبعد كثيراً في دلالتها عن لفظة خطاب كما وردت في تفاسير القرآن الكريم؛ فـــ(ابن منظور) (ت711هـ) عنده «الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام ، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان (..) و فصل الخطاب قال هي أن يحكم بالبينة واليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق و الباطل و يميز بين الحكم و ضده. و قيل فصل الخطاب: أما بعد. وداود عليه السلام أول من قال: أما بعد، وقيل

1- سورة:ص،الآية:20.

2- النبأ، الآية: 37.و قد وردت لفظة (خطاب) بمشتقاها في القرآن 12 مرة في 12 سورة .

3- الزمخشري ، **الكشاف** ، دار الفكر، بيروت ، لبنان،(ط01) ،1977 م ، ص.81- 90.

4- ابن عربي،**تفسير القرآن الكريم**،تحقيق:مصطفى غالب،دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، (مج 02)،(ط02)،1978م،ص.349.

5- النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ،وغرائب الفرقان** ،دار الكتب، القاهرة ،(مج 05)،(ج17- 23)، 1962 م، ص.321.

فصل الخطاب الفقه في القضاء».[1] و عند (الجوهري)(ت 393 هـ):« (..) وخطبت على المنبر خطبة بالضم، و خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ».[2]

ولم تتوقف دلالة الخطاب بما وردت عليه في التفاسير والمعاجم، بل انتقلت إلى حقل آخر هو(علم الكلام)؛ فهذا (أبو حامد الغزالي)(ت 505 هـ) و بعد تعريفه للخطاب وذكر عناصره ، يضع شروطاً للمخاطب (المتلقي) وذلك:«بأن يخلق الله في السامع علماً ضرورياً بثلاثة أمور: بالمتكل، وبما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لابد وأن تكون معلومة».[3]

وليس خافياً اعتماد المعاجم على ما ورد في التفاسير ، و ارتباط التفاسير بالمعنى المعجمي أيضاً ؛ مما يدل على أن مفهوم الخطاب في المعاجم العربية لم يخرج عن المفهوم الديني . أما المفهوم المتأخر للخطاب، الذي نبع من جدل الكلاميين فقد استفاد هو كذلك من المفهوم التراثي ، وشكل حقلاً دلالياً خاصاً به، يقترب من المعنى الأصلي و يزيد عليه بما يتوافق ومعطيات الحقل الجديد، ضمن علم اللغة الحديث الذي يستخدم الخطاب.

ولا نشك في أن الغرض ، الذي أراده العلماء العرب الأوائل من خلال نظرتهمإلى مصطلح الخطاب ، سواء أكانوا معجميين أو مفسرين أو علماء كلام، إنما كان غرضهم الأول هو خدمة المعنى و دراسته ، و بذلك تجاوزوا المفهوم اللفظي والمفهوم الجملي ، إذ « حاولوا أن يطوروا نظرة في النص خدمة لأداء المعنى و دراسته، و هذا يعني أنهم قد تجاوزوا المفهوم اللفظي للكلام و المفهوم الجملي، ليستقر عندهم أن المتكلم في تعبيره عن حاجاته ، لا

1- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خ طب)، مصدر سابق، ص.491.

2- الجوهري،**الصحاح**، مادة (خط ب)، تحقيق: يعقوب و الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت ، (01)، (ط01)، ص. 232.

3- الغزالي،**المستصفى من علم الأصول** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(ج 01)،(ط01)،1997م، ص.229.

يتكلم بألفاظ ولا بجمل لكن من خلال نص ، فاتسعت بهذا أمامهم دائرة البحث الدلالي، وانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة ، إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل، بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب».[1]

ب/- مفهوم الخطاب من حيث الاصطلاح

إذا كان مفهوم (الخطاب)- من حيث مصدر النشوء في التراث العربي- دينياً أصولياً؛ فإنه في التراث الغربي فلسفي ، يرتد ويتصل بذلك الأصل الفلسفي؛ على الرغم من تحول المفهوم وتغير معناه وتبدل وظيفته و أهميته. بل إن مفهوم الخطاب يظهر أول ما يظهر عند (أفلاطون) « فمع أفلاطون حيث يتماثل المقال مع العقل (لوغوس)؛ فكانت أول محاولة لضبط المقال و عقلنته وبناء منطقه، على قواعد تستمد من داخل المقال نفسه ، أكثر مما تستمد من أصل خرافي أو وضعي يفرض بداهته على المقال».[2]و في عصر النهضة يأتي«كتاب (رينيه ديكارت) (خطاب في المنهج) ، ليشكل علامة هذا العصر البارزة، فقد أراد (ديكارت) أن يتجاوز رجال الكنيسة ، و يسمع صوته لعـامة المثقفين».[3]

هذا ويمكن وصف (الخطاب)، بأنه حديث النشأة قد ارتبط ظهوره بـ(اللسانيات)، التي انصبت دراستها على الجملة، و تجاوزها الخطاب على يد (هاريس) بتحليل عرف بـ(التوزيعي) حيث يقوم الدارس بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية ، مجتمعة في طبقات متعادلة « تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر ، التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه ».[4]

1- عياشي،**اللسانياتوالدلالة،الكلمة**، مركز الإنماء الحضاري،حلب،سوريا،(ط01)،1996 م، ص.07.

2-معن زيادة، **الموسوعة العربية الفلسفية** ،معهد الإنماء العربي،بيروت، (مج01)،(ط01)،1986م، ص.771.

3- عبد المنعم الحفني،**موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة،(ط02)،1999م، ص.598.

4- جان ماري سشايفر،**النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص**،ترجمة وإعداد:عياشي،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،(ط01)،2004 ،ص.121.

ومن الدارسين من يعزو ظهور مصطلح الخطاب، بأبعاده الدلالية الحديثة المتميزة عن باقي المصطلحات الأخرى إلى (ميشال فوكو)، من خلال مجموع مؤلفاته« إذ أنه يقف عند الحدود ، التي صنعت منذ مطلع القرن السابع عشر عقلانية الحضارة الحديثة ».[1] « إن الخطاب لم يعد طريقة للتعبير ، أو حديثاً متساوقاً أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، (..)، وإنما أصبح إمكاناً وشرط وجود ونظاماً(..)، و هذا التحول الإبستمولوجي في تناول أقاويل البشر، يعتبر رائده المفكر الفرنسي (ميشال فوكو)، الذي هو أول من أنشأ نظرية في وصف المقال كميدان مستقل».[2]

يعرف (فوكو) الخطاب بقوله:« الخطاب مجموعة من المنطوقات ، بوصفها تنتمي إلى التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر، إلى ما لا نهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ؛ بل هي عبارة عن عدد محصور من المنطوقات ، التي تستطيع تحديد شرط وجوده ».[3] و يعرفه أحياناً أخرى بأنه « الميدان العام لمجموعة المنطوقات،أو مجموعة من المنطوقات أو ممارسة لها قواعدها ، تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات و تشير إليها».[4]

ويعتبر البعض الخطاب « كيان لغوي يتعدى الجملة من حيث الحجم ، ويُلابِسُ خصائص غير لغوية دلالية تداولية و سياقية ، و يندرج في حيز الانجاز أكثر من اندراجه في حيز القدرة اللغوية ، ويتخذ موضوعاً لدرس لساني منفصل يدعى ب ـ(لسانيات الخطاب) أو(تحليل الخطاب) في مقابل

1- طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (ط01)، 1987م، ص.432.

2-عليحرب، **الموسوعة الفلسفية العربية** ، معهد الإنماء العربي ، بيروت، (مج 01)، (ط01)، 1986م، ص.1771.

3- ميشال فوكو ، **حفريات المعرفة** ، ترجمة: سالم يافوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،(د ط) ، 1968 م ، ص.111.

4- نفسه ، ص.78.

(لسانيات الجملة)، فيدخل في الخطاب الكلام والمتكلم و بيئة التنزيل وسياقه و أساليب التخاطب».[1]

ج/- تباين المفهوم بين النص والخطاب

لا يشك دارس منصف أن الثقافة العربية الإسلامي ـــة، قد احتوت في ثناياها مفهومي(النص والخطاب). وبقدرما ارتبط المصطلحان بحقل الدراسات الإعجازية في فترة زمنية معينة من عمر هذه الثقافة ؛ فإن ما يبقى مؤكداً هو أن هذه الدراسة، قد مهدت بصورة أو بأخرى إلى بروز علوم لغوية جديدة في العصر الحديث، يأتي على رأسها ما يسمى بـــ(لسانيات النص) خاصة فيما أشار إليه علماؤنا الأوائل كـ ـــ(الإمام عبد القاهر الجرجاني) و (السكاكي) و(القرطاجني) وغيرهم كثير؛ مثلما سيأتي ذكره لاحقاً « بيد أن اللغة العربية تحتوي على المفردتين معاً ، فالنص يعني الإظهار والتراكم والتعيين ومنتهى الشيء، و هذه المعاني إذا ما نقلناها إلى لغة معاصرة، فإنها تعني أن النص له بداية وله نهاية، و أنه عبارة عن جمل متراكمة تظهر ما خفي وتعيِّنه، و أما (الخطاب) فهو يقوم بين طرفين أحدهما : مخاطِب وثانيهما : مخاطَب وقد يتحاوران فيقال حينئذ: إنهما يتخاطبان.

و إذا ما تجاوزنا هذا المعنى اللغوي إلى المعنى المصطلحي ، فإن النص بمعناه الأصولي- يكون مقطوعاً به و غير مقطوع ، فإذا كان مقطوعاً به ، فإنه لا اجتهاد مع وجوده . و هو عند الأصوليين مثل (الخطاب) يقصد به الأمر أو النهي أو الإخبار أو الخبر و غيرها من الوظائف. و بناءً على هذا فإن الخطاب عندهم، يشمل النص أيضاً و إذاً فالخطاب أعم من النص».[2]

1- بودرع ، **في لسانيات النص و تحليل الخطاب**،مرجع سابق ،ص.17.

2- مفتاح، **التشابه والاختلاف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (ط01)، 1996م، ص.34-35.

أما في موسوعة اللغويات العالمية ،« فإن الخطاب والنــص يُستخدمان بذات الدلالة، وهما وحدة لغوية تتعدى حدود الجملة ».[1] في حين يرى أصحاب (معجم اللسانيات الحديثة) أن« بعض اللسانيين يميز النص (TEXT) على أنه مكتوب، ولكن البعض الآخر يستخدم المصطلح (DISCOURSE) للإشارة إلى الحديـــث المنطوق (SPOKEN)،والحديث المكتوب (WRITTE-ISCOURSE) ».[2]

بينما في المعجم الموسوعي لعلوم اللغة نجد « النص عبارة عن سلسلة من الملفوظات اللسانية، التي تتركب لتكون النص المتصف بخصائص صوتية ونحوية و تركيبية؛ فيصير إلى وحدات نصية ذات علاقات فيما بينها ، شريطة احتمالها لمستوى دلالي واضح».[3] و لعل الجزء الأول من التعريف يتلاقى وتعريف الخطاب؛ إلا أن الشرط الأخير وهو انطواء النص علـــى دلالـــة فيـــما بين عناصرهـــا ، ليس موجوداً في الخطاب. فالنص بمصطلحات (هيلمسلف)« يعد نسقاً ذا دلالة إيحائية ».[4] و لا شك أننا ندرك الأبعاد الدلالية المهمة الواردة في تعريف (هيلمسلف) (النسق – الدلالة الإيحائية) ، لأهميتهما في تصور كينونة النص، و كليته بأبعاده الدلالية المترامية الأطراف.

و الدارس لمختلف المؤلفات في اللسانيات وعلم تحليل الخطاب،لا شك أنه سيدرك أنّ ثمةّ تضارب بين مفهومي النصّ والخطاب ؛ بين الدارسين المغاربة من جهة وبين نظرائهم من المشارقة، ناهيك على أن هذا الاختلاف قد

---

1 -WILLIAM BRIGHT ; INTERNATIONAL ENCYCLOPEDIA OF LINGUISTICS ; VI; OXFORD . UNIVERSITY, PRESS-NEW YORK, OXFORD, 1992, P 356.

2- سامي حنا، كريم حسام الدين ، نجيب جريس ،**معجم اللسانيات** ،الحديثة (انجليزي – عربي) ،مكتبة ناشرون ، بيروت ،(ط01)، 1997 م ، ص.40.

3 -DUCROT, TODOROV, ENCYCLOPEDIC DICTIONARY OF SCIENCES OF LANGUAGE , LONDON, 1979, P.295.

4- تزفيتان تودوروف ، **النص، ضمن كتاب العلاماتية و علم النص** ، مرجع سابق، ص.110.

وجد حتى في الفكر اللغوي الغربي، و لاسيّما عند أصحاب الاتجاه اللغويّ المعروف بـــ(تحليل الخطاب)، إذ نجد تداخلاً كبيراً في تعريفات الخطاب مع ما يعرف بـــ(النصّ)، كذلك الآليّات المستخدمة في تحليل الخطاب ، هي ذاتها المستعملة في تحليل النصوص، فنجد الحديث عن تواصليّة الخطاب، ومقام الخطاب، وعلاقات الترابط بين وحدات الخطاب.

وضمن إطار جدلية التداخل بين مصطلحي (النص والخطاب) ، من حيث الدلالة والأسس والمعالجة ؛ يصف الباحث (فاضل ثامر) هذا المنحى الملتبس بقوله:« يتداخل مفهوم الخطاب والنص ، تداخلاً كبيراً في الخطاب النقدي الحديث إلى حد يصعب أحياناً التمييز بينهما ».[1]

بينما يرى(عبد الله إبراهيم)« أن النص مظهر دلالي ، يتم فيه إنتاج المعنى الذي يتحول إلى أدلة ، حال تشكله في ذهن القارئ بفعل انتظام الأدلة واندراجها ، في علاقات تتابع وتجاور تفضي إلى ظهور معنى يتصل بالقراءة و إجراءاتها، وبالقارئ وإمكاناته».[2] فيما الخطاب« مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية ملفوظة أو مكتوبة، و يخضع لقواعد في تشكله وفي تكوينه الداخلي؛ قابل للتنميط و التعيين بما يجعله خاضعاً لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه -سردياً كان أم شعرياً- ومرتهناً بالخصائص النوعية لجنسه ، ونجد فيه صدىً واضحاً لآثار الزمن والبنى الثقافية».[3] فـ(الخطاب) مظهر نحوي فيما النص مظهر دلالي، والمظهر النحوي يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً ، فيما النص مدونة مكتوبة.

1- فاضل ثامر، **اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب،(ط01)،1994 م، ص.75.

2- عبد الله إبراهيم ، **الثقافة العربية الحديثة و المرجعيات المستعارة** ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،(ط01)،1999م ، ص.116.

3- السابق، ص.117.

أما (صلاح فضل) فيجعل من (النص والخطاب)، عند التطبيق يجعلهما شيئاً واحداً. ففي كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص)، يحدد النص بقوله: «فالنص وحدة معقدة من الخطاب، إذ لا يفهم منهم مجرد الكتابة فحسب ؛ وإنما يفهم منه أيضاً عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد، فالخطاب يتجمع فيه أولاً عمل تركيبي، يجعل من القصيدة أو القصة وحدة شاملة، لا يمكن قصرها على مجرد محصلة جمع عدد من الجمل والفقرات، ثم يخضع هذا التركيب لعدد من القواعد الشكلية أي لعملية تشفير ،لا باعتباره لغة وإنما باعتباره خطاباً، يؤدي إلى وجود ما نطلق عليه قصيدة أو قصة أو غيرها».[1]

ومن الباحثين العرب الذين جمعوا بين مفهوم (الخطاب) ومفهوم (النص) (منذر عياشي)، الذي يرى أن ماهية النص تقوم على مدى ما يتوفر عليه من الحوارية والتواصلية ، نقرأ له ذلك في قوله حينما يجعل من الخطاب جزءاً لا يتجزأ من مفهوميه النص، يقول:« أن النص الواحد، بسبب بنيته التواصلية والحوارية قد يشتمل على خطاب واحد ، كما يشتمل على عدة خطابات ، أي على عدة وحدات كلامية ، كل وحدة منها تقبل التجزيء بدورها إلى وحدات أصغر منها. و بهذا يمكن أن يحل مفهوم الخطاب في دراسة النص ، محل مفهوم (المونيم) أو (المورفيم) في دراسة الجملة ».[2]

أما (رولان بارت) فلا يرى فرقاً بين النصّ والخطاب ، فهما عنده متلاحمان يصعب الفصل بينهما « فالنصّ يظلّ في كلّ الأحوال متلاحماً مع الخطاب، وليس النصّ إلا خطاباً، ولا يستطيع – أي النص– أن يوجد إلا عبر خطابٍ آخرَ».[3]

---

1 – صلاح فضل ، **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، **لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر**،(ط01)، 1996م ،ص.210.

2 – عياشي ، **اللسانيات والدلالة و الكلمة** ، مرجع سابق ، ص.414.

3- رولان بارت، **علم النصّ**- ضمن كتاب **آفاق التناصّيّة ،المفهوم و المنظور**،ترجمة: البقاعيّ- سلسلة دراسات أدبيّة-، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،(دط)،1998م،ص.44.و ينظر: فضل:**بلاغة الخطاب**

ونجد أيضا من يجعل النصّ جزءً من الخطاب، و إنّ مجموعة النصوص هي التي تكوّن الخطاب، كما في حديث (ايستهوب) الذي يقول: « إنّ الخطاب مصطلح يعيّن الطريقة التي تشكّل بها الجمل نسقا تتابعيّاً، و تشارك في كلٍّ متجانس ومتنوع على السواء، وكما أنّ الجمل تترابط في الخطاب لكي تصنع نصّاً مفرداً، فإنّ النصوص ذاتها تترابط كذلك مع نصوص أخرى ، لتصنع خطاباً أوسع نظاماً».[1]

كما أن هناك فرقاً يتمثل في تحديد الخطاب ، بأنه سلسلة من الجمل بينما النص لا يتحدد بهذه السلسلة إذ « لا يقوم النص على المستوى نفسه ، الذي يقوم عليه مفهوم الجملة ويجب عل النص بهذا المعنى ، أن يكون متميزاً من الفقرة ومن وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل. فالنص يمكن أن يتطابق مع جملة كما يمكنه أن يتطابق مع كتاب. و إنه ليتحدد باستقلاله وبانغلاقه ، و هو يكون نسقاً يجب إلا يتطابق مع النسق اللساني، و لكن أن يوضع في علاقة معه:إنها علاقة تجاور و تشابه في الوقت نفسه».[2]

و إذا كان النصّ – وبحسب تعريف (هارتمان)- هو منظومة الكلام المدونة، وهذا التعريف يقترب من تعريفات الذين فرّقوا بين النصّ (Text)، والخطاب (Discourse)، فإن الخطاب هو« امتداد متواصل من وحدات لغويّة أكبر من الجملة – المنطوق منها خاصةً – ».[3]

و يعتقد الدارسون أن (الخطاب) بوصفه مجموعة من النصوص؛ يتعلـق

وعلم النص، بداية من الصفحة 213. مجموعة نقاط هي حوصلة تصور (بارت) لمفهوم النص من خلال البحث الذي قام به 1971م وعنوانه:(من العمل إلى النص).

1- ديان مكدونيل، **مقدّمة في نظريات الخطاب** ، تر جمة: عز الدين إسماعيل ،المكتبة الأكاديميّة، القاهرة،(ط01)،2001 م ،ص.31.

2- تزفيتان تودوروف، **النص.ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص** ،ترجمة وإعداد: عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،(ط01)، 2004 م ، ص.109- 110.

3 -Crystal (David); A Dictionary of Linguistics and phonetics; Black well published; (3rd ed); London 1991; S.V Text; p.p. 106.

بالعلاقات والقواعد التي تنظم هذه المجموعات، ومن هذا المنظور يدخل في هذا المفهوم أبعاد فكرية ومعرفية واجتماعية وقيم أخلاقية ونحو ذلك؛ فلكل هذه المعطيات الخطابية، دور في تكوين النص الفردي وفي تشكيله.

ويبقى (النص) يتميز عن (الخطاب)، بأنه يمثل وحدة ملموسة مسجلة عبر وسيط ماعلى الأقل يمكن تسجيلها . وأما الخطاب فهو عنصر فكري مجرد، يصعب ضبطه وتحديده في عناصر ملموسة معدودة « إنه ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص ؛ أنه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئاً منا إلى المخاطب ، و هو ليس هدفاً في حد ذاته؛ إنما هو طريق للخطاب ذلك أن المبرر الأكبر للدراسات اللغوية ، هو تحسين الاتصال واللغة. بهذا المفهوم لا تكون إلا نصاً مهمته التوصيل».[1]

رابعاً:مفهوم تحليل الخطاب

في معجم (اللسانيات الحديث) يترجم الباحثون مصطلح (DISCOURSE) بـــ« الحديث الكلامي».[2] و عن تحليل الخطاب نقرأ في المعجم نفسه « يعالج الباحث في تحليل الخطاب مثلاً، طريقة اختيار الكلمات النحوية مثل أداة التعريف والضمائر و تأثيرها في تراكيب الحديث، و مثل دراسة العلاقة بين ما يقوله الناس بالنسبة للتماسك أو الترابط والتناسق و مثل الحركات أو الخطوات التي يقوم بها المتكلمون عند تقديم موضوع جديد أو تغيير الموضوع، أو تأكيد علاقة أعلى للدور الذي يؤديه المشاركون الآخرون».[3]

ومن الباحثين البارزين الذين يسعون إلى محاولة إيجاد الفواصل اللسانية واللغوية بين (علم النص) و(تحليل الخطاب)؛ الباحث (صلاح فضل) و ذلك من خلال العديد من مؤلفاته ؛ وفي هذا الصدد نقرأ له:« قد استقر هذا المفهوم

1- مصطفى ناصف، **اللغة والتفسير والتواصل**، المجلس الوطني الكويتي، (د ط)، 1995م،ص.241.

2-سامي حنا ، كريم حسام الدين ، نجيب جريس ، **معجم اللسانيات الحديثة**، مرجع سابق،ص.40.

3- نفسه ، ص.41.

لعلم النص في عقد السبعينات من هذا القرن ، وهو يسمى بالفرنسية (SCIENCE DETEXTE)أو يطلق عليه في الانجليزية (DISCOURSE ANALYSIS)، ولا يخرج الأمر عن هذين الحدين في بقية اللغات الحية؛ مما يجعل ترجمته إلى علم النص في العربية أمراً مقبولاً».[1]

1- صلاح فضل،**بلاغة الخطاب وعلم النص** ، مرجع سابق ، ص.217.

المبحث الرابع: قراءة في المقترح اللغوي الغربي ، حول مظاهر (اتساق وانسجام وترابط) الخطاب.

أولاً – مظاهر اتساق[1]الخطاب:

تترجم كلمة (Cohésion) غالباً في العربية بـــ(التماسك)، وهناك من يترجمها بـــ(السبك)، وبعض منهم يترجمها بـــ(الترابط)، وآخرون يترجمونها بـــ(التماسك النصي الشكلي)، للتفريق بينها وبين كلمة(Cohérence)، إذ يترجمونها بـــ(التماسك الدلالي). وجاء اختيارنا للاتـّـساق ترجمة للكلمة، لكون من معانيها في العربية هو الجمع والانضمام والامتلاء، وهو ما توحي به دلالة الكلمة و ما يوحي به استعمالها أيضاً.

أ/- مفهوم الاتساق في الاصطلاح

1- ورد في المعاجم العربية المعنى الذي يمكن أن يأخذه الجذر (و س ق) ،فهو يدور حول مفهوم (الاكتمال) و(التمام).جاء في (لسان العرب) لـ(أبن منظور) في الجذر(و س ق) :« وسقت النخلة إذا حملت ، فإذا كثر حملها قيل: أوسقت أي حملت وسقاً .وسقت الناقة وغيرها تسق إي حملت وأغلقت رحمها على الماء فهي واسق ونوق وساق وسقت عيني على الماء ؛أي ما حملته.و الوسوق ما دخل فيه الليل و ما ضم . وقد وسق الليل و اتَّســـق والطريـــق يتَّسق ينضم و اتِّساق القمـــر امتلاؤه و اجتماعه .واستواؤه ليلة ثلاث عشـــرة وأربع عشرة واستوسقت الإبل اجتمعت و الاتساق، الانتظام..».وجاء فيه أيضاً « الوسوق ما دخل فيه الليل وما ختم، وقد وسق الليل واتـّسق، وكلّ ما انضمّ، فقد اتـّسق، والطريق يأتسق ويتـّسق أي ينظمّ».حكاه (الكيسائي)،واتـّسق القمر؛استوى. وفي التنزيل: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ،وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ،وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾.قال (الفراء):وما وسق أي وما جمع وختم..». أما (الفيروزبادي)(ت817هـــ) فورد في قاموسه :« وسقه يسقه جمعه و حمله و منه: ﴿ و الليل و ما وسق ﴾و منه :الوسيقة وهي الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً.و الناقة حملت و أغلقت على الماء رحمها فهي واسق و استوسقت الإبل اجتمعت و اتَّسق..انتظم والميساق الطائر يصفق بجناحيه إذا طار..».بينما (السيوطي)و من خلال (معترك الأقران في إعجاز القرآن)؛ فيقول :« اتسق القمر إذا تمَّ و امتلأ ليلة أربع عشرة و وزن اتسق، افتعل وهو مشتق من الوسق ويقال اتسق استوى..». واضح من خلال الأقوال المشار إليها في كل من (ابن منظور)و(الفيروزبادي) و(السيوطي) أن المعنى الذي يدور حول الجذر (وسق) هو الاجتماع والاكتمال والانتظام .وهذا أقرب ما يكون في معناه مما هو موجود في حقل (لسانيات النص).إنّ (اتـّساق النصّ)؛ يعني جمع أجزائه المكونة له. وضمّ بعضها إلى بعض، واستوائه من حيث الدلالة. ليكون وحدة دلالية مترابطة لا تنافر بين مكوناڤا، لأنّ ذلك التنافر يخرج النصّ من دائرة النصّيّة، ولا يعدّ نصّاً.

قد يكون مصطلح الاتساق يعاني من عدم الضبط ، في تحديد مفهومه، لأن بعضاً من الباحثين قد يعطيه من الدلالة،ما لا يحتمل إذ يعطيه معنىً غير دقيق. فقد يطلقه بعضهم على التماسك النحوي ؛ بينما البعض الآخر يرى أن مصطلحا (Cohésion) و(Cohérence)، يتصلان بالتماسك النصي داخل النص، ويرتبطان بالروابط الشكلية و الدلالية و لهما أدوات و أنواع.[1]

و على الرغم من ضبابية ضبط مصطلح الاتساق ؛ إلا أن(محمد خطابي) يرى أن الأبحاث و الدراسات المتعلقة بمجالات (تحليل الخطاب) و(لسانيات النص والخطاب) و(نحو النص) و(علم النص)، لا تكاد تخلو من النظر في مصطلحي (الاتساق والانسجام). لدرجة أنه يصعب معها وجود مؤلف ينتمي إلى هذه المجالات ، يخلو من هذين المفهومين أو من أحدهما أو المفاهيم المرتبطة بهما، كالترابط و التعالق و ما شاكلهما.[2]

وتقوم مفهومية الاتساق على مستوى الأبعاد الدلالية داخل النص، و من ثم تتحدد كليته ، و يمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية خاصة ، حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه ، « و يبرز الاتساق في تلك المواضع ، التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول عندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق».[3]

إن أصل كلمة (Cohésion) في اللغات الأوربية ، ينحدر من الأصل اللاتيني (haerer) الذي يعني الالتصاق زيدت عليه البادئة (Co)، التي تعني

1- ينظر ما كتبه كل من : خليل، والفقي حول مصطلحي **الاتساق و الانسجام** في كتابيهما :**اللسانيات ونحو النص**، صفحة.219؛ و**علم اللغة النصي**،(ج01)، الصفحة 42. على التوالي.

2- ينظر:محمد خطابي،**لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب** ،المركز الثقافيّ العربيّ،بيروت، لبنان،(ط1)،1991م، عنصر المقدمة ،ص. 05.

3-هاليداي وحسن ، **الاتساق في اللغة الانجليزية** ،دار لونجمان، لندن 1976 م، ص 04، نقلاً عن : الخطابيّ؛ **لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب** ،نفسه، ص.15.

(معاً أو على نحو متصل)، لينتج عن ذلك الفعل (Cohaerer) ويعني (ملتصق معاً). ويرجع أول ظهور للفعل (Cohére) إلى سنة (1601م)، و ذلك في مسرحية (الليلة الثانية عشرة)، للكاتب المسرحي الإنكليزي شكسبير. أمّا أول ظهور لكلمة (Cohésion)، فلم يكن إلاّ في سنة (1678م). في بحوث الفيلسوف (هوبس) عن الفلسفة الطبيعية.[1]

و في المعنى الاصطلاحي لمفهوم الاتــّساق (Cohésion)، و لا سيما في مجال الدراسات اللغويــّة المعاصرة، أو ما يسمى بعلم (لغة النصّ)، حيث يدور هذا المصطلح حول البنية السطحيّة للنصّ؛ أي العلاقات والروابط التي تشكّل بنية النصّ. فقد استعمل هذا المصطلح عند اللغويين « للإشارة إلى خاصيّة الوحدات الأكبر من(المورفيم) لتتماسك معاً في بنى أكبر، مثال ذلك (الأداة + الاسم)، ففي هذا الاستعمال تعمل مجموعة من الكلمات كمكوّن للوحدة الكبرى، كما يمكن أن يوصف بأنــّه انسجامٌ داخلي ».[2] أو هو ذلك «التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة **لنص/ خطاب** ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكون لجزء من خطاب ، أو خطاب برمته.

و من أجل وصف اتساق **الخطاب/النص**، يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجاً من بداية الخطاب حتى نهايته راصداً الضمائر والإشارات المحلية، إحالة قبلية أو بعدية، مهتماً أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة و الاستدراك، وكــل ذلـــك من أجل البرهنة على أن **النص/الخطاب** أو المعطى اللغوي، بصفة عامة يشكل كلاً واحداً».[3]

---

1 -See: Al-Algawi (Bayda' A. L.): Rendition of Syntactic Cohesion: Application of textlinguistics on translation; A thesis of Master; Submitted to the council of the college of Arts of the Al-Mustansiriya University). 1996, p. p. 1.
2-Crystal; s.v- Cohesion p.p. 61.
3- محمد خطابيّ؛ **لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب**،مرجع سابق ، ص.5.

فالاتــّساق إذن، خاصيّة تتصف بها الوحدات الأكبر من الكلمة أو حتى الجملة. و كما يعرفه (محمّد الخطابي) فهو « ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة **لنصّ/خطاب** ما، و يــهتم فيه بالوسائل الغويّة (الشكليةّ)، التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته. ومن أجل وصف اتــّساق **الخطاب/ النصّ** يسلك المحلل الواصف طريقة خطيّة، متدرجاً من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصداً الضمائر والإشارات المحيلة، إحالةً قبليّةً أو بعديــّةً، مهتماَ أيضاَ بوسائل الربط المتنوعة، كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك(..)، كلّ ذلك من أجل البرهنة على أَنَّ **النص/ الخطاب** (المعطى اللغوي بصفة خاصّة) ، يشكّل كلاً متآخذاً ».[1]

من هذه الزاوية ينظر إلى الاتــّساق على أَنَّــه علاقة نحويــّة – تركيبيّة، تقتصر على البنية السطحيّة للنصّ، أي على العلاقات التي توجدها الأدوات الرابطة لأجزاء النصّ. و هو يعمل على تحقيق التلاحم الكامل بين بداية النص وآخره، دون أن يشعر المتلقي بأن ثمة فصل بين مستويات الخطاب اللغوية المختلفة، حيث لا يعرف التجزئة ولا يحده شيء . وربما كان تحقيق ذلك أمر بالغ الصعوبة ، مثلما يذهب إلى ذلك علي (أبو المكارم)؛ فتحقيق الاتساق على هذا المستوى، يتطلب قدرة على النظر الشامل ، و يستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة، ويحتاج إلى تبصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة.[2]

وتعزى أول محاولة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص ، إلى (هارفنج) وذلك سنة (1968م)، من خلال حديثه عن بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة و الاستبدال مشيراً إلى التكرار و الحذف

1- نفسه ، ص.05.

2- ينظر: أبو المكارم ، **الظواهر اللغوية في التراث النحوي (الظواهر التركيبية)**،القاهرة الحديثة للطباعة ، مصر ،(ط01)،1968م ،ص325.

والترادف و العطف والتفريع و الترتيب و ذكر النتيجة بعد السبب و الجزء بعد الكل و العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط الاتّساقي الداخلي للنصفي.[1]

في حين نجد أَنَّ تعريف(هاليداي وحسن) للاتــّساق ؛ يتمثل في كون مفهوم الاتــّساق مفهوما دلاليــّا ، يشير إلى علاقات المعنى الموجودة بين طيــّات النصّ.[2] يؤكّد ذلك (هاليداي) في كتاب آخر ، بعد أن أدرك أنّ هذا المفهوم قد تعرّض إلى كثير من سوء الفهم الناجم عن استعمال الاتــّساق ، بوصفه طريقة لتحليل النصّ. في حين أَنَّ الاتــّساق يعدّ خاصيّة جوهريةّ للنصوص، فالاتــّساق – كما يرى (هاليداي)- ليس مجرد خاصيّةّ ، ترتبط بالبنية السطحيّة للنصّ في مستوياتها النحويةّ المعجميّة فحسب، بل هو خلق دلاليّ ناتج عن عمل نحويّ بشكل واسع، ويمثل إدراكا تلقائيّا للخيارات الدلاليةّ.[3]

ب/- أشكال الاتساق:

يمكن اعتبار الاتساق، الدافع الذي يجعل جمل النص، تخضع لعملية بناء منضرمة و مترابطة تركيبياً ودلالياً، كل جملة تؤدي إلىالجملة اللاحقة . ويتحقق هذا التعالق بواسطة أدوات ووسائل لغويةذ، و الاتساق هو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن **اللانص**؛ وتسهم في عملية الاتساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية ، مما جعلالاتساق يتماشى ومحورين هما: المحور التركيبي، والمحور الدلالي.

1- ينظر :إبراهيم خليل ، **في اللسانيات نحو النص** ،مرجع سابق، ص.187.

2 -Halliday, M. A. K and R. Hassan; Cohesion in English; p.p. 4.

3 -See: Halliday, M. A. K; Dimension of Discourse Analysis; in Van Dijk Hand book of Discourse Analysis, Academic press, London; 1985. Vol 2; p.p. 54.

وينظر:صفاء صنكور،**تحليل الخطاب في الدراسات الإعلاميّة** ،دراسة في الأسس النظرية ،(رسالة ماجستير)،جامعة ،بغداد،العراق،1996م ،ص.208.

وللاتساق من المنظور اللساني أشكال متعددة ،حددها علماء لسانيات النص، وبينوا كيف تكون هذه الأشكال مؤدية لـــ(الاتساق النصي) . و من الذين اهتموا بهذا الموضوع الثنائي:(هاليداي و رقية حسن) في كتابهما:(الاتساق في الانجليزية)، وهو الكتاب الذي بينا فيها أوجه الاتساق في اللغة الانجليزية. و أهم هذه الأشكال ما يلي:

- **الإحالة:**

لم يكن بمقدور لسانيات الجملة، تفسير العديد من الظواهر اللغوية التي برزت مع الاهتمام بكلية النص، و يأتي على رأسها ظاهرة الإحالة القبلية ، والإحالة البعدية؛ مما كان سبباً في بروز اهتمام جديد بالظواهر النحوية الدلالية، التي لا يمكن تفسيرها إلا بالرجوع إلى إطار أوسع من إطار الجملة الواحدة؛ مما أدى إلى الاهتمام بالنص كموضوع بحث في حد ذاته.« هذا الاتجاه الجديد يرجع إلى المنهج البنيوي من ناحية ، والمنهج التحويلي التوليدي من ناحية أخرى . فكلاهما ينطلق من اللغة بوصفها نظاماً متكوناً من عناصر ، يمكن وصفها وتحديدها على أساس الاختلاف بينها. فالنص من هذا المنظور ، يمثل مستوى وصفياً إضافياً ، ونظاماً راجعاً إلى قدرة المتكلم ،على توليد من لانهاية له من الجمل بحسب قواعد معينة ، و يصبح النص من هذا المنظور ، سلسلة سليمة من الجمل السليمة».[1]

لقد تغير مفهوم الإحالة بدءً من دخول هذا المصطلح ، إلى ميدان لسانيات النص، ذلك أن المفهوم التقليدي لها، كان تصور تلك العلاقة الموجودة بين الأسماء ومسمياتها؛ فنحن عندما نقول مثلاً (ورقة) نكون قد أحلنا المخاطَب على شيء ينمو على شجرة له شكل ولون معين.فالمتحدث باستعمال الإحالة، يتحدث عن أشياء هي في ذهن السامع ، وما على السامع إلا أن يُعملَ فكره، ليفهم المعنى، وما عليه إلا أن يستفز ذاكرته ليحدث التواصل.

1- كورنيليا فون و راد صكوحي، **لسنيات النص- لسانيات ما بعد الجملة،ما قبل الخطاب** - ، مرجع سابق ،ص.56.

ويستعمل الباحثان (هاليداي وحسن)، عنصر **الإحالة** استعمالاً خاصاً وهو «أن العناصر المحلية كيفما كان نوعها ، لا تكفي بذاتها من حيث التأويل ؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه ، من أجل تأويلها . و تتوفر كل لغة على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي: الضمائر وأسماء الإشارة و أدوات المقارنة. وتعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية، بين العناصر المحيل والعنصر المحال إليه».[1]

وينقل (خطابي) عن الباحثين ، تقسيمهما الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية و الإحالة النصية ؛ بينما تتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية، والرسم أدناه يوضح تموضع عنصر الإحالة حسب(هاليداي وحسن):

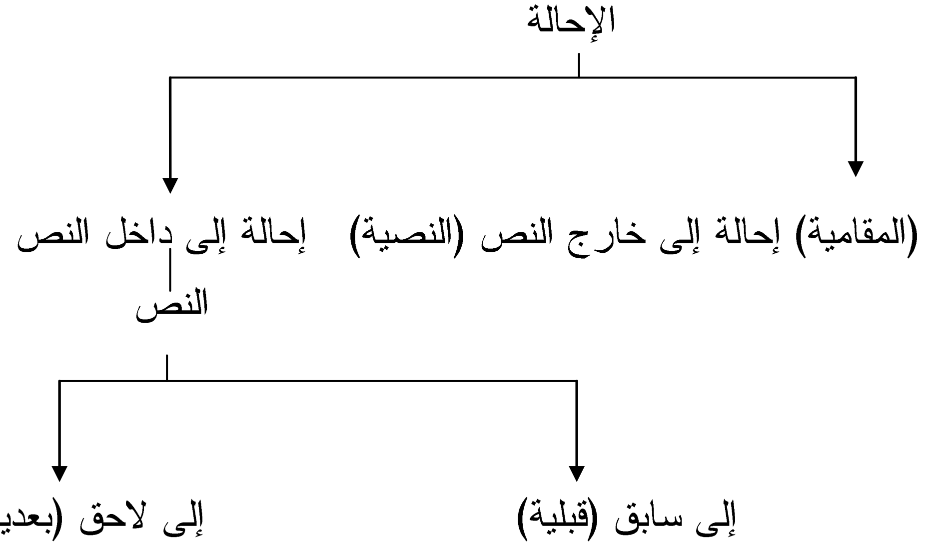

ويذهب (هاليداي ورقية حسن)- حسب خطابي - ، إلى أن الإحالة المقامية «تسهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام؛ إلا أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر».[2] بينما « تقوم الإحالة النصية ، بدور فعال في

1- خطابي،سابق، ص.17.

2- هاليداي و حسن ، **الاتساق في اللغة الانجليزية..**، ص.37.نقلاً عن:خطابي،السابق،ص.17.

اتساق النص. و لذا يتخذها المؤلفان معياراً للإحالة ، ومن ثم يوليانها أهمية بالغة في بحثهما».[1]

وتذهب (فرانسيس مريم) إلى أن « ما ندعوه إحالة ؛ يعبر عنه بشكل عـــــــام في اللغة الفرنسية بـــ(Référence)، و هو ما يوازي لفظة (مرجع) في العربية ».[2]

وقد اجتهد بعض علماء لسانيات النص ، في أن جعلوا تقسيم الإحالة على النحو التالي:

- إحالة من حيث العلاقة بالنص.
- إحالة من حيث سبق المرجع .
- إحالة من حيث المدى.

كما جعلوا تقسيم الإحالة ، من حيث العلاقة بالنص قسمين: إحالة داخل النص ويطلق عليها أيضاً إحالة داخل اللغة، و الثانية إحالة خارج النص ويطلق عليها إحالة خارج اللغة.

- **إحالة خارج النص:** عرفها (دي بوجراند) يقوله:« الإحالة التي يحيل فيها الخطاب إلى شيء غير موجود في النص، ويمكن تسميتها بالإحالة لغير مذكور، أو لمرجع متصيد (A EXOPHOR) أي: الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور ».[3] وعلاقة هذه الإحالة بالنص علاقة ارتباط ،لا علاقة تنافر لأن الذي يعين على تفسيرها ، هو السياق يقول عن ذلك (دي بوجراند):« تعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف ، شأنـها فـي ذلك شـأن الإحالة لمذكور، و الإحالة لمتأخر ».[4]

1- خطابي، نفسه، ص.18.

2- مريم فرانسيس، **في بناء النص و دلالته** ، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ،(د ت)، 1998 م، ص.13 .

3- دي بوجراند ، **النص و الخطاب و الإجراء** ، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ،(ط01)، 1997م، ص .301.

4- المرجع السابق، ص.332.

- **إحالة داخل النص :** و هي« إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ»[1]، و ينظر إلى هذه الإحالة ،على ما سبق من الكلام المشار إليه ؛ أو من الكلام اللاحق الذي سيشار إليه . و يبقى هذا النوع من الإحالة بين هذين الموقعين سابق ولاحق، « ذلك لأن العلاقات الداخلية، بدورها تنقسم إلى قسمين: بعضها يلتفت إلى الوراء - أي إلى ما سبق-، و بعضها يلتفت إلى الإمام».[2]

و أما من حيث سبق المرجع فهي كذلك نوعان:

- **إحالة على السابق:** أي أن يكون الكلام فيها ، ذا اتصال بجزء من الخطاب كان قد مر سابقاً ، تعرف فيه المخاطب على المرجع لا على أنها مرجع، بل على أنه عنصر من الخطاب لا غير . و لذلك فالإحالة على السابق « تعود على مفسر سبق التلفظ به».[3]

- **إحالة على لاحق :** و تسمى الإحالة إلى الأمام، كقول من يحدثك:(إنها رائعة الجمال اليوم ، ما أجمل زرقتها)، و في هذه العبارة أحال فيها المخاطِب، مستمعه إلى مقصود يذكر بعد الضمير ، فالهاء في قوله: (إنها) عائدة على السماء ، لكن السماء لم تذكر إلا من بعد ذلك.

وأما من حيث المدى، فذلك إذا نظرنا إلى تجاور العنصرين المعنيين (المرجع والعائد) أو تباعدهما؛ فإن الإحالة تكون قريبة وبعيدة.

- **إحالة قريبة:** و هي التي يكون عنصراها المحال والمحال عليه ، موجودين داخل العبارة الواحدة.

1- الأزهر الزناد،**نسيج النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (ط01)، 1993م، ص.118.

2- براون و يول،**تحيل الخطاب**، مرجع سابق، ص.230.

3- الزناد، **نسيج النص**، مرجع سابق ، ص.118.

- **إحالة بعيدة:** و هي التي يكون العنصر المحال عليه ، في غير الجملة التي ينتمي إليها العنصر المحال. وتكون درجة التباعد بقدر بعد العنصرين بعضهما عن بعض.

- **أشكال الإحالة اللفظية:**

يجمع علماء لسانيات النص على أن للإحالة ، أشكال عديدة أهمها: الضمائر، و أسماء الإشارة، و(ألـــ)، و أدوات المقارنة. وفيما يلي استعراض لهذه الأشكال :

- **أسماء الإشارة:** وتسمى كذلك الكنايات، و« هو مفهوم لساني، يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان ،حيث ينجز الملفوظ و الذي يرتبط به معناه ، ومن ذلك: الآن ، هنا، هناك ، أنا،أنت ، هذا ، هذه ».[1]

- **الضمائر**[2]: يرى (الأزهر الزناد) أن الضمائر في العربية ، تتفرع حسب الحضور في المقام أو الغياب، إلى فرعين كبيرين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب. و بدورها ضمائر الحضور إلى متكلم، و هو مركز المقام الإشاري، وهو الباث أو المرسل فتحل الضمائر محل الأسماء و تقوم مقامها ، غير أن لها محتوً دلالياً أصغر».[3]

و يقسم بعضهم الضمائر، إلى ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، هو، هي.. وإلى ضمائر مِلْكِية مثل كتابي، كتبك، كتابهم.. وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام ، التي تندرج تحتها جميع

1- نفسه ، ص.118.

2-من وظائف الضمير في اللغة العربية الاختصار؛ لأنه يقوم مقام الظاهر و يغني عن تكراره . و من وظائفه الربط و وصل الجمل بعضها ببعض،و من وظائفه أيضاً الإحالة عل سابق ؛و هي عودة على متقدم بما يغني عن ذكره ،و بما يربط آخر الكلام بأوله.

3-كلاوس برينكر ، **التحليل اللغوي للنص** ، ترجمة: سعيدبحيري ، مؤسسة المختار، القاهرة ،(ط01)، 2005 م، ، ص.44.

الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب . و هي إحالة لخارج النص بشكل نمطي و لا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به.[1]

وفي هذا السياق يعتقد (هارفج) (harweg)، أن النصوص يمكن اعتبارها سلاسل من الإضمار وهو ما « يمثل أهم الشرائط ، النحوية التركيبية الأساسية لتناسق النصوص. إذ يتم الربط بين الجمل بوسائل لغوية مختلفة. مثلاً الأسماء والأفعال تصلح أن تكون ما يسمى المرجع ؛ يحال إليها في الجمل التالية برموز لغوية أخرى، مطابقة لما تعود إليه مثل الضمائر التي تصبح هي الراجعة؛ فهذا الاستبدال (الإضمار) يضمن عند (هارفج)، بعد تحققه وحدة سياق النص. بل إن سلاسل الإضمار حسب نظريته الأساسية، هي الوسيلة الحاسمة في بناء النص. لذلك يُعرِّف النص بأنه:وحدات لغوية متتابعة، مبنية بسلاسل إضمار متصلة».[2]

– **أسماء الإشارة** :اسم الإشارة ذلك اللفظ ، الذي يستعمله المتكلم للدلالة على الشخص المتحدث عنه و المشار إليه ، فإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه ؛ فإن أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان و المكان داخل المقام الإشاري.[3]

– **أدوات المقارنة:** قد تكون المقارنة عن طريق أسماء التفضيل ، كما تستعمل صيغ التفضيل للربط بين لفظتين ، ويقصد بها تبيين أن الأول ، أكثر استيعاباً للأمر المذكور من الثاني.

– **إعادة اللفظ (التكرار):**هي واحدة من الطرق التي يلجأ إليها اللغوي للربط ، و«تعد إعادة اللفظ في العبارة السطحية ، التي تتحدد محتوياتها المفهومية وإحالاتها، مـــن الأمور العادية في المرتجل من الكلام ».[4]

1-ينظر : خطابي، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب** ،سابق، ص.18

2-فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي** ، مرجع سابق ، ص.27.

3- ينظر :الزناد ، **نسيج النص** ،سابق ، ص.117.

4- دي بوجراند ، **النص و الخطاب والإجراء** ، مرجع سابق ، ص. 303.

و إعادة اللفظ له شروطه التي يجب أن تتوفر فيه، فإذا كان اللفظ مكرراً بشكل كبير، وكان المرجع غير واحد، فإننا في ذلك الوقت قد جعلنا المستمع أو القارئ يتيه في غمرة البحث عن المرجع المقصود، و لذلك تتطلب إعادة اللفظ وحدة الإحالة، و لكنها قد تؤدي إلى تضارب في النص، حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات.

وعلماء لسانيات النص يتحدثون في عنصر الإحالة، على مجموعة من الأنواع منها الإعادة الصريحة، و منها الإعادة منخلال الضمير ، و منها الإعادة الضمنية، التي تفهم من سياق الكلام .

- **الاستبدال:** يعتبر ركيزة مهمة في بناء النص، وهو استبدال المتحدِث لفظاً بلفظ آخر له المدلول نفسه. أو هو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص، بعنصر آخر . ويعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة ، علاقة اتساق إلا إنه يختلف عنها ، في كونه علاقة تتم على المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات ؛ بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ويعتبر الاستبدال من جهة أخرى ، وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص، على أن معظم حالات الاستبدال النصي ، قبلية أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم.

وتكمن فائدة الاستبدال في حيث اتساق النص ، بين المستبدَل و المستبدِل من حيث أنه، يمثل علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق. ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية ؛ (أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة) مثال ذلك : فأسي جد مثلومة ، يجب أن أقتني (فأساً) أخرى حادة .ولئن كانت العلاقة بين عنصري الإحالة (المحيل والمحال إليه) علاقة تطابق، فإن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل) علاقة تقابل، تقتضي إعادة التجديد والاستبعاد.[1]

1- ينظر :خطابي، **لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب** ،سابق، ص.21.

- **التحديد** : ويقصد به خاصية التعيين ، التي تلعبها أداة التعريف اتجاه مسمى بعينه تحيل عليه ، مما يساعد المتلقي على ربط الدلالات المتوقعة ربطاً مستقيماً، ولد ا كان لهذا العنصر حسب (فاينريش) (h.Weinrich)، أهميته باعتباره من الوسائل النحوية، وأعتبر مهماً في نموذج دراسة النص« إذ تؤدي الأشكال المختلفة للتعريف و مورفيمات الصيغة بشكل خاص ، وظيفة الإشارات إلى توجيه استقبال كليات النص لدى السامع، حيث يبلغ المتلقي بواسطتها، بالطريقة التي يجب عليه إتباعها في ملاحظة روابط معينة داخل النصوص(..). مثال ذلك: (كان في قديم الزمان فتاة)- إشارة إلى معلومات لاحقة لم تخصص بعد ، يتوقع سماعها عن الفتاة - وقولنا:(الجميلة كانت جد متواضعة)،- إشارة إلى معلومات سابقة، يجب أن يكون الاسم قد ذكر في الجمل السابقة- ».[1]

ومما ينسب إلى أداة التعريف ، أنــها تتقدم الدالة على ما سبق ذكره، كماينسب إلى أداة التنكير ،أنها تسبق ما لم يذكر من قبل ويدخل في هذا الباب (ألــ) العهدية في العربية ؛ و منه قوله تعالى :﴿ الله نور السموات الأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري﴾[2]، فكلمة (المصباح) ضمت إليها (ألــ) التي تسمى عهدية ؛ لأن ما اتصلت به معهود في ذهن القارئ.

- **الحذف**:الحذف لا يختلف عن الاستبدال ، إلا بكون الأول استبدال بالصفـــر؛ فالاستبدال يترك أثراً، في حين أن الحذف لا يترك الأثر، وذلك يعطي للقارئ مادة يستطيع من خلالها، أن يكتشف العنصر المقصود.[3]

ج/- مظاهر اتساق النص من منظورغربي:

1-فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**،المرجع سابق ، ص.29.

2- سورة النور،الآية.35.

3- ينظر :خطابي، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب** ، مرجع سابق، ص.21.

في هذا العنصر سيكون اهتمامنا منصباً ،على بعض علماء اللغة الغربيين، ممن أفاضوا في الحديث عن عناصر اتساق النصوص؛ بل وأكثرهم تأثيراً في معظم ما كتب بعد ذلك في لسانيات النص ؛ ألا وهم (هاليداي ورقية حسن)، و(فان دايك)، و(براون ويول).

01/- مظاهراتساق النص حسب (هاليداي و حسن)[1]

إن الباحثين عن اتساق النص ، توجها منذ وقت مبكر ليس فقط إلى العناصـر النحوية، و إنما كذلك إلى العناصر الدلالية.

يعتقد (هاليداي) أن النص، ما هو إلا « وحدة لغوية تخدم غرضاً وظيفياً، ويستند على ثلاثة عناصر هي : العنصر الفكروي و نوع الخطاب ، والثالث هو النص نفسه، من حيث هو وجود لغوي، يخضع لضوابط النظام العلامي للغة».[2] وتعتقد (رقية حسن)« أن النظام اللغوي، هو ذلك المكون الذي يتحكم في علاقات المعاني داخل النص، و يكون وحدتها و يمكن استقصاؤه من خلال بعض العوامل، اللفظية و النحوية».[3]

في هذا الإطار ينسب هذا القول المشهور لـ (هاليداي وحسن):(إن الاعتبـار الأحسن للنص، هو كونه وحدة دلالية وليس وحدة شكلية؛ ولكن وحدة معنوية)- (A Text Is Best Regarded As A Semantic :Unit a Unit Not of form But of Meaning) وتقوم وجهة نظر (هاليداي) و(رقية حسن)، في كيفية تشكل النص على إيمانهما العميق، بأن النحو ما هو

1- يحدث التحول الأساسي عند (هاليداي) من خلال اعترافه ،بأن فهم اللغة كنظام، يستجوب فهم الكيفية التي تعمل بها، التي تعمل بها تلك النصوص. ويعني ذلك الانتقال من الاهتمام بمستوى الجملة، إلى الاهتمام بمستوى النص.

2- يوسف نور عوض، **علم النص و نظرية الترجمة**، دار الثقة للنشر و التوزيع، مكة المكرمة، السعودية، (ط 01)، 1989م، ص.34.

3- نفسه ،ص.32.

سوى دراسة الاعتبارات اللغويةِ الخمسة، الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية، و هذه الاعتبارات هي :

- **الإحالة:** « هي في عرف بعض اللغويين علاقة بين الخطاب و ما يحيل إليه إن في الواقع أو المتخيل أو في خطاب سابق أو لاحق ».[1] أو هو مجموعة من العناصر التي تحتاج عند تأويلها إلى مرجع ؛ كالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. و تقسم الإحالة حسب نظرهما إلى: (مقاميه) وهي خارجية تحيل إلى العالم، و(نصية) وهي داخلية تحيل في النص. و قد جعلا من الخارجية: ضمائر التكلم، والخطاب . أما ضمائر الغيبة ، وأسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة فقد جعلاها من الإحالة الداخلية في الإطار العام.

- **الاستبدال:** تعويض عنصر في النص بعنصر آخر. و عندهما أن الاستبدال ثلاث أقسام: استبدال اسم باسم، و استبدال فعل بفعل، و استبدال قولي في سياقات اختصار الجمل، و عدم تكرارها كلفظة (ليس غير) و لفظة (كذلك).

- **الحذف:** افتراض عنصر، غير موجود في النص، لدلالة عنصر سابق عليه. ويجعلان الحذف في النص أنواع منها: حذف اسمي ، وحذف فعلي ، وحذف قولي.

- **الوصل:** ربط عنصر سابق بآخر لاحق، بواسطة عنصر دال: كالعطف والاستدراك، والإضراب و التعليل، والشرطوالظرف.

- **الاتساق المعجمي:** وينقسم قسمين: الاتساق المعجمي التكراري، والاتساق المعجمي التضامي، ويعرف الأول بأنه؛ إعادة عنصر معجمي، أو مرادفه أو شبيهه أو عنصر عام يشمله . و يعرف الثاني بأنه توارد زوج من الكلمات

1- أحمد المتوكل، **الخطاب و خصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البنية والنمط**، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 01)،2010 م، ص. 43.و لمعرفة مفهوم الإحالة في التراث اللغوي العربي (عند النحاة و عند علماء الأصول)، ينظر الكتاب نفسه، بداية من الصفحة:75.

بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم علاقة ما.[1] و لأهمية العناصر الخمسة السابقة، يقرر الباحثان أن النص يكتسب نصيته من وجودها ؛ بمعنى أنهما يؤمنان بأن نصية النص قضية داخلية ، و وظيفة المتلقي أمامها الحكم بوجودها أو عدمه.

02/- مظاهر اتساق النص حسب (فان دايك)

فرق (فان دايك) بين معنى المفردة في تركيب جملي ما ، و معناها المعجمي؛ أي خارج التركيب و أرجع سبب هذا الاختلاف إلى السياق، لأن السياق[2] هو الذي يبرز معنى أي مفردة داخل سياقها.

يتحدث (فان دايك) عن مظهر من مظاهر انسجام الخطاب، هو الترتيب العادي للوقائع في الخطاب؛ ذلك أن ورود الوقائع في متتالية، يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة، على رأسها معرفتنا بالعالم. و أن أهم ما أشار إليه الباحث فيما يتعلق بالوقائع و ترتيب المتتالية من العلاقات، التي تحكم هذا الترتيب في الوقائع، يمكن حصره فيما يلي:

-العام، الخاص.
- الكل، الجزء.
- المجموعة، المجموعة الفرعية، العنصر.
- المتضَمن، المتضِمن.
- الكبير، الصغير.
- الخارج، الداخل.

- المالك، المملوك.[1]

1- ينظر:مجموع الأمثلة المدرجة كما ذكرها عمر أبو خرمة ،المرجع سابق، بداية من الصفحة 83.

2- يرى (فان دايك) أن السياق هو معرفة العالم تحديداً.أي مجموع الخبرات الحياتية ، الواقعية التي يكتسبها الفرد في منظومته الاجتماعية.و أكد أن هذه المعرفة، هي التي تشكل المعنى في النصوص ، و هي التي تخلق انسجامه وترابطه.

و يرى(فان دايك) إلى أننا نرى عادة ، مجموع الشيء قبل أجزائه. كما أننا نرى شيئاً كبيراً قبل أن نرى شيئاً أصغر منه؛ إلا أن الترتيب الخاضع بدوره لهذه العلاقات، يمكن أن يحدث فيه تغيير ما؛ كما يمكن أن يتقدم المملوك على المالك أو الجزء على الكل ، و يتم ذلك لأغراض و مقاصد ، يهدف المتكلم (الكاتب) إلى تحقيقها.[2]

03/- مظاهر اتساق النص حسب (براون و يول)

يعتقد كل من (براون ويول)؛ أنه يمكن أن نسمي كل مقاربة تتخذ لها موضوعاً، لوصف وحدة لغوية أكبر من الجملة (تحليلاً للخطاب)، بمعنى أن تصنيف هذه المقاربات أو تلك ضمن تحليل الخطاب ، ينبني أساساً على الوحدة اللغوية المحللة وحجمها ، لكن يترتب على التصنيف القائم على موضوع المقاربة؛ أننا نهتدي إلى الفروق النوعية الدقيقة ، التي تميز مقاربة عن أخرى، وإن كانتا معاً تعالجان الخطاب ، إذ هناك تحليل اجتماعي للخطاب ، وهناك تحليل نفسي للخطاب وهناك تحليل بلاغي للخطاب . وتخلص المقاربة عند (براون ويول) في عنصر انسجام الخطاب إلى اختزالها لوظائف اللغة فيما يلي:

- **وظيفة نقلية:** أي أن إحدى الوظائف التي تخدمها هي نقل المعلومات أو تناقلها بين الأفراد والجماعات، ويذهب إلى الاعتقاد إلى أن لا أحد يماري، فيما تقوم به اللغة، من نقل للأفكار والثقافات عموماً. كما أن لا أحد يجادل فـي أن اللغةتسهم بشكل فعال، بهذا النقل في تطوير تلك الثقافات.[3]

- **وظيفة تفاعلية:** أي قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي، بيـن فردين أو بينمجموع أفراد عشيرة لغوية ، على أن هذه الوظيفة الثانية تكتسي صبغة

1-ينظر:مجموع الأمثلة المدرجة وفق كل عنصر كما ساقها (فان دايك) في : **لسنيات النص – مدخل لانسجام الخطاب**– للخطابي،المرجع سابق، بداية من الصفحة. 39.

2- ينظر:المرجع نفسه ، ص.28.

3-ينظر:نفسه ،ص.48.

خاصة، باعتبار أنه لا يهدف من ورائها إلى نقل المعلومات ؛ وإنما تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها.[1]

انطلاقاً مما سبق الإشارة إليه حول آراء (براون ويول)، و تأسيساً على الدور الذي يمكن أن يقوم به المتلقي – وهو مناط إنشاء الخطاب – ومن أجل اكتشاف انسجام الخطاب أو عدم انسجامه، يؤسس الباحثان لافتراضيين هما:

- **الافتراض الأول**:لا يملك الخطاب في ذاته مقومات انسجامه ؛ وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

- **الافتراض الثاني** :كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم والعكس صحيح.[2]

ثانياً- مظاهر انسجام[3] الخطاب:

للانسجام أهمية خاصة في حقل (علم اللغة النصي)؛ فهو عند (كلاوس برنكر) المفهوم النواة في تعريف النص ، وهو من العناصر الأساسية التي أشار إليها(فان دايك) في دراسته للعلاقة بين النص والسياق، لكونه يختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى بها الأفكار داخل النص. و هو ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم و العلاقات، من تواصل و وثاقة صلة متبادلين.

1-ينظر: السابق، ص.48.

2-ينظر: نسفه ، ص.52.

3- الانسجام في اللغة العربية هو: أن يأتي الكلام منحدراً ،كتحدر الماء المنسجم بسهولة و سبك وعذوبة ألفاظ، و سلامة تأليف .حتى يكون للجملة من المنثور ،و للبيت الموزون وقع في النفوس و تأثير في القلوب وما ليس لغيره و إن خلا من البديع وبعد عن التصنيع . وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام ، المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً ، كأشطار وأنصاف أبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز ، ورويت من النبي الكريم. والانسجام على ضربين: ضرب يأتي من البديع الذي لم يقصد ، ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ إنما أشكو بثي و حزني إلى الله؛ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾و مثل هذه الآية ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ،إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ و أما الضرب الثاني فهو: الذي لا بديع فيه كقوله تعالى:﴿ خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين ﴾ وأكثر آي القرآن من شواهد هذا الباب.

ولمصطلح (الانسجام) ترجمة (**Cohérence**)، وهي من بين المسمّيات الكثيرة والمختلفة التي أطلقها عليه المترجمون، وكما هو الحال مع المصطلح السابق (**Cohésion**). جاء هذا المصطلح عند بعض الباحثين ، ردّا على مصطلح الاتـّساق (**Cohésion**) الذي قدّمه (هاليداي وحسن)؛ اللذان يريان أنَّ وحدة النصّ إنما تتحقّق بوجود علاقات الترابط ، التي تحقّقها الأدوات النحوية الموجودة داخل النصّ، وإن كانا قد أشارا إلى أنَّ هذا المفهوم ، إنما هو مفهوم دلاليّ، يُـعنى بالعلاقات المعنويةّ داخل النصّ، إلاّ أنَّهما « كانا على مستوى التطبيقات، لا يقصرانه على المستوى الدلاليّ، بل ينشغلان برصد مظاهـــره فـي مستويات أخرى كالنحو والمعجم ».[1]

أما (فان دايك) فقد جعل الانسجـــام « مرتبطاً بالدلالة، وذلك من خلال التعليقات التالية : تطابق الذوات مثل (الضمائر المحيلة إلى شيء بعينه و هو ما يعرف بدلالة المطابقة في المضمر والمبهم)، و الكل والجزء والملكية (وهو ما يعرف بدلالة التضمن)، و وجود الإطار(كعلاقة الخاص بالعام)، والحالة العادية المفترضة للعوالم (كوجود أشياء ضمن تصور كلي مما يفضي إلى الحقل الدلالي وهي من دلالتي التضمن و الالتزام) ».[2]

وقد ادخل في انسجام النص قضية الترتيب ، و ركز على الترتيب المقيد دون الحر ؛ إذ هو الذي يظهر قصدية التناص وحدوثه دون أثر دلالي أو تداولي، يخل بالانسجام في النص. و ذهب إلى أن النص ما هو إلا بنية كلية ذات موضوع؛ بمعنى أن النص يدور في بؤرة محددة هي موضوعه ، و أن كل الجمل الأخرى ما هي إلا شرح، وتفسير وإعادة لتلك البؤرة.

ويرى (براون و يول) أنَّ وحدة النصّ ، لا تتحقّق فقط بوجود الأدوات النحويـّة الرابطة للنصّ، و إنما تتحقّق بوجود الرابط المعنويّ الضمنيّ، إذ

1- صفاء صنكور، مرجع سابق؛ص.207.

2- عمر أبو خرمة ،المرجع سابق،ص.88.

من السهل أن نجد نصوصاً نفهمها بكلّ تلقائيــّة ، على أنَّها متــّسقة لا تظهر فيها إلا قليلاً من الأدوات الظاهرة المعبّرة عن علاقات الاتــّساق. فإن القارئ لهذه النصوص يفترض، بكلّ تلقائية أَنَّ توالي الجمل هنا يشكل نصاً، و أنّ القارئ سيفهم الجملة الثانية على ضوء الجملة الأولى. فهو سيفترض وجود علاقات معنويةّ قائمة بين الجمل.[1]

أما (محمّد العبد) فيرى أَنَّ مفهوم الانسجام (Cohèrence)، يرجع إلى الأصل اللاتيني (Coharerentia) و هو مستعار من علم الكيمياء.[2]

أ/- مفهوم الانسجام في الاصطلاح

كان مجال تعريف الاتساق – من خلال ما أشرنا إليه سابقاً – ، محصوراً في أهمية الربط النحوي، بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصية متماسكة مترابطة، هذا الربط الذي يعتمد على عناصر متعددة منها : (الإحالة) و(التكرار) و(حروف العطف)و(الفصل والوصل)..وغيرها ،« أما الانسجام فيدخل فيه الربط الموضوعي للنص، الذي يجعل النص وحدة دلالية، و من مظاهره أيضاً اشتمال النص على سيرورة واستمرارية وتطور واتجاه ، نحو غاية محددة تضمن له التدرج و الانتقال ، وتنفي عنه الانتقال غير المسوغ ، ووجود مثل هذه العلاقات المعنوية داخل النص ييسر فهمه فهماً منطقياً».[3]

وقد أولى علماء النص عناية قصوى بالانسجام ، فيذكرون أنه « خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص، في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى».[4]

فالانسجام إذن يمثل المعيار الذي يختص بالاستمرارية المتحققة للخطاب(النص)؛ أي استمرارية الدلالة المتولدة عن العلاقات المتشكلة داخل

1- ينظر:براون ويول؛ **تحليل الخطاب**، مرجع سابق،ص. 234- 236.

2-ينظر:محمد العبد، **حبك النصّ، (مقال)**، مجلة فصول، الكويت، (ع59)، 2002م، ص.55.

3- براون و يول ، السابق، ص. 234 .

4-صلاح فضل،**بلاغة الخطاب و علم النص**، مرجع سابق، ص.340.

الخطاب. إنه مجموع الآليات أو العمليات الظاهرة و الخفية، التي تجعل قارئ خطاب ما قادراً على فهمه وتأويله، وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق الانسجام.

و يعتقد كل من (براون ويول)، أنه بالإمكان اختزال وظائف اللغة إلى وظيفتين أساسيتين فقط هما:(النقل) و(التفاعل).« لذا كان من أبرز مبادئ الانسجام في الخطاب السياق ؛ بمعنى مجموع العناصر الخارجية التي تساعد في نقل المعلومة أو تنشيط التفاعل ، ضمن مفهوم التعاون بين المرسل والمتلقي. وذكرا عشر خصائص يمكن أن نلاحظ تأثيرها في خطابات متنوعة مجتمعة أو متفرقة وهي: المرسل، والمتلقي، والجمهور، والموضوع، و المقام، و القناة، و النظام، وشكل الرسالة، و المفتاح، و الغرض ».[1]

ب/- مظاهر و أدوات انسجام الخطاب

إذا كان الاتساق يعتمد على مجموعة من الوسائل المتحققة في ظاهر النص، فإن الانسجام يبدو أكثر ارتباطاً بإستراتيجية القول الدلالية والتداولية ، لإقامة علاقات متماسكة بين وحدات النص. و يعتبر السياق والمعرفة بالعالم من أهم مبادئ الانسجام.[2]

و يرى العديد من اللغويين المعاصرين ، أن الانسجام يقوم على مجموعة من الأدوات، تعمل كلها على تحقيق الدور المنوط بالانسجام في الخطاب . وهذه الأدوات هي: التأويل والسياق والعلاقات الدلالية، وموضوع الخطاب أو(البنية الكلية)، و زمن الخطاب والحالة المفترضة للعالم ، و التغريض وترتيب الخطاب.وهذا شيء من البيان لهذه الأدوات:

1- عمر أبو خرمة ،المرجع سابق،ص.91.

2- يُعنى الانسجام بالسياق بمعنى أوسع من الاتساق. و لا يرتبط الانسجام بالوحدات اللسانية المتعلقة بالسياق فحسب. لكن أيضا بالعلاقات الخارجية و كذلك المعرفة بالعالم، تلعب دوراً مهماً في التحليل النصي.

01 /- التأويل المحلي[1]: يعتبر التأويل في الثقافة العربية ، من أبرز المصطلحات التي دارحولها جدل كبير ، بين العلماء في مختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم التي يدعون إليها. فالتأويل ظهر في أفكار و نظريات علماء الكلام، أو المتكلمين إذ عندهم علم قائم بذاته. [2] أما في الثقافة الغربية فقد حاول النقد في الغرب، توظيفه ضمن اتجاه عام يهدف إلى تجاوز ثنائية الشكل والمضمون.

و يرى بعض الباحثين أن التأويل في حقيقته، ليس له علاقة بالنص الأدبي؛ وإنما هو من المصطلحات التي اقترن ظهروها بالفلسفة.[3]

فالتأويل المحلي يعتمد تجاربنا السابقة في مواجهته للنص ، ومواقف سابقة تشبه من قريب أو من بعيد الموقف الذي نواجهه حالياً ، و بفضل هذه الآلية يتم استبعاد التأويل ،الذي لا ينسجم و لا يتلاءم مع العناصر التأويلية والمعلومات الواردة في النص/ الخطاب[4].

و أي كان؛ فإن القارئ يحتاج لكي يفهم النص المقروء، إلى جهد تأويلي يمكنه من رصد العلاقات الخفية الرابطة بين أجزاء النص، خاصة إذا كان للفظ الواحد مفاهيمُ قد تتغير و لا يضبط مفهومها، حتى يعرف السياق الذي وردت فيه.« إن مبدأ التأويل يعتبر تقييداً للطاقة التأويلية، لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق. كما أنه مبدأ متعلق أيضاً، بكيفية تحديد الفترة الزمنية

1- ورد مفهوم التأويل في لغة العرب بمعنى الرجوع يقول ابن منظور تحت مادة (أ.و.ل) :الأول : الرجوع آل الشيء يؤول أولاً و مآلا ، رجع و أول إليه الشيء رجعه. و أول الكلام و تأوله دبره و قدره. و قوله تعالى: (ولما يأتهم تأويله)؛ أي لم يكن معهم علم تأويله. ويأتي كذلك بمعنى التفسير.

2- ينظر: عبد الغني بارة ، **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د ط) ،2005 م،ص.336.

3- ينظر :نفسه ، ص. 338.

4- ينظر: محمد خطابي، مرجع سابق، ص.57.

في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن)، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاســم (محمد) مثلاً».[1]

02/- السياق: أولى المحدثون للسياق، اهتماماً كبيراً لتأثرهم بدراسات(دي سوسير) و منهجه الاجتماعي للغة، الذي يقر بأن اللغة نشاط اجتماعي، نابعة من الاحتكاك في المجتمع، و بالتالي لا يمكن فهمها إلا من خلال المجتمع الذي تواضع عليها.[2] و من أبرز المدارس التي اهتمت بالسياق مدرسة (فيرث)، التي قامت على أساس المعنى. و المعنى عندهم كما صرح به فارث « لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية».[3]

و خلص إلى أن تحديد المعنى يتوقف على شروط أهمها[4]:

- تخيل السياق اللغوي صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً.
- بيان شخصية المتكلم و المخاطب والظروف المحيطة بالكلام.
- بيان نوع الوظيفة.
- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

فهذه الشروط تؤكد بقوة على أن المعنى، متصل اتصالاً كبيــــراً بالسياق، إذ يتعذر الفصل بينهما ، و لا يتصور أحدهما والآخر ليس متلبساً به.[5]

و إجمالاً فإن السياق عند بعض اللغويين، ي عني الانزلاق من المستوى التحليلي إلى مستوى آخر ، يتعلق بظروف إنتاج الخطاب، فالمرسل والمتلقي

1- خطابي ، **لسانيات النص** ، مرجع سابق ،ص.56.

2- ينظر:صبحي الفقي، **علم لغة النص**، (ج 01)، مرجع سابق، ص.106.

3- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، مرجع سابق، ص 68.

4- ينظر :محمد الشاوش ، (مج01) ، مرجع سابق، ص.70.

5- ينظر :نفسه ،ص 117.

وزمان النص ومكان إنتاجه ، والحالة النفسية للمرسل أو المتلقي ، كلها عوامل محددة للسياق.[1]

03/- العلاقات الدلالية : ينظر عادة إلى العلاقات ، التي تجمع أطراف النص أوتربط بين متوالياته (أو بعضها) دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة ؛ على أنه (علاقات دلالية) مثل: علاقات العموم والخصوص، السبب/ المسبب، المجمل/ المفصل، و هي « علاقات لا يكاد يخلو منها نص، يحقق شرط الشفافية مستهدفاً تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق »،[2] إنها تعمل على تنظيم الأحداث و الأعمال، داخل بنية هذا الخطاب/ النص.[3] و هي متواجدة عبر مساحة النص ، محققة تماسكاً دلالياً بين بنياته، جامعة بين أطرافه، رابطة بين متوالياته دون تمظهر وسائل شكلية تعتمد عادة في ذلك.[4]

04/- موضوع الخطاب أو البنية الكلية [5] : يعرّف موضوع الخطاب على أنه نواة مضمون النص، حيث يسمي مسار الأفكار القائم على موضوع، أو عدة موضوعات في نص ما، و يرى (فان دايك) أن موضوعات الخطاب، « ترد المعلومات السيمانيطية و تنظمها و ترتبها تراكيب متوالية ككل شامل »[6] أي «عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية، في الموضوع عن طريق إعادة

1- للمزيد حول أهمية السياق بأنواعه من منظور عربي وآخر غربي ينظر: ما أشرنا إليه في الفصل الثاني.

2- خطابي، السابق، ص.269.

3- ينظر: أحمد مداس، **لسانيات النص- نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري** ،جدارة للكتاب العالمي،عالم الكتب الحديث، عمان ،الأردن،(ط02)، 2007م، ص. 83.

4- ينظر:خطابي، السابق، ص.268.

5- أشار المفسرون إلى مفهوم (الموضوع الواحد) حين اعتبروا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة، له موضوع واحد رئيس هو التوحيد والعبادة. فالسيوطي كان أحد الذين نظروا إلى القرآن، نظرة كلية حيث وظف جملة من المبادئ والعلاقات، للدلالة على الاتحاد و الترابط المضموني للسور.كما أن حديثه عن تناسب آي القرآن، وارتباطها ببعضها البعض، يدل على أن للسورة معنى كلي، تشكل من جراء الارتباط والتماسك ،الموجود بين الآيات.

6- فان دايك ، **النص و السياق** ، مرجع سابق ، ص.185.

تنظيم محتويات الخطاب »[1] و يقصد أيضاً بموضوع الخطاب، البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من المتتاليات، بتضافر مستمر قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب[2] ويتحقق موضوع النص، إما في جزء معين من النص، أو نجرده من مضمون النص ، و ذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة.

05/- زمن الخطاب: فرق الباحثون المعاصرون، بين نوعين من الزمن هما[3]:

أ/- الزمن الصرفي : وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغ الفعلية، في حالتها الافرادية خارج السياق ، وتعد دلالة هذه الصيغ على الزمن دلالة لا نهائية.

ب/- الزمن النحوي: وهو الزمن الذي يدل عليه السياق، و ذلك من خلال الصيغ المفردة و المركبة. كذلك مع ما يصاحبها من ضمائر و قرائن لفظية وحالية.

و من علماء اللغة المحدثين، الذين اهتموا بزمن النص من خلال تحليلهم للنصوص الشعرية أو السردية؛ نجد (الأزهر الزناد) إذ يرى أن من « المبادئ الهامة في مثال (لوكاشيو) أن الملفوظ يصبح نصاَ، عندما تترابط عناصره باعتماد عامل الزمن، أي يتوفر فيه عنصر زماني ما، يرتبط بزمان آخر معروف أو معطي عند السامع و المتكلم ».[4]

أما مجموع الأدوات المعبرة عن الزمنح فهي في الحقيقة نتاج ثلاث محاور زمانية :

- زمن الواقعة المثبتة في النص .
- الزمن الذي قيل فيه النص.

1- خليل البطاشي ، **الترابط النصي** ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، (د ط) ،2004 م ، ص225.

2- ينظر : خطابي، **لسانيات النص** ،مرجع سابق، ص.180.

3- ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها و مبناها**، مرجع سابق، ص.242-243.

4- الأزهر الزناد، **نسيج النص**، مرجع سابق، ص.72.

– الزمن المرجعي؛ أي تحديد زمن الحادثة من خلال مقارنته بزمن إنتاج النص.

و هناك نوع آخر من الزمن، و هو الزمن المعطى الأولي، الذي يتعلق بعالم الخطاب، الذي يحتويعلى الحدث أو الصفة الواردة في الكلام.و يمكن الوصولإليه من خلال عناصر المقام[1]. و يقسم هذا النوع إلى قسمين:[2]

– الزمن الإحالي : وهو الذي يرتبط بزمن آخر، سبق ذكره في النص. هذا الزمن الذي سبق ذكره يطلق عليه (لوكاشيو) اسم: الزمن المعطى الأولي.

– الزمن الإشاري : و هو الزمن الذي يرتبط مباشرة بالزمن المعطى الأولي؛ لأن كل زمن إشاري ، يرتبط ارتباطاً بالمقام ارتباطاً مباشراً، فهو الزمن الذي يمثل نقطة مستقلة الوجود، ولا يتعلق إدراكها أو تصورها بنقطة زمانية أخرى.

06/– الحالة المفترضة للعالم : تكون هذه الظاهرة حينما يستعمل الشاعر أو الكاتب لفظا أو معنى في غير موقعه الأصلي ، فتتدخل هنا معرفتنا القبلية للعوالم، بأن تقول إن في هذا شيئاً، وهذا ما يجعلنا ملزمين بالتأويل الذي يحيلنا إلى المقصد الحقيقي بالمذكور، أو ملزمين بالبحث عن تفسير لهذه الظاهرة الأدبية.

07/– التغريض[3]: يقوم في الخطاب بالبحث في العلاقة، التي تربط موضوعه بالعنوان، « فهو نقطة بداية قول ما ».[4] ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع، كماأنها أداة إبراز لها قوة خاصة. ويتعلق التغريض بالعنوان

1- نفسه ، ص.74.

2- نفسه ، ص.75- 76.

3- لمعرفة أهمية عنصر (التغريض) في تفسير القرآن الكريم ينظر: وجهة نظر الرازي من خلال مؤلفه، **مفاتيح الغيب**،الصادر عن دار الغد العربي، القاهرة ، (ط01)،(ج 01)،1991م،بداية من الصفحة: 227.

4- براون و يول ، مرجع سابق ، ص.81.

وبالجملة الأولى ، وكيف أن هذين يبقيان ماشيين في خيط رفيع، يؤديان دوراً خفياً هو دور الربط بين أجزاء القصيدة أو النص. ومنه فالتعريفات والمفاهيم السابقة، اعتبرت العنوان أو الجملة الأولى من النص، أهم الأدوات المستعلمة للتغريض؛ لكونه المنطلق المهم في تأسيس كل شيء.[1]

08/- ترتيب الخطاب : يهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل ، وهي بنية مجردة تقارب بموضوع الخطاب ؛ أي أنهاكامنة وحاضرة في البنية الموضوعية للنص. و هي تتسم بدرجة من الانسجام والتماسك، وهذا التماسك ذو طبيعة دلالية. « بيد أن للأحداث المرتبة في النص، أو الخطاب وفق حصولها في الواقع، أثر على عملية الانسجام ».[2]

و قد تحدث علماء الغرب عن ترتيب الخطاب، أو الأحداث حيث عده (فان دايك) « مظهراً من مظاهر الانسجام ، و أطلق عليه الترتيب العادي للوقائع»[3] إذ إن الجمل « إذا كانت تدل على الأحداث ؛ فإن انتظام سلاسل من الجمل، ينبغي أن يدل على مجموع منظم من الأحداث ».[4] و هذا المجموع المنظم من الأحداث، تحكمه جملة من المبادئ في مقدمتها معرفتنا بالعالم».[5]

إن موضوع الخطاب، يعد مركزاً أساسياً تدور حوله الأقوال التخاطبية،التي تستمد منه عملية الامتداد عبر كامل النص. ونستطيع أن نحدد مفهوم الموضوع عبر حدسنا اللغوي، الذي يمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع، الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثا عن شيء ما.

1- ينظر:الأزهر الزناد، **نسيج النص**، مرجع سابق، ص.68.

2- خطابي، مرجع سابق، ص.183.

3- نفسه ، ص.38.

4- فان دايك ، **النص و السياق** ، مرجع سابق ،ص.150.

5- خطابي، **لسانيات النص**، السابق،ص.38.

ثالثاً: مظاهر ترابط الخطاب:

توطئة

تسعى لسانيات النص إلى تحليل البني النصّية ، واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النّصوص ، وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية.إذ يرى (صبحي إبراهيم الفقي) أن« مهام لسانيات النص ،تتجلى في إحصاء الأدوات و الروابط، التي تسهم في التحليل. ويتحقق هذا الأخير ، بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي، مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة».[1]

و لا شك أن نحو النص، يتعامل مع النص على « أنه بنية كلية ، و من ثم يكون المدخل إلى التحليل النحوي، عن طريق تحليل الخواص، التي تؤدي إلى تماسك النص، وتعطي عرضاً لمكوناته التنظيمية النصية ».[2]

ولهذا كان للترابط ووسائله ،حيز كبير في حقل الدرس اللغوي المعاصر . فقد شرع « علماء النص يولون التماسك عناية قصوى؛ ويذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص ، في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ، و يشرحون العوامل التي يعتد عليها الترابط».[3] « فقد تجسدت أمامهم فائدة الترابط والتلاحم، بدءً بالربط بين المستويات اللغوية المختلفة، في النص الواحد . فكان هذا الإصرار من نحاة النص ، على رفض الفصل بين المستويات اللغوية ، فظهر أن من أهم ملامح نحو النص ؛ دراسة الروابط مع،الذي يتضح في تلك النظرة الكلية إلى النص ، دون الفصل بين أجزائه».[4]

1- صبحي إبراهيم الفقي: **علم اللغة النصي**، (ج01) ، مرجع سابق، ص.56.

2 -Halliday M.A.K and Ruqaiya Hasan- cohesion in English - Longman Group- London- 1976.pp.04.

3- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، مرجع سابق، ص.236.

4- أبو المكارم، **الظواهر اللغوية في التراث النحوي**، مرجع سابق، ص.325.

أ/- مفهوم مصطلح الترابط[1] في اللغة

ب/- مفهوم مصطلح الترابط في الاصطلاح

يرد بمعنى (الترابط النصي) مصطلحات أخرى، مثل (التماسك) و(الاتساق) و(الانسجام) و(التضام).[2] و يذكر(جمعان الغامدي) أن التماسك، مصطلح مترجم من الكلمة الانجليزية (Cohésion)، و قد وقع في ترجمته بعض الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية، مترجمة إلى العربية؛ فترجمه (محمد خطابي) إلى الاتساق، في حين ترجمه (تمام حسان) إلى السبك، وترجمته (إلهام غزالة) و(علي خليل حمد) إلى التضام، أما (عمر عطاري) فترجمه إلى الترابط.[3]

إن موضوع الترابط من أهم ما عني به نحو النص، يقول (هاين من و ديتر

فيهفجر):« تنطلق تصورات نحو النص ، من الفرض القائل بأن النصوص في الأساس، يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل، تنشأ بينها علاقات تماسك».[4]

1- ورد في لسان العرب في مادة (ر.ب .ط): ربط الشيء يربطه ربطاً فهو مربوط و ربيط : شدَّه.و الرباط ما ربط به لو الجمع رُبُط. و ربط الدابة يربطها ويربطها ربطاً وارتباطها. فلان يرتبط كذا رأساً من الدواب و دابة ربيط مربوطة.

ولمعرفة المزيد حول مفهوم الارتباط و الربط في اللغة و علاقات الارتباط المعرفية و النفسية بين المعاني، ينظر: **نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية** ، لـــمصطفى حميدة ، مكتبة لبنان ناشرون ، و الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،(د ط)،(د ت)،بداية من الصفحة: 130.

2- تأكد لدينا من خلال هذه الدراسة، تضارب الترجمة لمصطلحات(الاتساق والانسجام والترابط) بين الدارسين العرب،و خروجاً من هذا الإشكال؛ أثرنا وجهة النظر التي تبناها محمد خطابي من خلال كتابة:(**لسانيات النص- مدخل لانسجام الخطاب**) في فصله بين الاتساق والترابط،واعتبار الترابط ما وفر مسحة دلالية إضافية،من خلال الروابط اللغوية المتوفرة في النص.

3 - ينظر: جمعان الغامدي، **المداخلة وإشكالاتها النصية** ،(أطروحة دكتوراه)،جامعة الملك سعود،كلية الآداب، الرياض،2006م،ص. 198.

4- هاين من و ديتر فيهفجر :**مدخل إلى علم النص** ، مرجع سابق ، ص.21.

كما يعد الترابط النصي– أنواعه ومستوياته– ، موضوعاً مهماً من موضوعات نحو النص. إذ أفرد له (هاليداي و رقية حسن) كتاباً مستقلاً ، وشغل حيزاً كبيراً في مؤلفات (فان ديك) و(دريدا) و(دي بوجراند) وغيرهم.

ج/- الترابط النصي:

إن علم نحو النص هو المسؤول ،عن تجسيد أشكال الترابط في النص وتحقيق ما يسمى بالترابط النصي، و هو« بمثابة الخيط الذي يربط بين كلمات النص وجمله و فقراته، في كل لا يتجزأ دفعة واحدة دون النظر إلى جزئية منفردة، و هو الذي يخلق بنية النص.هذه البنية لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات ، ولكنها تمثل تنظيماً خاصاً من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها تخصها، يستطيع نحو النص أن يكشف عن نظام هذا الترابط».[1]

على نحو النص أن يكشف عن العلاقة المعنوية بين مجموع هذه الحقائق، هذه العلائق المعنوية التي تأتي غالباً عن طريق الأدوات، في ظاهر النص في رأي (هاليداي وحسن) ؛ فقد قالا:« تظهر الروابط عن طريق الأدوات، بين الجمل أكثر وضوحاً لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص».[2] معتبرين أن أهم ما يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصاً؛إنما يعتمد على علاقات الترابط داخل الجمل فيما بينها مما يخلق بنية النص.

أما (سعيد بحيري) فيرى أن خاصية الترابط النصي، تعتمد على تصور يجمع بين عناصر نحوية تقليدية، و عناصر أخرى تستقي من علوم متداخلة مع النحو في الأصل لذا« ينبغي أن نفرق بين الربط، الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الترابط النحوية (الروابط) ، و التماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول. و يمكن تتبع إمكانات الأول على المستوى السطحي للنص، إلا أن الثاني يتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق

1- عفيفي،**نحو النص**، مرجع سابق، ص.97.

2 -Halliday M.A.K and Ruqaiya Hasan –Cohésion in English.P.09.

للنص، تقدم إيضاحاً لطرق الترابط بين تراكيب، ربما تبدو غير منسقة أو مفككة السطح».[1]

أما (فان دايك) فيرى أن الترابط هو:« وجود علاقة سبب ونتيجة في التركيب، وتكون الجمل مترابطة بالقدر التي تكون فيها النتائج متعالقة مع المقدمات تعالقاً مباشراً،ويضعف الترابط كلما كان التعالق غير مباشر أو غامضاً.وربط بين درجة التعالق من حيث مباشرتُه و قبول المتلقي للنص».[2]

لقد استفاض (فان دايك) في حديثه عن خاصية الترابط، معتبراً إياه أنه يوفر علاقة دلالية في النص، و قدم لهذا التصور مجموعة من الأمثلة. فمن حيث صفة المقبولية وعلاقة ذلك بأدوات الترابط نقرأ :

- جون أعزب ، فهو إذن غير متزوج .(مقبولة)
- جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيراً من الاسطوانات .(أقل مقبولية)
- جون أعزب ، و إذن فأمستردام هي عاصمة هولندا.(أقل مقبولية)[3]

و يخلص الباحث إلى أن الترابط لا يتوقف على وجود الروابط فقط.

كما أن وجود الروابط لا يعني بالضرورة وجود ترابط فقولنا مثلاً:

- أمستردام عاصمة هولندا ، سكانها ثمانمائة ألف نسمة.خلت من الروابط، لكنها في اللغة حازت على صفة المقبولية.

و يخلص (فان دايك) إلى :

- ضرورة توفر علاقة دلالية بين معاني الكلمات الواردة في الجمل.
- ضرورة التطابق الحالي مع تعالق الوقائع التي تشير إلها القضايا.
- لأجل توفر خاصية الترابط بين الجمل؛ يلزم توفر شرط الترتيب الزمني مع تعالق العوالم الممكنة و يقدم أمثلة لذلك :

1- بحيري، **علم لغة النص** ، مرجع سابق ،ص. 122.

2- عمر أبو خرمة ،المرجع سابق،ص.88.

3- ينظر:خطابي، **لسنيات النص- مدخل لانسجام الخطاب-** المرجع سابق، ص.31.

– أمس كان الطقس حاراً، لذا ذهبنا إلى الشاطئ.(مقبولة)

– أمس كان الطقس حاراً جداً، فذهبنا إلى الشاطئ في الأسبوع الماضي.(غير مقبولة لعدم استجابتها لشرط الترتيب الزمني)

– حلمت أن الطقس حاراً جداً، فذهبت إلى الشاطئ.(غير مقبولة لعدم توفرها على تعالق العوالم الممكنة).[1]

إن ميزة الترابط في الجمل – وفق تصور (فان دايك)– منوطة بمدى تعالق الوقائع، التي تشير إليها قضاياها في عوالم متعالقة.[2]

د/–:أشكال الترابط : يذهب (دي بوجراند) إلى اعتبار أنالترابط ، يتحقق في شكل من أحد الشكلين التاليين:

01/– الترابط الرصفي: وهو أقرب إلى ظاهر النص، ويرتبط بالدلالة النحوية على مستوى الأنماط والتتابعات الشكلية، في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما. ومن أدواته العطف والاستدراك والشرط والقسم.. وغيرها.

02/– الترابط المفهومي: و يتصل هذا النوع بالنحو الدلالي للنص ، من أجل إيجاد معنى كلي للنص.[3]ومن مظاهره: الترابط السببي ، والافتراضي والتقابل العكسي والكمي.[4] ويؤكد (دي بوجراند) و (دريسلر)،أن المقوم الأساس الذي يجب أن تقوم عليه نظرية استعمال اللغة ؛ إنما هو الترابط ؛لأنه يمثل المعيار الأساس في إيجاد نصية النص.[5]

1- نفسه، ص.32.

2- نفسه،ص.33. و ينظر : باقي الأمثلة التي ساقها (دايك)، في حديثه عن الشروط التي تعتبر الوقائع في ظلها متعالقة.

3- ينظر :دي بوجراند ، **النص والخطاب والإجراء** ، مرجع سابق ، ص.127.

4- ينظر : عيدة مسبل العمري، **الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص**،(رسالة ماجستير)، إشراف محمد الزليطني ،1998م.بداية من الصفحة. 22.

5- ينظر ، نفسه ، ص.87.

و يجتهد بعض اللغويين في تقسيم الربط الرصفي إلى قسمين، أولهما: الربط النحوي، وثانيهما: الربط المعجمي.

01/- الربط الرصفي : ويضم مجموعة من العلاقات منها :

أ - **مطلق الجمع.**

ب- **التخيير**: يربط التخيير بين صورتين أو أكثر، من صور المعلومات على سبيل الاختيار، وهو ما يسميه (فان دايك) الفصل. ويقول عنه : « إن صدق الشرط المنطقي للفصل، هو أن واحداً على الأصل من ضروب الجمل المفصولة، ينبغي أن يكون صحيحاً».[1]

ج- **الاستدراك** :« يرد الاستدراك على سبيل السلب، صورتين من صور المعلومات بينها علاقة تعارض، في المقام متحدثين أو متشابهتين، وقد يكون كل من الصورتين صادقاً بالنسبة إلى عالم النص؛ ولكن تعلق كل منهما بالآخر غيرواضح».[2]

د- **التفريع**:يشير التفريع إلى أن العلاقة بين صورتين أو أكثر، هي علاقة التدرج أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى. و تستخدم لذلك: لأن، مادام، من حيث، و لهذا، بناء على، و من ثم، وهكذا..

ه- **الترتيب**:هو علاقة بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات، تتم بواسطة الترتيب الزمني بين الصورتين. أي أن الصورة الثانية، تأتي عقب الصورة الأولى، إلا أن إحدى الصورتين ليست شرطاً لحدوث الأخرى؛ وإنما تأتيان متعاقبتين زمنياً و تستخدم لذلك الفاء وثم.. وغيرهما.

ومفهوم (دي بوجراند) بالتتابع الرصفي؛ إنما هو رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني.[3]

1- تون أ. فان دايك ،**النص و السياق**،مصدر سابق، ص.97.

2- روبرت دي بوجراند ،**النص و الخطاب و الإجراء**،مرجع سابق،ص.346.

3- ينظر:نفسه ،ص. 136.

ويسمي (فان دايك) هذا النوع من الربط بــ(الوصل أو العطف والتشريك) وتؤديه الواو.[1] كما اهتم من خلال كتابه (النص والسياق)، بشرح علاقات الترابط في النص وقسمها في مجموعتين إحداهما: مجموعة الروابط المنطقية، والثانية: مجموعة الروابط الطبيعية التي تنبع من طبيعة الترتيب اللغوي.

وقرر أن الاختلاف بين النوعين،لا يتعدى كون الأول منهما نابعاً من تنضيد الجمل وترتيبها، وفق المعنى وتسلسله ومطابقته للربط وانسجامه مع مقاصد الكاتب؛ كما وضع مجموعة من المصطلحات التي نستطيع بواسطتها، أن نصف التنظيم الداخلي للنص. من ذلك (العطف) فهو في رأيه من الأدوات التـــي يلجأ إليها مستعملو اللغة، لتقوية العلاقات بين الجمل المكونة للنص.[2]

و- **الروابط الزمنية:** يعد الزمن في الدراسات النصية من الروابـــط المهمة في النص. وبعض العلماء يقسمون الزمن ثلاثة أقسام زمنية وهي:

أ- نقطة زمن الحدث أو الواقعة نفسها.

ب- نقطة زمن الكلام أو التلفظ.

ج- نقطة الزمن المرجعي.

02/- الربط المعجمي: ويضم العلاقات التالية:

أ-**التضام** : يقرر كل من (هاليداي و حسن) أن التضام هو « توارد زوج الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك ».[3] ويتجلى في الحالات التالية: التضاد أو التنافر، وعلاقة الجزء بالكل.

ب - **التكرار**:يعرفه كل من (هاليداي و حسن)؛ بأنه شكل من أشكال الاتساق المعجمي. و يتطلب إعادة ذكر عنصر معجمي أو ورود مرادف له، أو شبه

1- تون أ. فان دايك ،**النص و السياق**،مصدر سابق، ص. 96.

2- ينظر: إبراهيم خليل، **الأسلوبية و نظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، (ط01)، 1997 م، ص. 142.

3- خطابي، مرجع سابق، ص.250.

مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام. فقولك مثلاً: (شرعت في الصعود إلى القمة – الصعود/ التسلق/ العمل/ الشيء/ هو – سهل للغاية). فكلمات الصعود والتسلق والعمل والشيء وهو، كلها بإمكانها أن تحل محل كلمة الصعود الأولى.

ج- التوازي : يعرفه(محمد مفتاح) بأنـــــــــه ،«عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري، أو مجموعة أبيات شعرية».[1]

د- الاستبدال : يعرف (هاليداي وحسن) الاستبدال بأنه «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر بعنصر آخر و هو ثلاثة أنواع:

أ- استبدال اسمي. ب- استبدال فعلي.ج- استبدال قولي.[2]

1- عيدة العمري، **التراابط النصي في رواية (النداء الخالد) لنجيب الكيلاني- دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص**، مرجع سابق ،ص.51.

2- نفسه ، ص .53.

الفصـــل الرابع

التراث اللغوي العربي، ودلائل الإسهام في الممارسة النصية

توطئة

إن أي باحث لغوي معاصر، له أدنى قدر من الاتصال بعلم اللغة الحديث، سيدرك بيسر أن «العلماء العرب من خلال ما وصلنا من تراثهم اللغوي، سواء ما خلفه اللغويون الخلص كـ(الخليل وابن جني)، أو الذين أسهموا في خدمة اللغة وتحليل بنيتها، لاتصال عملهم بال لغة كالبلاغيين، وعلماء أصول الفقه والمفسرين وعلماء القراءات القرآنية ، إن ما خلفه هؤلاء وأولئك ، يعكس بصراً في فهم لغتهم ثاقباً ، ورؤية في تناولها يمكن وصفها بالعلمية، بكل ما يعنيه هذا المصطلح اليوم».[1]

لقد شكلت دراسات اللغويين، مدخلاً رئيساً للتنظير الأدبي و النقدي عند العرب. و بلغت شبكة العلاقات اللغوية المحكمة، تصورات ناضجة. ولعل أبرز أمثلتها فكرة النظم عند (عبد القاهر الجرجاني)، ومن قبلها فكرة النظم عند (القاضي عبد الجبار) وآراء (ابن جني) و(الآمدي) و(الجاحظ) وغيرهم، ممن اشتد الإحكام عندهم بين قضايا اللغة والأدب.

و حري بنا أن نقول،أن قراءتنا إلى جانب من التراث العرب القديم ، من خلال التقديم للنماذج المقترحة في هذا البحث، قوامها دعامتان اثنتان هما:

- الأولى: الإيمان باستقلالية التراث العربي بتميزه الإبستمولوجي والمنهجي، ولكن هذه الخاصية الجوهرية التي تميز بها تراثنا ، لا ينفي كونه مشابهاً في بعض مناحيه للفكر اللغوي البشري في أنحاء العالم.

- والثانية : إن الهدف ليس مجرد استصحاب التراث إلى عصرنا ، ولكنه محاولة الوقوف على خصائص الممارسة النصية العربية ، التي تجعل منها مشابهة تماماً للممارسة النصانية ، التي عرف بها الفكر اللغوي الغربي في العصر الحديث، ومختلفة عنها في الوقت نفسه.

1- محمد حبلص ،**أثر الوقف على الدلالة التركيبية** ،دار الثقافة العربية، القاهرة،(د ط)، 1993م ،ص.74.

من هذا المنطلق أمكننا أن نتساءل:هل يمكن اعتبار الدراسة التراثية ، ذات منحى نصي؟. ينبغي للإجابة على هذا السؤال، النظر في المعيار الموجب لوصف دراسة ما ، بأنها نصية أو غير نصية . فإذا ما استقام هذا المعيار ، حوكمت الدراسة التراثية إليه، وجرى عليها حكمه. وللوصول إلى هذا الحكم يجب أن ينظر إليه وفق معيارين هما:

– الأول:أن يكون الموضوع الذي تعالجه الدراسة، هو النص أوالخطابوصفهما وحدة أكبر منالجملة.

– الثاني : أن تكون هذه الدراسة ،متوسلة بجهاز مفاهيم متنوع، يمكنها من مقاربة النص وتحليله، و أن يكون هذه الجهاز ذا كفاية نصية، بمعنى أن يكون له القدرة عل ى الكشف عن مكونات النص و ليس شرطاً فيها ؛ أن يكو ن مستوعباً لجميع مكونات النص، بل يكتفي في ذلك بأن يك ون له القدرة على الكشف على جانب من جوانبالنص ، فمدار الأمر إذاً بين موضوع يقصد بالدراسة هو النص، وبين منهج متوسل به إلى هذا الموض وع، يكون قادراً على سبر أغوار هذا الموضوع ودراسته.

وبالنظر إلى مدى توفر الدراسة التراثية على المعيار الأول؛ فإن الجواب الحاضر البديهي، أن النص له حضور مركزي في التراث، وأن القرآن الكريم كان له الفضل في الدفع بالدراسة إلى هذا المنحى، وأجلى مثال على هذا هو تنوع الدراسات النصية من: تفسير وشرح للحديث، وللشعر وللمتون العلمية . بيد أن القرآن دونها جميعاً، يعد أرق دراسة نصية عرفتها الحضارة الإسلامية.

نحن نزعم أنه لابد من مساءلة التراث اللغوي العربي القديم، وخاصة في شقه المتعلق بالنشاط المرتبط بالممارسة النصية [1] تذوقاً وفهماً وتحليلاً وتفسيراً

1- يرى بعض الباحثين أن أكبر المآخذ،التي توجه إلى المنهج التراثي في تناول النصوص، هو الطريقة التي كانت تشرح بها. ذلك أن تناول النص بالشرح لم ينظر إلى جمل النص بالشرح لالتماس فهمه بوصفه ذا وحدة عضوية تجعل بعضه يفسر بعضاً وإنما كان الشراح يبنون شروحهم على المفردات فترى الواحد منهم يعرض

من أجل استخلاص المقترحات المبلورة في هذا التراث ، لكن هذا لا يعني أن النص العربي يسلك في اتساقه وانسجامه مسلكاً مخالفاً للنص الغربي ، بل المقصود هو إعادة الحياة إلى هذه الإسهامات ، باعتبار أن فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوبة، عما قدمه الغربيون في العصر الحديث.

بل الذي يميز الدراسة النصية في التراث العربي، أنها تستند إلى مجال تطبيقي خصب ، وهذه خصيصة تميزها عن باقي الدراسات النصية ، وهي كونها تنطلق في دراستها ، من نص مطلق معجز لا يضاهيه نص آخر . و هذا أتاح لها التعامل مع نص كامل معجز ، امتلك كفاية نصية عالية كانت نتيجة تعاملهم مع النص الأرقى، الذي تأتي كل النصوص الأخرى دونه.

لقد كان لكثير من المداخلات المعرفية، في مختلف علوم اللغة عند العلماء العرب، تؤسس لحقيقة ثابتة و « تؤكد أصالة هذا التراث الأدبي العربي، الذي يشكل مادة أساسية لكثير من الدراسات النقدية الحديثة ، إذ لا يمكن أن نستغني عن تراثنا وجهود أدبائنا، و تنبهر أبصارنا بأضواء النظريات الغربية الحديثة. فمجهود أدبائنا وعلمائنا مهما كانت متواضعة ، فإنها تشكل الخطوة الأولى والأساسية،في الدرس البلاغي والنقدي الحديث».[1]

يحاول هذا الجزء من البحث، أن يكشف حقيقة مفادها أصالة التراث اللغوي العربي، في تعاطيه معظاهرة تلاحم النصوص و تماسكها، وذلك من خلال ثلاث نماذج في حقب تاريخية متباعدة أولها : في القرن الخامس الهجري، وثانيها في القرنين السابع الهجري.

للفظ المفرد بعبارة قوله كذا ثم يغوص في الدلالة المفردة لهذا اللفظ مع ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص وما كان لهذا المنهج في شرح النصوص أن يؤدي إلى الفهم الكامل لدلالاتها ومقاصدها و يصدق ذلك على عمل المفسرين و شرحهم للنص القرآني .

1 –ماهر هلال ،**الرؤية البلاغيةفي قراءة النص** ،(ع06)،(م03)،جويلية ،2004م،جامعة الشارقة،الإمارات،ص.100.

أما المصادر التي سنستعرض من خلالها ، ظاهرة التماسك والتلاحم والتساوق – في نظرتنا لهذا التراث مما يعطي مؤشر على ممارسة النص وفق المناخ العلمي السائد في ذلك الوقت –، فترقى إلى أعلى درجات الممارسات النصية، المتعارف عليها في العصر الحديث في حقل نحو النص . فاخترنا كتاب (دلائل الإعجاز) لــ(لجرجاني)، وكتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي ، وكتاب(نهج البلغاء وسراج الأدباء) للقرطاجني.

أما سبب اختيار سفر الجرجاني (الدلائل)، مع أنه لم يكن كتاباً في التفسير، فعائد إلى كونه من أوائل الكتب التي ربطت بين علم اللغة والتفسير ، مع قرب شديد من مفاهيم نحو النص، كما عرضته الدراسات المعاصرة . فهو يعد بحق مصدراً وعمدة في هذا الباب، و إغفاله تفويت لخير كثير. وعائد ثانياً إلى أن البحث لم يجد كتاباً بعده في التفسير النصي، لم يستأثر به ابتداءً من (الكشاف)(للزمخشري)، الذي يعد عمدة في توظيف علم اللغة ، والمباحث البلاغية في تأويل النص القرآني ، بما يحقق الترابط بين آياته . وكتابا(السيوطي)(الإتقان) و(تناسق الدرر).

واخترنا للحقل الثاني كتابين هما:(مفتاح العلوم) (للسكاكي)، و(منهاج البلغاء) للقرطاجني. وإن كان الثاني يميل إلى النقد أكثر ، وذلك أن النقد الأدبي اهتم بالخطاب الشعري أساساً ، وخاصة في بعض قضاياه كالسرقات والبناء والطبع والصنعة.. وغيرها.

المبحث الأول:دلالات الممارسة النصية، في الفكر الجرجاني

توطئة

نظر علماء اللغة العرب إلى اللغة بوصفها نظاماً منضبطاً ، يتكون من وحدات ذات مواصفات يحددها(علم الصرف) ، وتتعالق هذه الوحدات داخل الجملة وتتلاءم، فينشأ عن هذا التلازم معنى نحوي ، يتغير بتغير العلاقة التي تربط هذه الوحدات، ويتم ذلك طبقاً لضوابط (علم النحو).

وقد كان علم النص، ملتقى تتعاون فيه جملة من العلوم لفك شفرته ، وما سبق طرحه متصلاً بمفهوم النص عند المحدثين ، كان« قد دار بخلد بعض القدماء؛ عند العرب في الكشف عنه ، و بخاصة التي عنيت بالنص القرآني ، كعلوم نحو اللغة وعلم المعاني في البلاغة العربية وعلم أصول الفقه ، وما عنيت بالدلالة الذهنية وعلاقة (الدال) بـ(المدلول) من جهود الفلاسفة، واعتبار النص وحدة أيدلوجية؛ ويعكس جزءاً من ذلك نقولات كثيرة عنهم ، عندما يفرقون بين ألفاظ النص ومبانيه من جانب وروحه ومقولته من جانب ثان».[1]

لقد سعى (الجرجاني) سعياً حثيثاً ، من أجل تقديم وجهة نظره حول موضوعات لها علاقة مباشرة بحقل (نحو النص)، و بيان آليات انسجامه ، وذلك من خلال دراسته لموضوع ات بلاغية أساسية منها :(الحذف والذكر) و(التقديم والتأخير) و(الحقيقة و المجاز) و(الاستعارة) و(الكناية)و(التعرض).. وغيرها؛«إذ هي موضوعات مرتبطة ، بجودة النص وأثره في المتلقي ، وتؤثر في تمايز النصوص بعضها من بعض، ولا ترتبط بموضوع كيفية بناء النص من حيث هو نص ، وقوانين إنشائه مباشرة ، و إن كانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته ، مع أن كثير من الدارسيـــن رأوا في دراسة تلك القضايا في دلائل الإعجاز وعيأمن (الجرجاني) بنحو النص».[2]

1- محمد يوسف، **أثر الوقف على الدلالة التركيبية**، مرجع سابق، ص74.

2- أبو خرمة، **نحو النص- نقد النظرية و بناء أخرى**،مرجع سابق،ص.43.

وقد كان في مرحلة متأخرة سبقت عصر (الجرجاني)، تم الفصل بين علمي التصريف والنحو - عصر (ابن جني) مثلاً -، أما قبل هذا التاريخ ، فكانت مشاغل اللغوي، نحوية وصرفية ولغوية- (الخليل) و(ابن فارس) مثلاً- ، ومشاغل النحوي ، لغوية ونحوية وصرفية بل وصوتية - (سيبويه) مثلاً-. وفي عصر (عبد القاهر الجرجاني) تآلفت علوم اللغة النحو والبيان و(علم المعاني)، وبدا النحو علماً شاملاً ، يجمع إلى الإعراب دراسة التركيب والبيان.

و إذا كان عصر (الجرجاني) والحالة هذه، على هذه الشاكلة فمن هو (عبد القاهر الجرجاني)؟، و من هم شيوخه؟، وما هي مخلفاته الأدبية؟، وماهي مضامينها المعرفية..؟.

أولاً:الترجمة لــ(عبد القاهر الجرجاني)

أ/- مولده

هو (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، فارسي الأصل جرجاني الدار ، متكلم على المذهب (الأشعري)، فقيه على المذهب(الشافعي) ولد بجرجان[1] و لم يبرحها حتى لطلب العلم. و لما طوقت شهرته الآفاق، شُدت إليها الرحال وحثت إليه المطي، وظل متصدراً جرجان، يفيد الراحلين إليه و الوافدين عليه، إلى أن توفي ب(جرجانة) ودفن بها سنة: 471هــ الموافقة لــ 1078 م.[2]

1- جرجان مدينة تقع بين طبرستان وخراسان، و هي مدينة عظيمة تتكون من قطعتين :إحداهما المدينة ، والأخرى بكر أبان . و بينهما نهر كبير يجري بها ضياع عريضة ، بها الزيتون والنخيل .. وقد خرج منها خلق كثير من الأدباء والعلماء و المفقهين والمحدثين.

2- ينظر: في ترجمة الجرجاني: - **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، للقفطي، (ج02)،ص.188. - **طبقات الشافعية**، لعبد الوهاب السبكي المتوفي سنة 771ه، (ج3)،ص.242. – **طبقات النحاة و اللغويين**، لابن القاضي شهبة ، (ج02)، ص.94- 95.- **طبقات المفسرين**، لشمس الدين ا لداوودي، ص . 140. – **تلخيص أخبار النحاة و النحويين**، لتاج الدين ابن مكتوم، ص. 112- 113. - **بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة**، للسيوطي ،ص.310-311 .

ب/- شيوخه

اختلف (الجرجاني) إلى العلماء الموجودين بجرجان، وقرأ عنهم و لما ساق الله الشيخ (أبا الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوارث) الفارسي الأصل، ابن أخت (أبي علي الفارسي) إلى جرجان، لحق به وأخذ عنه النحو وعلم خاله. وقد نص (ياقوت) أنه قرأ على (القاضي الجرجاني)، بالإضافة إلى ما حفظ وجمع من علوم الدين والفلسفة والكلام والأب واللغة [1]؛ و« ممن نقل عنهم (الجرجاني) في مؤلفاته: (سيبويه) و(أبوعلي الفارسي) و(الجاحظ) و(ابن قتيبة) و(قدامه) و(الآمدي) و(القاضي الجرجاني) و(أبو هلال العسكري).. وقد تأثر (عبد القاهر) في بعض نواحي تفكيره البلاغي والنقدي بالثقافة الإغريقية ، ولا سيما بحوث (أرسطو). وكان كتاب (الخطابة) وكتاب (الشعر) لـ(أرسطو) قد ترجما إلى العربية، الأول: ترجم في القرن الثالث والآخر : في القرن الرابع». [2]

ج/- مؤلفاته

مما تركه (الجرجاني) من آثار لغوية وعلمية،:-(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وقد أودعهما (عبد القاهر) خلاصة فكرته وجوهر نظريته، في دراسة المعنى اللغوي ومعاني النحو، وهما مطبوعان متداولان، وقد نالا من الدارسين المحدثين قدراً من العناية لائقاً بهما. وتبرز جوهر أفكار (الدلائل) في فصل الصرف والنحو، أما فصل المعنى، فتبرز فيه خلاصة أفكار(عبد القاهر) في (الأسرار)، وما يتصل بها في (الدلائل).

- المغني: شرح مبسط للإيضاح، يقع في ثلاثين مجلداً.
- المقتصد: وفيه اختصر (الجرجاني) شرح المغني.

– وفي الترجمة العربية ،**تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان،(ج05)، دار المعارف، القاهرة ،بداية من الصفحة 199إلى207، بيان لتفاصيل بمؤلفاته .

1- ينظر ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**،(ج 14)،ص.14.

2- درويش الجندي، **نظرية عبد القاهر في النظم**، مكتبة النهضة، القاهرة، (د ط)، 1960م، ص.08.

– الإيجاز: وهو اختصار إيضاح (أبي علي الفارسي).

– التكملة: وتضمن تكملة للإيجاز، على نحو ما صنع (أبو علي) في تكملته للإيضاح.

– التذكرة: يحوي مسائل منثورة، ولم تذكر كتب (الطبقات) شيئاً عن مادتها أو كنهها.

– المفتاح: قد يكون من مصنفاته التي تتصل بمذهبه الفقهي الشافعي، وقد تكون اتجاهاته اللغوية، التي غلبت عليه فجعلته يصنفه في بعض المباحث اللغوية.

– الجمل.

– التلخيص.

– العوامل المائة في النحو: وصف بأنه مشهور ومتداول، نُظم وشُرح وتُرجم إلى التركية، ومنه المنسوخ والمطبوع والمشروح والمنظوم والمترجم.إضافة إلى مجموعة أخرى من المؤلفات.[1]

ثانياً:الجرجاني، و رؤيته للنظم

إن معظم النظريات الخالدة في العلم ، لا تعدم أن تجد لها سوابق في إشارات المتقدمين وكتاباتهم، ولكن الفكرة التي تستحق اسم نظرية، هي ما كان لصاحبها فضل عرضها وتحقيقها، وتعليلها واستقراء أمثلتها، وإزالة ما يعرض لها من شبهات ، ومحاولة تطبيقها في ميدان الدراسة الخاصة. وهذا ربما ما يصدق على (الجرجاني) من خلال ذلك الفهم المتميز ، الذي قدمه لمفهوم النظم وعلاقته بالنحو ، والبلاغة والصورة الأدبية التي احتواها القرآن الكريم .على اعتبار أنه يتوفر على أعلى درجات الإعجاز في التأليف النصي ، و إن كان نصاً مقدساً.

1- ينظر للمزيد حول مؤلفات الجرجاني ومضامينها: البدراوي زهران،**عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، المفتن في العربية ونحوها**، ،مرجع سابق ،بداية من الصفحة 27.

وقف (الجرجاني) بعبقريته الفذة موقفاً وسطاً ، بين أن يكون محاكياً لما قبله، بحيث لا يضف شيئاً إلى السابقين ؛ وبين أن يكون مسرفاً بحيث يقطع الصلة بينه وبين المتقدمين ، وإنما تصرف تصرفاً خاصاً بين المحاكاة والابتكار.« وبهذا تحددت معالم النظم، واتضحت قسماته عنده دون غيره؛ لأن النظم قبله لم يكن مقصوداً عن عمد أو مدروساً بطريقة مباشرة، وإنما هو شيء عفوي نابع من ملاحظات العلماء، حين يؤخذون بجمال الشعر أو الإعجاز في القرآن».[1]

لقد استطاع (الجرجاني) من خلال فهمه المتميز للنظم، أن يكتشف منهجاً جديداً في دراسة اللغة ودراسة الأدب ونقده ، وقد رفض تصور النظم عنده ، عدداً من المفاهيم النقدية الخاطئة،التي كانت سائدة قبله. كما كان لنظرية النظم إضافة رئيسة في نقد الشعر بعامة ، ولها كذلك علاقة جوهرية ، ببيان سبب إعجاز القرآن الكريم. بل إن نظرية النظم عنده، كان مجالها النحو البلاغي، أو البلاغة النحوية؛ ومسائل النحو على هذا النمط، هي التي يبحثها علم المعاني ، منذ أن كشف (عبد القاهر) عنه النقاب، وتكاملت لديه نظرية النظم.

يقصد (عبد القاهر) بالنظم « صياغة الجمل ودلالتها على الصورة ، وهذهالصياغة هي محور الفضيلة والمزية في الكلام ».[2] و يقصد بالنظم ما يطلق عليه الغربيون :(علم التركيب)، و هو عندهم أهم أجزاء النحو، ويعرفه (عبد القاهر) بأنه وضع كلامك الوضع، الذي يقتضيه علم النحو. لقد « وسّع (عبد القاهر) دائرة النحو، فلا يقتصر على وجوه الإعراب وأنواع الجمل ؛ من اسمية وفعلية، ومن استعمال أدوات الربط المختلفة، ولكنه يشتمل ما يدرس الآن: علم المعاني من الفصل والوصل ، والتعريف و التنكير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والإظهار و الإضمار».[3]

1- عبد القادر حسين، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، مرجع سابق، ص. 279.

2- غنيمي هلال،**النقد الأدبي الحديث**،نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،(ط03)،1997م،ص.263.

3- عبد القادر حسين، السابق، ص.263.

إن النظم الذي يقصده (الجرجاني)، هو ترتيب المعاني في النفس أولاً ، ثمالنطق بالألفاظ على حذوها، فهو إذن لابد أن يحدث على مرحلتين: المرحلة النفسية ، ثم المرحلة اللغوية. و لابد أن تتقدم الأولى على الثانية ؛ لأن تحقق الثانية مرهون بتحقق الأولى، ولا يعني ذلك أنهما منفصلان، يقول :« و أعلم أن ما ترى أنه لابد منه ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، و لكنه يقع بسبب الأول ضرورة، من حيث إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس ، و حب للفظ الدال عليه كون مثله أولاً في النطق. فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ، و أن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أوأن تحتاج بعد ترتيب المعاني، إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها،فباطل من الظن..».[1]

وبعد أن يقدم (الجرجاني) الشواهد على دقة النظم، وأنه لا يتعلق بتقويم اللسان والتحرز من اللحن وزيغ الإعراب، يصرح قائلاً:« وإنما نحن في أمور تردك بالفكر لطيفة ودقائق توصل إليها بثاقب الفكر، إنها تحتاج إلى لطف نظر و فضل روية و قوة ذهن و شدة تيقظ».[2]

وكما أن النظم لا يظهر في الكلمة إلا بحسب موقعها في الجملة ، وبهذا الموقع تتأثر الصورة التي يهدف الأديب إلى رسمها « فكذلك الجملة لا يبين حسن نظمها إلا إذا ائتلفت بدورها مع جاراتها ، فيما تهدف إليه هذه الجمل من معنى، ليتألف من مجموع الجمل صورة أدبية قد أعمل فيها الفكر.وبدون هذا لا يكون الكلام جيداً في نظمه».[3] « فالألفاظ لا توضع متجاورة دون تعلق بعضها ببعض ، وإنما يرتبط بعضها ببعض بـــ(علاقات نحوية) لا يتم بدونها

1- الجرجاني ، **الدلائل** ،مصدر سابق ،ص. 52

2-نفسه ، ص 98.

3- الجرجاني ، السابق ، ص .264.

كلام ولا يفهم حديث (..)، كم أن لاختيار موقع الكلمة دوراً أساسياً ومزية وفضل كبيرين في نظرية النظم ، وهو الركن الثالث من أركان نظرية النظم وهو تخير الموقع، فتعلق الألفاظ بعضها ببعض لا يكفي حتى يُختار لكل لفظة موقعها المناسب، ولا تستطيع إزالتها عنه أو نقلها إلى موقع آخر ، دون أن تفسد النظم و تذهب بالمزية والقيمة البلاغية ».[1]

يصرح (الجرجاني) في مدخل كتابه (دلائل الإعجاز) ، أن ليس النظم إلا حكم من النحو نتوخاه و جزم أن ليس غيره و إن أنكر المنكرون فقال:

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه

لو نقب الأرض باغ غير ذاك له عنىً و صعّد يعلو فـي ترقيـه

ما عاد إلا بخسر في تطلبـه ولا رأى غيـر غي في تبغّيـه

إن المتأمل في القيمة الأدبية والفنية ، التي تقوم عليها نظرية النظم عند (الجرجاني) يصل إلى قناعة مفادها أن تلك القيمة ، لا يمكن أن تختل قيمتها على اعتبار أن طرقها السابقون قبل (الجرجاني)[2]؛ إذ التجديد ليس بالضرورة أن يكون استخلاص الموجود من العدم ، بل الأسمى من ذلك حينما يكون التجديد يمثل جانب التأليف بين أشياء استقرت ، لتستخرج منها شيئاًلم يستقر ولم يولد بعد، وهذا تماماً ما ينطبق على (عبد القاهر) من خلال تصوره لمفهوم النظم ، إذ لم يكن النظم قبله يرقى إلى مستوى النظرية ، ولم يكن محيطاً بألوان البلاغة كافة ولم يشمل جميع التعبيرات ، وإنما كان نتفاً متفرقاً هنا وهناك،لا يجمعهما رابط ولا ينظمهما سلك، ولم تكن عماداً يرتكز عليه في الأسلوب والتعبير.

لقد ترددت كلمة النظم على أقلام النحاة قبل (عبد القاهر) بمئات السنين، وذلك قبل أن يحيلها (عبد القاهر) إلى نظرية بلاغية كبرى تنسب إليه ، « إذ

1- شاكر جمعة ومهند شبيب،**قراءة في نظرية النظم**،(مقال)،مجلة جامعة الأنبار ،العراق ،ص.25.

2- يعترف (الجرجاني) بأنه مسبوق في الحديث عن النظم ، يقول:(و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم ،وتفخيم قدره و التنويه بذكره و إجماعهم على أن لا فضل مع عدمه).

استطاع أن يجعل من هذا المفهوم (النظم)، إطاراً عاماً تدور حوله البلاغة كلها بأبوابها وفصولها وأقسامها (..)، فالبلاغة أولاً وأخيراً عنده هي النظم ولا شيء سواه. و سواء أكان النظم حافلاً بالمجازات أو عارياً منها، فإن ذلك لا يكون سبباً في حسن الكلام أو قبحه؛ وإنما مرد الحسن والقبح إلى النظم وتركيب الكلام وائتلاف بعضه مع بعض ،أو على حد قوله: في توخي معني النحو ».[1]

هذه الحقيقة في غاية التحقيق والتقرير يؤكدها :أن هذا النضوج والاكتمال في النظرية ، يستحيل أن يصل إلى هذا المستوى الراقي هكذا من أوّل وهلة ، دون أن يسبق بمحاولات واجتهادات ممهدة ، وتقويمات وتصويبات متقدمة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن هذه الحقيقة يؤكدها (الجرجاني) نفسه، فهو يقر في غير ما موضع من كتابه (دلائل الإعجاز) على حقيقة كونه مسبوقا بغيره، وأنّه استفاد ممن سبقه حيث يقول في فصل القول في النظم وتفسيره ما نصه: « وقد علمت إِطباق العلماء على تعظيم شأن النظْم وتفخيم قدْره والتنويه بذكره، و إِجماعهم أنْ لا فضل مع عدمه و لا قدر لكلام ، إِذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ، وبتهم الحكمَ بأنه الذي لا تما م دونه ولا قوام إِلا به ، وأنه القُطب الذي عليه المدار و العمود الذي به الاستقلال».[2] وفي موضع آخر يقول: « وكذلك كانَ عندهم (يقصد النظم) نظيراً للنَّسجِ والتّأليفِ والصياغةِ والبناء والوشي والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجبُ اعتبارَ الأجزاءِ بعضِها معَ بعضٍ ، حتىّ يكونَ لوضعِ كل حيثُ وُضعَ علّة تَقْتضي كونَه هناك، وحتى لو وُضعَ في مكانٍ غيرِه لم يَصحّ».[3]

1- عبد القادر حسين ، المرجع السابق، ص .274.

2- الجرجاني ، **الدلائل** ، ص.79.

3- الجرجاني،**دلائل الإعجاز**،مصدر سابق،ص.80.

وقد نحا (الجرجاني) بهذا الفهم للنظم منحى خاصاً ،جعله في صلب الاهتمام بباب النحو ومراعاة أحكامه. وبهذا صار مرد كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو« و يبدو أنه قد استقى نظريته من منابع عديدة، تتصل باللغة والمنطق والنحو (..)، لقد كانت نظريته اللغوية في فكرة ارتباط اللفظ بالمعنى،لا تقف عند جرس الألفاظ وخفتها على اللسان ، بل ارتقت إلى حيث ائتلاف معانيها حتى تبلغ الجودة في الكلام المنظوم ».[1]

بل إن (الجرجاني) يذهب إلى اعتبار أن النظم ،يتحقق من خلال منظومة عمليات ثلاث: قصد المتكلم والأداء اللغوي لهذا القصد و تفسير المخاطب لهذا التلقي. « إن النظم يكمن في المعاني الناتجة عن العلاقات النحوية، وفي المعاني الإضافية التي يستخرجها المتلقي بجهد عقلي ونظر ثاقب وروية، إنه يكمن باختصار في تقابل المعنى الذي قصد إليه ، والمعنى الذي فسره أو في تسخير التشكيل اللغوي في كفاءة تفسيرية(لدى المخاطب) للوصول إلى الكفاءة الإبداعية (لدى المتكلم) . وهكذا لا يمكن الفصل في نظريته بين عمليات ثلاث:

- الأولى: غير لغوية (نفسية) قصد ←—— المتكلم.
- لثانية: لغوية ←—— الأداء اللغوي.
- الثالثة: ما وراء لغوية ←—— تفسير المخاطب».2

إن هذه النصوص تؤكّد استفادة (الجرجاني) ممّن سبقه، وهي حقيقة لا تحتاج إلى الاستدلال أصلاً ولا ينبغي أن يقف عندها الباحثون ، بأكثر من الإشارة العابرة أو الاستفادة الخاطفة؛لأنها حقيقة تعمّ العلم كلّه لا نظرية النظم فقط، فالعلم كلّه رحمٌ متواصلة، ومعرفة متراكمة، يستفيد الآخر من الأوّل ويأخذ منه ثمّ ينمي العلم ويزيد فيه « لقد استلهم (الجرجاني) أفكار النحاة قبله

1- نفسه، ص.381.

2- بحيري،**دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**،مكتبة الآداب،القاهرة، (د ط)،2005 م، ص. 210.

، و العلماء في دراستهم للنظم وتحديده بالشكل الجديد ، الذي أخرجه لنا محللا الكلام تحليلاً منطقياً وعقلياً ؛ لأنه شديد الاهتمام بالنحو إذ تلقى أفكار (عبد الجبار)، وكانت له خير ملهم في القول بنظريته اللغوية في النظم ».[1]

لم يكن مفهوم النحو (عند الجرجاني) فهماً يقوم على أجزاء من الكلام مبعثرة، لا يكاد يشد بعضها إلى بعض رابط معنوي ، « إذ لم يكن ينظر إلى الكلام مفرقاً بحيث يمكنك أن ترفع لفظاً وتضع آخر ، بل الكلام كله وحدة شاملة يساند بعضها ، فلو أزلت لفظاً عن مكانه لهوى البناء كله من القمة إلى القاعدة . وبهذه النظرية الشاملة العميقة المتنوعة ، استحـق (عبد القاهر) أن تنسب إليه نظرية النظم ».[2]

ويتضح الأمر بجلاء عنده حينما يُحكم بناء مفهوم النظم ، على أساس واضح من معاني النحو وأحكامه ؛[3] و أنه لا قيمة للنظم في الكشف عن روائع الصورة الأدبية في النص ، مال لم يكن لمعاني النحو وأحكامه الدور البارز والقيمة الكاملة في ذلك. يقول الجرجاني:« فليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه و فروقه، فيما بين الكلم وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم ، حتى لا تراد في جملة ولا تفصيل ، خرجت الكلم المنطوقبعضها في أثر بعض ، في البيت من الشعر والفصل من النثر،عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها، موجبو مقتضى».[4]

1- شوقي ضيف،**البلاغة- نظوم وتاريخ**،دار المعارف ،القاهرة ،(ط02)،(د ت)،ص.160-166.

2- نفسه، ص 384.

3- يرى بعض الدارسين أن مفهوم (معاني النحو) كما فهمها (الجرجاني) هي تلك العلاقات الروحية ، التي تقوم بين معاني الكلمات على اختلاف صورها وامتداد سياقاتها ،بدءً من ركني الجملة (المسند والمسند إليه)، وانتهاءً بسياق الفقرة والنص. وهذه العلاقات الروحية هي الوجوه التي يتصور بها المعنى والضروب التأليفية ، بين معاني الكلمات بكل ما تحمله كلمة (تأليف) من دلالة على التعالق .وهذه العلاقات ذات أنماط تركيبية لا تتناهى ،و يطلق عليها الوجوه و الفروق النحوية.

4- الجرجاني ،**دلائل الإعجاز**،مصدر سابق، ص.403-404.

لقد كانت لميزة توخي معاني النحو في إرساء مفهوم النظم عند (الجرجاني)، القيمة الفنية الكبرى التي عليها اعتمد ، لدرجة أنه لا يرد روعة الشعر و جمال التعبير إلى الكلمات ولا إلى أوضاع اللغة ، وإنما إلى توخي معاني النحو في معاني الكلمات ، بهذا وحده فقط يفضل الشاعر على غيره «ولو أن الشاعرلم يلاحظ تقديم ما ينبغي تقديمه و تأخير ما يجب تأخيره ، أو لو بدأ بما يثني عليه أو لو ثنى بما بدأ به ، لما استطاع أن يحصل على الصورة البديعة والصنعة الدقيقة في شعره. و أنظر إلى قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكر حبيب و منزل..

أ ترى هذا الترتيب بين الكلمات كان يمكن أن يكون من غير أن يتوخى في معانيها ما تعلم أنه توخاه من كون (نبك) جواباً للأمر و كون(من) معدية له إلى (ذكرى) وكون (ذكرى) مضافة إلى(حبيب) وكون(منزل) معطوفاً على(حبيب)؟ وأنظر كذلك إلى بيت (بشار بن برد) :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

و سبب اتحاد المعاني فيه ، فإنك لن تجد سبباً لهذا الاتحاد سوى أنه جعل (مثار النقع) اسم كان ، و جعل الظرف الذي هو(فوق رؤوسنا) معمولاً لمثار، ومعلقاً به وأشرك (الأسياف)(كأن) بعطفه لها على مثار، ثم بأن قال (ليل تهاوى كواكبه) فأتي بالليل نكرة و جعل(تهاوى كواكبه) صفة له، ثم جعل مجموع (ليـــل تهاوىكواكبه) خبر لـ(كأن). فأنظر هل ترى شيئاً ، كان الاتحاد به غير ما عددناه».[1]

وقد كان (الجرجاني) حريصاً على الاستزادة من النماذج ، التي تقوي فكرة النظم من منظور المعاني النحوية في قولنا مثلاً:(زيد منطلق) وتفرعاتها الثمانية(على نحو: المنطلق زيد ، و زيد هو المنطلق والمنطلق هو زيد..) ، قد يبدو أن لا فارق في الدلالة فيما بينها ، لكن (الجرجاني) يحدد لكل نمط تركيبي

1- السابق، ص.411.

طبيعة المعنى، الذي يدل عليه وهو تماماً ما يمثل قيمة ذلك الفارق الدلالي بين كل تركيب وآخر ،« إذ لكل نمط تركيبي خصوصية في الدلالة ، على معنى زائد على ما هو قائم في جميع هذه الأنماط التركيبية.هذا المعنى الزائد المتنوع بتنوع النمط التركيبي ، مناط المفاضلة أما المعنى الأول الذي هوإثبات وقوع الفعل، هو (الانطلاق) من شخص متعين هو (زيد) ، فذلك لا تفاضل فيه بين أحد لأنه ثمرة نمط تركيبي موروث ».[1]

ثم إن « بلاغة الكلام في العبارة السابقة (زيد منطلق ووجوهها)، ليست في إسناد الانطلاق إلى (زيد) في سياق الإثبات على أي نحو من الأنحاء ، بل بلاغته في أن يتوخى الوجه التركيبي المتاح ، لنمط ذلك الإسناد وفق ما يرمي إليه و ما يقتضيه المقام الذي يبين فيه ».[2]

و نتيجةً لطبيعة الفهم المتميز الذي قدمه (الجرجاني)، لمفهوم النظم من خلال معاني النحو[3] نكتشف حديث (الجرجاني) المبكر عن أطر العلاقات التي تتعدى حيز الجملة الواحدة داخل النص ، إلى حدود الجملتين أو الجمل المتعددة على اعتبار أن النص ضمن مستوياته الدلالية والنحوية والصرفية والمعجمية ، ما هو إلا مجموعة متناهية من الجمل طالت أم قصرت فهو « لا يقصر الوجوه والفروق على وجوه إثبات المعنى لشيء في دائرة الجملة ، بل يمتد بها إلى علائق الجمل وما يكون بينها من وصل وفصل ، وهو يبدأ بعلاقات الجمل

1- محمود سعد ، **نظرية النظم عند الجرجاني**، مرجع سابق ، ص.71.

2- السابق ، ص.73.

3-يقول أحد الدارسين عن علم النحو وعلاقته بالنظم كما فهمه (الجرجاني): يمثل علم النحو ،القواعد اللغوية للعبير الصحيح، ولكن التعبير اللغوي الصحيح لا يكفي لأن يكون التعبير صحيحاً أو جيداً ؛ فالنحو ليس إلا شرطاً للتعبير الجيد أو التعبير الصحيح عن غرض المتكلم، وهذا الأخير أي التعبير الجيد لا يتأتى إلا من خلال إجادة ترتيب (نظم) الألفاظ. فالاستخدام الصحيح للغة ،هو استخدام الألفاظ بحسب معانيها التي تعارف عليها واضعو اللغة ،و بحسب قواعد النحو الخاصة باللغة ،أما التعبير الصحيح فينتج من أسلوب نظم الألفاظ .

النحوية ليمتد إلى ما هو حاو عشرات الجمل النحوية ، مما يعرف بالفقر والمعاقد والفصول من نحو ما يعرف عند البلاغيين بعطف القصة على القصة». [1]

نحن إذن أمام تصور بلاغي يضع الأطر الأساسية ، التي يقوم عليه مفهوم النظم ضمن دائرة لغوية أوسع و أشمل ، مما كان يعتقده من سبقوا (الجرجاني) حديثاً عن النظم. لقد صار لـــ(النظم الجرجاني) علائق روحية ، تمتد إلى جنبات النص المتباعدة الأطراف « فلم يعد النظم عنده في حدود دائرة (زيد منطلق) و(المنطلق زيد) و(زيد هو المنطلق) (..)، إنما النظم في بناء الجملة الواحدة إلى نظم الجمل في بناء الفقرة، ذلك النظم الذي يكون فيه الجملة بمنزلة الكلمة. ذلك هو مناط الحكم على مثل كلام (الجاحظ)، بأنه نظم (نازل المنزلة) و تلك ميزة من الإمام فريدة دالة دلالة باهرة ،على أن النظم حين يكون في نطاق الجملة ، ينظر فيه إلى العلائق الروحية بين عناصر الجملة (الكلمات)، وحين يكون في نطاق الفقرة ينظر فيه إلى العلائق بين الجمل،لا العلائق بين المفردات في الجملة». [2]

لقد سعى (الجرجاني) – من خلال تقديمه للنظم –، إلى أن يجعل من الكلام مهما امتدت أجزاؤه ، كأنه (لفظة واحدة). و بهذا يكون المتكلم مثله كمثل «من يأخذ قطعاً من الذهب أوالفضة ، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة». [3]

وقد كان تصور (الجرجاني) للبلاغة من خلال فهمه للنظم ، وعلاقة ذلك بوضوح المعنى ينبع من قناعته أن البلاغة تقود إلى المعنى ، وأن الكلام يعد بليغاً إذا كان الكلام فيه تابعاً لمعناه . وليس معنى ذلك أن (عبد القاهر الجرجاني) لم يكن يُعنَ بالصياغة ولا يأبه بها ؛ بل إنه يعنى بها عناية كبرى

1- محمود سعد، السابق، ص.74.

2- السابق، ص. 79.

3- الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ،مصدر سابق، ص. 412.

ويفضل صياغة على أخرى، حتى تصل إلى درجة الإعجاز ، و ذلك إذا تبعث الصياغة المعنى « فمضمون الكلمة عنده ، يقل أو يكثر بحسب علاقاتها بالموكب المتحرك، الذي تسير فيه الكلمة مع ما تقدمها وما تلاها من ألفاظ ، وهذا المنهج الذي يفسر القيمة في الأدب بما يكون في اللغة من علاقات ، هو المنهج اللغوي في دراسة الأدب ونقده، تلتقي فيه فلسفة اللغة بفلسفة الفن».[1]

وحينما يحاول (الجرجاني) أن يضع الحد الفاصل بين البلاغة والفصاحة ومكانهما في الأدب ، لا يرجعهما إلى اللفظ ، وإنما يردهما إلى النظم وكيفيات الصياغة وصورها وخصائصها« فالبلاغة ليست إذن بعائدة إلى الألفاظ المفردة، لأنها لا يقع بينها تفاضل إلا إذا اندرجت في سلك التعبير ، وانضم بعضها إلى بعض وأخذت مكانها الطبيعي ، الذي تقتضيه الصورة وانسجمت مع ما قبلها، وما بعدها لأداء معنىً يريده الأديب ».[2]

ومهما يكن من أمر فــ(عبد القاهر) هو صاحب نظرية النظم، و إن سبقه المتقدمون إلى الإشادة بها في إعجاز القرآن . و قد بنى عليها تصوره البلاغي كله، و نظر إلى إعجاز كتاب الله و اللفظ و المعنى والتصوير الأدبي، من خلالها جمع بين النظام والبناء ، والتركيب والصياغة والتصوير والجمل ، في فكرة واحدة هي النظم ».[3]

وبهذا المفهوم يكون علم النظم « موضوعاً عاماً، غير مرتبط بالاعتبار الديني لجماعة إنسانية معينة، أو حتى بتطبيقات لغة محددة . كما أن النظم بهذا المعنى هو جزء من علم اللغة، و علم اللغة هو علم إنساني و لذا فإن النظم هو علم من العلوم الإنسانية بالمعنى العام (..)؛ علم النظم عند الشيخ (الجرجاني)

1- عبد القادر حسين، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، مرجع سابق، ص.391.

2-الضامن، **نظرية النظم تاريخ تطور**، مرجع سابق، ص.30.

3- عبد العظيم إبراهيم، **خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص. 87.

علماً منتمياً للعلوم الإنسانية بالمعنى العام ، ولا يكون المنهج العقلي الملائم لتناوله سوى منهج العلوم الإنسانية».[1]

ثالثاً: الفكر الجرجاني، وثنائية اللفظ والتركيب

النص عبارة عن نظام من العلامات، التي تمتد بينها علاقات مختلفة وكلماغيرنا موقعها داخل النسق اللغوي، تغيرت دلالتها. و قد قدم (الجرجاني) هذه الملاحظات، التي سبق بها الكشوفات اللسانية والسيميائية بقرون عديدة، إذ يقول:« و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب».[2]

لقد كان (الجرجاني) دائماً يردد أن حسن الألفاظ ، هو أن توضع الألفاظ في مواضعها وتجعل في أماكنها ، وسوء التأليف بخلاف ذلك. ورأى أن للنظم أوصافاً أربعة :

- أن تكون الألفاظ واضحة بينة ليست بغريبة الاستعمال.
- أن تكون الألفاظ حلوة في الفم سهلة على النطق غير مستثقلة ولا مستكره.
- أن تكون كل لفظة من الألفاظ ، ملائمة لأختها التي تليها غير نافرة عنها ولا مباينة لها .
- أن لا يكون في الألفاظ تقديم أو تأخير ، يستغلق به المعنى فيجيء النظم مضطرباً.[3]

و(الجرجاني) يعطي المزية للفظة داخل مجموع الألفاظ ، بما هو قبلها وماتلاها « فاللفظة توجب لها الفصاحة ، حينما تكون موصولة بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى غيرها ، فإذا قلنا في لفظة (اشتعل)من قوله تعالى:﴿ اشتعل الرأس شيباً﴾ أنها في أعلى رتبة من الفصاحة ، لم توجب تلك الفصاحة لها

1- نفسه ، ص. 185.

2- الجرجاني ،**أسرار البلاغة**، دار المنار،بيروت ،لبنان،(ط 02)،1941 م، ص.02.

3- ينظر:السابق، ص.91

وحدها، ولكن موصولاً بها (الرأس) معرفاً بالألف واللام ، ومقروناً إليهما (الشيب) منكراً منصوباً». [1] لقد « رفض (الجرجاني) أن يكون للألفاظ المفردة ، التي هي أوضاع اللغة من حيث أصواتها أو معانيها مدخل في الإعجاز ، لأن ذلك يفضي إلى أن تكون الألفاظ ، معجزة بأصل الوضع اللغوي فيبطل إعجاز القرآن». [2]

وعلى أساس اختيار اللفظ ، يكون خواص الألفاظ من خواص التراكيب «ومن ثمة يكون اختيار التركيب ،لأن التركيب له مغزاه و مدلوله وخواصه ، التي يفقدها إذا تغير التركيب. فالعلم بمواضع هذه الألفاظ علم بمواضع معانيها في نفس المتكلم، ومن ثمة لابد أن نلتمس هذه المزية والفضل ، داخل التركيب على النحو الذي أريد له أن يكون». [3]

لقد جاء حكم (الجرجاني) على اللفظة الفصيحة ، مرتبطاً بما ضُمَ إليها غيرها من الألفاظ. فلا فصاحة للألفاظ المفردة ، مثل ما كان يعتقد الكثير من النقاد والبلاغيين قبله ومنهم (ابن سنان الخفاجي)؛ لأن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه ، لا من أجل جرسه وصداه . وهو لا يوجب له تلك الصفة مقطوعاً من الكلام ، الذي هو فيه ولكن يوجبها له موصولاً ومعلقاً بمعنى ما يليه من الألفاظ ، « فالقارئ إذا قرأ قوله تعالى :﴿ و اشتعل الرأس شيباً ﴾ ، فإنه لا يجد الفصاحة التي تجدها إلا من بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره، فلو كانت الفصاحة صفة للفظ (اشتعل) ، لكان ينبغي أن يحسها القارئ فيه حال نطقه به. محال أن تكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة ، إلا من بعد عدمه ومن ذا رأى صفة يعرى موصوفها عنها ، في حال وجوده

1- الجرجاني ،**دلائلالإعجاز**، مصدر سابق ،ص.402-403.

2- أحمد عبد الوهاب، **إعجاز النظام القرآني**، مكتبة غريب، القاهرة، (ط01)، 1980م، ص.41.

3- السابق، ص.42.

حتى إذا عدم صارت موجودة فيه ، وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه، بصفة شرط حصولها لموصوفها أن يعدم الموصوف».[1]

ويقرر (الجرجاني) أن «علم النظم ، هو العلم بالكيفية والقواعد التي تحكم تعلق الكلم بعضها ببعض ، والتي تحكم أسباب هذه العلاقات تجعل النظم نظماً صحيحاً أو جيداً ، ويتضمن ذلك أن تقدير جودة النظم من عدمه لا يرتبط بالشعور الذاتي أو الإحساس ، وإنما بأسباب محددة خاصة بعلاقات الكلم ؛ أي بأسباب ورود كلمة معينة في مكان معين، وليس في مكان آخر في النص ».[2]

رابعاً:الجرجاني، و فكرة التعالق النحوي[3]

الحديث عن علاقة (الفكر الجرجاني البلاغي) بعلم النحو حديث ذو شجون، و الخوض فيه يعطي دلالة قاطعة على رحابة الفكر البلاغي النحوي، الـــذي صار يتمتع به بعد أن طرق أبوابه (عبد القاهر الجرجاني) بكيفية ممتعة. وطبيعي أن يكون بين الباحثين« اتفاق حول كفاءة (الجرجاني)، غير المسبوقة في تسخير القواعد النحوية الدلالية الجزئية ، أو المبادئ المشكلة لدعائم نظرية النظم متجاوزاً الإطار التفسيري المحدد لها ، بإتاحة مساحة أكبر للقاعدة الدلالية غير المقيدة، إلى جوار القواعد النحوية الإجبارية».[4]

بيد أن بين النحاة إجماع ،على أن وضع المفردات الطبيعي في بنية اللغة، ينبغي أن تأخذشكل التركيب حتى تكتمل صورة هذا البناء؛ و« قد عقد

1- الجرجاني ، **دلائل الإعجاز**، مصدر سابق ،ص. 415.

2- سمير أبو زيد، **منهج التجديد الديني عند الجرجاني**،(مقال)،مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، ص.185.

3- إن كلمة (نحو) تعني ميدانين مختلفين من الدراسة ؛الميدان الأول: هو المعني التقليدي لكلمة (نحو)،أي مجموع القواعد والإجراءات التي توظف لبناء الخطاب ،حتى نضمن سلامته على مستوى البناء وعلى مستوى التعبير .وهذا الميدان ارتبط تقليداً بالبلاغة والنحو . ويوضح الكيفيات والصيغ التي نقول أو نكتب بها خطاباً لغوياً معيناً. وهذا النوع من الدراسة خاص لكل اللغة. أما الميدان الثاني: فهو الذي يتبناه النقد المعاصر ، وهو الدراسة الشكلية لبنية النص، و كثيراً ما يترجم هذا المفهوم بمصطلح (الأجرومية).

4- بحيري،**دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة** مرجع سابق،،ص.174

(الجرجاني) كلاماً بيَّن فيه، أن غرض الواضع من وضع الألفاظ ليس معرفة معانيها منفردة ، إنما هو استعمالها مركبة بعضها إلى بعض، واستدل على ذلك بالمقارنة بين المواضعة والإشارة ، مشبهاً الأولى بالثانية ومعتبراً أن الوجه الجامع بينهما هو تقدم العلم ».[1]

وإذا نحن سلمنا بضرورة فهم النظم،انطلاقاً من ضرورة فهم قواعد النحو والالتزام بمعاييره وضوابطه ، « فإن ذلك يعني من زاوية أخرى ضبط العلاقات بين الكلمات وما كان يطلق عليه (الجرجاني)(التعليق)[2]. لقد أكثر النحاة الكلام عن العامل باعتباره تفسيراً للعلاقات النحوية، أو بعابرة أخرى باعتباره مناط التعليق ، وجعلوه تفسيراً لاختلاف العلامات الإعرابية،و بنوا على القول به فكرتي التقدير والمحل الإعرابي».[3]

كما أن (الجرجاني) لم ينظر إلى النظم باعتباره آلية من طقية شكلية بحتة،ولكنه نظر إليه في إطار تعالقه مع النحو ؛ يقول :« فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إذا كان صواباً وخطؤه إن كان خطأً ، إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب موضعه و وضع في حقه أوعومل، بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه».[4]

إن خصوصية منهج (الجرجاني) تكمن في تقديم تفسير لغوي ، موضعي فيأغلب المواضع لوجه النظم أوبعبارة أخرى ، في المواءمة بين الاستقامة النحوية والصحة الدلالية، و« ذلك من خلال كشف فاعلية النحو، في توضيح النص وتفسيره واستخراج طاقاته، من جهة وضرورة إتاحة قدر أكبر للمبادئ

1- محمد الشاوش،**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص**، جامعة منوبة، كلية الآداب ، منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع،تونس،(ج01)،(م 14)،(ط01)،1994م،ص.198.

2- ينظر:حماسة عبد اللطيف، **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر العربي، القاهرة،(د ط)، (د ت)، ص.220.

3- تمام حسان، **العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة**، مرجع سابق، ص.185.

4 - الجرجاني ،**دلائل الإعجاز** ،مصدر سابق،ص67.

الدلالية، في تفسير العدول عن وجه إلى وجه آخر ،لا يخرج عن القواعد النحوية الضابطة للنظام اللغوي».[1]

لقد كان مفهوم النحو عند (الجرجاني) فهماً واسعاً عميقاً، وقد رسم بحوثه في دلائل الإعجاز طريقاً جديداً للبحث النحوي ؛ قال(إبراهيم مصطفى):« لقد آن لمذهب (عبد القاهر) أن يحيا وأن يكون هو سبيل البحث النحوي ؛ فإن من العقول ما أفاق لحظة من التفكير والتحرر ، وأن الحس اللغوي أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب ويزنها بقدرتها على رسم المعاني والتأثير بها ، بعد ما عاف الصناعات اللفظية وسئم زخارفها».[2]

لقد كان منه ج(الجرجاني) في فهم دور النحو، يختلف تماماً عن منهج علماء النحو قبله ، « حيث أعطى للتراكيب النحوية معطيات جديدة ، و ولد منها حياة جيدة وأضاف إليها من الدلالات وأصباغاً من المعاني ، أعادت إلى النحو الحياة ولمسائله البقاء كما استخدمه في تحليل النصوص ، وجعله المعيار السليم لإظهار وجوه المعاني في الكلام وطرائق البيان في التركيب. ونظرة في أي فصل من فصول كتابه ، تعطينا صورة مشرقة لفكره واتجاهه الفريد».[3]

و ليس بغريب عن (الجرجاني) و هو يصر على بيان الفكرة التي يدعو إليها، مخاطباً القارئ من أجل أن يبين له بأن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات يقول (عبد القاهر) :« من البين الجليأن التباين في هذه الفضيلة ، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ليس مجرد اللفظ ؛ كيف والألفاظ لا تفيد شيئاً حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل

1- تمام حسان، **العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة،** السابق ، ص.177.

2- إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، ص.16.نقلاً عن:**خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص.64.

3- عبد الفتاح لاشين ،**التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر** ،دار المريخ،الرياض،السعودية،(د ط)،(د ت)،ص75.

نثر، فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتفق (..)، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصه أفاد كما أفاد بنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن يقول في :

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل..

منزل قفا ذكرى من نبك حبيب..

أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان ، نعم أسقطت نسبتـــه من قائله وقطعت الرحم بينه وبين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائله ونسب يختص بمتكلم».[1]

و(عبد القاهر) يرى أن الفروق بين التراكيب والاختلاف بين الأساليب ، ليس فرقاً في الحركات وما يطرأ على الكلمات من تغييرات ، وإنما الفوق في معاني العبارات و ما يحدثه هذا الوضع وذلك النظم، فليس بقصد معرفة قواعد النحو وحدها، لكن فيما تحدثه هذه القواعد وما تستتبعه من معنى ، وما يتولد عن النظم من مدلول .

وقد خاض (الجرجاني) في مسألة النظم وعلم النحو قد جافاه العلماء، فلم يعد بالعلم الذي يراد طلابه. و في أحسن الأحوال أضحى قواعد مقننة جافة ،لا تتعدى مجال الجملة الواحدة ؛ فنظمت له الأراجيز الطوال تسهيلاً لحفظ المقننات منه، من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمسكونات ، فكان بذلك باباً من العلم قد أحكم غلقه فتعسر بذاك فتحه. يقول (محمد عبد المطلب) :« و إذا كنا قد وضحنا اعتماد (الجرجاني) على ركائز نحوية وبلاغية ، فإن ذلك لا ينفي أن نظرية الرجل كانت نحوية في جملتها ، ذلك أنه حول البنى البلاغية إلى بنى نحوية ، عن طريق رصد العلاقات التي تربط المعاني الثواني، يتم من خلال تكوينات نحوية قد تحافظ على استقامتها وقد تنحرف

1- نفسه، ص76.

عنها، لكنها في هذا أو ذاك تعمل على دفع الدلالة ، من منطقة الذهن إلى الواقع الخارجي».[1]

وليست معاني النحو معاني الألفاظ يتصور أن يكون لها تفسير ، فالنظم والتأليف «عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلملا في ألفاظها ، وهوبما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة ، فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنهضروب من النقش والوشي».[2]

وهاهو (الجرجاني) يتحدث بنفسه عن ذلك قائلاً : « وأما النحو فظننته ضرباً من التكلف، وباباً من التعسف وشيئاً لا يستند إلى أصل ، و لا يُعتمد فيه على عقل، وأن مما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك، تجده في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعاً ، و لا تحصل منه على فائدة ».[3] فأي صورة قاتمة تلك التي رسمها (الجرجاني) عن علم النحو في زمانه.. ؟ ! .

و تعقيباً على تصور (الجرجاني) لعلم النحو، يقول (إبراهيم سلامة):«وجب أن تفهم عنه أنه لا يقصد الإعراب ولا اللغة، وإنما يقصد النحو الجمالي إن صح هذا التعبير ، وهذا النحو لا يهدف إلى موضع الفاعلية أو المفعولية مثلاً، إنما يهدف إلى موجبها. و بعيد عن ذهن (عبد القاهر) أن يبدد كل جمال في سبيل هذا النظم، المبني على مقتضيات علم النحو كالجمال اللغوية والجمال المعنوي والجمال التصويري، المبني على الاستعارة والتشبيه، إنما يريد منك مع إقراره بهذا الجمال الراجع إلى عدة نواح في البلاغة ، أن تراعي معه النظم و أن تجعل الفضيلة له في النهاية ؛ لأن مزية النظم تفوق كل المزايا الجمالية».[4]

1- محمد عبد المطلب ،**قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني** ،مكتبة الخانجي،القاهرة،(دط)،1990م،ص.10.

2- الجرجاني، **الدلائل** ، مصدر سابق ،ص. 275.

3- السابق، ص.08.

4- إبراهيم سلامة،**بلاغة أرسطو بين العرب واليونان**،مكتبة الأنجلو،القاهرة،(ط02)،1985م،ص.362.

لقد سيطرت فكرة النظم على (الجرجاني)، وجعلته يلح البلاغة وه يبتها ويدفع إلى أن ينفي كل منزلة للكلام ، ما لم يكن له علاقة بالنظم بل قال« إن النظم هو الأساس وأن معاني النحو هي المنطلق، ذلك لأنا قد علمنا علم ضرورة إنا لو بقينا الدهر الأطول ، نصعد ونصوب ونبحث وننقب نبتغي كله(..)، غير أن نتوخى فيما بينها معاني النحو، طلبنا ممتنعاً وثنينا مطايا الفكر ضلعاً» .[1]

لقد ظل (الجرجاني) يتحرى الأسس العلمية في علم النحو ، على اعتبار أنه جعله أساساً لنظرية النظم ، إلى أن اكتشف أن لهذا العلم أهميته الكبرى ، ومفهوماً بعيداً تماماً عن ذلك الذي فهمه سابقوه أوحتى معاصروه . يقول (الجرجاني):«إذ قد كان علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها ، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، و أن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها،وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام و رجحانه ، حتى يُعرض عليه و القياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه ،لا ينكر ذلك إلّا من ينكر حسه ، وإلّا من غالط في الحقائق نفسَه ، وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ، ما عُذرُ من تهاون به و زهد فيه ولم ير أن يستقيه من مصبّه و يأخذه من معدنه ، ورضي لنفسه بالنقص و الكمال لها مُعرضٌ وآثرَ الغبينة، و هو يجد إلى الربح سبيلاً».[2]

و لكن أي نظم كان يقصده (الجرجاني) حينما يربطه بتوخي معاني النحـو؛ هل هو ذلك النظم التقعيدي الذي لا يتحرى في النحو إلا قواعده الجافة، المبنية على نظريات نحوية تعلل لأجزاء الكلام سبب الرفع أو النصب أوالجر، أو البحث في العامل؟ أم هو نحو بمفهومه الذي لم يعهده سابقوه من العلماء؟، « لم يكن النظم الذي يقصده (الجرجاني) ما ارتبط منه بالنحو ، من

1- نفسه، ص.322.

2- الجرجاني، السابق،ص.28.

موقع الخضوع لتلك القواعد الجافة الشكلية من الرفع والنصب والجر والسكون والتقديم والتأخير، وإنما يقصد إلى النحو البلاغي أو البلاغة النحوية . و بذلك يكون أول عالم يُخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه ، و أصبح بذلك النظم الذي يرتبط بالنحو أو النحو الذي يعود إليه النظم مباحث في الأسرار البلاغية. و النكات الفنية التي تدق في جاذبيتها وتحلق في تصويرها ، حتى تصل إلى أرفع مراقي البيان ، وذلك هوالإعجاز الذي أذاب فيه الرجل عصارة أيامه ولياليه».[1]

ويعتقد (مندور) أن نقطة البدء، في معرفة منهج (الجرجاني) في آخر(دلائل الإعجاز) حيث يقرر ما قرره علماء اليوم، من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل هي مجموعة من العلاقات وعلى هذا الأساس، بنى (عبد القاهر) تفكيره اللغوي. يقول (الجرجاني): « معلوم أن ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض».[2]

لقد ترك (الجرجاني)« القسم الأول النحو الخاص بالحركات والسكنات ، وأرجع البلاغة إلى القسم الثاني ، الذي وضع الحروف في مواضعهاالتي تقتضيها، وتوخي الصواب في تأليف الكلام».[3]

كانت إذن نظرية النظم عنده « دعوة صارخة إلى دراسة النحو على منهاج جديد ، يقوم على الحس و الذوق وحسن التخيير، بدلاً من المنهاج التقليدي الذي يوجه العناية إلى الإعراب وبيان الأوجه الممكنة من الناحية الإعرابية، التي قد تكون على خلاف المعنى المقصود ». [4] لقد كان النحو عند (الجرجاني) « ميزان الكلام ومعياره، ولا يستقيم المعنى في الكلام ولا تحصل

1- سلامة، **بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان**، مرجع سابق، ص.09.

2- السابق، ص.77.

3- **قضايا بلاغية في ضوء الآيات القرآنية** ،ص.09.نقلاً عن علام :**دراسات في البلاغة العربية** ، منشورات جامعة قار يونس، بن غازي، (ط01)، 1997م، ص.09 .

4- درويش الجندي ،**نظرية الجرجاني في النظم** ،مرجع سابق،ص.122.

منافعه التي هي الدلالات على المقاصد، إلا بمراعاة أحكام النحو من الإعراب، والترتيب الخاص على الوجه الخاص».[1]

لقد كان منهاج (الجرجاني) مختلفاً تمام الاختلاف عن منهج النحاة ، في فهم وتفسير الأساليب النحوية و البلاغية ، لقد « تمكن من أن يعطي لموضوعات النحو البلاغية، حياةً فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة النحو ، أو نظروا إليه نظرةً ضيقة ، تنحصر في الإعراب والبناء (..)، لقد كان النحو عنده عمدة البيان الذي يحلل النصوص، ويوازن بينها و يفضل بعضها على بعض ».[2]

لقد كان منهجه هو منهج النحو الذي يتعدى حدود الحكم، على صحة الكلام بالقول تارة هذا صحيح، و تارة هذا فاسد « بل يمتد إلى البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات، وإلى إجتلاء معانيها وكشف غامضها . وبذلك اتسع أفق النحو وغنيت مادته ودخل في كل ما يراع ى في النظم، من تقديم وتأخير وما إليه من أسباب الجودة و عدمها ، مما استقر عليه العرف في ما يجعلها من علم المعاني ، و من ثم فإن الأساس عنده هو النحو ، على أن يشمل النحو علم المعاني وأن تجاوز القواعد النحوية إلى الجودة الفنية».[3]

لقد كان المنهج الذي اتخذه (الجرجاني)، في دراستـــه للنظم خاصة والبلاغةعامة، هو المنهج اللغوي القائم على الاستفادة من النحو في التحليل ، وقد قال (محمد مندور) عن ذاك:« إنه يستند إلى نظرية في اللغة ، أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر ،إنها تتماشى مع ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء . ونقطة البدء تجدها في آخر(دلائل الإعجاز)، حيث يقرر المؤلف ما قرره علماء اليوم ، من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ ، بل مجموعة من العلاقات (Système Des Rapports). و على هذا الأساس

1- الجرجاني ، **أسرار البلاغة** ،مصدر سابق،ص.62.

2- عبد العظيم إبراهيم،**خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص.60.

3- عبد القار حسين،**أثر النحاة في البحث البلاغي**، مرجع سابق، ص.384.

العام بنى (عبد القاهر الجرجاني) كل تفكيره اللغوي (..). مذهب (عبد القاهر) هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه؛ هو مذهب العالم السويسري الثبت (فرديناند دي سوسير) الذي توفي سنة 1913 م».[1]

ونزعم أن كتابه (دلائل الإعجاز) بأكمله، ليس إلا محاولة من أجل تقديم تصور لفكرة جديدة ، حول دور النحو في تحقيق أعلى درجات تجلي الصورة الأدبية فيه، من خلال إذابته في حقول البلاغة بمفهوم هو أبعد ما يكون عن التصور، الذي قدمه العلماء الذين سبقوه- علماء النحو وعلماء البلاغة - مع أن بعض الدارسين حاول ربط ما توصل إليه (عبد القاهر الجرجاني)، من خلال نظرية النظم بـ (أرسطو). يقول (سلامة) :« هذا العلم الجديد الذي وضعه (عبد القاهر) بلاغي لا نحوي، وإن كان أصله نحوياً فلأن شرط البلاغة صحة التركيبالتي تترتب عليها صحة المعنى ، وهنا يتلاقى النحاة مع المناطقة ويتلاقى (عبد القاهر) مع (أرسطو)، الذي دون للنحو وهو يكتب في بلاغةالخطابة وبلاغة الشعر».[2]

ودعماً لهذا التصور، يقدم (الجرجاني) فهمه للنظم بقوله: « واعلم أن ليس النظم (أي صناعة النص) ، إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها . وذلك أن لا نعلم شيــــئاً يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه ».[3]

يظهر جلياً أن (الجرجاني) يرى أن النص ، لا يتكون إلا بحسب (قوانين النحو ومناهجه) ، و هو هنا يدرك تماماً أن علم النحو ليس نحو الجملة فقط ،

1-محمد مندور، **النقد المنهجي عند العرب** ،دار نهضة مصر،القاهرة، (د ط)،1996م،ص.334، نقلاً عن: عبد العظيم إبراهيم، **خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص.84.

2- إبراهيم سلامة، **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان**، ص.365.نقلاً عن:عبد العظيم إبراهيم، **خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص.86.

3- الجرجاني ، **الدلائل** ، مصدر سابق ، ص.70.

إذ يرى أن نحو الجملة جزء يسير من علم النحو، و يؤكد هذا الفهم ما أكمل به (الجرجاني) كلمته :« فينظر في الخبر (..) وفي الشرط و الجزاء والحال(..)، فيعرف لكل ذلك مواضعه، و يحي به حيث ينبغي له ».[1] فهذا هو الجزء من علم النحو الذي يمكن تسميته بـ(نحو الجملة) ضمن مفهوم (الجرجاني)، ولكنه يرى أن في علم النحو أجزاء أُخَر ، و ذلك في قوله:« و ينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاًمن ذلك في خاص معناه».[2]

ثم يقول (الجرجاني) :« وينظر في الجمل التي تسرد ، فيعرف مواضع الفصل فيها من مواضع الوصل ».[3] و هذا الجزء أساسي في نحو النص؛ لأنه المميز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النص ، إذ فيه يتجلى ربط المتتاليات الجملية التي تشكل النص الكلي، ومن خلالها نوضح تماسكها. وثمة جزء رابع من أجزاء علم النحو وذلك في قوله :« و ينظر في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيضع كلاً من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له».[4]و بهذا كله تتمايز النصوص بعضها من بعض.

و(الجرجاني) لا يتوانى فـي الرد على أولئك الذين استصغـروا أمر التقديم والتأخير، متعجباً منهم هذا الموقف ، فشنّع عليهم ثم قال:« و كذلك صنعوا في سائر الأبواب، فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار و الإظهار و الإضمار، والفصل والوصل ولا نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرك فيما غيره أهم لك (..). وليت شعري إن كانت هذه أمور هينة ، وكان المدى فيها قريباً و الجدى يسيراً ، من أين كان نظم أشرف من نظم ؟ و بِمَ عظم

1- نفسه ، ص.70.

2- نفسه، ص.71.

3- نفسه ، ص.71.

4- نفسه، ص.78.

التفاوت واشتد التباين وترقى الأمر إلى الإعجاز ؟ و إلى أن يقهر أعناق الجبابرة؟».[1]

لقد تمكن (الجرجاني) من أن « يدرك بغيته في التوفيق ، بين الشكل المادي للصياغة والجانب العقلي للمعنى، عن طريق الاستعانة بالنحو التقليدي، مع تحويله إلى إمكانات إبداعية بالنظر في الصورة النحوية الظاهرة ، ومسبباتها الوظيفية. فالفاعل ليس فاعلاً لأنه مرفوع يقع بعد فعل ، بل لأنه قام بالفعل والمفعول لوقوع الفعلعليه ، و هكذا لم يكن اهتمامه بالناحية الوصفية إلا وسيلة لإدراك الجانب العقلي في الصياغة».[2]

رابعاً:الجرجاني وتبني فكرة النظم، معجزة القرآن

تفرقت علوم البلاغة الثلاثة:المعاني والبيان والبديع ، في كتب النقد والأدب والإعجاز القرآني من فترة مبكرة منذ كتب (الجاحظ) و(أبي عبيدة) و(قدامه).. وغيرهم. ولكن البحث الناضج العميق في مسائل هذا الفرع، تم على يد (عبد القاهر الجرجاني) في كتابه (دلائل الإعجاز)، مستنداً إلى نظرة فلسفية تضم شتات مسائله ومدفوعاً في البداية لهدف ديني.

وقد سبق القول إلى أن (الجرجاني) لم يكن أول من اهتم بالنظم ، فالاهتمام قديم قدم الأبحاث اللغوية « إذ اهتم به اليونانيون ، الذين عالجوا قضايا نظم الكلام اعتنوا بالدراسات البلاغية ، ويظهر ذلك في كتبه (فن الشعر)، واهتم الهنود كذلك بنظم الكلام ، ووصل عندهم من الدقة والاستقصاء ما لا يقل عن غيرهم».[3]

وكان أول من اهتم بالنظم من العرب نحاتهم و يمكن أن يكون (سيبويه) الرائد الأول لهم ، « فالباحث في مصادر النحو القديمة ، يجد أن العرب قد اهتموا بالنظم و دراسته ومعالجته، لكنهم لم يطلقوا على دراستهم هذه مصطلح

1- نفسه ، ص.87.

2- محمد عبد المطلب ،**قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني** ،مرجع سابق،ص.62.

3 -خليل أحمد،**المدخل إلى دراسة البلاغة العربية**،دار النهضة العربية ،القاهرة،(ط01)،1968م.ص. 73.

النظم، فكانت دراستهم للنحو تلك عبارة عن قواعد تسير عليها العرب في كلامهم».[1]

إن حقيقة النظم كما تصورها (الجرجاني)، لتضع الفارق في التصور بين الألفاظ والمعاني، وتحدد المزية لإحداهما على الأخرى ، إذ لا غرابة إذا تأكد لدينا أن الجرجاني ، يجنح بشكل واضح إلى استحسان المعاني في بلاغة الخطاب، أكثر من استحسانه الألفاظ « فالنظم والترتيب والتأليف والتركيب ، وما شاكل ذلك مما هو عمود بلاغة الخطاب و فصاحته، إنما هو نظم معان فمناط بلاغة الخطاب معانيه وليس ألفاظه ، وما ألفاظه مرتبة ومركبة على هدي ترتيب المعاني وتركيبها ، إلا صورة انعكاس ما في النفس من نظم المعاني وتركيبها».[2]

و كان من نتائج الخوض في طبيعة التعالق بين اللفظ والمعنى ، تبلور فكرة القول بإعجاز القرآن و أين يكمن هذا الإعجاز أفي لفظه أم في معناه ؟ أم في العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى؟ فذهب (عبد القاهر الجرجاني) إلى القول بالعلاقة بينهما ، ومن ثم جرد اللفظ قالباً و المعنى ذهناً ، وصهرهما سوية بإحداث عملية الإعجاز من خلال النظم وحسن التأليف ، و كأنه يلمح بل يصرح بأسبقية المعاني في النفس على الألفاظ . ومهما يكن من أمر ، فإن المعركة قد انتهت بفصل العلاقات بين الفكر واللغة ، فعادت اللغة رموزاً تحتاج إلى الحل بما أشار إليه (عبد القاهر) « إن اللغـة تجـري مجرى العلامات والسمات ، و لا للعلامة أو السمة ، حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه».[3]

ولا شك أن (عبد القاهر الجرجاني) كان قد اطلع على آراء السابقين في الإعجاز، ففسر فكرة الإعجاز تفسيراً يقوم على تبني فكرة القول بالنظم وقد

1- مطلوب أحمد،**الجرجاني: بلاغته ونقده**،وكالة المطبوعات، الكويت،(ط01)،1973 م، ص. 52.

2- محمود سعد،**نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني** ،مرجع سابق،ص.43.

3 - الجرجاني. **أسرار البلاغة**، سابق، ص .347.

ألف (الرسالة الشافية)، ليثبت حقيقة الإعجاز . كما ألف (دلائل الإعجاز) ليبين أسرار القرآن الكريم، و ليقرر أنه معجز في نظمه أي توخي معاني النحو وأحكامه. يقول (الجرجاني) في هذا الصدد : « أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه و بدائع راعتهم من مبادئ أيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها و مواقعها و في مضرب كل مثل و مساق كل خبر و صورة كل عظة». [1] يقول أحد الدارسين:« إننا حينما نمعن النظر في كتاب (دلائل الإعجاز) ، يتضح لنا أن الكتاب يقوم على دعامة من النحو والنظم.يقول (الجرجاني): هذا كلام وجيز يطلع به الناظر عل ى أصول النحو جملة، وعلى ما به يكون النظم دفعة ، فـ(عبد القاهر) لا يفرق بين توخي معاني النحو وأحكامه والنظم، بل يجعل منهما كلمتين مترادفتين لشيء واحد».[2]

لقد كان موضوع الإعجاز في القرآن الكريم زمن (عبد القاهر الجرجاني) محل أخذ و رد، تماماً كما كان مشكل اللفظ والمعنى و بخاصة بعد (الجاحظ)، يجد من المتطرفين من كل جانب التشجيع والاهتمام ، وكان من الطبيعي أن يقف وراء كل ذلك الحاقدون والمتعصبون ، ثم جاء (الجرجاني) فتعرض لمشكلة اللفظ والمعنى فكان الحديث عن النظم أنسب حل عنده ، لأنه يجمع بين الآراء المختلفة بين اللفظ والمعنى.

صرّح (الجرجاني) في أول كتابه(دلائل الإعجاز) بهدفـــــه من تأليفه، وهو أن يمكّن القارئ من وضع يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام، حتى يفضُل بعضه بعضاً، ثمّ يتعاظم ذلك الفضل حتى يبلغ حدّ الإعجاز. يقول:« و لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى (الفصاحة)، و(البلاغة) ، و(البيان) ، و(البراعة)، وفي بيان المغزى من هذه

1- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**،صدر سابق، ص.120.

2- عبد العاطي غريب علام ، **دراسات في البلاغة العربية** ، مرجع سابق ، ص.08.

العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيءِ ليُطلْب، وموضع الدفين ليُبْحث عنه فيُخْرَجَ، وكما يفتح لك الطريقُ إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها».[1]

ويسترسل (الجرجاني) « و وجدت المعوَّل على أن ههنا نظماً وترتيباً، وتأليفاً وتركيباً وصياغة وتصويراً ونسجاً وتحبيراً، وأنَّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجازٌ فيه، سبيلُها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضل هناك النظم النظم، والتأليف التأليفَ، والنسج النسج، والصياغة الصياغةَ، ثم يعظُم الفضلُ، وتكثُر المِزية، حتى يفوق الشيء نظيرَه والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضاً، ويتقدّم منه الشيءُ الشيءَ، ثم يزداد فضله ذلك ويترق منزلةً فوق منزلةٍ، ويعلو مرقباً بعد مرقب، ويُستأنف له غاية بعد غايةٍ، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتَحْسَر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز».[2]

إن إعجاز القرآن لا يقوم في رأي (الجرجاني)، على الأغراض الأدبية المقصودة في وضع الكلام من حيث معانيها العامة ، كوصف الكريم بأنه كالبحر، « بل الصورة الجملية التي تنقل المعنى من السذاجة ، إلى الحلية في التعبير والجمال في الأداء وحسن العرض للمعنى(..) ، وليس الكلام عنده معجزاً لأنه حكمة، و ليس الإعجاز أيضاً في تلاؤم لألفاظ مفردة أو مركبة ، وإنما هو في حسن النظم . ويرى النظم قائماً على مراعاة التلاؤم ، بين معاني الكلمات المقدرة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود بجمال وقوة ، وثم نظم هذه الواسع أنه خادم لنظم المعاني وليس خادماً للألفاظ ».[3]

1- الجرجاني ، الدلائلـــ مصدر سابق، ص.34.

2- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**،صدر سابق، ص34-35.

3 - نعيم الحمصي،**فكرة إعجاز القرآن**،مرجع سابق. ص 87.

وليس الإعجاز عنده بثابت في معاني الكلمات المفردة ، وإنما هو بإجماعها منظومة لتؤدي معنىً شاملاً . كما أنه ينعي على من يجعل الإعجاز في استعمال غريب الألفاظ ، و من يجعلونه – أي الإعجاز– في استعمال الألفاظ السهلة الخالية من الثقل على اللسان .

لقد أصبحت نظرية النظم « علماً يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب ، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام، الذي ورد النص الكريم بشأنه».[1]

و بعد الذي سبق ذكره ، يمكننا أن نقف على مفاصل (نظرية النظم الجرجانية) التي تجعل من اللفظ والمعنى والبلاغة و فكرة إعجاز القرآن الكريم، محاور يخدم بعضها بعضاً لتكتمل بذلك جمالية الصورة الأدبية في النص القرآني « فقد أطال (الجرجاني) الكلام في شرح مفهوم النظم وربط به اللفظ والمعنى والصور البيانية وإعجاز القرآن ، وقادته هذه النظرية إلى تغيير مفهوم اللفظ والمعنى، الذي خاض فيه النقاد والبلاغيون وانتهى إلى أن الألفاظ لا تراد لنفسها ، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني ، و أن تغييرها قد يفقد الكلام غرضه ورونقه. وانتهى إلى أن العمدة في الصورة لا في اللفظ مجرداً من الدلالة و لا في المعنى وحده ».[2] تلك هي الصورة كاملة ، الصورة الأدبية التي سبق إليها (الجرجاني)، وجعل منها قمة البناء الهرمي في نظرية النظم.

خامسا:الفكر الجرجاني، بين ثنائية النظم والنقد

إن نظرية النظم كما بسطها وأوضحها (الجرجاني)، تعد فتحاً في تاريخ النقد العربي القديم ، لما تضمنته من نظرة كلية تأليفية في الأثر الأدبي، تجعل منه ناقداً رائداً قريباً جداً من النقاد المحدثين في الغرب.

1-أبو موسى محمد،**البلاغة القرآنيةفي تفسير الزمخشري**، دارالتضامن،القاهرة،(ط02)،1989م،ص.237.

2- عبد العظيم إبراهيم، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ،(أطروحة دكتوراه)،مكتبة وهبة،(ج01)،(ط01)،1992م،ص.06.

وإذا كان مفهوم(البناء) قد تعرض له النقد القديم ، في سياق حديثه عن النظم، فإن (عبد القاهر الجرجاني) يعتبر أول ناقد عربي أسلامي، اهتم بقضية النظم وبالتالي نظر إلى النص في شموليته واكتماله، متجاوزاً النظرة التجزيئية التي تعاملت مع الخطاب الأدبي ، باعتباره متتالية من الجمل التي تستعمل كشاهد لإثبات قضية نقدية أولنفيها. « و ما ينطلق منه (عبد القاهر) هو النص، وتلك مخالفة للسابقين الذين أسقطوا أحكامهم على النصوص، وفسروها اعتماداً على مقولاتهم المجملة، هذا هو اعتراف (عبد القاهر) بشخصية النص، فالقول المجمل لا يكون كافياً لمعرفة الصناعات كلها».[1]

ولقد سعى (الجرجاني) لأن يجعل من التصوير الأدبي صرحاً بلاغياً ، لا يقف عند حد الألفاظ ولا عند حد المعاني فقط ، وإنما يتسع ليشمل (الصورة الأدبية)[2] التي تتأتى من اجتماع اللفظ والمعنى. يقول (العشماوي) :« استطاع وهو بصدد الدفاع عن فكرة النظم، أن يقضي على هذه الثنائية التي ميزت بين التعبير المزخرف و التعبير العادي، فأعلن أن القيمة في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، ليست لها من حيث هي تشبيه أو استعارة أو كناية ، بل هي لها من حيث قدرة الاستعارة أو التشبيه، على الامتزاج و الانصهار بغيـرها مـن عناصر اكتسبته الاستعارة من خصائص يمنحها السياق نفسه ».[3]

وليس الاهتمام بالصورة الأدبية عند (الجرجاني) متأتياً فقط من انسجام ثنائية اللفظ والمعنى، و إنما هي كذلك تشكيل جميل من حيث أننا إذا اعتبرنا أن النظم هو في حقيقته اهتمام كذلك باللفظ ، لأن الاعتناء باللفظ في النظم هو

1- حسين خمري، **نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال** ،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،بيروت،(ط01)،2007م، ص.213.

2- يقصدأحياناً بالصورة الأدبية الأسلوب ؛ لأنه الوسيلة الضرورية والوحيدة لنقل المعاني و الأحاسيس و الأخيلة إلى ذهن القارئ أو السامع أو المخاطب ، و الأسلوب هو لغة و طريقة تضم الألفاظ والعبارات لتحقيق الأهداف.

3- العشماوي،**قضايا النقد الأدبي** ،ص.342.نقلاًعن:حاتم الضامن، **نظرية النظم – تطور وتاريخ**، مرجع سابق، ص.97.

في الحقيقة اهتمام بتأليف أجزاء الصورة، التي لا تكتمل إلا بدقة الصنع في ذلك النظم، لأن « صياغة النظم هي التي تؤثر التأثير المعتد به في الصورة الأدبية، التي هي كالنقش والصياغة. وإنما يعنى باللفظ في النظم لتأليف أجزاء هذه الصورة، التي لا تكتمل إلا بدقة الصنع في ذلك النظم، و باختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها في الجمل و وضع الجمل بعضها إلى جانب بعض، ليشاكل بعضها بعضاً فتنتج تأليف هذه الصورة ».[1]

ومثلما يرى (الجرجاني) أن تشاكل وتلاحم الجمل مع بعضها البعض ، هو شرط ضروري من أجل جمال الصورة الأدبية المطلوبة ، وبالتالي يتحقق الحسن في النظم والتأليف كله، يرى كذلك أن هنالك محسنات تعلق في الألفاظ، كالاستعارة و أنواع البديع لكن لا من حيث هي ألفاظ ، بل من حيث هي محسنات لفظية في الصياغة والسياق ، و يرى أنه من القصور الوقوف فيها عند مجرد اللفظ ، وقد يخلو الكلام منها أحياناً ومع ذلك يتوافر فيه حسن النظم.[2]

إلى ذلك يعول كذلك (الجرجاني) على خاصية مهمـــة فـي إدراك قيمـة العمل الأدبي، والتي تتعلق بجانب الذوق لدى المتلقي من أجل تلمس أسرار الجمال الفني والأدبي . فالمتلقي الذي يعدم الذوق يستحيل عليه ، أن يدرك أسرار الجمال، فالمسألة لا تتصل بصورة حتمية بمنطق الصحة والخطأ تمييزاً للغث والسمين من الأدب،وإنما المسألة تصب في شق الإحساس والشعور. يقول (الجرجاني) عن هذا :« وأعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع ، ولا تجد لديه قبولاً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ».[3]

1- هلال، **النقد الأدبي الحديث**، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (ط03)، 1997م، ص.266.

2- نفسه ،ص.268.

3- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**،مصدر سابق،ص.199.

لقد كان (الجرجاني) بحق متميزاً من خلال تقديمه لنظرية النظم ، لدرجة أن جعل منها مقياساً للجمال الفني في الشعر والنثر ، فكانت بمثابة الأسس الفلسفية للجمال الأدبي ، والتي توسع فيها بعد ذلك بقرون النقاد الغربيون.يقول (غنيمي هلال):« وإنما ذكرنا من نقد (بندتو كروتشه)[1]، ما يتصل اتصالاً وثيقاً بنقد (عبد القاهر) لنوضح فضل عبقرية عربية ، انتهت بعمق نظراتها في النقد الأدبي، إلى نتائج عالمية ذات قيمة خالدة ، ولها صلة بفلسفة الجمال في النقد الحديث».[2]

وبقدر ما هيئت نظرية النظم (للجرجاني) مسالك الخوض ، في أوجه البيان من أجل الإحاطة بجمال التعبير ، بقدر ما كان لهذه النظرية فضل في تحليل النصوص وإظهار ما فيها من روعة وجمال أو تكلف وإسفاف. لقد أعانته نظرية النظم وإدراكه لما في اللغة من قدرات، على أن يبدع في التحليل وأن يكون ألمع النقاد العرب في هذا المجال ، حتى عُدّ واضع أسس المنهج التحليلي في دراسة البيان.

لقد أرسى (الجرجاني) من خلال تبينه لمنهج خاص في دراسة البيان ، من أن يتجاوز أحكام بعض النقاد الذين كان دأبهم الحكم على الشاعر من خلال البيت الواحد أو البيتين ، « فقد كان يقصر هذا على الفحول المطبوعين ، والقاعدة الأساسية عنده في الحكم ، هي أنه يجب أن ينظر إلى العمل الأدبي كوحدة وهذا دليل على أن النقاد العرب لم يهملوا النظرة الكلية».[3] « وإذا كان الغرب لا يزال حتى الآن يشقشق حول المعنى والمضمون والبنية، فإن (عبد القاهر الجرجاني) بضربة قاضية قضى على ثنائية اللفظ والمعنى منذ عهد

1- كروتشه(1866-1952) يرى أن العمل الفني ، لابد فيه من الكمال و التمام، و يظهر ذلك في أقسامه و وحدته .

2- هلال،**النقد الأدبي الحديث**، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م،ص.297.نقلاً عن: حاتم الضامن،**نظرية النظم تطور وتاريخ**، مرجع سابق،ص.99.

3- الضامن، **نظرية النظم تطور وتاريخ**، مرجع سابق، ص. 100.

باكر بنظرية النظم ، وقدم لنا نظرية لغوية بلاغية في آن واحد، وهذا ما لا نرى له نظيراً في كل شقشقات الغرب ، حتى انتهاءً بـــ(يشاردز) الذي يسمى بأبي النقـد الغربي الحديث». [1]

ثم هاهو (محمد زكي عشماوي) يقول:« وهذا المنهج الذي يفسر القيمة في الأدب بما يكون بين اللغة من علاقات ،هوالمنهج الذي تلتقي فيه فلسفة اللغة بفلسفة الفن (..)، ودعوة (عبد القاهر) إلى التزام المنهاج اللغوي في دراسة الأدب ونقده ، تلتقي مع وجهة النظر الحديثة ». [2] و لهذا المنهج قيم كبيرة فهو أقرب إلى طبيعة الأدب، وهومنهج يخدم اللغة ويسعى إلى تطويرها ومواكبة الصور الأدبية الجديدة.

سادسا:بعض وجوه النظم[3]، و معايير الوصف وأدواته

توطئة

لا غرابة في أن نقرر بأنّ الحديث عن النظم « ذو أصول تاريخية بعيدة، وهو موضوع عالجه النحاة واللغويون والقراء والنقاد والبلاغيون ، علاجاً يسيراً ساذجاً أسيء فهم موضوعه و وظيفته وعلاقته بفاعلية اللغة ونشاط الشعر، ولكن (عبد القاهر) منحه سمة تمتاز بالتوضيح والتفصيل و التأويل الذهني، و الإمعان العقلي فأعاد تشكيل مادته من جديد ، ووسع من دلالته أو

1- إبراهيم الخولي،مجلة البيان، (ع191)،نقلاً عن:العتزي، **دلالة السياق عند الأصوليين** ،السعودية،(رسالة ماجستير)، 2007 م،ص.78.

2- عشماوي،**قضايا النقد الأدبيوالبلاغة** ،ص.269-270.نقلاً عن:عبد العظيم إبراهيم ، **خصائص التعبير القرآني**، مرجع سابق، ص.84.

3- فكرة النظم تستعمل عادة للدلالة على كل ما لها صلة بالبحث ، في الهيئات النحوية للكلمات ، وما قد ينتج عنها من مزية وجمال.وتطلق أحياناً مردفة أو دالة على المعاني القائمة في النفس، وذلك عندما تكون المزايا في المعاني موضعية ذوقية.

عدل منها و وثق الاهتمام بهونماه ، ونبه في قوة إلى رصيد هائل من تصوره ومعانيه».[1]

و يعتقد بعض الدارسين المحدثين أن (عبد القاهر الجرجاني) يكون – بمـــا اقترحه من رؤى متميزة حول مفهوم النظم –، قد أسس لعهد جديد مع المنحى الوظيفي بإسهام عربي خالص، بل وأقام منهجاً رائداً متميزاً في تاريخ الوظيفية العربية واستطاع بقدراته التحليلية الفائقة، أن يشرح الظواهر اللغوية المتعلقة بها، ويجري عليها تطبيقات واسعة في القرآن الكريم والشعر القديم، فمنح للظاهرة منهجاً وظيفياً فريداً من نوعه، مجسداً إياه في عدة أسس تقوم عليها أساساً نظريته في النظم منه : التقديم والتأخير، والحف، والذكر، والفصل والوصل، والقصر والحصر ، والاختصاص ، والاستفهام، و النفي، والإثبات..[2]

لقد نقل (الجرجاني) النحو إلى « جو يزخر بالحيوية ، وجعل موضوعاته ميداناً يجول فيها ذهنه الوقاد ، وقلمه البليغ ويطلع الناس على ألوان من التعبير، ولكنهم لم يتذوقوها ولم يقفوا على روعتها وجمالها ، حتى جاء فإذا التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، مادته التي أعاد تشكيلها وأضفى عليها من روحه ما لا نجده عند السابقين».[3]

ونحسب أن براعة (الجرجاني) تكمن في قدرته الفائقـــة، على المزج بين أكثر من حقل لغوي، مكوناً بذلك هاته اللوحة التي تزخر بكثير من الأصباغ المتجانسة.« لقد درس الجرجاني بأصالة نادرة في كتابيه(الدلائل) و(الأسرار)،

1- تامر سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي** ،دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية،سوريا ،(ط 01)،1973 م ،ص.112.

2- ينظر:صالح بلعيد،**التراكيب النحويةوسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،(د ط)،1994م،ص.82-83.

3- إبراهيم الخولي، **مجلة البيان** ، ع191،نقلاً عن:العتري، **دلالة السياق عند الأصوليين** ،السعودية،(رسالة ماجستير)،2007 م،ص. 63.

النظام النحوي و أركان الجملة ، وفصل هذا الدرس إلى تقديم وتأخير ،حذف وذكر، وتعريف تنكير ،و قصر واختصاص ، وفصل و وصل، وإضمار وإظهار، و وقف عند وظائف أدوات العطف ومواقعها (..)، و هذه العناصر وإن كانت كلها تنتمي إلى الحقل البلاغي ، إلا أننا يمكن أن ندرسها ضمن علم النحو، وهذا لتداخل أبواب النحو والبلاغة وعلاقتهما بعلوم أخرى».[1]

إن ما يميز رؤية (الجرجاني) للنظم، « كثرة استعماله في بضع ما كتب ، لعبارات ذات صلة وثيقة بما أقيمت عليه ظاهرة الترابط، بين الجمل والانسجام بين معانيها، ومن تلك العبارات يمكن أن نذكر: النظم، مبادئ الآي، مج اري ألفاظ الآي، مضرب المثل، الاتساق، الالتئام، سياق اللفظ ، مقاطع الآي، مواقع ألفاظ الآي، مساق الخبر، النظام، و وردت كل هذه الألفاظ في معرض حديث (الجرجاني) عن النظم، الذي اعتبره أساس الإعجاز في القرآن الكريم».[2]

إننا في هذا الجزء من البحث سنجعل من كتاب (دلائل الإعجاز) [3]، منطلقنا الرئيس نستقصي منه رؤية (الجرجاني) لأقسام هامة من أبواب البلاغة، والتي بنى عليها فكره في النظم مكتفين بعدد منها [4]، لاعتقادنا بأنها الأساس في نظرية النظم. و ذلك من خلال النظر في مجموع الشواهد المتنوعة التي قدمها، اعتقاداً منه بأنها دليل متكامل على صحة المنهج الذي تبناه في فهمه للنظم، هذا الشكل من النظم هو المدخل الطبيعي لفهم الإعجـــاز في القرآن الكريـــم كـــما اعتقد (الجرجاني).

1- عبد المنعم تليمة،**مدخل إلى علم الجمال الأدبي**،دار الثقافة،القاهرة،مصر،(دط)،1978م،ص 125.

2- الشاوش ، **أصول تحليل الخطاب**،مرجع سابق، ص219.

3- قام اعتمادنا على نسخة مصورة مع قراءة وتعليق لمحمود شاكر-دار النشر:مكتبة الخانجي بالقاهرة،مصر.

4- سنصب تركيزنا على مظاهر تتعلق بباب:(التقديم والتأخير، والحذف والفصل، والوصل والقصر) فقط.

01/- معيار التقديم والتأخير:[1]

تمتد صفحات هذا الجزء في الكلام عن مسألة التقديم والتأخير في(دلائل الإعجاز)، من(الصفحة 106 إلى غاية 142) و قد جمعت العديد من الشواهد، بين شاهد من لغة العوام وشاهد من القرآن الكريم و آخر من الشعر. و إذا كان بعض الدارسين المحدثين يرى، بأن « ظاهرة التقديم والتأخير تقوم على التصرف في الرتب، التي تحتلها العناصر المكونة لمركب من المركبات ، وهي في الظاهر مبحث لا يتأثر بالمحل الذي يتنزل فيه ذلك المركب من حيث هو كل ، و لا يؤثر فيه باعتبار أنها تتعلق بوجه تر كب العنصر وتكونهلا بمختلف المواضع التي يحتلها» [2] ؛ فإن (الجرجاني) قد ألم بمسألة التقديم والتأخير، إلماماً كبيراً معتبراً إياه أهم مظهر يمكن من خلاله، تفسير مفهوم النظم بغير الكيفية التي ذهب إليها الدارسون قبله.

يصف (الجرجاني) القول في التقديم والتأخير بأنه، « باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، و لا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان».[3]

ثم يقرر أن تقديم الشيء يكون على وجهين: تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه، الذي كان عليه كخبر المبتدأ إذا قدمته على الفاعل كقولك: (منطلق زيد) و(ضرب عمراً

1- التقديم والتأخير :من أهم الألوان التعبيرية الأسلوبية، التي عالجها (الجرجاني) ضمن ما يعرف بمعاني النحو وهو: أسلوب فني من أساليب العربية ، ودليل من دلائل فصاحتها و قدرتها العالية ، على حسن التصرف في فنون الكلام .وهو فضلا عن ذلك من الموضوعات المشتركة ،بين الدراسات النحوية والدراسات البلاغية ،وإن كان النحو سابقاً البلاغة في تناوله لهذا الموضوع.

2- محمد الشاوش ،**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية**،مرجع سابق،ص.491.

3- الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** ، المصدر سابق ،ص.106.

زيد). ثم يعقب: « معلوم أن (منطلق) و(عمراً) لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه، من كون خبر مبتدأ وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله كما يكون إذا أخرت».[1]

وأما النوع الثاني فهو ما كان فيه التقديم على نية التأخير « ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له فتقدم هذا على ذاك. ومثاله ما تصنعه بـــ(زيد المنطلق) حيث تقول : (زيد المنطلق) وأخرى (المنطلق زيد)، فأنت في هذا لم تقدم (المنطلق) على أن يكون متروكاً على حكمه، الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ و كذلك لم تؤخر (زيداً)، على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً».[2]

ثم يلتفت (الجرجاني) إلى النحاة من حيث كون اهتمامهم بهذا الباب، لم يكن إلا من جانب (العناية والاهتمام) بأمر المتقدم، و يقدم لذلك رؤية (سيبويه) في باب (الفاعل والمفعول): « كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم».[3]

بينما رؤية (الجرجاني) في هذا تختلف، في ضرورة معرفة من أين كانت تلك العناية؟ وبما كان أهم ؟ « لتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير، في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه».[4]

1 - السابق، ص.106

2- نفسه،ص.107.

3- نفسه، ص.107.

4 - نفسه، ص.108

إلى ذلك نظر (الجرجاني) في استغراب لأمر النحاة، في إهمالهم لهاته الأبواب، :« من أين كان نظم أشرف من نظم ؟، و بما عظم التفاوت واشتد التباين و ترقى الأمر إلى الإعجاز، وإلى أن يقهر أعناق الجبابرة ؟ أو ههنا أمور أخر نحيل في المزية عليها ونجعل الإعجاز كان بها فتكون تلك الحوالة، لنا عذراً في ترك النظر في هذه التي معنا والإعراض عنها وقلة المبالاة بها؟».[1]

يرى (الجرجاني) في حديثه عن تقييم دور (التقديم والتأخيــر)، أنه من الخطأ تقسيمه إلى مفيد وآخر غير مفيد : « وأعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء و تأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه و لذلك سجعه(..). فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن يجعله شريجين، فيزعم أنه للفائدة في بعضها، و للتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض، فمما ينبغي أن يرغب عن القول به».[2]

ثم يشرع (الجرجاني) في تفصيل أجزاء من القول في (التقديم والتأخير)، جاعلاً الكلام عن مسائل الاستفهام بالهمزة و الفعل ماض:

أ/- التقديم والتأخير في الاستفهام :

- الاستفهام بالهمزة والفعل ماض

يقول صاحب (الدلائل) :« و من أبين شيء في الاستفهام بالهمزة، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت:أفعلت ؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت :أ أنت فعلت؟

1- الشاوش ، السابق،ص.109.

2- نفسه،ص.110-111.

فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو؟ و كان التردد فيه. ومثال ذلك أن تقول:أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ أقلت شعراً الذي كان في نفسك أن تقوله ؟، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ،لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه، مجوزاً أن يكون قدا كان وأن يكون لم يكن. و تقول :أأنت بنيت هذه الدار؟، فتبدأ في ذلك كله بالاسم ذلك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان كيف ؟ و قد أشرت إلى الدار مبنية، و إنما شككت في الفاعل من هو؟».[1]

و يزيد (الجرجاني) هاته المسألة توضيحاً أكثر، حينما يقول : « و مما يعلم ضرورة ، أنه لا يكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك تقول : أقلت شعراً قط؟، ولو قلت: أأنت قلت شعراً قط ؟ أحلت (أي أتيت بالمحال)، و ذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا، لأن ذلك إنما يتصور، إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول: من قال هذا الشعر ؟(..)، فأما قيل الشعر على الجملة،(..)، فمحال ذلك فيه، لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يُسأل عن عين فاعله».[2]

- **الاستفهام للتقرير**

وعطفاً على القول في الاستفهام ، يقدم له في الجزء المراد به التقرير. يقول (الجرجاني):« و أعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام، قائم فيها إذا هي كانت للتقرير. فإذا قلت :أ أنت فعلت ذاك ؟، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ».[3] ويأتي بما يدعم رأيه من القرآن الكريم حكاية عن قول نمرود: ﴿ قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾[4]« لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان

1- نفسه،ص.111.

2- نفسه ،ص.112.

3- نفسه،ص.113.

4- الأنبياء، الآية. 62.

، و لكن أن يقر بأنه مـــنه كان، وكيف ؟ و قد أشاروا إلى الفعل في قولهم : أأنت فعلت هذا؟، و قال هو عليه السلام في الجواب : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل ».[1]

ثم يسترسل (الجرجاني) في بيان نوع آخر من الاستفهام بالهمزة، وهو:«أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله ».[2] و يستدل على ذلك من قوله تعالى :﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين؟ واتخذ من الملائكة إناثاً، إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾.[3] و قوله تعالى:﴿ أصطفى البنات على البنين؟ ما لكم كيف تحكمون﴾.[4] و يعقب (الجرجاني):« فهذا رد على المشركين و تكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم، و إذا قدم الاسم في هذا صار الإنكار في الفاعل».[5]

- تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل مضارع في الاستفهام

وهذه حالة ثالثة يقدمها (الجرجاني) في باب القول بـــ(التقديم والتأخير)، يقول:«إذا قلت :أ تفعل؟ و: أ أنت تفعل؟ لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال. فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت:أتفعل؟ كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله، وكنت كمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت: أأنت تفعل؟ كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل، و كان أمر الفعل في وجوده ظاهراً ،وبحيث لا يُحتاج إلى الإقرار بأنه كائن. و إن أردت بـــ(تفعل) المستقبل، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لا يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأول:

1- نفسه،ص.113.

2- نفسه، ص.114.

3- سورة الإسراء، الآية.40.

4- سورة الصافات، الآيات.153-154.

5- السابق، ص.114.

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ؟».[1]

و في موضع آخر من موقع الشاهد، يقول: « و قد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل، فإذا نظر لم يُحتمل، فمن ذلك قوله:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي

وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي، ويتعلق بأنه قال قبل :

يغط غطيط البكر شدّ خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال

ولكنه إذا نظر علم أنهلا يجوز، وذاك لأنه قال: (والمشرفي مضاجعي) فذكر ما يكون منعاً من الفعل، ومحال أن يقول:(هو ممن لا يجيء منه الفعل)، ثم يقول: (إني أمنعه).لأن المنع يتصور فيمن يجيء منه الفعل، و مع من يصح منه،ومع من يصح منه، لا من هو منه محال، و من هو نفسه عنه عاجز».[2]

- **تفسير تقديم المفعول على المضارع، وهو فعل لم يكن**

يقول الجرجاني: « و أعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، أعني أن تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون، بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت: (أزيد تضرب؟)، كنت قد أنكرت أن يكون (زيد) بمثابة أن يضرب، أو بموضع أن يجتزأ عليه ويستجاز ذلك فيه، ومن أجل ذلك قدم (غير) في قوله تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ﴾[4]، وكان له من الحسن والمزية والفخامة، ما تعلم أنه لا يكون لو أخر فقيل: (قل أأتخذ غير الله ولياً) و(أ تدعون غير الله؟) و ذلك لأنه

1- نفسه،ص.117.

2- نفسه، ص.119.

3- الأنعام، الآية. 14.

4- الأنعام، الآية. 40.

قد حصل بالتقديم معنى قولك : (أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً ؟) وأ يرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل : (أ أتخذ غير الله ولياً)، و ذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ، و لا يزيد على ذلك..».[1]

ب/- التقديم والتأخير في النفي:

- التقديم والتأخير في النفي

و تفصيل ما ذكره (الجرجاني) : « إذا قلت:(ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلاًلم يثبت أنه مفعول وإذا قلت:(ما أنا فعلت)، كنت نفيت عنك فعلاً يثبت أنه مفعول. و تفسير ذلك إذا قلت: (ما قلت هذا)، كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك، وإذا قلت:(ما أنا قلت هذا) كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول(..)، من أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاماً كقولك: (ما قلت شعراً قط)(..) ، و لم يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفاً أن تقول:(ما أنا قلت شعراً قط) ، وذلك أنه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا(..)، فنفيت أن تكونه ».[2]

- تقديم المفعول و تأخيره في النفي

و بيانه أنك إذا قلت:(ما ضربت زيداً)، فقدمت الفعل، كان المعنى أنك قد نفيت من يكون قد وقع ضرب منك على (زيد)، ولم تعرض في أمر غيره لنفي. ولا إثبات، وتركته مبهماً محتملاً. و إذا قلت:(ما زيداً ضربت)، فقدمت المفعول، كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان (زيد)، فنفيت أن يكون إياه. فلك في الوجه الأول أن تقول:(ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس)، وليس لك ذلك في الوجه الثاني. فلو قلت:

1- السابق،ص.122 .

2- نفسه،ص.125.

(ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس)، كان فاسداً على ما مضى في الفاعل.».[1]

ج/- مواضع التقديم والتأخير في الخبر

و قد جعل منه (الجرجاني) قسمين رئيسيين هما :

- **القسم الجلي**: وهو عنده« أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد. و مثال ذلك قولك:(أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه)، تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت».[2]

- **القسم الملتبس**: و هو أن لا يكون القصد على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار(..) ومثاله قولك:(هو يعطي الجزيل)، لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه. ومثاله من الشعر :

هم يُفرشون اللَّبد كل طِمِرةٍ و أجرد سَبَّاحٍ يَبُدُّ المُغالِبَا»[3]

يقول (الجرجاني) تعقيباً على البيت، : « لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها، و ينص عليهم فيها ،حتى كأنه يعرض بقوم آخرين، فينفي أن يكونوا أصحابها. وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم، من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم».[4] ثم يقدم مثاله من الشعر :

1- نفسه، ص.126.

2- نفسه،ص.128.

3- نفسه،ص.129.

4- نفسه،ص.131.

هم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الداء سبائب

و مثاله كذلك:

هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما[1]

ثم يقول:« وأبين من الجميع قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً، وهم يخلقون﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر، وهم قد خرجوا به﴾».[3]

- **وجوه تقديم المحدث عنه ومعانيها: و من معانيه التي ترد فيه عادة:**

-« **الوعد والضمان**: كقول الرجل:(أناأعطيك، أنا أكفيك،أنا أقوم بهذا الأمر)، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد.

- **معنى المدح**: كقولك: (أنت تعطي الجزيل، أنت تقري في المحل..) ومثاله من الشعر :

ولأنت تفري ما خلقت و بعـــ ض القوم يخلق ثم لا يفري

و يشبهه قول طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلَى لا ترى الآدِبَ فينا ينتقر».[4]

د/ - مواضع التقديم التأخير مثل وغير:

- تقديم المحدث عنه في الخبر المنفي

يقول الجرجاني : « و اعلم أن هدا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت، فإذا قلت:(أنت لا تسحن هذا)، كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: (لا تسحن هذا)، ويكون الكلام في الأول مع هو أشد إعجاباً بنفسه، وأعرض في أنه يحسن، حتى إنك لو أتيت (أنت) فيما بعد (تحسن) فقلت:(لا تسحن أنت)، لم يكن له تلك القوة . و ذلك كقوله تعالى: ﴿ و الذين هم

1- نفسه،ص.131.

2- الفرقان، الآية.03.

3- السابق، ص.129-131./ المائدة، الآية.61.

4 - نفسه ، ص.134.

بربهم لا يشركون ﴾[1]، يفيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم، ما لو قيل:﴿والذين لا يشركون بربهم ﴾، أو بربهم لا يشركون ﴾ لم يفد ذلك. ومثله قوله تعالى : ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾.[3]

- تقديم (مثل) و(غير) كالأمر اللازم :

يقول في هذا (الجرجاني): « ومما يُرى تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل)، و(غير)، في نحو قوله :

مثلك يثني الحزن عن صوابه ويسترد الدمع عن غربه

وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بـــ(مثل) إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة، كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما اذكر..».[4]

ثم يمضي (الجرجاني) إلى حكم (غير) : « إذا سلك به هذا المسلك فقيل: (غيري يفعل ذاك)، على معنى أني لا أفعله، لا أن يومي بـــ(غير) إلى إنسان فيخبر عنه بأن يفعل، كما قال المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا».[5]

و يعقب (الجرجاني) على مضمون البيت : « وذاك أنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد كان هناك فيستنقصه ويصفه بأنه مضعوف يغر ويخدع، بل لم يرد إلا أن يقول : إني لست ممن ينخدع و يغتر. ومثاله من الشعر كذلك :

و غيري يأكل المعروف سحتاً وتشحب عنده بيض الأيادي

1- سورة المؤمنون، الآية.59

2- سورة يس ، الآية.07.

3- السابق، ص.138 /الأنفال، الآية.55.

4- السابق، ص.139.

5- نفسه، ص.139.

(..)، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلوم».[1]

هـ/- تقديم النكرة على الفعل وعكسه:

-النكرة و تقديمها على الفعل والاستفهام

يقول (الجرجاني) في هذا: «(إذا قلت :أجاءك رجل ؟) فأنت تريد أن سأله هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه، فإن قدمت الاسم فقلت:(أ رجل جاءك ؟)، فأنتتسأله عن جنس من جاءه، أ رجل هو أم امرأة ؟ و يكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي، فسبيلك في ذلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت:(أزيد جاءك أم عمرو؟) ».[2]

- تقديم النكرة في الخبر ومعناه

يقول (الجرجاني):« و إذ عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام، فابنِ الخبر عليه. فإذا قلت:(رجل جاءني) لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة، و يكون كلامك مع قد عرف أن قد أتاك آت. فإن لم ترد ذاك، كان الواجب أن تقول: (جاءني رجل) فتقدم الفعل. و كذلك إن قلت:(رجل طويل جاءني)، لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك قصير، أو نزلتهمنزلة من ظن ذلك ».[3]

وهكذا يبدو جلياً استوعاب (الجرجاني) لفكرة (التقديم والتأخير)، بشكل يدفع عن الشيخ كل لبس أو غموض أو تقصير، « لقد تجاوز الجرجاني فيحديثه عن(التقديم والتأخير)، تلك الوظائف التي عهدتها من النحويين ، والتي تتحكم فيها قواعد العمل والإعمال من فعل وفاعل ومفعول ومبتدأ وخبر ، إلى اعتبار مجرد الموقع الذي يحتله الاسم مقدماً أو مؤخراً ،بصرف النظر عن كونه مبتدأ أو فاعلاً أو مفعولاً أومجروراً ، واعتبار مجرد الموقع الذي يرد فيه الفعل

1- نفسه، ص.139.

2- السابق، ص.143.

3- نفسه، ص.143.

مقدماً أو مؤخراً ، بصرف النظرعن كونه فعلاً مسنداً مقدماً على الفا عل أو جزءاً من الخبر بعد المبتدأ».[1]

وإذا كان باب (التقديم والتأخير) يمثل إعادة ترتيب عناصر و وحدات الجمل، فإنه في الحقيقة يمثل «استجابة تداولية لبعض العناصر السياقية ، فكل ترتيب ينطوي على قصد معين ، وهذا هو عين نظرية النظم عند (الجرجاني)، إذ يتجاوز المرسل مجرد الضم الذي يقتضيه النحو والدلالة ، على الضم على طريقة مخصوصة وفق ما يستدعيه سياق الخطاب ، وتسمى هذه الآلية في نظرية النظم عند (الجرجاني) بآلية التقديم والتأخير ، فالعلاقة النحوية تظل كما هي في البنية الأساس، كما يحتفظ الخطاب بالدلالة نفسها».[2]

02/- معيار الحذف:

الحذف ظاهرة بارزة في اللغة العربية ، و يؤدي في أبنيتـه وصـوره إلى الكشف عن بعض أسرار النظم ، غير أن قيمة هذه الظاهرة اللغوية ، التي تستلزم الوقوف على دقائقها ، تتطلب خاصة لدى المفسر، إذ ليس الهدف من درس مسائل هذه الظاهرة في رأي (الجرجاني)، هو وصفها أو الإحساس بها فحسب، بل تحليلها لتحديد أسباب العدول عن الذكر إلى الحذف.

و خاصية الحذف هي المعيار الثاني ، الذي أقام عليه (الجرجاني) صرح النظم. إذ يقول عنه:« هوباب دقيق المسلك لطيف المآخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن».[3]

و يقدم (الجرجاني) لهذا المعيار(معيار الحذف)، جملة من الأمثلة التي يستحسن فيها من ذلك :

---

1 - محمد الشاوش ،**أصول تحليل الخطاب في النظريةالنحوية العربية** ،مرجع سابق،ص.516.

2- عبد الهادي الشهري، **استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية** ،دار الكتاب الجديد المتحدة بن غازي ،ليبيا،(ط01)،2004م ،ص.144.

3- الجرجاني ، **الدلائل** ،المصدر سابق، ص.146.

أ/- حذف المبتدأ

يقول (الجرجاني): « أنبهك على صحة ما أشرت إليه، وأقيم الحجة من ذلك:

اعتاد وأقيم من ليلى عوائده و هاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء إذا المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضــل

قال : (أي الشاعر) أراد ذلك (ربع قواء)، أو (هو ربع) و مثله قول آخر:

هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا كما عرفت بجفن الصيقل الخللا

دار لمروة إذ أهلي وأهلـــــــــهم بالكانسية نرعى اللهو والغزلا

كأنه قال : تلك الدار».[1]

ب/- حذف الفعل وإضماره

و مثلما هو الشأن في حذف المبتدأ ، يقدم (الجرجاني) لنوع آخــر من أنواع الحذف المقبول، يقول : « و كما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فينصبون و منه :

دارمية إذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

أنشده بنصب (ديار) على إضمار فعل كأنه قال: أذكر ديار مية ».[2]

ج/- المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ وأمثلته

يقول (الجرجاني) « من المواضع التي يطرد فيا حذف المبتدأ، القطع والاستئناف، يبدأون بذكر الرجل، و يقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر. وإذا فعلوا ذلك ، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدإٍ. من ذلك قول الشاعر :

هم حلوا من الشرف المعلى و منحسب العشيرة حيث شاؤوا

بناة مكارم و أساة كلم دماؤهم من الكلـــــــب الشفاء».[3]

1- نفسه، ص146.

2 - نفسه،ص.147.

3 - نفسه،ص.148.

ويمضي (الجرجاني) في تتبع مواضع حذف المبتدأ، يقول: « من لطيف الحذف قول(بكر بن النطاح) :

العين تبدي الحب والبغضـــــا وتظهر الإبرام والنقضـــــا
درة ، ما أنصفتني في الهـــوى، ولا رحمت الجسد المضنـــى
غضبى، ولا والله ياأهــــلـها، أطعــم البارد أو ترضـــى

و المقصود قوله (غضبى)، وذلك أن التقدير (هي غضبى) أو (غضبى هي) لامحالة، ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره؟ وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به؟.».[1]

د/- حذف المفعول لإثبات معنى الفعل لا غير

«.. و مثاله(..)(فلان يحل ويعقد، و يأمر و ينهى، و يضر وينفع)، والمعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة، من غير أن يُتعرض الحديث المفعول، حتى كأنك قلت (صار إليه الحل والعقد)(..)، وعلى هذا يكون القياس ..».[2]

ه/- حذف مفعول مقصود

ويعرفه (الجرجاني) بــأنه « مفعول مقصود معلوم، إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه. و ينقسم إلى جلي لا صنعة فيه، وخفي تدخله الصنعة. فمثال الجلي قولهم:(أصغيت إليه)، وهم يريدون (أذني). و أما الخفي الذي تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع. ونوع منه أن تذكر الفعل و في نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إما بجري ذكر، أو دليل حال، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه، ومثاله قول البحتري:

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

1- نفسه،ص.152.
2- نفسه ،ص154.

المعنى، لا محالة: أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنك تعلم على ذلك أنه كأنه يسرق علم ذلك من نفسه، ويدفع صورته عن وهمه، ليحصل له معنى شريف وغرض خاص».[1]

ثم يقدم (الجرجاني) مثالاً آخر عن الخفي، « و هو أن يكون معك مفعــول معلوم مقصود قصده، قد علم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعولاً سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطرحه و تتناساه وتدعه(..)، ومثالــــــه من الشعر قول (عمرو بن معدي كرب):

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

(أجرت) فعل متعد ، و معلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو: (و لكن الرماح أجرتني)، و أنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء لآخر يتعدى إليه، لاستحالة أن يقول:(فلو أن قومي أنطقتني رماحهم)، ثم يقول:(ولكن الرماح أجرت غيري)، إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك(..)، و ذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق، ولو قال : (أجرتني)، جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجراراً، بل الذي عناه أن يبين أنها أجرته..».[2]

و/- زيادة بيان في الحذف الخفي

يقول (الجرجاني): « و إن أردت أن تزداد تبيناً لهذا الأصل، أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله و لا يدخلها شوب، فانظر إلى قوله تعالى :﴿ و لما ورد ماء مدين وجد عيه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير وسقى لهما ثم تولى إلى الظل ﴾[3]، ففيها حذف

1- نفسه، ص.156.

2- نفسه،ص157.

3- سورة القصص، الآية: 23-24.

مفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى:(وجد عليه أمة من الناس يسقون) أغنامهم و(امرأتين تذودان غنمهما) و(قالتا لا نسقي)غنمنا(فسقى لهما) غنمهما(..) فأما ما كان المسقيُّ ؟ أغنماً أم إبلاً أم غير ذلك؟، فخارج عن الغرض، وموهم خلافه، وذاك لو قيـــل:(وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما)جاز إن يكون لم ينكر الذود من حيث هو وجد من دونـــهم امرأتين تذودان غنمهما) جاز إن يكون لم ينكر الذود من حيثهو ذود، بل من حيث هو ذود غنم (..)، فأعرفه».[1]

ز/- موضع يكون إظهار المفعول أحسن من حذفه

يقول (الجرجاني): « قد يتفق في بعضه أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن، وذلك كقول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته   عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(...) ، وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً. فلما كان كذلك، كان الأولى أن يصرح ليقرره في نفس السامع و يؤنسه به».[2]

ح/- مثال لطيف في الحذف

يقول (الجرجاني) : « ومما هو نادر لطيف ينطوي ، على معنى دقيق وفائدة جليلة، قول (البحتري) :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ   دد والمجد والمكارم مثلا

المعنى: قد طلبنا لك مثلاً، ثم حذف، لأن ذكره في الثاني يدل عليه، ثم إن للمجيء به كذلك من الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى. و لو أنه قال: (قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده)، لم تر من هذا الحسن الذي تراه شيئاً».[3]

1- نفسه،ص. 162.

2- نفسه،ص.164.

3- نفسه،ص168..

وبعد الذي ذكر (الجرجاني) من أمر الحذف، وما أتبع ذلك من الشواهد المتنوعة، يصل إلى إبانة يقول فيها : « قد بان الآن واتضح لمن نظر نظْر المثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر..».[1]

03/- **معيار الفصل والوصل:**[2]

نال الحديث عن الفصل والوصل اهتماماً متزايداً من النحاة والبلاغيين، على سواء بيد أن « النحاة وعلماء المعاني العرب، لم يبقوا أسيري هذه البنية بل حاولوا أن يتجاوزوها ، بحثاً عما يحقق الترابط بين الجمل فلم يخب مسعاهم: فقد ذهبوا إلى تمييز مواطن العطف من م واطن القطع والابتداء والاستئناف، وصنفوا الجمل إلى معطوفة واستئنافية، وميزعلماء المعني بين ضربين من الجمل:ضرب يقوم على الأداة، وضرب يقم لا يقوم عليها . وسمُّوا الأول وصلاً، وهو ما يوافق العطف عند النحاة، وسموا الثاني فصلاً، وهو ما اعتبره النحاة من باب القطع والابتداء والاستئناف».[3]

يرى (الجرجاني) أن من أسرار البلاغة :« العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل، من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها

1- نفسه ، ص.171.

2-الفصل الوصل كمظهر بلاغي، مر بمرحلتين:أولاهما تسجيل أهميته في الكلام، والثانية مرحلة الوصف المنظم للفصل والوصل. وقد ورد في كتاب (الصناعتين) مجموعة من الأقوال، تبين أهمية باب الوصل والفصل من ذلك: - قول (المأمون): (إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل ، كانت كاللآلئ بلا نظام).وقوله كذلك :(ما أتفحص من رجل شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه ،و التخلص من المحلول إلى المعقود، فإن لكل شيء جمالاً ، و حلية الكتاب و جماله إيقاع الفصل الوصل موقعه ، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التخلص ، من المعقود إلى المحلول). وقول (يزيد بن معاوية): (إياكم أن تجعلوا الفصل وصلاً، فإنه أشد وأعيب من اللحن).

3- الشاوش ،**أصول تحليل الخطاب** ،مرجع سابق، ص.528.

منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى (..) ، و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه (أي الفصل والوصل)،حداً للبلاغة وقد سئل أحدهم عنها فقال:(معرفة الفصل من الوصل)، وذلك لغموضه و دقة مسلكه..».[1]

ولما يبدأ (الجرجاني) في تفصيل بيان هذا الباب، يرى أن تقسيمه إلى العطف بمفرد، وأخر في الجملة. يقول (الجرجاني) عن المفرد : « معلوم أن فائدة المفرد، أن يشارك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه، فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب ، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به، أو فيه أو له شريك له في ذلكحكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به، أو فيه أو له شريك له في ذلك».[2]

ويقرر (الجرجاني) في هذا الباب ، « الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما: « أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد(..)، بينما النوع الثاني هو الذي يشكل أمره، وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك : (زيد قائم وعمرو قاعد) و (العلم حسن والجهل قبيح) ،لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه..».[3]

أ/- معاني العطف بالواو والفاء وثم

يرى (الجرجاني) إن الإشكال الذي يترتب على العطف بهذه الحروف، إنما يقع في الواو دون غيرها ،على اعتبار أن بقية الحروف تفيد معاني إلى جانب إفادتها العطف، بينما الواو تخلو من تلك المعاني : « فـ(الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ ، و(ثم) توجبه مع تراخ ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين

1- نفسه ،ص. 222.

2- نفسه ، ص.223.

3- نفسه، ص.223.

وتجعله لأحدهما لا بعينه(..)، و ليس لـــ(لواو) معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول. فإذا قلت: (جاءني زيد وعمرو) لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد، والجمـــــع بينه وبينه..».[1]

ثم يستعرض (الجرجاني) معنى الجمع بالواو ، بضرورة أن يكون المعطوف بسبب من المعطوف عليه « وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين(..)، فلو قلت: (خرجت اليوم من داري)، ثم قلت:(و أحسن الذي يقول بيت كذا) قلت ما يضحك منه. ومن هنا عابوا (أبا تمام) في قوله :

لا و الذي هو عالم أن النوى صَبِرٌ و إن أبا الحسين كريم

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر..».[2]

ب/- عطف الجمل بالواو

يقرر (الجرجاني) أن مجرد معنى العطف [3] لا يكفي بين المعطوفين، بل لابد من أن يكون الخبر عن الثاني، مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض،:« فلو قلت: (زيد طويل القامة وعمرو شاعر)، كان خلفاً، لأنه لا مشاكله ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وإنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب وعمرو شاعر)، و (زيد طويل القامة وعمرو قصير)..».[4]

1- نفسه،ص.224.

2- نفسه، ص.225.

3- ينظر حول حديث (الجرجاني) عن تفاصيل العطف وأحكامه : حسام أحمد فرج، **نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري**، تقديم: سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي،مكتبة الآداب، القاهرة،(ط 02)،2009 م، بداية من الصفحة. 134.

4- الجرجاني، **الدلائل**،ص.225.

ج/-الجملة المؤكدة لا تحتاج إلى عاطف

يوضح الجرجاني ذلك بقوله « و مثال ما هو من الجمل قوله تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾[1] قوله:(لا ريب فيه) ، بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له(..) ، و ليس يثبت الخبر غير الخبر(..) ، ومثله قوله تعالى:﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾[2] قوله:(لا يؤمنون)، تأكيد لقوله:(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)، وقوله:(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)، تأكيد ثان أبلغ من الأول..».[3]

د/-الجملة يظهر فيها وجوب العطف ثم يترك لعارض

يمضي (الجرجاني) في بيان أهمية العطف، حال كونه ظاهراً أم مستتراً، ومن ثم يستقري الأمثلة من القرآن بياناً لذلك. ففي قول تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾[4]:« الظاهر كما لا يخفى أن يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله تعالى:(إنما يستهزئ بهم).. وأشبه ذلك ما مما يرد فيه العجز على الصدر، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف، وهو أن قوله:(إنما نحن مستهزؤن)، حكاية عنهم أنهم قالوا، وليس بخبر من الله تعالى وقوله تعالى :(الله يستهزئ بهم)، خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم.وإذا كان كذلك، كان العطف ممتنعاً، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى، معطوفاً على ما هو حكاية عنهم ..».[5]

1- سورة البقرة، الآية.1-2.

2- سورة البقرة، ص.706.

3- نفسه، ص.228 وينظر: باقي الأمثلة التي ساقها (الجرجاني) بداية من الصفحة .229.

4- سورة البقرة، الآية14.

5- نفسه ، ص.232.

ه/- ما يوجب الاستئناف وترك العطف

في هذا الجزء من الحذف ينبه (الجرجاني)،على لطيفة في المثال السابق ذكرها في هذا الجزء من الحذف ينبه (الجرجاني)، على لطيفة في المثال السابقذكرها والمتعلقة بقوله تعالى:(الله يستهزئ بهم) يقول: « تحرك السامعين(المقصود الآية) لأن يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم، و أتنزل بهم النقمة عاجلاً أم لا تنزل ويمهلون(..). و إذا كان مصدره كذلك، كان حقه أن يؤتى به مبتدأ غير معطوف ..».[1]

و مما يدعم رأي (الجرجاني) في هذا الشاهد، قول الشاعر:

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

« لما حكي عن العواذل أنهم قالوا(هو في غمرة)، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: (فما قولك في ذلك وما جوابك عنه؟)، أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له ، وصار كأنه قال :(أقول : صدقوا، أنا كما قالوا، ولكن لا مطمع لهم في فلاحي)، ولو قال: (زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا)، لكان يكون لم يضع في نفسه أنه مسؤول و أن كلامه كلام مجيب».[2]

و/- ما جاء في التزيل وفيه (قال) غير معطوف

وبمزيد من التوضيح يمضي (الجرجاني)، في الاستئناس بشواهد القرآن الكريم ليدلنا على طريقة أخرى فيه. ففي قوله تعالى: ﴿هل آتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون.. ﴾[3]:« لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: (دخل قوم على فلان

1- نفسه ، ص.235.

2- نفسه،ص.236.

3- الذاريات ،ص.24.

فقالوا:كذا)،أن يقولوا: (فما قال هو؟) و يقول وجيب: (قال كذا)، أخرج الكلام ذلك المخرج،لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه..».[1]

وبعد الذي قدمه (الجرجاني) في هذا الباب من الشواهد، التي تبين صحة ما ذهب إليه، يخلص إلى بيان أن الجمل و وصلها، يمكن أن يأتي على ثلاثة أضرب :« جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف و التأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها، لو عطفت، بعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، و يكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأساً. وحق هذا الترك العطف البتة؛ فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين ..».[2]

ز/- بيان في شأن عطف الجمل

وحتى يلم (الجرجاني) بدقائق هذا الموضوع ، في باب القول بالفصل الوصل، يشير إلى جزء آخر فيه، وهو إمكانية العطف بين جملتين متباعدتين، ففي قول الشاعر (المتنبي) :

تولوا بغتة، فكأن بينـــــاً تهيبني ، ففاجأني اغتيـــالا

فكان مسير عيسهم ذميلاً، وسير الدمع إثرهم انهمـــالا

قوله :« (فكان مسير عيسهم)، معطوف على (تولوا بغتة)، دون ما يليه من قوله:(ففاجأني)، لأنا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى، من حيث

1- نفسه،ص.240.

2- نفسه، ص.243.

أنه يدخل في معنى (كأن)، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة،ويكون متوهماً، كما كان تهيب البين كذلك..».[1]

04/- معيار القصر:

في حديث (الجرجاني) عن باب القصر، يبدأ مسائله بالكلام عن (إنَّما).

أ/- حديث أبي علي الفارسي عن (إنما)

أورد (الجرجاني) قولاً لــ(أبي علي الفارسي) عن (إنما)، يقول (أبو علي الفارسي):« يقول ناس من النحويين، في نحو قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ﴾.[2]إن المعنى (ما حرم ربي، إلا الفواحش). قال : وأصبت على ما يدل على قولهم هذا، وهو قول (الفرزدق):

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

والمعنى: وإنما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي(..) ».[3] و يعقب على هـــــذا (الجرجاني) بقوله :« (..) يبين لك أنهما، لا يكونان سواء، أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و(إلا)، يصلح فيه (إنما). ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى: ﴿ وما من إله إلا الله ﴾[4](..)، إذ لو قلت: (إنما من إله الله) قلت: ما لا يكون له معنى».[5]

ب/- إنما تجيء بخبر لا يجهله الخاطب

يقرر (الجرجاني) معنى تفيده (إنما)، من حيث أنها تأتي لإفادة معنى « لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته ومثاله من الشعر :

إنما أنت والد، والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد

1- نفسه،ص.244.

2- سورة الأعراف، ص.33.

3- نفسه، ص.328.

4- سورة آل عمران، الآية.62.

5- نفسه،ص.329.

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنهأراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزل الوالد. ومثال هذا قوله تعالى: ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾[2]، وقوله عز وجل ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾[3]، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم، ومثاله من الشعر كذلك :

إنما مصعب شهاب من اللـــ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء».[4]

ج/- معاني القصر بـــ(إنما)

ومن المعاني التي أوردها (الجرجاني) لـــ(إنما)، أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، و نفيه عن غيره، « فإذا قلت:(إنما جاءني زيد)، عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره(..). إنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة..».[5]

د/- معاني أخر لاجتماع (ما) و(إلا)

و من المعاني التي تدل عليها (ما) مع (إلا) معنيان: « أحدهما أن تريد اختصاص (زيد) بالمجيء وأن تنفيه عمن عداه، في مثل قولك:(ما جاءني إلا زيد)(..)، و الثاني أن تريد الذي ذكرناه في (إنما)، ويكون كلاماً تقوله ليعلم أن الجائي (زيد) لا غيره. فمن ذلك قولك للرجل يدعي أنك قلت قولاً ثم قلت خلافه: (ما قلت اليوم إلا ما قلته أمس بعينه)، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ﴾[6] ، لأنه ليس المعنى: إني لم

1-سورة النازعات، ص.45.

2- سورة الأنعام، ص.36.

3- سورة يس ،ص.11.

4-نفسه،ص.331.

5- نفسه،ص.335.

6 - سورة المائدة، الآية.117.

أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن المعنى: إني لم أدع ما أمرتني به أن أقوله لهم وقلت خلافه. ومثاله من الشعر:

قد علمت سلمى وجارتها ما قطَّر الفارس إلا أنا

المعنى: أنا الذي قطَّر الفارس، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قطره، وأنه لم يشركه فيه غيره ».[1]

ه/- تأمل في معنى قوله تعالى:(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ):

يقف (الجرجاني) أمام الآية وقفة متأمل، ليبين جانب الإعجاز فيها فـــــيقول:«في تقديم اسم الله تعالى إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم. و لو آخر ذكر اسم الله وقدم (العلماء) فقيل (إنما يخشى العلماء اللهَ)، لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشي من هو، و الإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضاً، إلا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره، و العلماء لا يخشون إلا الله تعالى.».[2]

سابعا: قراءة في الشواهد:

لقد قدمنا لنظرية النظم من خلال المعايير وشواهدها، اعتماداً على أشهر كتب (الجرجاني) ألا وهو (دلائل الإعجاز)، و قد ضيقنا من مجال البحث في الشواهد، فجعلنا ذلك محصوراً في مجموع ما أشار إليه (الجرجاني) حبيس أربعة محاور،هي (التقديم والتأخير) و(الحذف) و(الفصل والوصل)و(القصر)،لاعتقادنا بأنها تمثل الركائز التي قام عليها الفكر (الجرجاني) في مفهوم النظم.

1- نفسه، ص.338.

2- نفسه،ص.339.

و من خلال تحليلنا لهاته الشواهـد، رسخ في ذهننا جملة من الاستنتاجات، يمكننا أن نسوقها على النحو التالي:

– تنوع وتشعب الشواهد التي اعتمدها (الجرجاني)، في تعليلاته لمختلف أقسام النظم، بل وفي مختلف الأبواب التي ذكرها، أ كان ذلك في حقل البلاغة، أو حقل النحو، فأنت أمام كم هائل من الشواهد الشعرية، وآيات القرآن الكريم، وأقوال العامة من الناس.

– غزارة الشواهد تنم عن ثقافة لغوية هائلة، وذاكرة حفظ مائزة ، كان يتمتع بها (الجرجاني)، ولعل أبرز دليل على ذلك ،وفرة المؤلفات التي تركها(الجرجاني) من ورائه، ما زالت حديث العلماء والدارسين إلى اليوم.

– أن هاته الشواهد وبخاصة منها الأشعار ، لم ينسبه الشيخ إلى قائله، كما أن كثيراً منها ،احتوت على بيت واحد وربما شطر بيت؛ و بالتالي كانت بحاجة إلى تكملة بما لابد منه ، ليكتمل تحليلها و بيان سر بلاغتها.

– أن كثير من شواهد الشعر مما قدمه (الجرجاني)، كانت تتقاسمها أبواب شتى في النحو والبلاغة ، إذ كانت تمثل محل الشاهد في أكثر من مسألة بلاغية أو نحوية.

– أن إيلاء (الجرجاني) أهمية للنص الشعري، في استنباط الدلالة البلاغية، أو النحوية، يؤكد سلامة الذوق و لطافة الإحساس لديه في فهم معاني النصوص، وإدراك أسرار الكلام وخفاياه .

– أن الشواهد التي ساقها (الجرجاني) عن نظريته في النظم، لا تنفصل عندما يعرض لتطبيقاته التحليلية، بل يكاد يقر فيها بجعل النظم، الركن الأساس الذي يستند إلية المنشي، في إمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة، على الاختيار الواعي من حيث إمكانية هاته التنوعات، في أن تصنع نسقاً ، وترتيباً بإجراء الاحتمالات النحوية، القائمة على بينة التركيب.

– أن المتأمل للشواهد التي ساقها (الجرجاني)، في تجلي مظاهر النظم، تَنُمُّ في مجموعها عن رؤية متقدمة، تدرس اللغة في ذاتها ولذاتها، مما يقرر حقيقة

مفادها أن (الجرجاني)، كان ينظر إلى اللغة على أنها مجموعة من العلاقات، القائمة بين الألفاظ ، و ليست مجرد ألفاظ لا تعالق بينها .

– أن (الجرجاني) كان من أكثر السباقين تأكيداً، لثبات أهمية النحو وقيمته وفاعليته، إذ كشف تحليله للنصوص– ومن خلال الشواهد المقدمة–، عن فهم أعمق وأبعد ، من أن تقيد معاني النحو بالوظائف النحوية.

– أن الشواهد التي بسط من خلالها (الجرجاني) حديثه،عن (التقديم والتأخير)، تبرز البعد الدلالي، لبديع هذا النوع الترتيبي من النظم،الذي خلق بينة تتداخل وتتبادل فيها العلاقات، بفنية مستمدة من العدول الإبداعي.

– إن هاته الشواهد وبخاصة في باب الحذف، كانت قائمة على بيان القيمة الدلالية للحذف و الذكر، مركزاً في ذلك على الاعتناء بالدلالة النفسية، والشعورية لحذف بعض عناصر الكلام.

– أن هاته الشواهد تقرر حقيقة هي أن (الجرجاني)، يكون من خلالها قد توصل، إلى نظرية تركيبية محكمة، في دلائل الإعجاز هي نظرية التعليق، التي تنطلق في دراسة بناء الجملة، من المعنى إلى المبنى.

المبحث الثاني : السكاكي، وفعل الممارسة النصية.

توطئة

حظيت قواعد البلاغة وتقسيماتها، باهتمام البلاغيين على تفاوت في الدرجة، بين المؤلفات الأولى والتي تلتها، وقد حرصوا على وضعها، وإظهارها بصورة علمية دقيقة، كي تكون مقياساً ومعياراً يلجأ إليه الناقد في العملية النقدية. وكانت مصطلحات هذا العلم، من أبرز ما اهتموا به، منذ أن كانت أقرب ما تكون إلى المفهم اللغوي لألفاظها عند (الجاحظ) و(ابن قتيبة)، وإلى أن تبلورت إلى حد كبير، على يد (عبد القاهر الجرجاني) في (دلائل الإعجاز) و(أسرارا البلاغة)، ثم أخذت شكلها النهائي والمحدد بشكل صارم على يد (السكاكي) و مدرسته.

والعلماء الذين بحثوا في علوم البلاغة، كثر تضيق بهم كتب الإحصاء والتراجم، كما تعددت ومدارسهم مذاهبهم و «إذا كان الإمام (عبد القاهر)، أستاذاً لمدرسة وإماماً ، خط بقلمه أروع منهج ،جمع بين العلم والفن والقاعدة والذوق، وأسفرت كتاباته عن نظريتي البيان والمعاني ؛ فإن (السكاكي)، أستاذ بحق لمدرسة وإمام خط بقلمه ، أدق منهج تفصيلي ، لكليات البلاغة وجزئياتها وأصولها وفروعها».[1]

هو قرن ونصف من الزمان، يفصل بين (مفتاح العلوم) و(دلائل الإعجاز)، وهي مدة تسمح بالبحث فيما يميز رؤية المتأخرين ومنهجهم، رؤية للمتقدمين ومنهجهم ومن ثم النظر إلى كل في عصره، كما ينظر إلى الأعمال في ضوء الهدف الذي من أجله كانت .

1- محمد دسوقي، **موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة ،دراسة وموازنة**،طباعة ونشر دار اليسر، القاهرة، (د ط)،(د ت)،ص.12.

أولاً: نبذة عن حياة السكاكي :

أ/- المولد والنشأة

هو(السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب، بن أبي بكر، محمد بن علي)، الخوارزمي الحنفي الأديب الشهير بـــ(السكاكي)، ولد سنة 555هـــ ، وتوفي سنة 626 هــ.[1] أو هو (سراج الدين، أبو يعقوب يوسف، بن أبي بكر بن محمد بن علي، السكاكي)، ولد في خوارزم، و توفي فيها.[2]

ب/- أقسام كتاب مفتاح العلوم

جعل السكاكي في (مفتاحه)، من علمي المعاني والبيان القسم الثالث، وجعل في الفصل الأول منه، (في ضبط معاقد علم المعاني والكلام عليه)، ثم انتقل إلى الكلام عن آراء العلماء في الخبر والطلب، وجعل منه عناوين فرعية:

- فيما يتعلق بالخبر.
- لكل مقام مقال.
- فنون القول.
- وجعل من الفنون في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري، و منه جاء بالخبر الطلبي والخبر الإنكاري، وأما الفن الثاني فكان بيان في تفصيل اعتبارات المسند إليه، و جعله مقسماً إلى عناوين فرعية منها:
- طي ذكر المسند إليه.
- إثبات المسند إليه.
- المسند إليه معرفة.
- المسند إليه علماً.
- المسند إليه اسماً موصولاً.

1- ينظر:إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المضيفين من كشف الظنون**،دار الكتب العلمية، بيروت،(مج 06)،1992م،ص.553.

2- ينظر:جورجي زيدان،**تاريخ أدب اللغة العربية** ،تقديم إبراهيم صحراوي،موفم للنشر،الرغاية، الجزائر، (د ط)، 1994م ،ص.81.

– المسند إليه اسم إشارة.

– تعريف المسند إليه باللام .

و أما الفن الثالث ، فكان تفصيل اعتبارات المسند، وفيه تضمين لحالات المسند، من تنكير وحذف وذكر وتعريف وتنكير.. وغيرها، ثم يعرج (السكاكي)، إلى اعتبارات أخرى تتعلق بالفعل وحالاته المختلفة، من ترك وإثبات وإضمار وتقديم وتأخير وغيرها.ثم يجعل (السكاكي) من باب الفصل والوصل والإيجاز والإطناب، الفن الرابع ويفرعه إلى عناوين شتى؛ منها الفصل والعطف والقطع والإبدال والانقطاع والحال والوصل.

وإذا كان علما (الصرف والنحو)، يمثلان بالنسبة إلى (السكاكي) توطئة مهمة، لدراسة علم المعاني، باعتبارهما يدرسان المفردات والتراكيب، بحسب أصل وضعهما، فيهتمان بالدلالات الوضعية؛ فإن علم المعاني يختص بدراسة التراكيب المتميزة، الناتجة عن خروج الدلالات الوضعية، « فعلم الصرف يطلب النحو ، وثانيهما محتاج إلى أولهما، والنحو عنده علم مداره على دراسة التراكيب، أي كيفية التركيب فيما بين الكلم ، لتأدية أصل المعنى مطلقاً ، بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب».[1]

لقد كان (المفتاح) الخطوة الطبيعية المنتظرة ، بعد كتابي (الجرجاني) (الأسرار) و(الدلائل)، ومؤدى ذلك أن نظرية (السكاكي) في علم الأدب، كانت ثمرة طبيعية لنظرية النظم ، و لقد ذاع صيت (السكاكي)، نتيجة ما قدمه في(مفتاحه)، في القسم الثالثوالخاص بعلمي المعاني والبيانولواحقهما ، من الفصاحة والبلاغة ، والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية.

لقد أشتغل (السكاكي) على جبهات عدة، محاولاً أن يحقق غاية نبيلة، تقوم على خدمة القرآن الكريم، وذلك وفق آليات تضبط المسائل البلاغة

1- مصلوح،**في البلاغة العربية،والأسلوبية اللسانية– آفاق جديدة**، لجنة التأليف والتعريب النشر ،جامعة الكويت ،(ط01)،2003م،ص.75.

بأقسامها،«لقد رأى أنه في سبيل تحقيق هدفيه الكبيرين ، من التأليف في علوم الأدب، وهما: التحرز من الخطأ في لغة العرب، والوقوف على وجه الإعجاز في كلام رب العزة ، ضرورة إقامة البلاغة على أصول علمية، وقوانين عقلية تضبط مسائلها وتعين الدارس على تحصيلها وتطبيقها ، بعد أن شاهد فساد الألسنة الطباع، وغلبة العجمة في التعامل اللغوي بين الناس من ناحية، وحاجة التراث البلاغي إلى من يخدمه ويجمع متفرقاته ، ويمهد قواعده ، ويرتب شواهده، وينجو من الخسف والضيم من ناحية أخرى».[1]

لقد أعطى (السكاكي) لذلك كله، الصيغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده، يتدارسونها ويشرحونها مراراً، إذ استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله، إلى عمل ملخص دقيق ، لما نثره أصحابها من أراء ، وما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار ، وصاغ ذلك كله صياغة مضبوطة محكمة، استعان فيها بقدرته المنطقية ، في التعليل والتسبيب وفي التجريد والتحديد، والتعريف والتقسيم، والتفريع والتشعيب ، وكان عمدته في ذلك كتابي (عبد القاهر)(دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، و (الكشاف) لـ(لزمخشري) و (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) للإمام (الرازي)، الذي لخص فيه كتابي الإمام (عبد القاهر)(الدلائل والأسرار).

ثانياً:الفكر السكاكي، وعلم المعاني :

عرف (السكاكي) بأنه أول من قسم علوم البلاغة ، قسمة ثلاثية ، علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع ، وأنه أول من قدم الصياغة النهائية لحدود هذه العلوم، ووزع فيمابينها فنون البلاغة ومباحثها . و كان منهجه في ضبط مسائل كل علم، ثمرة لنظره في تعريفه، فقد عرف المعاني بأنه:« تتبع خواص

1- يوسف رزقة ،**القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي** ،(مقال)،مجلة الجامعة الإسلامية، (م07)،(ع01)، يناير،1999م ،ص.173.

تراكيب الكلام ، في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ، في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».[1]

ومن هذا التعريف وضع لعلم المعاني ، منهجه المحدد وأبوابه المعروفة ، ولم يسبق لشيء مما ذكره في هذا التحديد ، والذي يلفتنا في هذا التعريف ، هوذلك الربط القوي بين هذا العلم ، والنصوص الأدبية الرفيعة ، إذ إنه يعني بالتراكيب تراكيب البلغاء، المشهود لهم بالسبق والتفوق ، و قد نظر (السكاكي) فوجد التعرض لخواص التراكيب ، موقوفاً على التعرض للتركيب ، ثم إن التعرض لتراكيب الكلام وهي منتشرة أمر يصعب حصره، فوجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط ، لتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار ، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئا، على موجب المساق والسابق.

ومحاولة منا تتبع الشواهد التي قدمها (السكاكي)، لمفهوم البلاغة في شقها(التركيبي)[2]، فإننا سنكتفي بمجموعة منها في بعض الأبواب، لاعتقادنا بأنها أقرب ما تكون لتصور لساني ، يأخذ بعين الاعتبار خاصية التلاحم والتكامل والتتابع ، بين وحدات الصياغة اللغوية، وذاك بغض النظر عن طولها.

من الفنون المتعلقة بالخبر، كما ذهب إلى ذلك (السكاكي)، أن جعل منها ضروباً من الاعتبارات منها :

- اعتبارات الإسناد الخبري.
- اعتبارات المسند إليه.
- اعتبارات المســــــند.

1- (السكاكي)، **مفتاح العلوم** ،حققه و قدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،(ط01)،2000 م،ص.250.

2- يشير عبد الحميد هنداوي في عنوان سماه: (العرض البديل)،إلى أن البلاغة تتحقق بأمرين :الكلمة المفردة ، بمالها من دلالة صوتية ومعجمية وصرفية و مقاميه،والتراكيب وهيتتنوع بحسب تنوع أساليب الكلام .ومن ثم تنوسم البلاغة إلى مبحثين هما: مبحث الكلمة المفردة ، ومبحث التراكيب.

- اعتبارات الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب.
- اعتبارات القصر.

01/- اعتبارات الإسناد الخبري:

يرى (السكاكي) أن مناط الإخبار، بين المتحدث والمتحدث إليه، لزوم أن يكون قصد المتحدث، « في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته للمخاطب؛ متعاطياً مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية، إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه، ليحضر طرفاها عنده ، وينتقش في ذهنه أحدهما إلى الآخر ثبوتاً أو انتفاءً، كفى في ذلك الانتقاش حكمه، و يتمكن لمصادفته إياها خالياً».[1]

و يذهب (السكاكي) إلى اعتبار الخبر نوعان: طلبي، و إنكاري. ويورد (السكاكي) بيتاً من الشعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا

والطلبي الابتدائي ما استغنت الجملة فيه عن مؤكدات الحكم، و إذا لمس المتحدث في مخاطبه حيرة، استحسن تقوية المنقذ، بإدخال اللام في الجملة كنحو: (لزيد عارف)، (إن زيداً لعارف)، وسمي ذلك (خبراً طلبياً). « وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو (إني لصادق)، لمن ينكر صدقك إنكاراً (..)، و تأمل قول الله عز و جل : ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوها فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شي إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴾[2]، حيث قال أولاً : (إنا إليكم مرسلون)، وقال ثانياً: (إنا إليكم لمرسلون)، كيف يقرر ما ألقى إليك، ويسمى هذا النوع من الخبر: إنكارياً».[3]

1- السكاكي ، **مفتاح العلوم**نفسه، ص.258.

2- سورة يس، الآيات 14-16.

3- نفسه، ص.259.

02/- اعتبارات المسند إليه:

في استعراض (السكاكي) لأقسام الجملة من مسند ومسند إليه، يقرر أن مدار حسن الكلام و قبحه، على انطباق تركيبه على (مقتضى الحال)، وعلى لا انطباقه. و أن انتباه القارئ لمسألة التصفح، لمقتضيات الأحوال في إيراد المسند منتبهاً إليه، من ذلك « أيما حال يقتضي طي ذكره، و أيما حال يقتضي خلاف ذلك، و أيما حال يقتضي تعرفه: مضمراً ،أو علماً ، أو موصولاً ، أو اسم إشارة، أو معرفاً باللام ، أو بالإضافة، وأيما حال يقتضي تنكره ، و أيما حال يقتضي تقديمه على المسند ، و أيما حال يقتضي تعقيبه بشيء من التوابع الخمسة، والفصل ، وأيما حال يقتضي تنكره، و أيما حال يقتضي تقديمه على المسند، وأيما خال يقتضي تأخيره عنه، و أيما حال يقتضي تخصيصه أو إطلاقه حال التنكير، وأيما حال يقتضي قصره على الخبر».[1]

ويمضي (السكاكي) بعد بيان أحوال أركان الجملة، إلى الإشارة إلى الحالات، التي تقتضي تجاوز ذكر المسند إليه :

أ/- طي ذكر المسند إليه:

يقرر (السكاكي) الحالات التي تستوجب طي ذكر المسند إليه، « إذا كان السامع مستحضراً له،عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، و إما للاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر ، وإما لتخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل(..)، و إما لإيهام أن في تركه تطهيراً للسان عنه، وإما للقصد إلى عدم التصريح، ليكون لك سبيل إلى الإنكار، إن مست إليه حاجة، وإما للقصد إلى عدم التصريح ، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة، كقولك :(خالق لما يشاء)،(..)، و إما لأن الاستعمال وارد على تركه، أو ترك نظائره، كقولهم:(نعم الرجل زيد) ».[2]

1- نفسه، ص.265.

2- نفسه، ص.266.

ولا يكتفي (السكاكي) ببيان أحوال (طي ذكر المسند إليه)، و إنما يسوق لها الأمثلة التالية، التي توضح حال الغموض فيها من ذاك :

قال لي : كيف أنت؟ قلت عليل   سهر دائم وحزن كطويل

لم يقل :(أنا عليل)[1] ، و مثله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه   وليس إلى داعي الندا بسريع

لم يقل:(هو سريع)[2] ، و مثله كذلك :

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

لم يقل:(هو فتى)[3]، و مثله كذلك :

نجوم سماء كلما انقض كوكب   بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

حيث لم يقل:(هم نجوم سماء)[4]. ومن آيات القرآن الكريم التي تستقيم مــــع هذا المقام قوله عز وجل:﴿ سورة أنزلناها وفرضناها﴾[5]، إذ لم يقل:(هذه سور أنزلناها)، ومثله قوله تعالى:﴿ طاعة معروفة ﴾[6]حيث لم يقل:(طاعتكم طاعة معروفة).

ب/- إثبات المسند إليه:

بعدما تحدث (السكاكي) عن أحوال طي ذكر المسند إليه، انتقل إلى بيان إثباته ذكراً من ذلك « أن يكون الخبر عام، النسبة إلى كل مسند إليه، والمراد تخصيصه بمعين كقولك : (زيد جاء) و قول الشاعر:

الله أنجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرحل

1- نفسه، ص.266.
2-نفسه، ص.266.
3- نفسه، ص.267.
4- نفسه، ص.267.
5- سورة النور ، الآية:01.
6- سورة النور ، الآية :53.

و قوله :

النفس راغبة إذا رغبتها و إذا ترد إلى قليل تقنع

أو يذكر احتياطاً في إحضاره في ذهن السامع، أو للتنبيه على غباوة السامع، أو لزيادة الإيضاح والتقرير، أو لأن في ذكره تعظيماً للمذكور، أو إهانة له كما يكون في بعض الأسامي، أو يذكر تبركاً به، واستلذاذاً له، أو لأن إصغاء السامع مطلوب، فيبسط الكلام افتراضاً بسط موسى، إذ قيل له:﴿ وما تلكبيمينك يا موسى ﴾[1]، وكان الجواب بمجرد أن يقول:(عصا)، ثم ذكر المسند إليه وزاد:﴿هيعصاي أتوكأ عليها وأهش بها لى غنم ولي فيها مآرب أخرى﴾».[2]

ثم يمضي (السكاكي) إلى بيان أحوال المسند إليه، من حيث كونه معرفة، أو ضميراً ، فما كان في حالة:

- **كونه معرفة** : و بيانه « إذا كان المقصود من الكلام، إفادة السامع فائدة، يعتد بمثلها إذ المسند كلما ازداد تخصصاً، ازداد الحكم بعداً، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً(..) ، ثم إن تخصص المسند إليه، إما أن يكون لكونه أحد أقسام المعرفات فحسب، و هي: المضمرات، الإعلام ، المبهمات، أعني الموصولات ، وأسماء الإشارة المعرفات باللام، المضافات إلى المعارف إضافة حقيقية ».[3]

- **كونه ضميراً**: و بيان ذلك « إذا كان المقام مقام حكاية كقوله:

أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدراً و لا أرد

ومثله :

أنا المرعث لا أخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي والداني

ومثله :

ونحن التاركون لم سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

1- سورة طه ،ص:17.

2- سورة طه ،ص:18./ نفسه،ص.268.

3- نفسه ، ص.269.

و من مثله في ضمير المخاطب :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتن   وأشمت بي من كان فيك يلوم ».[1]

- **كون المسند إليه علماً** : و بيانه أن يكون، « المقام مقام إحضار، لع بعينه في ذهن السامع ابتداءً، بطريق يخصه كما في قوله:

أبو مالك قاصر فقره   على نفسه و مشيع غناه

و مثله كذلك :

الله يعلم ما تركت قتالهم   حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

ومن أمثلته: للإهانة والاسم صالح كالأسامي، كقوله تعالى :﴿تبت يدا أبي لهب﴾..».[2]

- **كون المسند إليه اسماً موصولاً**: و أما الحالة التي يأتي فيها اسماً موصولاً، فهي « متى صح إحضاره في ذهن السامع، بوساطة ذكر جملة معلومة الانتساب، إلى مشار إليه،(..)، أو أن تستهجن التصريح بالاسم، أو أن يقصد زيادة التقرير، فمن الأول قولك: (الذي كان معك أمس لا أعرفه)، ومن الثاني قوله عز وجل:﴿ و راودته التي هو في بيتها﴾».[3]

- **كون المسند إليه اسم إشارة** : ومما يأتي مونه اسم إشارة فهي « متى صح إحضاره في ذهن السامع، بواسطة الإشارة إليه حساً ، واتصل بذلك داع، مثل أن يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها، أو أن تقصد بذلك أكمل تمييزاً له وتعيين، كقول الشاعر :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه   من نسل شيبان بين الضال والسلم

ومنه كذلك :قول الشاعر

هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثي له أحد

ومنه كذلك :

1- نفسه ،ص.271.

2- نفسه ، ص.273/ سورة المسد، الآية.01.

3 - نفسه ، ص.273.

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

و مما يقصد كمال العناية بتمييزه، كقوله تعالى:﴿ أولئك على هدىً من ربهم و أولئك من المفلحون﴾».[1]

- **كون المسند إليه معرفة موصوفة** : ثم يمضي (السكاكي)، إلى بيان حالة أخرى عليها المسند إليه، وهي كونه يأتي معرفة موصوفة ، وذلك « إذا كان الوصف مبيناً له كاشفاً عنه، كقولك:(الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله)،(..)، فبينت بالوصف أن الجسم الطويل العريض، ينبغي له كذا و كذا، ومثاله من النظم قول الشاعر :

الألمعي الذي يظن بك الظن كأنْ قد رأى و قد سمعا».[2]

ج/- البدل عن المسند إليه:

ومما يأتي فيه المسند إليه بدلاً، « إذا كان المراد نية تكرير الحكم، وذكر المسند إليه بعد توطئة ذكره، لزيادة التقرير و الإيضاح، كقولك: (سلب زيد ثوبه)، و(جاء القوم أكثرهم) ».[3]

د/- عطف المسند إليه:

ومما ينبغي أن يأتي فيه المسند إليه معطوفاً، « إذا كان المراد تفصيل المسند إليه مع اختصار،(..)، أو تفصيل المسند مع اختصار،(..)، أو كان المراد رد السامع عن الخطأ، في الحكم إلى الصواب ،(..)، أو كان المراد صرف حكمك عن محكوم له إلى آخر،(..)، أو كان المراد الشك فيه أو التشكيك، فمن مثال الأول:(جاء زيد وعمرة وخالد)، ومن الثاني:(جاء زيد فعمرو فخالد)، ومن الثالث قول الناظم:

كنت فتى من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي

---

1 - سورة البقرة، الآية:05. /نفسه، ص.277.

2- نفسه، ص.283.

3- نفسه،ص.285.

ومن الرابع:(جاءني زيد لا عمرو)، ومن الخامس قولك:(ما جاءني زيد، بل عمرو)، ومن السادس قولك: (جاءني زيد أو عمرو) ».[1]

ه/- فصل المسند إليه :

و أما الحالة التي ينبغي أن يفصل فيها المسند إليه، « إذا كان المراد تخصيصه للمسند بالمسند إليه، من ذلك قولك:(زيد هو المنطلق، زيد هو أفضل من عمرو(..)».[2]

و/- تقديم المسند إليه على المسند :

ثم ينتقل (السكاكي) إلى الحديث عن حالات، تقديم المسند إليه عن المسند من ذلك، « متى كان ذكره أهم ، ثم إن كونه أهم يقع باعتبارات مختلفة: إما لأن أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، وإما لأنه متضمن للاستفهام، وإما لأن ضمير الشأن والقصة، وإما أن في تقديمه تشويقاً للسماع للخبر، فمن الأول قولك:(أيهم المنطلق؟) ومن الثاني:(هو زيد منطلق) ومن الثالث:(صديقك فلان الفاعل الصانع ، رجل صدوق) ».[3]

ومن الحالات الأخرى التي أشار إليها (السكاكي)، كذلك: « إما لأن المسند إليه يصلح للتفاؤل، فتقدمه إلى السامع لتسره أو تسوءه، وإما لكونه متصفاَ بالخبر ،(..)، و إما لأنه يفيد زيادة تخصيص، فمثال الأول قولك: (سعيد بن سعيد في دار فلان)، و من المثال الثاني قولك إذا قيل لك:(كيف الزاهد ؟)، فتقول:(الزاهد يشرب ويطرب). و من مثال الثالث قول الشاعر:

متى تهزز بني قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم خفوف

والمراد هم خفوف ».[4]

1- نفسه ،ص.286.

2- نفسه ، ص.286.

3- نفسه، ص.291.

4- نفسه ، ص.292.

ز/- قصر المسند إليه على المسند:

ومن الحالات التي جاء بها (السكاكي) في باب المسند إليه، والتي يكون فيها مقصوراً على المسند، « أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ، وأنت تريد تقرير صوابه ونفي خطئه، مثل أن يكون عند السامع: أن زيداً متمول وجواد، فتقول له:(زيد متمول لا جواد).(..)، أو: (إنما زيد متمول). و مثاله من القرآن الكريم: ﴿ ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾[1] أي أنه مقصور على الملكية، لا يتخطاها إلى البشرية، ومثله كذلك قوله تعالى:﴿ و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾[2] أي يقولون : نحن مقصورون على الصلاح لا يتأتى منا أمر سواه ».[3]

03/- في تفصيل اعتبارات المسند:

بعد أن أحال (السكاكي) على تفاصيل مما يرد عليه المسند إليه، كالذكر والحذف والقصر.. وغيرها، و قبل أن يفصل في أجزاء و أحوال المسند، يقدم لذلك بهذه التوطئة بقوله : « لابد من التصفح عن الأحوال المقتضية لأنواع التفاوت في المسند من كونه متروكاً تارة وغير متروك أخرى ومن كونه مفرداً أو جملة وفي إفراده من كونه: فعلاً نحو:(قام زيد) و(يقوم) و(سيقوم) أو اسماً منكراً أو معرفاً من جملة المعرفات مقيداً كل ذلك بنوع قيد نحو: (ضربت يوم الجمعة) و: (زيد رجل عالم و(عمرو أخوك الطويل) أو غير مقيد ».[4]

ثم يبدأ (السكاكي) في تفصيل أحوال المسند و هي على النحـــو التالي :

1- سورة يوسف، الآية.31.

2- سورة البقرة، الآية.11.

3- نفسه،ص.293.

4- نفسه ، ص.305.

أ/- ترك المسند:

من الحالات الموجبة لترك ذكر المسند « متـــى كان ذكر المسند إليه بحال يعرف منه المسند وتعلق بتركه غرض،إما إتباع الاستعمال كقولهم: (ضربي زيداً قائماً)، و(أخطب ما يكون الأمير قائماً)، و إما قصد الاختصار والاحتراز عن العبث كما إذا قلت:(خرجت فإذا زيد) ومثله من القرآن ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم النار ﴾[1] إذا حملته على تقدير: (النار شر من ذلكم). وإما ضيق المقام مع قصد الاختصار والاحتراز عن العبث كقول الشاعر:

قالت، وقد رأت اصفراري: من به ؟ وتنهدت فأجبتها: المتنهـــــد

إذا حُمل على تقدير:(المتنهد هو المطالب) دون (هو المتنهد) وإما طلب تكثير الفائدة بالمذكور كقوله تعالى: ﴿فصبر جميل ﴾[2]و﴿طاعة معروفة ﴾[3] لحملها على:(فصبر جميل أجمل) و(طاعة معروفة أمثل)..».[4]

ب/- ذكر المسند:

يشير (السكاكي) إلى الحالة المقتضية لذكر المسند، وهي: « أن لا يكون ذكر المسند إليه، يفيد المسند بوجه ما من الوجوه، كقولك:(زيد عالم)، أو يكون في ذكر المسند غرض، وهو إما زيادة التقرير أو التعريض بغباوة سامعك، أو استلذاذه أو قصد التعجب من المسند إليه ذكره، كما إذا قلت:(زيد يقاوم الأسد)، مع دلالة قرائن الأحوال أو تعظيمه أو إهانته، أو غير ذلك..».[5]

ج/- متى يكون المسند فعلاً؟:

أما الحالة المقتضية التي لكونه فعلاً، « إذا كان تخصيص المسند بأحد الأزمنة، على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد، كقوله عز وجل: ﴿ فويل لهم

1- سورة الحج، الآية: 72.

2- سورة يوسف، الآية:18.

3- سورة النور، الآية:53.

4- نفسه، ص. 307.

5- نفسه ،ص.307.

مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون ﴾[1]، أي: ويل لهم مما أسلفت أيديهم، من كتبة ما لم يكن يحل لهم، و ويل لهم مما يكسبون بذلك بعد أن أخذ الرشا..».[2]

د/- متى يكون المسند جملة..؟:

و أما الحالة التي أشار إليها (السكاكي)، وتقتضي كون المسند يأتي جملة فهي « إذا أريد تقوي الحكم، بنفس التركيب كقولك:(أناعرفت)، أو أن يكون المسند فعلاً يستدعي الإسناد، إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي، فيطلب تعليقه على ما قبله بنوع إثبات، أو بنفي لكون ما بعده بسبب مما قبله، نحو:(عمرو ضرب أخوه) ».[3]

أما كون المسند إليه جملة اسمية، « فهي إذا كان المراد خلاف التجدد والتغير، كقولك:(زيد أبوه منطلق)، فلاسم إن دلّ على التجدد، لم يدل عليه خلاف بالعرض،(..) وأما الحالة المقتضية لكونها ظرفية، فهي إذا كان المراد اختصار الفعلية كقولك: (زيد في الدار) بدل استقر فيها(..) ».[4]

ه/- تقديم المسند:

ثم يأتي (السكاكي) على بيان حالة كون المسند يوجب فيه التقديم، « أن يكون متضمناً للاستفهام كنحو:(كيف زيد؟)،(..)، أو أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى: ﴿ولكم دينكم ولي دين ﴾.[5] أو أن يكون المراد التنبيه على أنه خبر لا نعت، مثل:(تحت رأسي سرج، وعلى أبيه درع)، ومن النظم قول أحدهم:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

1- سورة البقرة، الآية:79.

2- نفسه، ص.308.

3- نفسه، ص.320. و ثمة حالات أخرى متعلقة بكون المسند جملة فعلية يُرجع إليها.

4- نفسه ،ص.320.

5- سورة الكافرون، الآية:06.

و قوله :

لها خلق ضيق لو أن وضينه فؤادك لم يخطر بقلبك هاجس

و قوله :

لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ

و قوله :

أغر أبلج يأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

و قوله عز و جل:﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[1]، فإن النعت لا يقدم على المنعوت ولذلك يقال : جاءني راكباً رجل..».[2]

- اعتبارات الفعل وما يتعلق به:

لما أنهى (السكاكي) الكلام عن أحوال المسند والمسند إليه، شرع في الحديث عن أحوال الفعل في الجملة ومتعلقاته. يقول (السكاكي) تقديماً لهذا الموضوع : « واعلم أن للفعل، ولما يتعلق به، اعتبارات مجموعها راجع إلى: الترك والإثبات، والإظهار والإضمار، والتقديم والتأخير.. ».[3]

أ/- ترك الفعل:

يقول (السكاكي) عن بيان ترك التصريح بالفعل، : « فهي أن تغني قرائن الأحوال عن ذكره، ويكون المطلوب: هو الاختصار أو إتباع الاستعمال الوارد على تركه .. ».[4] ويستعرض (السكاكي)، جملة من أحوال الترك في الفعل كما:

- (لا حظية فلا ألية)، أو بقولهم (لو ذات سوار لطمتني): وفعله المحذوف مقدر من قولك (إن لم أحظ فلا أزال أطلب)، والثاني (لو لطمتني حرة ذات حلي،لاحتملت).

1- سور البقرة، الآية:36.

2- نفسه، ص.321.

3- نفسه ،ص.329.

4- نفسه ،ص.329.

– بسم الله ، بالرفاء والبنين ، وإليك الاختيار: الحروف المزيدة في عمومها، لا تتخطى الفعل المطلق، إلا إذا أريد تقييده احتيج إلى دلالة أخرى في معانيها، ففي المثال الأول، أفادت الشروع في القراءة، المراد (باسم الله أقرأ)، والثاني الاقتران والمراد (بالرفاء أعرست)، وفي الثالث الاختيار والمراد (إليك يفوض الاختيار).

– أن يسمع منك: يكتب القرآن لي، تسأل :(من يكتبه؟)، فتقول :(زيد) ، قال تعالى:﴿ و لئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله﴾[1]، و قوله تعالى:﴿ و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله﴾[2]، الكلام جواب عن سؤال واقع، والحال مغنية عن ذكر الفعل، ففي الأول:(زيد يكتب)، وفي الثاني :(الله خلقهن) وفي الثالث :(الله نزل).

ب/- ترك المفعول:

أما الحالات التي توجب عدم الصريح بالمفعول، فكأن يكون « القصد إلى التعميم و الامتناع، على أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره، مع الاختصار حيث يتوصل بقليل اللفظ إلى تكثير المعنى.. »[3]، ولشواهد ترك المفعول معاني، ذكرها (السكاكي) منها:

– فلان يعطي ويمنع، و قوله تعالى:﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا﴾[5]، وقوله تعالى :﴿ رب أرني أنظر إليك﴾[6] ، وقوله تعالى:﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون

1 - سورة العنكبوت، الآية:63.

2- سورة لقمان ،الآية:25.

3- نفسه، ص.334.

4 -سورة البقرة، الآية: 22.

5 - سورة الفرقان، الآية:41.

6 - سورة الأعراف، الآية: 143.

ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾[2]، وقول عائشة رضي الله عنها:(ما رأيت منه ولا رأى مني)،(..)، ففي المثال الأول المراد:(يعطي كثيراً)، ومن الثاني المراد:(وأنتم من أهل العلم والمعرفة)، ومن الثالث المراد:(الذي بعثه الله)، ومن الرابع المراد:(أرني ذاتك)، ومن الخامس كان المراد:(يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم) ومن السادس كان المراد:(لو شاء هدايتكم لهداكم) ومن السابع المراد: (ما رأيت عورته ولا رأى عورتي).

ج/- إضمار فاعل الفعل:

يمضي (السكاكي) في بيان أحوال مقتضيات الذكر والإضمار، في أركان الجملة إلى أن يأتي على حالة إضمار فاعل الفعل، وحالته المقتضية لذلك «كون المقام حكاية، أو خطاباً، كقولك :(عرفت وعرفت)، أو كون الفاعل مسبوقاُ بالذكر، كقولك : (جاءني رجل فطلب مني كذا)، أو في حكم المسبوق به، كقول الناظم :

زارت عليها للظلام رواق و من النجوم قلائد ونطاق

وقول الآخر في الافتتاح :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلاً فقد أبلغت أسماعي».[3]

د/- التقديم والتأخير مع الفعل:

ومثلما تحدث (الجرجاني) عن أحوال التقديم والتأخير، كما رأينا ذلك في حينه، هاهو (السكاكي) يقدم لنفس الباب، وفق ما يراه في أحوال ورتب أركان الجملة، من فعل وفاعل ومفعولهما، ومن مقتضيات التقديم والتأخير بينهما، وما يترتب عن ذلك من معاني إضافية، أما « اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل،

---

1 - سورة القصص، الآية:23.

2 - سورة الأنعام، الآية: 149.

3- نفسه، ص.336.

فعلى ثلاثة أنواع : أحدهما أن يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل له معنى، كقولك : (أنا عرفت)، ومن الثاني أن يقع بينه وبين غير ذلك، كنحو :(زيداً عرفت، وعمراً منطلقاً علمت)، ومن الثالث أن يقع بين ما يتصل به، كنحو:(عرف زيد عمراً، وعرف عمراً زيدٌ ».[1]

04/- الفصل والوصل والإيجاز والإطناب:

من أهم الأقسام التي تدلل على صحة القول، بأن للتراث اللغوي العربي، جانب هام في الممارسة النصية، لا يقل أهمية عما ينسب إلى الفكر اللغوي الغربي، باب الفصل والوصل. ومثلما وقف عليه (الجرجاني) في حينه، لم يكن من غير الممكن أن يمر عليه (السكاكي)، دون أن يوليه الأهمية التي تليق بأهميته. يقول (السكاكي): « مركوز في ذهنك لا تجد لرده مقالاً(..)، أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي، و ارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي(..)، و لا يكونا بين بين لآصرة رحم ما هنالك، فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك، ومدار الفصل والوصل».[2]

- الفصل:

يقول (السكاكي) منوهاً بأهميته : «هو ترك العطف(..)، وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها، وإنها لمحك البلاغة، و منتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، و مسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطائه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وأن لك في إبداع وشيها اليد الطولى، وهذا فصل له فضل احتياج إلى تقرير وافٍ، وتحرير شافٍ ».[3]

1- نفسه ، ص. 339.و في الصفحات : 340-341-342-343-344-345 تفصيل لما أورده (السكاكي)، في الحالات الثلاث.

2- نفسه، ص.357.

3- نفسه ،ص.357.

- **العطف:**

يحدد (السكاكي) للعطف نوعين : « نوع يقرب تعاطيه ، ونوع يبعد ذلك فيه، فالقريب: هو أن نقصد العطف بينها بغير الواو، أو بالواو بينها، لكن بشرط أن يكون للمعطوف عليها محل من الإعراب والبعيد هو أن نقصد العطف بينها بالواو وليس للمعطوف عليها محل من الإعراب(..)، والسبب في أن قرب القريب، وبعد البعيد، هو: أن العطف في باب البلاغة يعتمد معرفة أصول ثلاثة: أحدها: الموضع الصالح له من حيث الوضع، وثانيهما: فائدته، وثالثها: وجه كونه مقبولاً لا مردوداً».[1]

ويقرر (السكاكي) أن الإحاطة بمعرفة معاني حروف:الفاء، ثم، حتى ،لا ، بل، لكن ، أو ،أم ، أما ، أي من شأنه أن يحصل معه معرفة الأحوال الثلاثة المشار إليها، و لذلك أن كل منها له دلالة، على معنى محصل مستدع من الجمل.

ثم يمضي (السكاكي) في بيان أن الإعراب صنفان، « صنف ليس بتبع، وصنف تبع، و أتقنت أن الصنف الثاني منحصر في تلك الأنواع الخمسة: البدل والوصف والبيان والتأكيد وإتباع الثاني الأول في الإعراب بتوسط حرف(..)، يقولون (أي النحاة) البدل في حكم تنحية المبدل منه (..)، وعلمت في الوصف والبيان والتأكيد أن التابع فيها هو المتبوع، فالعالم في: (زيد العالم عندك) ليس غير زيد(..) ، ثم رجعت فتحققت أن الواو يستدعي معناه أن لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه، لامتناع أن يقال :(جاء زيد وزيد)(..)، حصل لك أن الصنف الأول ليس موضعاً للعطف بأي حرف كان من حروف العطف، لفوات شرط العطف فيه، وهو تقدم المتبوع».[2]

1- نفسه ،ص.357.

2- نفسه، ص.358.في سياق الكلام يستعرض السكاكي، ما لا يتوافق ما صريح القاعدة ،في هذا الفن من القرآن الكريم ،كقوله تعالى :(و أيايَّ فارهبون) :(إنما ساغ لكون المعطوف عليه في حكم الملفوظ به، لكونه مفسراً إذ تقديره وإياي ارهبوا فارهبون).

ثم يستعرض (السكاكي) أهمية العطف، في كون المعطوف والمعطوف عليه، بينهما جهة جامعة، ويقدم لبيان ذلك المثالين:(الشمس ساطعة)، أو(الشمس ومرارة الأرنب)، فشرط قبول العطف في المثال الأول، متوفر بينما في الثاني ليس كذلك، وهو(أي العطف) « السر في أــن دق مسلكه، وبلغ من الغموض إلى حيث قصر بعض أئمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصــل والوصل».[1]

ولمزيد من التوضيح يمضي (السكاكي)، إلى التنبيه على ضرورة مراعاة شروط إثبات العطف، بين الجمل من عدمه. و يوجزها على النحو التالي :

- **شرط عدم إثباتها :**
- أن تنزل الجملة في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها.
- إذا أريد بها القطع عما قبلها .
- إذا أريد بها البدل عن سابقة عليها.
- إذا نزلت منزلة نفسها لكمال اتصالها بها(موضحة أو مبينة أو مؤكدة ومقررة).
- إذا لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها.

شروط إثباتها:

- إذا توسطت بين كمالالاتصال و بين كمالالانفصال.(وهذه بشروطها).[2]

1- نفسه ، ص 360.

2- ينظر : نفسه،ص.360.

- **القطع:**

يحدد (السكاكي) لإحداث القطع بين الجمل حالتين، : « الأولى أن يكون للكلام السابق حكم، وأنت لا تريد أن تشركه الثاني في ذلك فيقطع، ثم إن هذا القطع يأتي إما على وجه الاحتياط،(..)، و إما على وجه الوجوب، وذلك إذا كان لا يوجد موقعه،(..)، ويسمى الأول عطفاً والثاني استئنافاً ».[1]

- **كمال الانقطاع:**

يرى (السكاكي) أن الحالة المقتضية لكمال انقطاع ما بين الجملتين، هي أن تختلفا خبراً وطلباً ، أو إن اتفقتا خبراً ، بأن لا يكون بينهما ما يجمعهما، عند الفكرة جمعاً من جهة العقل أو الوهم أو الخيال.[2]

- **التوسط:**

وفي حالة كون بين الجملتين توسط، بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، يأتي (السكاكي) بالشاهد من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من بين إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمسكين﴾.[3] فقوله تعالى: (لا تعبدون) متضمناً معنى (لا تعبدوا)، فالجملتان إن « اختلفتا خبراً وطلبا أن يكون المقام مشتملاً على ما يزيل الاختلاف، من تضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الخبر، ومشتركاً بينهما في جهات جامعة».[4] ومثل ذلك قوله تعالى :﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم فيها ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾[5]« إن المقام مشتمل على تضمين (إن أصحاب الجنة) معنى

1- نفسه، ص.361.

2- ينظر: ما أورده (السكاكي) حول مفاهيم العقل و الوهم و الخيال و شواهده في ذلك، بداية من الصفحة: 362.

3- سورة البقرة، الآية.83.

4- نفسه ، ص.367.

5- سورة يس ، الآية :55-59.

الطلب(..)، فأنظر بعد تحرير معنى الآية: وهو أن أصحاب الجنة منكم يأهل المحشر، تؤول حالهم إلى أسعد حال، كيف اشتمل المقام على معنى فليمتازوا عنكم إلى الجنة».[1]

أما ما كان فيه الطلب متضمناً معنى الخبر، فيدلل عليه (السكاكي) في قولهتعالى:﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله ربالعالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك ﴾[2]، « إن الكلام مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر، و ذلك أن قوله (و ألق عصاك معطوف على قوله:(أن بورك) معطوف على قوله:(أن بورك)، والمعنى فلما جاءها، قيل: (بورك)، وقيل:(ألق عصاك)، لما عرفت أن (أن) هذه لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول ..».[3]

وخلاصة لما ورد في هذا الباب يورد (السكاكي)، تفصيلاً للحالات التي أشار إليها، متبعاً كل حالة بشاهدها التي يدل عليها. أما الحالات الموجبة للقطع، والاستئناف، و الإبدال، و الإيضاح، والتقريب ، و الانقطاع، والتوسط، فجاءت على النحو التالي:

- **القطع:**

و تظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

« تفادى الشاعر عطف (أراها)، حتى لا يتوهم السامع العطف على(أبغي) دون (تظن)، لأن جملة (أراها في الضلال تهيم)، هو مما تظنه سلمى في حق الشاعر، و ليس هذا هو المراد، إنما المراد أنه حكم الشاعر عليها بذاك، فقد قطع الشاعر (أراها)، ليقع جواباً لهذا السؤال على سبيل الاستئناف».[4]

- **البدل:**

1- نفسه، ص.368.

2- سورة النمل، الآيات:08-10.

3- نفسه ، ص.368.

4- نفسه،ص.370.

أقول له : ارحل لا تقيمن عندنا و إلا فكن في السر والجهر مسلما

« فقد فصل الشاعر(لا تقيمن)،عن (ارحل) لقصد البدل، لأن المقصود مــن كلامه هذا كمال إظهار الكراهة لإقامته، بسبب خلاف سره العلن؛ و قوله (لاتقيمن عندنا) أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله:(ارحل)؛(..) و مثله قوله تعالى:﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون، قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾[1] لا وجود للواو بعد لفظة الأولون لقصد البدل».[2]

-الإيضاح و التبيين:

في قوله تعالى:﴿ و من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون﴾[3]، لا وجود للواو بعد قوله:(بمؤمنين) « لكونه موضحاً له، و مبيناً من حيث إنهم حين كانوا يوهمون بألسنتهم أنهم آمنوا ، و ما كانوا مؤمنين بقلوبهم، قد كانوا في حكم المخادعين..».[4]

-التقرير و التأكيد:

قوله تعالى: ﴿ ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[5]، لا وجود للواو بعد لفظة (كتاب) « لعدم الحاجة إليه، قصد الدلالة على التقرير والتأكيد، ولو وجد العطف لزال هذا القصد».[6]

- الانقطاع للاختلاق خبراً و طلباً:

و قال رائدهم: أرسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار

لا حاجة للشاعر في حرف الواو بعد(أرسوا)، قصد الدلالة على الانقطاع للاختلاف خبراً وطلباً. و مثله قول الشاعر:

و قال: إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

1- سورة المؤمنون، الآيات:81-82.

2- نفسه،ص.376.

3- سورة البقرة، الآية:08- 09.

4- نفسه ،ص.377.

5- سورة البقرة، الآية:01- 02.

6- نفسه،ص.377.

« لأنه أراد الدعاء بقوله: (انتقم)..».[1]

- **الاستئناف:**

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم ألف و ليس لكم إلاف

« لم يعطف (لهم إلف)، خيفة أن يظن العطف على :(أن إخوتكم قريش) فيفسد معنى البيت ، و لك أن تقول جاء على طريق الاستئناف قوله:(لهم إلف وليس لكم إلاف)».[2]

- **الوصل:**

اقتفى (السكاكي) أثر(الجرجاني)، في الاعتماد على ظاهرة التناسب قصد تفسير ظاهرة الوصل، و هي كما نعلم عين الظاهرة المتمثلة في عطف الجمل بالواو، و قد انتقل عنده هذا التناسب إلى مستوى الصياغة الفعلية والاسمية ، قال «: و اعلم أن الوصل من محسن اته أن تكون الجملتان متناسبتين ، ككونهما: اسميتين أو فعليتين، و ما شاكل ذلك. فإذا كان المراد من الإخبار مجرد نسبة الخبر إلى المخبر عنه، من غير التعرض لقيد زائد ؛كالتجدد والثبوت وغيرذلك؛ لزم أن تراعي ذلك. فتقول:(قام زيد و قعد عمرو)، أو(زيد قائم و عمرو قاعد)،أو(زيد قام، وعمرو قعد)؛ وأن لا تقول:(قام زيد و عمرو قاعد)، وكذا:(قامزيد وعمرو قعد)، و(زيداً أكرمت أباه، وعمرو ضربت غلامه)..».[3]

ثم يوضح (السكاكي) مسألة التجدد و الثبوت بين الجملتين، فيقول: « أما إذا أريد التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وجب أن تقول:(قام زيد ، وعمرو قاعد بعد)، و عليه قوله تعالى :﴿ سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾..».[4]

1- نفسه،ص.379.

2- نفسه،ص.371.

3- نفسه،ص.382.

4 - نفسه، ص.382.

وبعد أن لخص (السكاكي) الكلام عن الفصل والوصل، رأى أن يلحق بهما مقتضيات (الحال) بالواو وبدونها، وأحوال الظرف جملة..:

- **أصل الحال:**

أما أصل الحال فالضابط في ذلك،: « أن الجملة متى كنت واردة على أصل الحال، وذلك أن تكون فعلية لا اسمية؛(..)، فالوجه ترك الواو؛ جرياً على موجب الحال، نحو:(جاءني زيد يسرع)(..) ، ومتى لم تكن واردة على أصل الحال، وذلك أن تكون اسمية في الحال غير المؤكدة، فالوجه الواو نحو:(جاءني زيد وعمرو وأمامه)(..)، و متى كانت واردة على أصل الحال لكن، لا على نهجها، فالوجه جواز الأمرين معاً، نحو:(جعلت أمشي، ما أدري أين أضع رجلي، وجعلت أمشي، و ما أدري أين أضع رجلي..».[1]

- **الظرف:**

وفيه احتمال أن يكون « جملة فعلية، وأن لا يكون بحس بالتقديرين، وتردد لذلك بين أن يكون وارداً على أصل الحال وغير وارد، جاء الأمران فيه، يقال: (رأيته على كتفه سيف)، بدون واو تارة، و(رأيته وعلى كتفه سيف) بالواو أخرى».[2]

05/- القصر:

يولي (السكاكي) أهمية كبيرة لأسلوب القصر، لما له من دور في الوقوف على المعنى، ولما له كذلك من تأثير على انسجام أركان الجملة وتماسكها، وليس القصر مقتصراً على ركني الجملة من مسند ومسند إليه، وإنما هو شامل لكل أجزاء الجملة؛ أكان الجزء في الجملة عمدة أو فضلة.

وحديث (السكاكي) عن القصر، يبوبه إلى جملة من الفروع هي : معنى القصر ، وطرقه، وأدواته.

1- نفسه ، ص.386.

2- نفسه ،ص.387.

أ/- معنى القصر:

يرى (السكاكي) أن القصر هو « تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان، كقولك:(زيد شاعر لا منجم)، لمن يعتقده شاعراً ومنجماً.(..)، ويسمى ذلك قصر إفراد بمعنى أنه يزيل شركة الثاني(..)، أما قولك لمن اعتقد أن زيداً منجماً لا شاعر:(ما زيد منجم بل شاعر)، فذاك يسمى قصر قلب بمعنى أن المتكلم يقلب فيه حكم السامع..».[1]

ب/- طرق القصر:

يرى (السكاكي) أن للقصر أربعة طرق، أحدها: طريق العطف، والثاني: النفي والاستثناء، والثالث: استعمال (إنما)، و رابعها: التقدير.

- طريق العطف:

« و هو قصر صفة على موصوف، إفراداً أو قلباً(..)، كقولك: (زيد شاعر لا منجم)..».[2]

- قصر بالنفي والاستثناء : « و هو ما فيه قصر موصوف على صفة، إما إفراداً أو قلباً كقولك:(ليس زيداً إلا شاعراً)(..)، ومن أمثلته في القرآن الكريم:﴿ و ما محمد إلا رسول ﴾[3]، و معناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعدعن الهلاك..».[4]

- استعمال (إنما): مثلما تقول في « قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد:(إنما زيد جاء)، لمن يردده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لأحدهما: أو قصر قلب لمن يقول:(زيد ذاهب لا جاء)(..)، و السبب في إفادة (إنما) معنى القصر، هو تضمينه معنى:(ما وإلا)، ولذلك تسمع المفسرين

1- نفسه، ص.400.

2-نفسه،ص.400

3- سورة آل عمران، الآية:144.

4- نفسه،ص.401.

يقولون في قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ﴾ بالنصب، يقولون : معناه ما حرك عليكم إلا الميتة والدم..».[1]

- **التقدير**: ويريد (السكاكي) بالتقدير : « كما تقول في قصر الموصوف على الصفة، كقولك :(تميمي أنا)، لمن يرددك بين: قيس وتميم، أو قصر قلب، لمن ينفيك عن تميم و يلحقك بقيس..».[2]

وبعد ما قدمناه من بعض فنون البلاغة بشواهدها المختلفة، والتي أتى (السكاكي) على ذكرها في (مفتاحه)، استطعنا أن نخرج بجملة من التصورات، تركت لدينا انطباعاً مفاده أن (السكاكي) نحى المنحى نفسه الذي قدمه (الجرجاني)، في فهمه ومعالجته لموضوعات البلاغة، وذلك يقرر حقيقة مفادها استفادة (السكاكي) مما ذكره الجرجاني في (دلائل الإعجاز)، وهذا بدوره يصب في قناعتنا تأكيداً آخر، محصلته عراقة البحث البلاغي العربي، بصيغتيه (الجرجانية) و(السكاكية)، والتقائه في حوار مـــع الأسلوبيات اللسانية المعاصرة، نتيجة تحول هذا البحث من مجرد أنظار وآراء، إلى علم منضبط.

لقد استطاع (السكاكي) من خلال ما قدمه في مفتاحه، من إسهامات بلاغية وأدبية أن يؤسس لمنظومة تحليلية متكاملة، تقوم على مراعاة الضابط القواعدي، في التصور البلاغي القائم على الشواهد المتعددة، و لا سيما من القرآن الكريم والشعر.

و نود الآن أن نخلص – في نقاط مركزة – من صيغة (السكاكي) البلاغية، في علم المعاني التي سبق الإشارة إليها، إلى جوانب الإسهام والتي في اعتقادنا تؤشر على أصالة البحث البلاغي، والتقائه في كثير من الجوانب مع البحث اللساني الحديث :

1- نفسه،ص.403.

2- ينظر :تفريعات (السكاكي)للقصر بين الفاعل المفعول، و القصر بين المفعولين ،و القصر بين ذي الحال،و الحال ومستلزمات إلا، و حكم إنما بداية من الصفحة: 409.

- أن علم المعاني كما فهمه (السكاكي)، إنما يدرك بالذوق وأن طريقة اكتساب الذوق، تقوم على خدمة هذا العلم، وأن المحصلة في كل ذلك هي الوقوف على شأن إعجاز القرآن الكريم، من خلال تذوق أفنان علم المعاني، فوجه الإعجاز عند (السكاكي)، هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة.

- أن علوم البلاغة كما قدمها (السكاكي) في مفتاحه، بما فيها علم المعاني، إنما تؤصل لدراسة الظاهرة الأدبية، دراسة نقدية مؤسسة على رؤية منهجية، وعلمية ثابتة.

- أن (السكاكي) ومن خلال استحضاره ، لكم هائل من الشواهد في علم المعاني، إنما كانت غايته تمييز حدود واضحة للعلوم البلاغية، وتوزيع مباحث البلاغة بينها ، وتحديد الأنواع تحديداً علمياً ، تبعاً للنسق المعرفي السائد في زمانه.

- أن الثمرة المستفادة من علم المعاني كما فهمها (السكاكي) في مفتاحه، تعكس رؤية واضحة منه في تتبع ومعرفة أحوال اللفظ، التي بها يطابق مقتضى الحال، وهذا ما يعني بالنسبة لنا استحضار مبكر لمفهوم نصية النص، بالنظر إلى مقتضيات المقام، وهو عينه مع تقترحه (نظرية النص) مع (نظرية السياق).

- أن وجهة النظر التي قدمها (السكاكي) في علم المعاني، تعتبر واجهة وطرفاً في حوار بين التراث البلاغي العربي، وبين (لسانيات النص)، مما يؤشر على أصالة البحث البلاغي العربي، وأسبقيته في طرق أبواب نظرية النص.

- أن الشواهد المقدمة من طرف (السكاكي) في علم المعاني، تبحث كلها في فصاحة النظم، وهو ما سماه (الجرجاني) بدوره، بعلم معاني النحو.

- أن مجموع فنون علم المعاني كما قدمها (السكاكي)- المشار إليها آنفاً- وبقوة الشاهد الوارد فيها، إنما تبسط الدليل في خواص تراكيب الكلام، ومعرفة

صياغات المعاني، ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها، بحسب ما يفي به قوة ذكاء المتلقي.

– أن علم المعاني عند (السكاكي)، يعكس منهجه المتميز به في عرض المسائل العلمية البلاغية، وهذا المنهج يعتمد على التقرير والتقعيد ، ومثال لما يشرحه من مسائل وضبط المسائل والأقسام ، بتعاريف محددة وقواعد ثابتة، وهويهدف بذلك إلى تسهيل التحصيل العلمي ، والقدرة على الاستيعاب والحفظ، وبخاصة على الناشئين والمبتدئين.

المبحث الثالث :القرطاجني ، و فعل الممارسة النصية

توطئة

يجمع الكثير من الدارسين على أن النقاد العرب – من عهد (قدامه) إلى عهد (ابن رشيق) –، لم يكن من بينهم من كانت عنايته ملحوظة، بكتاب الشعر لــ(أرسطو)، بما فيهم أولئك الذين قدموا لقراءة نقدية للشعر، خلا ما استعرضه (القرطاجني)، من أفكار في باب نقد الشعر.

لقد كانت المهمة الأساس التي انتدب لها (حازم) كتابه، هي التأصيل لعلم الشعر ، من أجل الكشف عن جوهر الشعر العربي، و ما أبدت فيه العرب من العجائب، عن طريق وضع قوانين كلية تعرف بها أحوال الجزئيات. و هو أمر لن يتحقق إلا بتأصيل منهج جديد في البحث، يستكمل ما ورد عند الأوائل من قوانين، ويتجاوزها بما يستجيب لخصوصيات الشعر العربي.

ونحن وفي قراءتنا للنموذج الثالث، و في محاولتنا الاستدلال على ما قدمه التراث اللغوي العربي، من رموز فكرية لغوية أو نقدية، ستكون محطتنا هاته المرة، مع الظاهرة النقدية المتمرسة،المتمثلة في شخص (حازم القرطاجني)، وسنحصر حديثنا عنه فيما أشار إليه، من خلال مؤلفه (المنهاج)، في معرض كلامه عن أشكال القصيدة، وما يجب أن تكون عليه فصولها من تلاحم، وتكامل، والتئام، حتى يترك الشعر أثره السحري في نفس متلقيه.

وإذا نحن سلمنا بأن لغة الشعر [1] كلغة النثر، إنما تقوم على تكامل رؤية المبدع، في كيفية إحاطته بآلية التناسق، بين معاني ومباني هذا الفن أو ذاك، فإن حديث (القرطاجني) عن شكل القصيدة ، يكون قد قدم للشعراء أحسن ما يمكن أن يسترشدوا به، على درب صناعة الشعر.

---

1 – عرف (القرطاجني)الشعر بأنه: كلام مخيل موزون (..)، و التخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشعر المخيل، معانيه أو أسلوبه أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور، ينفعل لتخيلها و تصورها انفعالاً، من غير رؤية إلى جهة الانبساط أو الانقباض.

إن أكثر العناصر التي تستوقف قارئ (المنهاج)، تركيزها الشديد على البحث، في تأثير الشعر في النفوس، بل إن العبارات التي تربط الشعر وكلماته من جانب، وتأثيره في السامع / المتلقي من جانب آخر، هي الأكثر دوراناً في لغة (القرطاجني).

ونحن باختيارنا للظاهرة النقدية المتمثلة في (القرطاجني)، إنما نكون بذلك قد وقفنا، على صحة شهرته، التي حازها الرجل في حقل النقد والبلاغة. يقول (صلاح فضل) منوهاً بمكانة (القرطاجني) العلمية :« حالة فريدة في البلاغة العربية، لم تتكرر ينبغي الإشارة إليها والتنويه بها ، وهي التي تجدها عند بلاغي مغربي متأخر ، هو (حازم القرطاجني) و في تحليله لأجواء القصيدة، وتسميته لكل قسم منها فصلاً، وتمييزه بين المطلع- وهو البيت الأول منها -والمقاطع، وهو مكان الوقوف ، ولا يهمل الإشارة إلى وصل الفصول بعضها ببعض، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط ، إذ يشترط أن يكون معنى كل فصل، تابعاً لم ا يسابقه ومنتسباً إليه في الغرض ، ويسمى ذلك تسمية اصطلاحية (الاطراد) ، في تسويم رؤوس الفصل ، ويمضي في تطبيق هذه التصورات على قصيدة المتنبي ،(أغالب فيك الشوق والشوق أغلب)، فيوردها كاملة ، محللاً العلاقة بن أجزائها، ووحداتها المكونة على هذا الأساس الدلالي، الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين».[1]

أولاً: ترجمة لحياة القرطاجني

ولد أبو الحسن حازم(القرطاجني) سنة 608ه الموافق لسنة 1211م، وقد اشتهر بنسبته إلى مسقط رأسه حتى عرف بـــ(القرطاجني) ، وقد نشأ (حازم) في وسط ممتاز ذي يسار متنقلاً بين قرطاجنة و مرسية ، بدأ بحفظ القرآن الكريم، وتخرج في قراءته على شيوخ جلة من قراء بلده ، ولما يفع أقبل على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، متردداً على شيوخ مدينة (مرسية) كالطرسوني والعروضي، و هناك درس كثيراً من أمهات الكتب ، حتى فاق

---

1 - صلاح فضل، **الموسوعة العربية الميسرة**، دار النهضة، لبنان،بيروت،(د ط)،1986 م، ص.314.

نظرائه فكان فقيهاً مالكي المذهب كوالده ، نحوياً بصرياً كعامة علماء الأندلس ، حافظاً للحديث، راوية للأخبار والأدب، شاعراً .

أما مصنفات (حازم) فقد تراوحت بين الأدب و النحو والبلاغة والنقد، فمما ذكره (السيوطي) لـــ(حازم) كتاباً في التجنيس، وأن لـــ(ابن الرشيد) شرحاًعليه، وله كتاب في العروض وعلم القوافي، ويبقى أشهر كتب حازم:(منهاج البلغاء وسراج الأدباء).[1]

و بعد أحداث جسيمة عايشها (حازم)، اضطر إلى مفارقة وطنه ومسقط رأسه، مهاجراً إلى المغرب. لقد كانت حياة (حازم) حافلة بالأدب والعلم، زاخرة بالنشاط الفكري، في كل مكان حل به من بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية، و قد كانت وفاته، ليلة السبت 24 رمضان سنة 684ه، الموافق لـــ:23 نوفمبر سنة 1285م عن ست وسبعين سنة، قضاها في البحث والدرس.[2]

يشكل كتاب حازم (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، علامة فارقة في تاريخ البلاغة العربية بصفة عامة، وتاريخ نظرية الشعر على نحو أخص. وترجع أهمية الإسهام النقدي والبلاغي ل ـــ(حازم)، إلى الوعي العميق الذي تكون لديه ، بضرورة استئناف القول في البلاغة العربية ، بطريقة جديدة ومختلفة، من أجل التأسيس لنظر بلاغي غير مألوف. و قد تمثلت فرادة هذا الإنجاز في المنهج الأصيل ، الذي اصطنعه (حازم) في عرض المقررات النظرية، التي حرص- في استخلاصها- على التفاعل الحي ، والمباشر مع

1- من مؤلفاته:- المقصورة :- هي أعظمأثار حازم الأدبية تشتمل على ألف بيت من الشعر .- كتاب القوافي- شد الزنارعلى جحظة الحمار : رد فيه على ابن عصفور النحوي ذكره المقري في نفح الطيب .- منظومة على روى الميم ذكرها السيوطي في البغية.- ديوان شعر يوجد بمكتبة – الاسكوريال .- القصائد الشعرية في النفح والإزهار.

2- ينظر في ترجمته:- **نفح الطيب** ،للمقري، (ج 02)، ص. 589.- **بغية الوعاة** للسيوطي،(ج01)، ص.492.- **شذرات الذهب** ،للحنبلي ،(ج05)،ص.388.

نصوص الشعر العربي، مفيدًا في نفس ال وقت من الآراء النقدية التي رامها سابقوه.

ونحن في تعاملنا مع الظاهرة (القرطاجنية) النقدية في صناعة الشعر، سنأخذ مساراً محدداً في ممارسة فعل النمذجة، من خلال ما ورد في كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وسنخصص لذلك الغرض أجزاءً عدة، نبدأها بالجزء المتمثل في قسم المباني، في منهجيه الأول والثالث من الكتاب، لاعتقادنا أن له تعالق كبير، مع فكرة الممارسة النصية وفق ما أشار إليه (القرطاجني)، من أفكار تتعلق ببناء القصيدة الشعرية، وما يجب أن يكون عليه الشاعر، من إتقان لهذه المسألة في فن صناعة الشعر .

ثانياً: مناهج القرطاجني في مباني لغة الشعر:

أ/- المنهج الأول:- معيار التفاوت في نظم الشعر:

جعل (القرطاجني) عنوان هذا المنهج من قسم المباني، (الإبانة عن قواعد الصناعة النظمية، و المآخذ التي هي مداخل إليها..)، و جعل له جملة من التفرعات، بدأها بحديثه عن معلم دال عن طرق العلم، بقواعد الصناعة النظمية، التي عليها تقوم مباني النظم. ثم جعل يشرع في تعريف النظم، فهو عنده «صناعة آلتها الطبع، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض، التي من شأن الكلام الشعري، أي ينحـــى به نحوها، فإذا أحاطت بذلك علماً، قويت على صوغ الكلام بحسبه عملاً..».[1]

والشعراء من حيث قوة القريحة الشعرية لديهم، يتفـــاوتون في نظمهم للشعر، بحسب ملكتهم الفكرية، واهتداءاتهم الخاطرية، فهم ليسوا سواء في ذلك. لذلك يرى (القرطاجني) أن قوام التفاوت في نظم الشعر، يمكن حصره في عشرة نقاط هي على النحو التالي :

- استخدام صور التشبيه بشكل عفوي .

1- حازم القرطاجني ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ،تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار العربية للكتاب،تونس،(ط03) ، 2008، ص.199.

- استحضار جماليات النص الشعري، كبناء متكامل غير مجزأ، مما يترتب عليه تصور المقاصد و المعاني، من حيث دلالتها المتكاملة.
- التنبه إلى البناء الذي يقوم عليه النص الشعري، في مفاصله الرئيسة، انطلاقاً من التعرف على أغراضه .
- استحضار الشعور الموجب لاستحضار المعاني.
- ضرورة التنبه لتمايز المعاني، عند افتراقها والتقائها.
- صياغة العبارات الموجبة للمعاني، لأن العبارات بمثابة أثواب نُلبسها للمعاني.
- العمل على تنسيق العبارات، والتناسب بين نهاياتها ومبادئها.
- تمييز أحياز النص الشعري الرئيسة، بالمعاني والعبارات المناسبة.
- التنبه لإجادة الربط بين الفصول ببعضها البعض، تسهيلاً على القارئ في استيعابه للنص الشعري.
- مراعاة المحل الملتبس فيه ، بين جمال القافية والشعور النفسي.[1]

هذه هي درجات القوة عند الشعراء ،الموجبة في أنفسهم للقريحة الشعرية، فهم متفاوتون في هاته الدرجات تفاوتاً، ينعكس على صياغة النظم الشعري، سلباً أو إيجاباً ، و ما على الشاعر إلا استحضار هاته القوة، لينال القبول عند القارئ.

المنهج الثاني:- تناسق العبارات الشعرية وتلاحم وحداتها:

في هذا الجزء من منهج الحديث على مباني الشعر، نلمس في كلام (القرطاجني)، الإشارة البينة الواضحة على ضرورة تخير العبارات الشعرية، المنمقة الجيدة، التي تتسم بتلاحم وحداتها، وتناسق مركباتها، و تآزر ألفظها، مما ينعكس على بناء القصيدة الشعرية برمتها.

لقد اختار (القرطاجني) لهذا الموضوع، عنواناً:(معلم دال على طرق العلم،بتحسين هيآت العبارات، والتأنق في اختيار موادها، و إجادة وضعها

1- ينظر : المصدر نفسه ، ص .200.

ورصفها). و واضح مدى انتقاء ألفاظ هذا العنوان، من مثل تحسين، تأنق، إجادة، وضع ، رصف، وكلها توحي بصفة التماسك العباراتي ،التي ينبغي أن يكون عليها النص الشعر في بنائه .

والعبارات الحسنة – وفق (القرطاجني)– لا يستولي عليها الشاعر، إلا إذا كان « يستولي فكره بها على جميع الجهات، التي يستكمل حسن الكلام بالترامي به، إلى كل جهة منها ، والتباعد عن الجهات التي تضادها، وتلك الجهات هي، اختيار المواد اللفظية أولاً ، من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها، واجتناب ما يقبح في ذلك..».[1]

إن ميزان الحسن الذي يزن به (القرطاجني) عبارات الشعر، دقيق دقة متناهية، تجعل من صيغ لغة الشعر، غاية في الانتظاموالتوحد، فأنت خبير بأن التباعد عن الجهة التي تضادها وحسن ملافظ حروفها و انتظامها وصيغها ومقاديرها واجتناب ما يقبح منها؛ كل ذلك مدعاة لتآلف وحدات العبارات، وتراصفها.

وحسن التأليف والتلاؤم في عبارات لغة الشعر، إنما ينظر إليه كذلك من جهة الحروف، التي تكون هاته كلمات و هاته العبارات، فينبغي في الحروف أن تكون متآلفة مع بعضها، ائتلاف الكلمات مع بعضها، منظمة في حروف « مختارة متباعدة المخارج ، مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما، ومنها ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة ، في مقدار الاستعمال ، فتكون الواحدة في نهاية الابتذال، والأخرى في نهاية الحوشية، وقلة لاستعمال..».[2]

وإذا لم ينتبه الشاعر لخصائص العبارات في حروف كلماتها، و تراصف ألفاظها مع بعضها البعض، وقع في المحضور الذي هو التكلف، والذي يقع «بتوعر الملافظ أو ضعف تطالب الكلم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج، وإما تقديم وتأخير، و إما بقلب، و إما بعدل صيغة عن صيغة هي أحق

1- نفسه، ص.198.

2- نفسه ،ص.198.

بالموضع منها، و إما بإبدال كلمة مكان كلمة ،هي أحسن موقعاً في الكلام منها..».[1] و يقدم (القرطاجني) مثالاً من الشعر:

فتاتان بالنجم السعيد ولدتما

و في قول المتنبي :

قوم تفرست المنايا فيكم فرأت لكم في الحرب صبر كرام

ثم يقدم (القرطاجني) لصفة قبح الوضع والتأليف، وذلك بأن تكون«الألفاظ مع عدم تراخيها، بعيدة أنحاء التطالب، شتيتة النظم متخاذلاً بعضها عن بعض، ومنه قول الشاعر:

لم يضرها والحمد لله شيء فانثنت نحو عزف نفس ذهول»[2]

ومما أورده كذلك (القرطاجني) في شأن (العبارات الحسنة)، أن تكون«مستعذبة جزلة ذات طلاوة. فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف والاستعمال المتوسط . والطلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التأليف ربما خفي سببه وقصرت العبارة عنه. والجزالة تكون بشدة التطالب بين كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال. وسائرها يتعلق بالألفاظ المفردة من الشروط المذكورة التي تطرد الكلم بوجودها فيها أحسن اطراد».[3]

- **المنهج الثالث:**

لقد جعل (القرطاجني) لهذا المنهج عنواناً سماه، (الإبانة عما يجب في تقدير الفصول وترتيبها و وصل بعضها ببعض وتحسين هيآتها، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها).[4]

وجعل له تفرعات أربع، يقوم على أساسها وهي :

1- نفسه، ص.199.

2- نفسه ،ص.200.

3- نفسه ،ص.201.

4- نفسه ،ص.259.

(أ)- « المعلم الدال على طرق العلم، بأحكام مباني الفصول وتحسين هيآتها ووصل بعضها ببعض».[1]

(ب)- « معرفة دال على طرق المعرفة، بما يجب اعتماده في الفصول[2]من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات، التي هي مسانح اقتناص المعاني ومعاضدة التخيل فيها، بالإقناع على وضع الذي يلق بذلك ، و يحسن به موقعه من النفوس».[3]

(ج)- « مأم من مذهب البلاغة بهذا المنهج و هو مذهب التسويم».[4]

(د)- « مأم من المذاهب المستشرفة مما تقدم أيضاً وهو مذهب التحجيل».[5]

يقرر (القرطاجني) أهمية ما تحوز عليه أبيات القصيدة من مكانة سامية في بناء لغة الشعر، ويجعل لها مثيل ما للحروف، من أهمية في بناء الكلمة الواحدة يقول (القرطاجني): « اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم، نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ . فكما أن الأبيات إذا حسنت حسنت الفصول المؤلفة منها إذا رتبت على ما يجب و وضع بغضها من بعض على ما ينبغي كما أن ذلك في الكلم المفردة كذلك. و كذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب ».[6]

1- نفسه ،ص.259.

2- الفصل عند(القرطاجني)، إنما يشمل بيتين إلى أربعة أبيات تدور حول معنىً واحد.

3- نفسه، ص.263.

4- نفسه، ص.266.

5- نفسه، ص.270.

6- نفسه ، ص.259.

و المتمعن في كلام (القرطاجني)، في صريح تشبيهاته، بين مواقع الأبيات من الشعر المنظوم، ومواقع الحروف من الكلام ، يحمل دلالة واضحة على أهمية انتظام الأجزاء، في تشكيلها للكل الذي يحملها، فلا اعتبار لتشكيل الأجزاء بدون صبغة جامعة، في تشكل صورة هاته الأجزاء، بناء على رابط موحد يجمعها.والحالة نفسها تلك التي يبنى عليها ،تصور الكل من خلال أجزائه.

وهاته الخطاطة تضع بين أيدينا، طبيعة تلك الفكرة التي يسعى (القرطاجني) لطرحها، وصولاً إلى تفسير أحكام مباني الفصول في القصائد الشعرية، تشبيهاً لها بمواقع الحروف من الكلم :

خاصية الإحكام

- أبيات ⟵⟶ شعر منظوم.

صورة الكل

- حروف مقطعة ⟵⟶ كلام مؤلف.
- فصول مؤلفة ⟵⟶ قصائد مؤتلفة من فصول.
- كلم مؤلف من حروف ⟵⟶ عبارات مؤلفة من ألفاظ.

- فالحروف المقطعة تقدم للكلم المؤلف، وهذا بدوره يقدم للعبارات المؤلفة من الألفاظ.
- والأبيات المؤتلفة تقدم للفصول المؤتلفة، وهاته تقدم للقصائد المؤتلفة.

إن صفتا (التأليف والمؤلف) التي يلح عليهما (القرطاجني) إلحاحاً، ليس المراد بهما مجرد الجمع ، و إنما المراد الجمع المنتظم، الذي يسعى إلى تحقيق صورة الكل المعبر « فكما أن الأبيات إذا حسنت، حسنت الفصول المؤلفة منها إذا رتبت على ما يجب، و وضع بعضها من بعض على ما ينبغي، كما أن ذلك في الكلم المفردة كذلك ».[1]

1- نفسه، ص.259.

إن صورة انتظام القصيدة منوط عند (القرطاجني)، بمدى ائتلاف فصولها؛ فحسن تلك لا يتحقق إلا بحسن هاته ، مثلما هو الحالإذا نحن رمنا الكلام المؤتلف ،لا يتحقق إلا بائتلاف الألفاظ الحسان .

و(القرطاجني) إذا فصَّل في إحكام الأجزاء المعبرة عن هذا الكل، أكان الأمر متعلق بالأبيات وموقعها من القصيدة، أو الحروف وموقعها من الكلام، فإن كلاً من الكلم والفصول، لها اعتباران « اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها، واعتبار بالنسبة إلى المعنى الذي تدل عليه(..)، فالفصول تعتبر بحسب الجهات، التي تضمنت الأوصاف المتعلقة بها ».[1]

إلى ذلك يرى (القرطاجني)، أنه ثمة أربعة قوانين تحكم ترتيب الفصول، مع بعضها البعض « الأول: استجادة مواد الصول وانتقاء جوهرها، و الثاني: ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها البعض، والثالث منها : ترتيب ما يقع في الفصول، والرابع منها: ما يجب أن يقدم في الفصول، وما يجب أن يؤخر فيها وتختتم به».[2]

- **القانون الأول:**

بجرأته النقدية وبحديثه عن الشعرية في التراث النقدي القديم، حاول (حازم)، وضع قوانين للشِّعرية العربية، و ذلك في كلامه عن التأليفات المعنوية، التي تسهم في بناء النص الشعري في وحدة متكاملة، مما حدا ببعض الدارسين إلى الإقرار بتميز نظرية (حازم)، في النقد وارتقائها إلى مصاف النظريات الحديثة، بل إن بعض الدارسين جعلها نموذجاً عربياً خالصاً في حقل (لسانيات النص)، نتيجة اتصافها بخاصية التماسك والترابط، مثلما فعل ذلك (الخطابي) في دراسته المتمثلة في مؤلفه:(لسانيات النص- مدخل لانسجام الخطاب).

1- نفسه ،ص.259.

2- نفسه، ص.260.

أما القانون الأول فيتمثل حسب (القرطاجني)، في الصفات التي يجب أن تكون عليها مجموعة الأبيات، المكونة للقصيدة منها: الجودة والانتقاء، وأن تكون مسموعاتها ومفهوماتها متناسبة وحسنة الاطراد، وغير متخاذلة النسج ، و بينها شكل من أشكال الترابط اللفظي أو المعنوي، يجعل من مجموعها كأنها بيت واحد، بين صدره وعجزه تعالق شديد، « يتنزل بها(أي من شكل الترابط اللفظي،أو المعنوي) منه (أي من الأبيات) منزلة الصدر مــن العجز، أو العجز من الصدر».[1]

فإذا كان حال الأبيات (الفصول) المشكل للقصائد هكذا، فقد حازت على صفة الاستطابة والإجادة، وارتقت وفق منظور (القرطاجني) النقدي، على ميزة القبول.ومما ينبغي أو يتنبه له الشاعر كذلك، مراعاته المناسبة بين نظم الفصول وأغراضها، التي تتنزل بها؛ فللغزل نظمه، وللفخر نظمه، وللهجاء نظمــه، من تراوح بين الجزالة والعذوبة والرقة والشدة، بما يتناسب وغرض الأبيات.

كما ينبغي للشاعر أن يتنبه إلى مقدار طول الأبيات وقصرها، وذلك بمراعاة بحور الشعر وتناسبها مع أغراضها، « فتقصير الفصول صائغ في المقطعات، التي يذهب بها مذهب الرشاقة، والتي يذهب بها مذهب التهويل والتفخيم، فإن تطيل القصائد سائغ فيها ومحتمل..».[2]

1- نفسه، ص.260.

2- نفسه، ص.260.

- **القانون الثاني:**

أما ما يقترحه (القرطاجني) في القانون الثاني في نظم الشعر، فهو مراعاة ما يكون للنفس به عناية، « فيجب أن يقدم من الفصول ما يكون للنفس به عناية، بحسب الغرض المقصود بالكلام (..) ، ويتوله الأهم فالأهم(. .)، وتقديم الفصول القصار على الطوال، أحسن من أن يكون الأمر بالعكس ».[1]

- **القانون الثالث:**

وبالنسبة للقانون الثالث فيروم فيه (القرطاجني) الحديث، عن أهمية التأليف بين أبيات القصيدة ، و ذلك من خلال مراعاة اطراد معانيها، مما يتوافق بين السابق واللاحق منها. كما أن على الشاعر أن ينتبه من ذلك، إلى المعنى الأشرف فيجعله بارزاً في أول الأبيات، تنويهاً بأهميته « على أن كثيراً من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل ».[2] فلا غضاضة في ذلك.«أما من يردف الأقوال الشعرية بالخطابية، فإن الأحسن له أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة [3] و يختمه بأشرف معاني الإقناع ».[4] لأن عناصر الخطابة في الشعر، إنما تقوم على دواعي الإقناع، وتلك مزية أخذ بها المتنبي ، و لذلك أستجاد الناس شعره كما يرى (القرطاجني).

1- نفسه ،ص.261.

2- نفسه،ص.261.

3-المحاكاة عند (القرطاجني) هي : إلى جانب التخييل صنعة الشعر ،و إتقان عباراته حتى يكون الكلام قادراً على إثارة صور و خيالات حية ،وقوية الفعل في ، يستطيع بها البيان أن يميل من يتلقاه نحو شيء أراده الشاعر أو عن شيء أراده الشاعر.. إنهما (التخييل والمحاكاة) صنعة الشعر، و هما النظم و هما المطابقة لمقتضى الحال ،وهما الصياغة والنسيج و التصوير..المحاكاة عند (القرطاجني) تبعث صور الخيالات في النفس، و هذا الانبعاث هو التخييل،فالشاعر يتخيل بالمحاكاة و جوهر الشعر هو التخييل. و هذا الأخير عنده ، هو أن تتمثّل للسّامع من لفظ الشّاعر المخيّل، أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها وتصوّرها، أو تصوّر شيء آخر بها ، انفعالاً من غير رويّة إلى جهةٍ من الانبساط أو الانقباض. فالتخييل عملية يقوم بها الشاعر، ويقع تأثيرها على المتلقي.

4- نفسه،ص.261.

ويجعل (القرطاجني) من أغراض التعجب أو التمني أو الدعاء، مستهلاً يحسن الابتداء به، وجعله رأس الفصل فهو صنيـــــع من الشاعر أحسن. كما يجب « ويجعل (القرطاجني) من أغراض التعجب أو التمني أو الدعاء، مستهلاً يحسن الابتداء به، وجعله رأس الفصل فهو صنيع من الشاعر أحسن. كما يجب«أن يكون البيت علقة ، بما قبله و نسبة إليه».[1]

ثم يمضي (القرطاجني) في بيان العلاقة ،التي تحكم البيت الأول من الفصل مع باقي الأبيات، التي تأتي بعده فالواجب أن يكون « مقابلاً له على جهة من جهات التقابل، أو بعضه مقابلاً لبعضه ، أو يكون مقتضى له، مثل أن يكون مسبباً عنه، أو تفسيراً له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض، ما في الآخر(..)، وكذلك الحكم في ما يتلى به الثاني و الثالث إلى آخر الفصل ».[2]

- **القانون الرابع:**

وخلاصته حديث عن ظاهرة تلاحم أقسام القصيدة، من خلال التماسك بين فصولها« فهو النقطة التالية ،التي تحدث عنها (حازم) ، باعتبار أن القصيدة متركبة من فصول ، إلى وحدة أكبر واستمرار الغرض(المعنى) ، عبر تلك الضروب التي وضعها (حازم القرطاجني)، يتجلى من خلال مجموعة من العلاقات الدلالية،في الفصول كالانتقال من الجزء إلى الكل أو العكس ، أو من الخاص إلى العام أو العكس ، أو غيرها من العلاقات الدلالية المفترضة ، التي تحكم فيه سيرورة النص وغرض صاحبه».[3]

لقد نبه (القرطاجني) إلى بيان الأوجه،التي يكون عليها تأليف الفصول بعضها مع بعض؛ إذ يرى أن ذلك لا يخرج عن أربعة أضرب :

«- ضرب متصل العبارة والغرض.

1- نفسه ،ص.261.

2- نفسه، ص.261.

3- حسام أحمد فرج، **نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري** ، تقديم:سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط 02)، 2009 م، ص.138.

- ضرب متصل العبارة دون الغرض.
- ضرب متصل الغرض دون العبارة.
- ضرب منفصل الغرض والعبارة ».[1]

أما تفسير (القرطاجني) للنوع الأول، فهو ما كان فيه تعالق من جهة الغرض، وارتباط من جهة العبارة ، بين آخر الفصل و أول الفصل الذي يليه، فحتمية التعالق بين الفصلين – حسب (القرطاجني)–، على أساس من عائد بين الفصلين معنوي، وآخر إسناد لغوي.

أما ما كان فيه اتصال في الغرض، وانفصال في العبارة، فهو الذي يكون« أول الفصل فيه رأس كلام، ويكون لذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى»[2]، فلا شكل للإسناد والربط اللفظي بينهما. و هذا النوع بالنسبة (للقرطاجني)، أفضل الأنواع لكون رأس الفصل فيه، إذا ما حاز شيئاً من التعجب، أو الدعاء، أو شكل آخر من أشكال أسالب الإنشاء، فإن وقعه في النفس، لا يمكن إخفـــاؤه لحاجة المتذوق للشعر في تتبع مزايا النداء، أو التعجب،فيما يأتي في قابل المعنى.

أما ما كان فيه انفصال في الغرض، واتصال في عبارة؛ فهذا أشين وأقبح النوعين اللذين سبقاه. وما نحسب مرد ذلك ،إلا لكون أنه لا فائدة ترجى من اتصال في عبارة، غير مستتبعة باتصال في الغرض، إذ مزية التعالق هنا لم تتحقق ، و بالتالي بطل مفعول الاتصال اللفظي.

وأما النوع الرابع، وهو الذي لا توصل فيه عبارة بأخرى، ولا غرض بآخر بل «يهجم الفصل هجوماً من غير إشعار به، مما قبله ولا مناســـبة بين أحدهما والآخر، فإن النظم الذي بهذه الصفة متشتت من كل وجه».[3]

---

1 - السابق، ص.262.

2- نفسه، ص.262.

3- نفسه، ص.263.

- **المنهج الرابع:**

بعد ما أشرنا إلى ما ورد في المنهج الثالث، من ضرورة تحقق الرابط اللفظي والمعنوي، في فصول القصيدة بين أوائلها وأواخرها،هاهو (القرطاجني)، ينقلنا بالكلام إلى شكل آخر، من أشكال التعالق في النص الشعري ، و يتعلق الأمر بالإبانة عن كيفية العمل ، في أحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك، من حيث يكون ملائماً للنفوس أو منافراً لها.

وسنجعل في صلب أعيننا، من هذا المنهج العناصر التالية:

- « معرف دال على طرق المعرفة بأنحاء التخلصات من حيز إلى حيز وعطف أعِنَّة الكلام من جهة إلى أخرى و من غرض إلى غرض».[1]

في هذا الجزء من حديث (القرطاجني)، عن ضرورة توفر عنصر التعالق، بين أبيات الشعر نراه يقدم لجملة من المصطلحات، التي تخدم الغاية نفسها، وهاته المصطلحات وفق ما يراه (القرطاجني) هي :

- الانعطاف.
- الاستدراج.
- مآخذ الكلام.

وصفة الانعطاف في الانتقال من غرض إلى غرض، لابد فيه من عنصر القصد عند الشاعر، حتى تتصل المعاني مع بعضها البعض، فيحصل لذلك استدراجها ، و منه يأخذ الكلام بعضه برقاب بعض، ومن ثم يحدث الانتقال أثراً في النفس، فيه الكثير من اللطافة والاستطراف. و الشاعر الماهر في نظمه –وفق رؤية (القرطاجني)–، هو الذي يوفر في شعره عنصر التلميح ، دون التصريح « فلا ينوي الغرض الثاني في أول الكلام، وإنما يسنح

1- نفسه ،ص.283.

للخاطر سنوحاً بديهياً، ويلاحظه الفكر المتصرف بالتفاتة ، إلى كل جهة ومنحى من أنحاء الكلام».[1]

إن هذه الثلاثية المصطلحاتية التي اقترحها (القرطاجني)، يمكن أن نبين لها بهذه الخطاطة التالية :

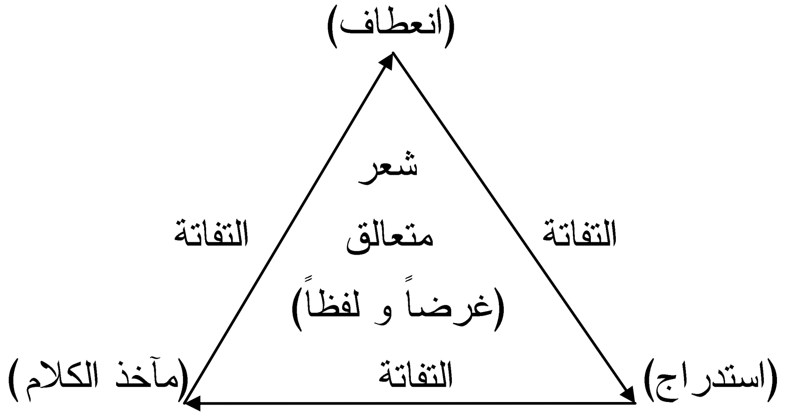

أما مفهوم الصورة الالتفاتية، فهي عند (القرطاجني) « الجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف من أحدهما إلى الأخرى، انعطافاً لطيفاً من غير واسطة».[2]

لقد جعل (القرطاجني) من عنصر الالتفات، أصنافاً متعددة منها:

- ما فيه وهم الكراهة وهو مستحب، « فيلتفت الشاعر إلى ذكر ما يزيل ذلك كقول الشاعر:

إن الثمانين و بلغتـــــها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان»[3]

- الصنف الثاني : و هو ما كان فيه الشاعر ملتفتاً إلى ذكر غرض ما، و في نفسه غرض لآخر من هاجس نفسي جميل فيوحي الكلام على بعضه بما يحسه ويمثل له القرطاجني بقول جرير :

طرب الحمام بذي الأراك فهاجني لا زلت في غلل وأيك ناضر

1- نفسه، ص.284.

2- نفسه ،ص.284.

3- نفسه، ص.285.

واضح مدى مقدار التحول في كلام جرير، بين (طرب الحمام)، و بين (ذكر الأغلال).

– الصنف الثالث : و هو ما كان فيه الشاعر محتالاً مستدركاً بالتفاتة من معنى يخشى ظهوره، أو خشية تسرب النقض إليه، فيبادر إلى إخفائه. و يمثل (القرطاجني) بهذا الصنف، ببيتين من الشعر،« أولهما :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع و ديمة تَهمي

و الآخر:

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ».[1]

وبعدما أشار القرطاجني إلى أصنافه الثلاثة جعل يتحدث عن صفة تحول الشعراء من غرض إلى غرض إما مستطردين متدرجين أو غير مستطردين ولا متدرجين بل مهاجمين « فما كان فيه الخروج من غرض إلى آخر بتدرج سمي تخلصاً ، وما لم يكن بتدرج ولا هجوم، ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات، استطراداً و منه قول الشاعر حسان :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام

و منه قول الشاعر:

أجدك اجتمع أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
أرقت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر»[2]

و مسألة (الخروج) و(المغادرة) من غرض إلى آخر، صفة الكلام في ذلك اتصال بعضه ببعض، مع التحايل في ربط أطرافه « حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما، من الأغراض المتباينة التقاءً محكماً، فلا يختل نسق الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام(..)، فإن النفوس إذا انتقل بها

1- نفسه،ص.285.

2- نفسه، ص.286.

من فن إلى فن مباين من غير جامع بينهما، وملائم بين طرفيهما، وجدت الأنفس في طباعها نفوراً من ذلك، ونَبــَتْ عنه».[1]

إن هذا الذي يسميه (القرطاجني) نسق الكلام في عدم اختلال أطرافه، ولا تباين أجزاء نظامه، واستحضار جامعه هو من صميم ما توصلت إليه مختلف المناهج والنظريات، في حقل لسانيات النص، وهو ما يؤشر على رؤية واضحة عند (القرطاجني) تقوم على استيعاب مدارك النص الشعري، متكاملة الأطراف مستوية ملتئمة لا تقبل التجزئة.

إلى ذلك يرى (القرطاجني) أن التخلص والمغادرة من معنى إلى آخر، كلما كان أقرب لحظة، كان وقعه في النفس أطرف وأجمل وأبقى. «أما الأمور التي يجب اعتمادها في التخلص، هي التحرز من انقطاع الكلام، ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام، وقلة تمكن القافية، و النقلة بغير تلطف، والاضطرار في ذلك إلى الكناية ،عما يجب التصريح به والإبانة عنه».[2]

– معلم دال على طرق العلم بالفرق بين المقصد والمقطع : في هذا الجزء الخاص بمفهوم التلاحم، بين أركان النص الشعري، يقرر (القرطاجني) شروط النباهة وبعد المرامي وكمال تصرف الفكر، من الشعراء المقصِّدين المقتدرين على تعليق بعض المعاني، و عنده أن « الشاعر إذا كان مقتدراً على النفوذ، من معاني جهة إلى معاني جهة(..)، من غير تشتت في كلامه، وكان حسن المآخذ في ما يعضد به المعاني(..) ، و يكون مع ذلك موفياً للمعاني المعتمدة ، وما بني عليها وألحق بها حقها من المبالغات، وحسن الوضع على أحسن ما يمكن أن يوضع عليه حتى يتناصر إبداعه في المعاني بإبداعه في العبارات عنها»[3]، حاز على درجة النباهة والإحاطة بأسرار الشعر.

1- السابق ،ص.287.

2- نفسه ،ص.290.

3- نفسه،ص.292.

لقد كان (القرطاجني) بما أورده في شأن بناء القصيدة الشعرية، نموذجاً متميزاً يفري فريه، بما يكون متوفر فيه من عناصر الإقناع، حول تماسك النص في البناء الداخلي للقصيدة، محللاً بدقة متناهية الصلات العددية الرابطة، بين مقاطعها.

ونحن بما أشرنا إليه فيما ذكره (القرطاجني)، حول الصلات التي تربط بين أجزاء النص ، فتحقق له تماسكه والتحامه من خلال شرحهالكيفية، التي يتم بها هذا التماسك والوسائل اللغوية ، التي يعتمدها الشاعرفي سبيل تحقيق هذه الغايـــة، قد رسخت لدينا جملة رؤى، نبديها حول كل ذلك :

- إن عناوين المناهج المقترحة سلفاً، تعد أحد أبرز ملامح نظرية (حازم القرطاجني) في التلقي ، انطلاقاً من التخييل والمحاكاة. هذا التلقي بالمفهوم القرطاجني ، يمكن رصده داخل فصول وأبواب المنهاج ، من خلال اللغة الشعرية والأوزان وبناء القصيدة، ناهيك عن الإمكانات الخلاقة ، التي تحفل بها ألفاظ المنهاج ومصطلحاته في حقل التلقي.

- أن هاته العناوين تقدم لنظرية مهمة لفهم النص دلالةوشكلاً،ألا وهي (التماسك النصي)،فالنص، و هو الفصل بلغة (القرطاجني) ؛ وحدة تتشكل من متواليات من الجمل، مرتبة ترتيباً منطقياً من الكل إلى الجزء ،عن طريق آليات الاتساق والانسجام، كالروابط التركيبية(أسماء الإشارة ، الضمائر، الروابط..)، والمعنوية(وحدات الفصول وترابطها وتناسب اللفظ للمعنى، تناسبالإيقاع لغرض الشاعر..).

- أنها تعكس بصورة جلية رغبة (حازم)، للوقوف عند الجودة في العمل الفني؛ والتي أرجعها إلى ثلاث قوى ضرورية أن تكون لدى المبدع وهي: القوة الحافظة، والقوة الصانعة والقوة المائزة. وإذا تجمعت هذهالقوى لدى الشاعر، أمكن له أن يشيد قصيدته أحسن تشييد ، متى مخض المعنى في فكره نثراً ، و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ، التي تطابقه والقوافي التي توافقه .

– أنها في مجموعها تعزز الفكرة ، التي يدافع عنها (حازم) في منهاجه،ألا وهي فكرة التناسب بين الوزن والمعنى ، الذي يروم الشاعر إيصاله للمستمع /القارئ،على اعتبار أن كل معنى نريد التعبير عنه ، له إيقاعه الشعري؛ فإيقاع الحزن ليس هو إيقاع الفرح والفخر، وإيقاع النسيب والتغزل، ليس هو إيقاع الهجاء والذم وهلم جر.

– أن (القرطاجني) اقترح شروطاً لتماسك الفصل منها :

– تماس نسيج الفصل : وعبرعنها بعبارة عدم تخاذل النسيج، ومقصوده أن يكون نسيج الفصل متماسكاً ، غير مهلهل فتكون جمله كأنها خيوط متداخلة ، فينشأ من تداخلها قطعة النسيج في تماسكها وانسجامها، ويعد مفهوم النسيج أحد المفاهيم التأصيلية لعلم النص الحديث.

– مناسبة طريقة نظم الفصل لغرض القصيدة:ومعنى ذلك، أن تكون معنى فكرة الفصل واحدة، وتكون منسجمة مع غرض القصيدة ككل، وهو ما من شرأنه أن يحقق لها اتساقها الدلالي ، ويكون ذلك باختيار الشاعر للوحدات المعجمية المناسبة، لغرض القصيدة.

– وجود تسلسل منطقي في الفصول : وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض،إذ يجب أن يقدم من الفصول، ما يكون للنفس به عناية، بحسب المقصود بالكلام، ويتلوه الأهم فالأهم.

– وجود علاقة منطقية بين أبيات الفصل: وهو أن يكون هناك ترابط ، وفق علاقات معينة بين أبيات الفصل الواحد ، كالسببية أو الشرح أوغيرها بحيث يلي البيت الواحد في القصيدة بيت آخر مرتبط به ، ارتباطاً معيناً كأن يكون شرحاً له، أو تتمة لمعناه.

– لا يحسن أن يكون الفصل من القصيدة ، منبتاً عن الفصل الذي يليه ، فهو وإن تم تأليفه من جمل وعبارات مترابط متواشجة ، إلا أنه بحاجة إلى ما يصله بالذي يليه ، وهذا ما سماه (حازم) الاطراد، في تسويم رؤوس الفصول،

فهمزة الوصل بين رأس كل فصل ذيل الذي قبله ، يجب أن تكون من البيان والظهور، بحيث تشعر القارئ بترابط الفصلين واتصالهما ببعض.

- ومن وسائل الربط بين الفصول حسب (القرطاجني)، التلميح في نهاية الفصل إلى أحد أغراض الفصل الذي يليه، و ذلك بإبراز الروابط الشكلية ، التي يمكن أن تجسد هذا الترابط.

- الترابط – كما يرى (القرطاجني) – إن أحسنه الشاعر على مستوى القصيدة،هو الذي يحقق اطرد الكلام، ويتنقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه، بسبب ويجمعه وإياه، فيأتي الكلام بذلك مرتباً أحسن ترتيب ، ومفصلاً أحسن تفصيل ، وموضوعاً بعضه من بعض بإحكام، ويتحقق بذلك للنص الشعري نظرته الشمولية.

- إن البحث قد ركز على استخلاص ملامح نظرية (حازم القرطاجني) في التلقي، انطلاقاً من التخييل والمحاكاة. و لكن التلقي لدى (حازم)، يمكن رصده داخل فصول وأبواب (المنهاج)، من خلال اللغة الشعرية والأوزان وبناء القصيدة، ناهيك عن الإمكانات الخلاقة ، التي تحبل بها ألفاظ (المنهاج)، ومصطلحاته في حقل التلقي.

- أن مما يجسد العلاقة الوطيدة بين المعنى والمبنى، أن النص عند (حازم) تتحقق نصيته ، أو تماسكه بشروط منها :

- أن تكون مواد الفصل مناسبة للغرض ، الذي يروم الشاعر التعبير عنه.
- أن تكون حسنة الاطراد.
- أن تكون متباينة النسيج.

هذا من ناحية التركيب النحوي ، أما من جهة الدلالة ، فإن (حازماً) يقترح ما يلي:

- مناسبة الغرض للإيقاع الشعري.
- مناسبة الألفاظ للمعاني.

الخاتمـــــــــة

لا خلاف أن موقف الباحثين - عرب وأعاجم- من الموروث الحضاري العربي، قد انحصرت أسسه إزاءه ، بين مشكك في صدقيته من حيث أصالتُه وأهدافه، وبين من دعا إلى الاستلهام منه، واعتبره المنطلق الحضاري الأصيل إلي أي إقلاع مستقبلي، وبين من توجس منه خيفة، واعتبره موروثاً متحفياً ينبغي تجاوزه والتحول دونه وبشكل نهائي ، إلى الاسترشاد من الفكر اللغوي الغربي.

ونحن- لا شك – أنه لا يسعنا إلا الوقوف مناصرين، لوجهة النظر القائلة بأن هذا الموروث العربي القديم، يحوي الكثير من النظريات البلاغية والأسلوبية والجمالية ،التي تساعدنا في تحليل النص وإثبات نصيته، وهي نظريات مهمة في هذا المجال ، و لا شك أن غربلتها واستثمارها مفيد للدرس اللساني النصي العربي .

ومعلوم أن التراث البلاغي العربي القديم، اهتم بفكرة إعجاز القرآن الكريم ، بالبحث عن الخصائص المائزة للأسلوب القرآني ، و بتفريد الأسلوب القرآنيفي جمالية اللفظ والمعنى والبيان، إلى درجة أنه يمكن القول إن البلاغة أسست لبيان إعجاز أسلوب القرآن .

وقد كان صاحب (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)،(الجرجاني) نموذجاً فذاً، في سبيل إثبات إعجاز القرآن بالدلائل، وقعد لنظرية النظم ، وفرق بين اللفظ والمعنى . واعتماداً على نظرية النظم، يمكننا بحسب (الجرجاني) فهم النص من داخلياته ؛أي البحث في ما يجعل منه نظاماً متسقاً، و ذلك بالبحث في الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والاستفهام والحذف ، والبحث فيما يجعل منه منسجماً في(معنى المعنى)،على اعتبار أن (الألفاظ أوعية للمعاني).

وإذا كان (الجرجاني) أغنى النقد العربي بنظرية النظم ، فإن (السكاكي) قد أشبه في كثير من أبواب البلاغة، ما ذهب إليه (الجرجاني) و بخاصة في باب المعاني، فجاء حديثه في هذا الباب، ملماً بكثير من مصطلحات التلاحم

والتماسك و التآلف ، و بخاصة في موضوعات التقديم والتأخير، و الحذف والذكر، والفصل والوصل ، و القصر.. و غيرها.

أما (القرطاجني) فقد أثرى النقد العربي، ولسانيات النص، بفكرة التماسك النصي ،أو التناسب بين الأغراض والأوزان ، وبين الإيقاع الشعري والحالة النفسيةالتي يعبر عنها الشاعر ، ويعتبر مؤلفه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) حقاً سراجاً لمن أراد دراسة النقد العربي عامة ، ولسانيات النص في التراث النقدي العربي القديم خاصة.

ونتيجة لذلك ليس من الغريب، أن تطفو على السطح وجهات النظر المختلفة، بين العلماء والدارسين والباحثين، حول طبيعة الموقف المعرفي والعلمي، الذي ينبغي أن يُتخذ في حق هذا التراث العربي القديم، الذي يمتد إلى اثنا عشرة قرناً مضت، في مختلف مصنفات الحياة الفكرية واللغوية.

إن الدراسات اللغوية العربية – قديمها وحديثها –، وبالنظر إلى ما عرفته من تطور ، في المفاهيم والتصورات والمصطلحات والأهداف، كانت عبر هذا التاريخ برمته، محل أخذ وجذب بين العلماء في منوالها التخصصي ، فكان بإمكانك أن ترى شيئاً من تداخل في المفاهيم ، بين النحو والصرف والبلاغة والتفسير، دون أن يكون لذلك كله تصور نظري موحد بين مكونات الحقل المعرفي الأوحد، مما من شأنه أن يضع البحث اللغوي ، ضمن خصائصه المعرفية الأصيلة ، التي تؤسس للتصور الفكري و ترقى به ، إلى درجة النظرية وفق أسسها العلمية .

لقد كان تراثنا اللغوي – و ما زال– زاخراً بكثير من الأفكار ، خاصة مع (عبد القاهر الجرجاني) صاحب نظرية النظم ، فقد نظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية باعتباره نصاً واحداً ، وذلك بعرضه سؤالا مؤداه : ما الذي أعجز العرب من النص القرآني ؟، واعتبر عمله هذا بداية حقيقية لما يسمى بالممارسة النصية. لقد كانت نظرية النظم عند (الجرجاني) في وقتها، مؤسسة لفكر جديد قائم على مفاهيم وتصورات تخدم الممارسة النصية ، على النحو

الذي هي عليه الآن في الفكر اللغوي الغربي ، و هذه الحقيقة لم يعد بالإمكان تجاوزها في علم لسانيات النص.

و الأمر نفسه نجده مع (حازم القرطاجني) ، في حديثه عن أوجه الترابط بين أبيات القصيدة الشعرية ، و غيرهما من فطاحلة التفكير اللغوي العربي ، الذين سجلوا في نبذ قليلة من إشاراتهم المبثوثة في أعمالهم ، ما يمكن لنا نحن اليوم أن نعتز به اعتزازاً كبيراً ، كما كانوا مهتمين إلى درجة كبيرة في باب الدراسات القرآنية بالمناسبة بين السور وترتيبها ، وهو باب يمس جانباً مهماً من الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث ، فقد ألف علماؤنا في أسرارها تواليف كثيرة منهم العلامة (أبو جعفر بن الزبير)، وهذا الاهتمام بعلم المناسبة قال عنه (السيوطي): وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن أكثر منه الإمام (فخر الدين) ، وقال في تفسيره :أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

لقد انتشرت في كتب الدراسات اللغوية الحديثة ، مصطلحات متعددة كلها يعد تسمية لعلم النص منها ، لسانيات النص ، علم اللغة النصي ، نحو النص ، وقد كانت الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم في (1952م) على يد الأمريكي (هاريس)، في كتابه (تحليل الخطاب). وعرفت بعد ذلك هذه الإرهاصات، تطوراً كبيراً على يد أعلام غربيين كثر ، جاءوا بعد (هاريس) من أمثال (دي بوجراند) و (دريسلر) و(فان دايك) و (هاليداي) و(رقية حسن) وغيرهم كثير .

لقد حاولنا – ما وسعنا الجهد في ذلك – من خلال هذا البحث ، أن نميز طبيعة التجربة العربية في الممارسة النصية ، بمفهومها اللساني الحداثي من منظور قراءة في التراث ، مبتدئين في ذلك بالمحاولات الأولى في التأليف ، في الحقول اللغوية المختلفة ، من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وأصول ، وصولاً إلى المرحلة التاريخية التي كانت متميزة بمجهودات (عبد القاهر الجرجاني)، من خلاله التجديد في نظرته المتعلقة بالبلاغة النحوية ، التي كشفت عن مفهوم

آخر يعكس مظهر آخر للممارسة النصية. و دعمنا ذلك بنموذجين آخرين ، لا يقلان شأناً في هذا التصور، وهما الأديبان الناقدان (السكاكي) و(القرطاجني).

وأثناء حديثنا عن ظاهرة تماسك النصوص وتلاحمها ، حرصنا على أن نضع– أمام القارئ – ، شكلاً من أشكال التقابل التاريخي المعرفي، بين نماذج الأعلام في الفكر اللغوي الغربي ، والتراث اللغوي العربي ، ليتبين هذا القارئ جانب التلاقي والتباين ، بين ما سميناه بخصائص **المقترح** في جانب الفكر الغربي، وبين نظيره من **الإسهام** في التراث اللغوي العربي ، معتمدين في الحديث عن كلا التصورين، على أبزر المؤلفات التي كتبت في هذا الموضوع.

و قد تسنى لنا من خلال هذا البحث ، أن نورد جملة من النتائج والمقترحات يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

– أن الدراسات اللغوية القديمة عند مختلف الأمم الغابرة ، اعتبرت عند كثير من الباحثين ، المسار الطبيعي لتطور هذه الدراسات عبرالتاريخ ، وبالتالي فإن الاستلهام من مكوناتها المعرفية، يأتي في سياق الاحتكاك والتبادل والتأثير والتأثر ، بين مختلف حضارات الشعوب والأمم.

– أن التراث اللغوي العربي، لا يشذ بأي حال من الأحوال عن هذه القاعد ، فبقدر ما استفاد هذا التراث من سابقيه من الدراسات القديمة ، بقدر ما كان تأثيره واضحاً ، فيما تعاقب بعد ذلك من معارف إنسانية ، ودراسات لغوية وبخاصة في الفكر اللغوي الغربي.

– أن علماءنا الأوائل قد أولوا عناية كبيرة ، بقضية تلاحم النصوص وتماسكها اللغوية ، ومن الذين تناولوها (عبد القاهر الجرجاني) ، و قد عمد إلى ربط العلاقة بين المكون النحوي والمكون الدلالي ، ومن المهتمين أيضا بذلك (ابن رشد) ، و(حازم القرطاجني) ، و (السكاكي)، و كذلك (الإمام الشاطبي) ، كما كان لعلماء التفسير أثرهم في هذا الميدان ، ومنهم (الزركشي) و(السيوطي) و (الطبري) و(الزمخشري)، ومن علماء العصر الحديث (سيد قطب) و(سعيد حوى).

- أن الأسس التي بنى عليها (الجرجاني) منهجه في دراسة النحو، هو وجوب اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنه لا فضل للمنظوم، وإنما الفضل في الموضع الذي أوجب هذا الرفع أو ذاك النصب، بتقديم لفظ أو تحويله من مكان إلى مكان.

- أن النص يشكل مفهوماً مركزياً في الدراسات اللسانية المعاصرة ،حيث اختصت الدراسات التي تهتم بالنص باسم: (علم النص)، أو (لسانيات النص)،أو (لسانيات الخطاب)، أو (نحو النص).. و كلها تتفق على ضرورة مجاوزة (الجملة) في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع، بل إن أخصب محاورة في العمل الفني هو (الفضاء النصي).

- أن معظم الدراسات ترى أن الإرهاصات الأولى لعلم لسانيات النص، إنما هي الدراسات الأمريكية بداية مع ما كتبه (هاريس) سنة (1952م) ثم تطور هذا العلم مع (بليت) سنة (1975م) و (دريسلر) (1977م)، و أخيراً ما كتبه (هاليداي) و(رقية حسن) في كتابهما الموسوم (الاتساق في الانجليزية) الصادر بلندن عام(1971م). ولعل من الجهود التي أعانت،على ذلك جهود (نعوم تشومسكي) وما أحدثت من ثورة في الدراسات اللغوية. ثم من المهتمين بهذا النوع من الدراسات الأمريكي (روبرت دي بوجراند)، والذي ألف كتابه المشهور (النص والخطاب والإجراء) الصادر عام(1980م)، وفيه حدد المعايير التي تقاس بها نصية النص.

- أن لسانيات النص و الخطاب، وكذلك قطاعا نحو النص وتحليل الخطاب، تدرج مصطلحي الاتساق والانسجام النصي ، في العديد من بحوثها الأساسية . وأن ظاهرة تجلي تماسك النصوص والخطابات، اعتبرت في علم نظرية النص إحدى أهم المعايير ، التي يقوم عليها الحكم بنصية النص ، مع اختلاف بين اللغويين حول مسمى المصطلح ، إلى جانب معايير أخرى كالتناص والقصدية والإعلامية وغيرها. كما أن التناسق بين أجزاء النص يتحقق بأدوات منها ما هو لغوي ومنها غير اللغوي، والتماسك عنصر أصيل في تحقيق التناسق بين

مكونات النص، فهو أداة تجمع بين ما هو لغوي، وما هو غير لغوي في تحقيق الوحدة المطلوبة في النص.

– أن الترابط بين أجزاء النص أبرز الخصائص التي تسمه بالنصية ، فالنص ليس مجموعة جمل فقط ، لأنّ النص يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، كما يمكن أن يكون أي شيء من مثل مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة، والنصية تميز النص عمّا ليس نصاً، فالنصية تحقق للنص وحدته الشاملة. إذ إن أبرز ما يميز النص عن اللانص، هو ذلك التماسك الشديد بين أجزائه، حتى يبدو النص قطعة واحدة متناسقة الأجزاء. بل إن أغلب اللسانيين يصرّون على وحدة وتماسك النص ، وهو القاسم المشترك لكل التعريفات ، التيتراهن على أن النص وحدة متكاملة تشدّها خاصية الترابط ، حيث يقوم النظام الكلي للنص،على مبدأ التماسك المتمثل في الخاصية الدلالية الجامعة للخطاب ، التي يُعنى التحليلاللساني في النص بوصفها وتحديدها في ضوء نحو النصوص .

– أن أهمية السياق على مستوى تراكيب اللغة ، مسألة لا خلاف حولها بين الباحثين – قديماً و حديثاً– ، من أجل الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) ، إذ لا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ، ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم. و أن اهتمام البلاغيين العرب بدراستهم للسياق ، تدخل ضمن الإطار نفسه،وذلك من حيث تركيزهم على فكرة (مقتضى الحال)،والعلاقة بين المقال والمقام. إذ مصطلح (مقتضى الحال) يقترب إلى حدّ كبير، من مصطلح (سياق الحال) في الدرس اللغوي الحديث.

وهكذا يتبين أن ما قاله بعض اللغويين والنقاد القدامى ، عن الترابط النصي لا يختلف كثيراً عما توصل إليه اللغويون المحدثون في هذا الإطار ، و هذا ما يجعلنا نستنتج أن التراث اللغوي العربي القديم ، يزخر بتصورات وآراء صائبة، حول مختلف القضايا والظواهر اللغوية . و من هنا يمكن إدراج

بحثنا هذا،في سياق المستجدات التي عرفها الدرس النقدي الحديث ، بعد عودة البلاغة القديمة إلى الساحة الأدبية، كمحاور لبناء بلاغة جديدة وحديثة.

إن الغاية الأساس لهذه الدراسة ، هي إبراز بعض المناطق المضيئة في تواثنا البلاغي، من خلال تسليط الضوء على إنجازات (الجرجاني) و(السكاكي) و(القرطاجني) البلاغية، واستبصاراتهم النقدية، اعتقاداً منا أن ذلك سيساعدنا في تحقيق فهم أعمق لطبيعة النص الأدبي وقضاياه.

إننا مدعوون أكثر من أي وقت مضى ، إلى معرفة الأسباب التي تقف وراء عزوف الدرس اللغوي المعاصر، من الاستفادة من تراثنا اللغوي بشكل مباشر، كاستفادته من التراث اللغوي الهندي الذي يأخذ عنه علم اللغة الحديث. وربما اعتبره المرجعية التاريخية الوحيدة ، التي يمكن الاعتماد عليها في التأريخ للدرس اللغوي الحديث!

إن الإضافة الحقيقية التي ينبغي تقديمها لهذا التراث ، هي محاولة واعية وفاعلة من أجل إعادة قراءته وتقديمه، على النحو المناسب للسياق العلمي الراهن، إذ تـُمثـِّل النظريات اللغوية المعاصرة ، تحدياً غير بسيط لتراثنا اللغوي، يستلزم أن نراجعه استكشافاً لنظرياته، التي لم تحظ بالبلورة ، ووقوفاً على طرقه المختلفة في معالجة المشكلات اللغوية، التي تعالجها النظريات اللغوية العربية المعاصرة.

إننا في أمس الحاجة إلى عرض ما في تراثنا اللغوي ، من أفكار ومفاهيم لغوية رائدة. وإيماننا في هذا الصدد بالتراث اللغوي العربي بقدر ما أسهم به ، قوي في ترسيخ الدرس اللغوي، عبر مسيرته الطويلة ومقدار قيمة ما قدمه هذا التراث.

هذا ما استطعنا الإلمام به من بعض أطراف هذا الموضوع؛ فإن وفقنا فمن الله تعالى، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، فنرجو أن تعفى زلاّتنا وتقال عثراتنا.

والله وليُّ التوفيق..

قائمـــة المراجع

قائمة المراجــع

أولاً: باللغة العربية

- المصحف الشريف (رواية ورش عن نافع).

- الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة، يحيى الحمد، د ط، عالم الفكر، الكويت، الكويت، سنة 1989م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري ، تح: محمد عبد الحميد، ط04، الجزء 01، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة،مصر، سنة 1961م.

- أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، ط 01، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، د ت.

- اجتهادات لغوية، تمام حسان ، ط 01، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر،سنة 2007م.

- إعجاز القرآن الكريم ، فضل عباس. دار الفرقان ،عمان الأردن ، سنة 1991م.

- أثر النحاة في البحث البلاغي ،عبد القادر حسين ، د ط ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،دت.

- الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي، أحمد سعد، ط 01 ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،د ت .

- انفتاح النص الروائي – النص ، السياق –، سعيد يقطين،د ط ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، سنة 1989م.

- أساس البلاغة؛ الزمخشريّ (أبو القاسم محمود بن عمر)،د ط ، دار مطابع الشعب، القاهرة،مصر، سنة 1960م.

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، د ط، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ت.

- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ط 06، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، سنة 1988م.

- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل،د ط ، العدد 164، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب،الكويت،سنة 1990م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص – صلاح فضل ،ط 01،لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر،سنة 1996م.
- البلاغة العربية، الأصول والامتدادات، محمد العمري، ط 01،الدار البيضاء، المغرب ، سنة 1998م.
- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي أبو علي ، ط 01، دار البشير، عمان، الأردن،سنة1992م.
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ط 01، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، سنة 1994م.
- البلاغة والنقد المصطلح و النشأة والتجديد، محمد كريم الكواز مؤسسة الانتشار العربي بيروت، لبنان ، سنة 2006م.
- البلاغة والنقد..المصطلح والنشأة والتجديد ، محمد كريم الكواز،ط 01، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان ،سنة2006م.
- البلاغة..نظوم وتاريخ، شوقي ضيف، ط02 ،دار المعارف،القاهرة ، مصر، د ت.
- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، دط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ،سنة2006م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط 07، الجزء 01، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،سنة 1997م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد، الجزء01 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، سنة 1969م.
- التعريفات، الجرجانيّ (عليّ بن محمّد بن عليّ)، تحقيق إبراهيم الأبياريّ، ط1، دار الكتاب العربيّ بيروت، لبنان، سنة 1985م .
- تفسير القرآن الكريم، ابن عربي، تحقيق مصطفى غالب، ط 02، مج 02، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 1978 م.

- التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، د ط، دار التنوير، بيروت، لبنان، سنة 1981م.
- التطور اللغوي التاريخي- إبراهيم السمرائي، ط 03، دار الأندلس، بيروت، لبنان، سنة 1983م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة 1981م.
- تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، ط 02، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت. لبنان، سنة 1985م.
- الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة ،عبد الله إبراهيم، ط 01 ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، سنة 1999م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،الرماني والخطابي والجرجاني ،تحقيق وتعليق خلف الله و زغلول، ط03، دار المعارف، القاهرة، د ت.
- دراسات الطبري للمعنى من خلال تفسيره، محمد المالكي، د ط، منشورات وزارة الأوقاف مطبعة فضالة، الرباط، المغرب، سنة 1996م.
- دراسات في البلاغة العربية ،عبد العاطي غريب علام ، ط 01 ،منشورات جامعة قار يونس، بن غازي ،ليبيا، سنة 1997 م.
- دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس، دط ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ،مصر، سنة 1986م.
- دلالة الألفاظ عند الأصوليين، محمود توفيق سعد الله محمود، ط 01، مطبعة الأمان، القاهرة، مصر، سنة 1987م.
- دلالة السياق في التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، د ط ،جامع الأزهر، القاهرة ، مصر، سنة1991 م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين ، الطاهر حمودة ، د ط ، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، سنة 1981 م.
- جمهرة اللغة ، ابن دريد محمد بن الحسن ، ط 01، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند، سنة 1914م.

- جوهر الكنز، ابن الأثير، تحقيق محمد زغلول سلام، د ط، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، سنة 2009 م.
- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط 02، الجزء 03، شركة الباب الحلبي بمصر، سنة 1965 م.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط 02، الجزء 01، دار الهدى، بيروت، لبنان، د ت.
- دلائل الإعجاز، الجرجاني، تحقيق، محمود شاكر ، ط 05، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، سنة 2004 م.
- الرسالة ،الشافعي (محمّد بن إدريس)، تحقيق أحمد شاكر،دط، دار القلم ، دمشق، سوريا، سنة2004 م.
- السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية.. مقاربة لسانية، أحمد حساني، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1993م.
- السياق الأدبي.. دراسة نقدية تطبيقية، محمد محمود عيسى، د ط، جامعة المنصورة، مصر، سنة 2004م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الجزء 01، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة 1958م.
- الصحاح ، الجوهري ، تحقيق إميل يعقوب و محمد نبيل الطريفي ، ط 01 ، الجزء 01 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د ت.
- الصحاح.. تاج اللغة وصحاح العربية، ط 02، الجزء 05، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1979.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي و محمد إبراهيم ، ط01، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر،سنة 1952 م.
- الظواهر اللغوية في التراث النحوي(الظواهر التركيبية) ، علي أبو المكارم، ط01، دار القاهرة الحديثة للطباعة، القاهرة، مصر، سنة 1968م.
- طبقات فحو الشعراء، ابن سلام الجمحي قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، الجزء 01 ، دار المدني،بجدة، السعودية، د ت.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة والعلوم وحقائق الإعجاز، العلوي اليمني، الجزء 02، مطبعة المقتطف، بيروت، لبنان، سنة 1914م.
- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني،المفتن في العربية و نحوها زهران البدراوي ، ط04، دار المعارف، القاهرة،مصر، سنة 1987 م.
- عبد القاهر الجرجاني .. بلاغته ونقده، مطلوب أحمد، ط 01، وكالة المطبوعات، الكويت، سنة 1973 م.
- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، دط ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، سنة 2001 م.
- علم الدلالة العربي، فايز الداية، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،سنة 1988 م.
- علم الدلالة عند العرب، عادل الفاخوري، د ط ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، سنة 1985م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، د ط، دار عالم الكتب القاهرة، ط 03، سنة 2004 م.
- علم اللسانيات الحديثة.. نظم التحكم وقواعد البيانات، عبد القادر عبد الجليل، ط 01، دار صفاء للنشر، سلطنة عمان، سنة2002م.
- علم اللغة الاجتماعي- كمال بشر، د ط، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، سنة 1994 م.
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور،دط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،سنة 1987م.
- علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، ط 02، القاهرة، مصر، سنة 1976م.
- علم لغة النص..المفاهيم والاتجاهات ، سعيد بحيري، ط 01،الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ،القاهرة، سنة 1997م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، صبحي الفقي، ط01، دار قباء للطباعة، القاهرة، سنة 2000م.

– علم اللغة ، حاتم الضامن دط ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة، العراق، د ت.
– علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي ، ط 01 ، دار إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ،السعودية ، سنة 1992 م.
– علوم القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه،عدنان زرزور، ط 01 ، دار الأعلام ،عمان ، الأردن ، سنة 2005 م.
– العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، ابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد ،ط 05 ، الجزء 02، دار الجيل ، بيروت،لبنان، سنة 1981م.
–عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق عبد العزيز ناصر المانع، د ط ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية،سنة1985م.
– العين، الفراهيديّ ، تحقيق مهدي المخزوميّ و إبراهيم السامرائيّ، المجلد 07، دار الشؤون الثقافية، بغداد،العراق ،سنة 1984م.
– الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، د ط ، دار الفكر، دمشق، سوريا ، سنة2002 م.
– فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، ط 01، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، سنة 2006م.
– فصول في علم اللغة العام،د ط ، محمد علي الرديني، دار الهدى، الجزائر، سنة 2007م .
– فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، ط 01، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، سنة 1972م.
– فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، د ط، دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 2005م.
– فكرة إعجاز القرآن..من عصر النبوة إلى عصرنا الحالي ، نعيم الحمصي، ط 02 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، سنة 1980م.
– فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ريمون طحان،د ط ، دار الكتاب اللبناني،بيروت ، لبان، سنة 1983م.

- في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، سعد مصلوح، ط 01 ، دار الكتب، بيروت، لبنان، سنة 2006 م.
- في بناء النص و دلالته، مريم فرانسيس ، د ط ، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ، سنة 1998 م.
- في لسانيات النص و تحليل الخطاب ، عبد الرحمن بودرع نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، سنة 2013 م.
- في مصطلحات اللسانيات النصية، أسامة عبد العزيز جاب الله، د ط، منشورات كلية الآداب ،جامعة كفر الشيخ، مصر، سنة2001 م.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادى (محمد بن يعقوب) ، الطبعة 02، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت، لبنان، سنة1987م.
- قواعد الشعر، ثعلب، حققه وعلق عليه وقدمه رمضان عبد التواب، سلسلة روائع التراث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ت .
- قرينة السياق، تمام حسان، د ط، مكتبة عبير للكتاب، القاهرة، مصر،سنة 1993م.
- قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة ، ط 03، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، سنة 1984م.
- الكتاب، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 02، الجزء 03،الخانجي ، القاهرة ، مصر، سنة 1988م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي (محمد علي بن علي الفاروقي)، الجزء 03، دار صادر، بيروت، د ت.
- الكشاف ، الزمخشري ، ط01 ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ،سنة 1977 م.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، البخاري، ضبط وتعليق البغدادي، ط 02، الجزء 02، دار الكتاب العربي بيروت، سنة 1994 م.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي (بن موسى الحسيني) تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط 01، مؤسسة الرسالة ،بيروت،سنة 1992م.
- لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، الجزء 15، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1955م.

– لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة،عبد الفتاح أحمد يوسف،د ط ،الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر، سنة1996م.
– لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، ط 1، المركز الثقافيّ العربيّ،بيروت، لبنان ، سنة1991م.
– اللسانيات والدلالة.. والكلمة، منذر عياشي، ط 01 ،مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، سنة 1996 م.
– اللغة العربية..معناها ومبناها، تمام حسّان، ط 02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، سنة 1979 م.
– اللغة الثانية في إشكالية المنهج ، فاضل ثامر، ط 01 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب سنة1994 م.
– اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، د ط ، المجلس الوطني الكويتي، سنة 1995 م.
– مجاز القرآن، أبو عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، ط 02 ، الجزء 01، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، سنة 1988م .
– مجالس ثعلب، ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، د ط، المجلد 01، دار المعارف، مصر، سنة 1969م.
– المستصفى من علم الأصول، الغزاليّ، ط 3، المجلد 01، دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ ، بيروت،لبنان، سنة 1993م .
–المغني في أبواب التوحيد والعدل،عبد الجبار المعتزلي تحقيق أمين الخولي، د ط ، الجزء 16 ، دار الكتب ،الجمهورية المتحدة، سنة 1960م.
– مفتاح العلوم ،السكاكي ، تحقيق نعيم زرزورة ، ط02، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان، سنة 1987 م.
– المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، الجزء 01 ، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، سنة 1982م.
– موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم؛ التهانويّ ، تقديم رفيق العجم، ط 1، المجلد 2، مكتبة، ناشرون، بيروت، لبنان، سنة 1996م .

– الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني،د ط ، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة ، مصر، سنة 1922م.
– مبادئ في اللسانيات، خوله الإبراهيمي،د ط، دار القصبة ،الجزائر،سنة 2000 م.
– محاضرات في فقه اللغة، عصام نور الدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2003م.
– المدخل إلى دراسة البلاغة العربية،خليل أحمد، ط 01، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، سنة 1968 م.
– المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي،خليل أحمد عمايرة، ط 01، وائل للنشر التوزيع ،عمان، الأردن، سنة 2004 م.
– المفاهيم معالم، محمد مفتاح، ط 01، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، سنة 1999م.
– مفاهيم في علم اللسان،التواتي بن التواتي ، ط 01 ، الجزائر العاصمة ، الجزائر، سنة 2006م.
– مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ، د ط. د ت. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان.د ت.
– المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، أحمد حساني، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر، سنة 1993م.
– مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، د ط، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، سنة 1979م.
– من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح،د ط،الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية ، جامعة الكويت ،الكويت، سنة 1989م.
– المنوال النحوي العربي.. قراءة لسانية جديدة، عز الدين مجذوب، ط 01، نشر كلية الآداب، سوسة، تونس، سنة 1998 م.
– نقد الشعر، قدامه بن جعفر تحقيق، كمال مصطفى، ط 03، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، سنة 1979 م.

- نحو النص اتجاه في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط 01، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، سنة 2001 م.
- نحو النص .. نقد النظرية و بناء أخرى ، عمر أبو خرمة ، ط01، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2003 م.
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، ط01، دار غريب، القاهرة، مصر، سنة 1983 م.
- نسيج النص.. بحث فيما يكون الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ط 01، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، سنة 1993 م.
- نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم، أحمد سيد عمار، ط01، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة1998 م.
- نظرية البلاغة العربية.. دراسة في الأصول معرفية، أحمد سعد محمد، ط 01، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، سنة 2009 م.
- نظرية السياق.. دراسة أصولية، نجم الدين الزنكي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2006 م.
- نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، دط ، مكتبة نهضة، القاهرة، مصر، سنة 1960 م.
- النظم القرآني في كشاف الزمخشري، درويش الجندي، د ط ، مكتبة، نهضة، مصر، القاهرة، سنة1992 م .
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ .. من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني ، د ط ، د م ج ، الجزائر، سنة 1994 م.
- النظرية اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، ط 01، دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة، مصر، سنة 2006 م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظرية اللغوية الحديثة، نهاد الموسى، ط01، عمان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، سنة 1980 م.
- نظرية النظم تاريخ تطور، حاتم الضامن، د ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، سنة 1979 م.

– نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، محمود توفيق محمد سعد ، د ط ، القاهرة، مصر ، سنة 2000 م.

– النظرية النقدية عند العرب، هند حسين طه ، د ط ، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1997 م.

– النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ،ط 03، دار نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة ،مصر ،سنة 1997 م .

– الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد إبراهيم وعلي البجاوي،ط 01،المكتبة العصرية، بيروت، لبنان سنة 2006م

ثانياً:باللغة الأجنبية

01_Chris Baldick/ Oxford Concise Of Literary terms .oxford university press..1990

02_ Hartman, R.R. K and F. C. stork; Dictionary of Language and linguistics; Applied Science published; London; 1972,

03_Halliday (M.A.K.) and Ruqaya Hassan; Cohesion in English; Long man; 1st pub; New York; 1976

04_Crystal (David); A Dictionary of Linguistics and phonetics; Black well published; (3rd ed); London 1991.

05_Al-Algawi (Bayda' A. L): Rendition of Syntactic Cohesion: Application of text linguistics on translation; A thesis of Master; Submitted to the council of the college of Arts of the Al-Mustansiriya University). 1996

06_ Halliday, M. A. K; Dimension of Discourse Analysis; in Van Dijk Hand book of Discourse Analysis, Academic press, London; 1985

07_Halliday M.A.K and Ruqaiya Hasan cohesion in English - Longman Group- London- 1976.

ثالثاً: مراجع مترجمة

- بناء لغة الشعر (جون كوين)، ترجمة و تقديم : أحمد درويش ،ط 03، دار المعارف القاهرة ،مصر، سنة 1993م.

– تحليل الخطاب، (ج. ب. براون و ج.بول) ترجمة: محمد لطفي الزلطيني و منير التريكي ، ط 01 ، دار النشر العلمي، جامعة الملك سعود، السعودية ، سنة 1997م.

– التحليل اللغوي للنص،(كلاوس برينكر)،ترجمة: سعيد حسن بحيري ، ط01، مؤسسة المختار، القاهرة ، مصر، سنة 2005 م.
– التحليل النصي في البحث الاجتماعي (نورمان فاركل)، ترجمة: طلال وهبة، ط 01 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، سنة 2009م
– حفريات المعرفة ،(ميشال فوكو)،ترجمة: سالم يافوت ، د ط ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب، سنة 1968 م.
– العربية،(يوهان فك)، ترجمة: عبد الحليم النجار،د ط ، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة 1951م.
– العلماتية وعلم النص، (نصوص مترجمة) ،إعداد وترجمة:منذر عياشي ط01، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء،المغرب، سنة 2004 م.
– علم اللغة الدراسات الأدبية.. دراسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة النصي، (برند شبلنر)، ترجمه و قدم له وعلق عليه : محمود جاد الرب، ط 01 ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر،سنة1987م.
–علم النصّ، ضمن كتاب آفاق التناصيّة، المفهوم والمنظور،(رولان بارت)، ترجمة:محمّد خير البقاعيّ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، سنة 1998م.
– علم النص ،(جوليا كريستفا)، ترجمة: فريد الواهي ، مراجعة:عبد الجليل ناظم، ط02 ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ، المغرب سنة1997م.
– فن الشعر، (أرسطو)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المعربة، القاهرة، مصر، سنة1953م.
– اللغة،(فندريس) ، ترجمة:عـــبد الكريم الدواخلي ، ومحمد القصاص ، ط 03، مكتبة أنجلو ، القاهرة ، مصر، سنة 1967 م.
– اللغة وعـــــلم اللغة،(جون لوينز)، ترجمة و تعـــليق : مصطفى التوني، ط01،الجزء 01، دار النهضة العربية، القاهرة ، سنة 1987م.
– اللغة و المعـــنى والسياق ،(جون لاينز)، ترجمة: عـــــــباس صادق الوهاب ، مراجعـــــة: يوئيل عزيز ، ط 01، دار الشؤون الثقافية العـــامة ، بغداد العـــــراق، سنة 1987م.

- مدخل إلى عـلم اللغة النصيّ،(هاينه من فولفانج و ديتر فيهفيجر)، ترجمة: فالح بن شبيب العـجميّ، ط01، مطابع جامـعة الملك سعود، الرياض، سنة 1999م.

- مدخل إلى علم النص.. مشكلات بناء النص،(زتسيسلاف و اورزنياك)، ترجمة و تعـليق :حسن بحيري، ط 01 ، مؤسسة المختار، القاهرة، سنة 2003م.

- مقدّمة في نظريات الخطاب، (ديان مكدونيل)، ترجمة: عـز الدين إسماعـيل ، ط01 ،المكتبة الأكاديميّة، القاهرة ، سنة 2001 م.

- من النصّ إلى الفعـل،(ريكور بول)، ترجمة: محمّد برادة وحسان بورقيّة، ط1، مؤسسة عـين للدراسات والبحوث الإنسانيّة و الاجتماعـيّة، القاهرة، سنة 2001م

- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب،(ر.هـ. روبنز)، د ط، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ،الكويت ، سنة 1997م.

- النص..ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص (تزفيتان تودوروف)، ترجمة وإعـداد: منذر عياشي ، ط 01 ، المركز الثقافي العـربي ، الدار البيضاء ، سنة 2004 م.

- النص و الخطاب والإجراء،(روبرت دي بوجراند)، ترجمة: تمام حسان ، ط 01، عـالم الكتب ، القاهرة ، مصر، سنة 1997 م.

رابعـاً: مذكرات و أطاريح جامعية

- تحليل الخطاب في الدراسات الإعلاميّة، دراسة في الأسس النظرية،(رسالة ماجستير)، صفاء صنكور،جامـعة ، بغداد، العـراق، سنة 1996م.

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (أطروحة دكتوراه) ، عبد العظيم إبراهيم، ط01، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، سنة 1992م.

- السياق ودلالته في توجيه المعنى، (أطروحة دكتوراه)، فوزي إبراهيم عبد الرزاق، كلية الآداب، جامعة بغداد، سنة 1996 م.

- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دراسة في ضوء نحو النص، (أطروحة دكتوراه)، أحمد رضوان، جامعة القاهرة، مصر، سنة 2012م.

- قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية،(أطروحة دكتوراه)، علي العماري ، ط 01، مكتبة وهبة، القاهرة،مصر، سنة1999م

خامساً:المجلات

- مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد 01، المجموعة 07، جدة، السعودية، سنة 1999م.

- مجلة علامات في النقد، (مجلة الكترونية)، العدد 38، سنة 2000م.

- مجلة كلية دار العلوم (مجلة الكترونية)، د ط ،القاهرة،مصر، د ت.

- مجلة التراث العربي،(مجلة الكترونية)، العدد 10، السنة 03، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة1983م.

- مجلة اتحاد الكتاب العرب، (مجلة الكترونية)، العدد 122، دمشق ــ حزيران، يونيو، سنة 1981م.

- مجلة التبيين، العدد 05 ، دار الجاحضية، الجزائر، سنة 1992م.

- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،(مجلة الكترونية)، العدد 04، فاس، المغرب.

- مجلة الدراسات القرآنية، العدد 02، المجلد الثالث، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن، سنة 2001 م.

- مجلة جذور ، (مجلة الكترونية)،ع 31 ،النادي الأدبي الثقافي، جدة ،السعودية، سنة 2010 م.

- حوليات الجامعة التونسية، العدد10، تونس، سنة 1966م.

- مجلة التراث العربي، (مجلة الكترونية)، دمشق، سورية، د ط ، د ت.

- مجلة جذور، العدد 07، المجلد 17، جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، سنة 2010م.

- مجلة الفكر العربي المعاصر ، (مجلة الكترونية) ، العدد 18-19، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، سنة 1982م.

- مجلة العلوم الإنسانية،(مجلة الكترونية)، العدد35،السنة 05، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، سنة2007 م.

– مجلة الألسنية، (مجلة الكترونية)، دورية تصدر كل ثلاث أشهر، وزارة الإعلام، الكويت، سنة 1989 م.
– مجلات متعددة المصادر الأصلية للنصوص المترجمة؛ لـــ : رولان بارت، مارك أنجينو ، ليون سومفيل، جيرار جنيت، روجر فايول ، ترجمها و قدم لها وعلق عليها محمد خير البقاعي ، ط 01، دار المعارف ،حمص، سوريا ، سنة 1998 م.

سادساً: الموسوعات

– معجم الفلاسفة ،جورج طرابيشي ، ط 01 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1987 م.
– المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء 02، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة1982 م.
– المعجم الوسيط، ط 03، الجزء 02، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، سنة 1985م.
– المعجم الفلسفي ، مدكور إبراهيم ، و زملاؤه القاهرة ، د ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، سنة 1979م.
– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،وهبة مجدي، د ط، بيروت، مكتبة لبنان، لبنان، سنة 1979 م.
– الموسوعة العربية الفلسفية ، معن زيادة ،ط 01 ، مج 01 ، معهد الإنماء العربي، بيروت ، لبنان، سنة 1986م.
– موسوعة الفلسفة والفلاسفة،عبد المنعم الحفني، ط 02 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر، سنة 1999م.
– الموسوعة الفلسفية العربية، علي حرب، ط 01، المجموعة 01، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، سنة 1986 م.

فهرس الموضوعـــــــات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
– الإهداء	
– شكر و عرفان	
– المقدمة:..	(أ- س)
❖ **الفصل الأول:جذور التفكير اللساني بين الغرب والعرب.........**	(101-14)
– المبحث الأول:الدراسات اللغوية الغربية، وحقيقة المقترح اللساني.........	(14)
*مراحل تطور الدرس اللغوي:........................	(14)
* المدارس اللسانية الغربية:..	(24)
* السنسكريتية،و علم اللغة في أروبا:..........................	(35)
* اللغة عند المحدثين:..	(40)
– المبحث الثاني:الدراسات اللغوية العربية القديمة وجذور الإسهام اللساني:...	(39)
* الدراسات اللغوية:..	(41)
* الدراسات البلاغية:..	(48)
* الدراسة الأدبية و النقدية:...	(64)
– المبحث الثالث: المصطلح اللساني العربي القديم، و مؤشر تماسك النص:....	(66)
* التراث اللغوي العربي و علمية المصطلح:........................	(67)
* قراءة في منطوقة المصطلح اللساني العربي القديم :...........	(95)
❖ **الفصل الثاني:جذور دراسات النظم، و نظرية السياق عند البلاغيين..**	(183-103)
– المبحث الأول: اللفظ و المعنى و طبيعة الصلة بينهما:.......	(103)
* دلالة اللفظ و المعنى في المعجم و الاصطلاح...............	(105)
* جدلية التعالق بين اللفظ و المعنى و المناسبة بينهما	(111)
* الصلة بين اللفظو المعنى في الفكر اللغوي الغربي	(118)
– المبحث الثاني:حول نظرية النظم، وأسئلة التاريخ:..................	(119)
* حول مهاد نظم في اللغةو الاصطلاح	(120)
* حول نظرية النظم في التراث العربي قبل عبد القاهر الجرجاني ..	(124)
– المبحث الثالث:حول المنحى الفني في نظرية النظم و أدبية الإعجاز:.......	(135)
* مفهوم الإعجاز من حيث اللغة و الاصطلاح..............	(135)

* تاريخ و مراحل نشأة فكر إعجاز القرآن .... (136)
– المبحث الرابع: مفهوم السياق في التراث العربي و الفكر اللغوي الغربي:... (142)
أ/– السياق في التراث العربي:... (142)
* تعريف لفظ سياق في اللغة و الاصطلاح.......................... (142)
* العلاقة بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي........................ (149)
* السياق و توجيه دلالة النص في التراث العربي........................ (150)
* السياق و تحقق البعد البلاغي في التراث العربي...................... (159)
ب/– النظرية السياقية في الفكر اللغوي الغربي:........................... (173)
* تعريف السياق بوصفه نظرية................................. (173)
* السياق قبل فيرث... (175)
* نظرية السياق عند فيرث.. (178)
* السياق بعد فيرث .... (181)
❖ **الفصل الثالث: الفكر اللغوي الغربي والممارسة النصية.........** (281-185)
– المبحث الأول: مدخل إلى اللسانيات النصية ، التاريخ و التطور:.......... (185)
* تاريخية التطور من نحو الجملة إلى نحو النص.......................... (185)
* تاريخ البلاغة و نحو النص... (199)
* حول لسانيات النص ، النشأة و المصطلح و الأسس.......................... (202)
– المبحث الثاني: العلاقات النصية و ظاهرة تماسك الخطاب................. (209)
* ظاهرة التعالق وتجليات النصية..................................... (209)
* تقسيم العلاقات في النص و معايير التقسيم.............................. (217)
– المبحث الثالث: مقومات تماسك النص/ الخطاب، وتشكل بناء اللغة:....... (221)
* مفهوم النص من حيث اللغة الاصطلاح.............................. (221)
* مفهوم النص في الثقافة الغربية.................................... (226)
* مفهوم الخطاب من حيث اللغة و الاصطلاح.......................... (234)
* مفهوم تحليل الخطاب... (244)
– المبحث الرابع: قراءة في المقترح الغربي، حول مظاهر اتساق و انسجام و ترابط الخطاب:.. (246)
* مظاهر اتساق الخطاب... (246)

* مظاهر انسجام الخطاب... (264)
* مظاهر ترابط الخطاب........................ (273)
❖ **الفصل الرابع:التراث اللغوي العربي، والممارسةالنصية:..........** (404-383)
– **المبحث الأول : دلالات الممارسة النصية في الفكر الجرجاني**............ (287)
* الترجمة لعبد القاهر الجرجاني.............................. (288)
* الجرجاني ورؤيته للنظم.. (290)
* الفكر الجرجاني و ثنائية اللفظ و التركيب .... (301)
* الجرجاني و فكرة التعالق النحوي.......................... (303)
* الجرجاني و تبني فكرة النظم ، معجزة القرآن .... (313)
* بعض وجوه النظم ،و معايير الوصف و أدواته................ (321)
* قراءة في الشواهد... (349)
– **المبحث الثاني :السكاكي ، وفعل الممارسة النصية**.................. (352)
* السكاكي و نبذة عن حياته .... (352)
* الفكر السكاكي و معايير الوصف و أدواته من خلال علم المعاني (356)
– **المبحث الثالث : القرطاجني ، وفعل الممارسة النصية:**.................... (383)
* ترجمة لحياة القرطاجني...................................... (348)
* مناهج القرطاجني في مباني لغة الشعر.......................... (386)
– **الخاتمة:**.. (413-409)
– **قائمة المراجع:**.. (431/415)
– **فهرس الموضوعات:**... (433)

❖ ***Summary*: Text happened communicative and linguistic unity structured, combining elements of certain relationships and links, and this is what makes the text both one, and the harmony and interdependence make the text a distinct set of rules called the text of the term; Which represents the core of the detective linguistics text, and the text is the text that characterize what is not a text, as verification of the text and overall unity.**

❖ ***Keywords***: -consistency – harmony – interdependence – text – Referral- discourse.

❖ ***Résumé***: texte qui se est passé l'unité communicative et linguistique structurée, combinant des éléments de certaines relations et des liens, et ce est ce qui rend le texte à la fois une et l'harmonie et l'interdépendance rendre le texte un ensemble distinct de règles appelées le texte du terme; Qui représente l'essentiel du texte de linguistique de détective, et le texte est le texte qui caractérisent ce ne est pas un texte, que la vérification du texte et de l'unité globale.

❖ ***Mots-clés***: -cohérence - Harmony - interdépendance - texte - orientation - discours.

❖ ***الملخص*** :النص حدث اتصالي ووحدة لغوية مهيكلة، تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معينة، وهذا ما يجعل من النص كلاً واحداً ، والاتساق والانسجام والترابط تجعل النص متميزاً بجملة من القواعد يطلق عليها مصطلح النصية ؛ وهي التي تمثل المباحث الأساسية للسانيات النص ، والنصية هي التي تميز النص عما ليس نصاً، إذ تحقق للنص وحدته الشاملة .

❖ ***كلمات مفتاحيه*** :الاتساق – الانسجام – الترابط – النصية – الإحالة – الخطاب.

ملخص الأطروحة

لكانت المناهج قبل الدراسات اللغوية الحديثة تقوم على الأحكام القيمية والنظرة الجزئية لكن سرعان ما ظهرت دعوة تهتم بالعمل الأدبي في حد ذاته،وكان الهدف هو تحليل العناصر المكونة للنص وإيجاد القواعد التي بني عليها، وبمعنى أدق الوصف العلمي للنص ،وإيجاد العلاقة التي تكون عناصره، فلقد حاولت مختلف المناهج اللغوية منذ نشأتها التخلص من بعض النقائص فكان كل منهج يظهر يعمل على تجاوز سلبيات المنهج الذي قبله ليكتسب موضوعية وعلمية أكثر في مقاربة النصوص ،فالأسلوبية مثلا نظرت إلى الجملة على أنها أكبر وحدة، وكان تحليل الأسلوبيين تحليلا جزئيا ،لا يهتم بالبنية الموحدة لكل النص.

لقد تجاوزت لسانيات النص التحليل الجزئي واستفادت في هذا الشأن من بعض منجزات الأسلوبية، والبنيوية، واكتشفت بذلك التنظيم الداخلي للوحدات" structure " .

كان بذلك لا بد من تطوير الوسائل المنهجية لوصف النص كله وتحليله، لأن المناهج الأخرى بدت قاصرة في تجاوز حدود الجملة إلى ما فوقها، والوقوف على دلالة النصوص والبنية التي تحكمها، خاصة أن مفهوم البنية متوقف على السياق والعلاقات داخل النص.

و قد ازدهرت دراسات لسانيات النص لدى اللغويين الغربيين في منتصف القرن العشرين، وكان أبرز ما يميز تلك الدراسات، أنها تدرس الخطاب الشفهي، والنص المكتوب في ضوء سياقاتهما الداخلية والخارجية، بخلاف علم الدلالة الذي يدرس الجملة بمعزل عن السياق الذي ترد فيه. وإذا ما تأملنا تراثنا العربي فسنجد أن البلاغيين والأصوليين هم من تصدى للحديث عن تحليل النص، فربطوه بالسياق

الذي يرد فيه، حيث تعاملوا مع القرآن الكريم على أنه وحدة واحدة يترابط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني.

علم النص:

لم يجمع الباحثون على مصطلح واحد لتعريف هذا العلم، فيطلق عليه علم النص، وعلم اللغة النصي، ولسانيات النص linguistique du texte ونحو النص grammaire de texte ونظرية النص أيضا . وبهذا تعددت مصطلحات لتسمية علم النص وكانت الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم في 1952 على يد الأمريكي " هاريس " في كتابه " تجليل الخطاب"، وكان قد ركز فيه على الجوانب النحوية البنيوية، ربما لأن الرجل كان احد تلاميذ العالم :" بلوم فيلد " البنيوي، ثم تطورت الدراسات النصية وتبلورت النظرية مع " فان دايك" وتكامل العلم مع الأمريكي " روبرت دي بوجراند" الذي في عهده دكت كثير من الحواجز، وأصبح علم اللغة النصي يستفيد من كثير من العلوم منها ما هو لغوي، ومنها ما هو غير لغوي، ويهتم علم النص بالقواعد التي تجعل النص نصا، في أن نحو النص لا يعنيه إلا أن يدرس الجمل مفردة .

النص لغة:

النص في العربية يعني الظهور والبروز والارتفاع ذلك أننا إذا عدنا إلى المعاجم العربية فإننا نجد لمادة (نص) عدة معان منها: نص الحديث رفعه، ونصت الدابة جيدها إذا رفعته، ونصت العروس إذا رفع مكانها وأبرزت، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه،

ومنه فلان ينص أنفه غضباً، وهو نصاص، المتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلان استقصى مسألته عن الشيء والشيء أظهره.

أما في الثقافة الغربية فإن لفظ texte في المعجم الفرنسي مأخوذ من مادة(textus) اللاتينية، التي تعني النسيج، كما تطلق كلمة texte على الكتاب المقدس أو كتاب القداس ... كما تعني ترابط حكاية أو نص، والذي نلاحظه في المعنى اللغوي لمادة texte أنها تدل دلالة صريحة على التماسك والترابط والتلاحم بين أجزاء النص وذلك من خلال معنى كلمة (النسيج) التي تؤشر إلى الانسجام والتضام والتماسك بين مكونات الشيء المنسوج ماديا، كما تؤشر معنويا أيضا إلى علاقات الترابط والتماسك من خلال حبك أجزاء الحكاية.

النص اصطلاحا:

ينطلق بارت roland bartes في تعريفه للنص من الدلالة الاشتقاقية لمصطلح texte، أي النص والتي تعني في اللاتينية (النسج) فيقول: « النص نسيج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث هو يفرض شكلا يكون على قدر المستطاع ثابتا، ووحيدا. ثم بشرح ذلك فيقول: إن النص من حيث أنه نسيج فهو مرتبط بالكتابة ويشاطر التأليف المنجز به هالته الروحية (علو المصدر) وذلك بأنه بصفته رسما بالحروف، فهو إيحاء بالكلام (الظهور) وأيضا بتشابك النسيج وذلك يكسبه صفة الاستمرارية (التركيب والترتيب).

أما مفهومه عند (يلمسلاف) : يستعمل العالم الألسني الدانمركي لويس (يلمسلاف) مصطلح النص بمعنى واسع إذ يطلقه على أي ملفوظ، منفذ

قديما أو حديثا، مكتوبا أو محكيا، قصيرا أو طويلا، فكلمة (قف) مثلا عنده نصا كاملا.

الاتساق النصي مفهومه وأشكاله:

النص حدث اتصالي و(وحدة لغوية مهيكلة تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معينة، وهذا ما يجعل من النص كلا مترابطا منسجما) (8)، يتميز بجملة من القواعد يطلق عليها مصطلح النصية وهي التي تمثل المباحث الأساسية للسانيات النص والنصية هي التي تميز النص عما ليس نصا إذ تحقق للنص وحدته الشاملة .

فإذا رجعنا إلى القواميس وأمات الكتب العربية باحثين عن المعنى الذي يمكن أن نتلمسه من خلال الجذر (وسق) فإننا نجده يدور حول مفهوم الاكتمال والتمام، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) في الجذر (وسق): وسقت النخلة إذا حملت، فإذا كثر حملها قيل أوسقت أي حملت وسقا – وسقت الناقة وغيرها تسِقُ أي حملت وأغلقت رحمها على الماء فهي واسق ، ونوق وِساقُ – وسقت عيني على الماء أي ما حملته – الوسوق، ما دخل فيه الليل وما ضم ، وقد وسق الليل، واتسق – والطريق يتسق ينظم، واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة – واستوسقت الإبل: اجتمعت – والاتساق: الانتظام.

أما الفيروز أبادي (ت 817 هـ) في القاموس المحيط فيقول: « وسقه يسُقه: جمعه وحمله ومنه: (والليل وما وسق) وطرده ومنه الوسيقة وهي من الإبل كالرفقة من الناس، فإذا سرقت طردت معا، والناقة حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي واسق، واستوسقت الإبل : اجتمعت،

واتسق انتظم، والميساق: الطائر يصفق بجناحيه إذا طار»، والطائر إذا طار وكان مصفقا بجناحيه كان في ذلك اتساق كبير وانتظام ظاهر، كما يقول السيوطي (ت 911 هـ): اتسق القمر إذا تم وامتلأ ليلة أربع عشرة ، ووزنُ اتسق : افتعل وهو مشتق من الوسوق، ويقال اتسق: استوى ، والملاحظ في الذي ذكر ابن منظور والفيروز أبادي ، والسيوطي أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (وسق) هو الاجتماع والانتظام والاكتمال ، وهذا لا يبتعد أبدا عن المعنى الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص.

هذا من حيث المصطلح والمفهوم، أما من حيث الاهتمام العلمي فقد عني البلاغيون العرب بهذا الموضوع عناية كبيرة، لما له من أهمية في الدراسات اللغوية التي كانوا بصدد إنجازها ، أو التعامل معها، ويسجل الدكتور إبراهيم خليل ذلك بقوله: « فالبلاغيون العرب اعتنوا بالكشف عن الترابط القائم بين سلسلة الأقوال المؤلفة لفقرة أو مجموعة أجزاء من العمل الأدبي، ونجد هذا واضحا فيما كتبه حازم القرطجاني (684 هـ) الذي سلط الضوء على العلاقات الترابطية لأجزاء القصيدة.

ولعل من أهم النقاط التي كان البلاغيون العرب معنيين بها في باب الدراسات البلاغية، قضية اللفظ والمعنى ، وقضية النظم، وتلك النظرة صائبة جدا إذ أن الكلام لن يكون أبدا مؤديا ما يريده المبدع أو المتحدث، ولن يصل فيه الدارس أو السامع إلى دراسة اللفظ أو دراسة المعنى أو دراسة النظم ما لم يكن موافقا النسق المطلوب في اللغة، فالتركيب الذي يفهم منه المقصود الأعظم هو ناتج عن التفاعل بين اللفظ الحامل والمعنى القائم والعلاقات التي تربط أجزاءها التراكيب.

وكان تراثنا قد زخر كثيرا من الأفكار في هذا الباب ،خاصة مع عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم ،فقد نظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية باعتباره نصا واحدا ،وذلك بعرضه سؤالا مؤداه : ما الذي أعجز العرب في النص القرآني ،وكذلك حازم القرطاجني ،وغيرهما من فطاحلة التفكير اللغوي العربي ،الذين سجلوا في نبذ قليلة من إشاراتهم المبثوثة في أعمالهم ، ما يمكن لنا نحن اليوم أن نعتز به اعتزازا كبيرا، كما كانوا مهتمين إلى درجة كبيرة في باب الدراسات القرآنية بالمناسبة بين السور وترتيبها.

وفي هذا الذي قال السيوطي دلالة على أن العرب كان لهم جانب من الاهتمام بالذي نحن نهتم به اليوم ،وإن كنا نقول إن ذلك الاهتمام بسيط،لكن الفضل دوماً يكون للمبتدئ ،وإن كانت الزيادة للمقتدي .

وقد نقل المسلمون الأولون ذلك الفهم المجرد إلى الدراسة اللغوية انطلاقا من نقدهم مفهوم الاتساق إلى النص القرآني الذي كان منطلق كل الدراسات عندهم فإذا عنايتهم تنصب على دراسته ،وإذا به كأنه سبيكة واحدة تأخذ آياته وسوره بعضها برقاب بعض ،بحيث لا يوجد بين أجزائه تفكك ولا ضعف .ومن الأمثلة التي يمكن أن تكون دليلا على الذي نذهب إليه في هذا الباب ذالك الارتباط المنسجم في الخطاب القرآني ،إذ يعتمد على موسيقى عذبة تتغلغل إلى أعماق القلوب مصدرها انتقاء الألفاظ ، ومدى خدمتها للمعاني ،ولهذا قال: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض ، ولعل من أهم الكتب التي تناولت الموضوع أيضا كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) فهو مثلا يتحدث عن الكلام في الشعر يقول: « فأما المتصل العبارة والغرض، فهو الذي يكون فيه لآخر

الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض، وارتباط من جهة العبارة، وهذا ما نسميه اليوم بالاتساق والانسجام .

والظاهر في هذه النصوص العربية تكرار قولهم: أخذ بعضه برقاب البعض، وهذه العبارة تدل دلالة كبيرة عن معنى يمكن أن نتقاطع فيه مع لسانيات النص، إذا ما أخذنا تحليلها وفق المنظار الذي نريده، فإن الكلم سيبدو لنا أجسادا لها أعناقها المتعالية وتلاحمها الشديد، يتبين لنا من خلال لفظ الآخذ بالرقاب.

أما إذا رجعنا إلى هذه القضية من منظور لساني حداثي، فإن المختصين أنفقوا الكثير من أوقاتهم ومن جهودهم من أجل أن يحددوا مفهوم الاتساق والانسجام أو السبك أو الترابط، فقد كثرت المصطلحات وتعددت المفاهيم ولعل مرجع ذلك إلى أن كل واحد من هؤلاء نظر إلى القضية من الزاوية التي يريد الغوص من خلالها إلى الدرس اللغوي.

وإلى (هارفنج) تعزى أول محاولة جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص من خلال الحديث عن بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة، والاستبدال مشيرا إلى التكرار، والحذف، والترادف، والعطف والتقريع، والترتيب، وذكر النتيجة بعد السبب، والجزء بعد الكل، أو العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص.

إن الاتساق بهذا المفهوم لن يكون موجودا في النص إلا إذا توافر على الآليات التي تجمع النص عموما.

والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن مصطلح الاتساق يعاني أيضا شيئا من عدم الضبط في تحديد المفهوم، لأن بعضا من الباحثين يعطيه من الدلالة ما لا يحتمل، أو يعطيه معنى غير دقيق، فقد يطلقه بعضهم على

التماسك النحوي كما بفعل إبراهيم خليل في كتابه : في اللسانيات ونحو النص"، كما نجد الدكتور إبراهيم الفقي يقول: « أما مصطلحا cohesion and coherence فهما يتصلان بالتماسك النصي داخل النص ويرتبطان بالروابط الشكلية والدلالية ولهما أدوات وأنواع، ومهما يكن من أمر في عدم دقة هذا المصطلح فإننا نتبنى الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطا بالجانب الخطي للنص.

وإن مفهوم الاتساق يعني ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضا بوسائل لغوية معينة(وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص)، لهذا عني المهتمون بنحو النص بهذه الروابط وحاولوا حصرها وتصنيفها وبيان وظائفها ومحاولة تعميمها، وتمثلها مظاهر الاتساق التالية:

1- الإحالة: يمكن لنا أن نذهب بعيدا ونحن نتحدث عن مفهوم الإحالة، ذالك أن معناها قد تغير بدءا من دخول المصطلح إلى ميدان لسانيات النص، فالمفهوم التقليدي لها هو تلك العلاقة الموجودة بين الأسماء ومسمياتها، ألست حين تقول: (شجرة) قد أحلت المخاطب إلى شيء ينمو على الأرض له أوراق وجذع وأغصان؟ ألست تلفت نظره من عندك إلى هذا الشيء غير الموجود أمامك؟ إننا لولا هذه الإحالة التي تغنينا عن كثير من المتاعب لكنا ملزمين بأن يحضر المتحدث منا ما لا يستطيعه، حتى نمكنه من التواصل.

والظاهر أن هذا المفهوم هو الذي ذهب إليه كثير من الباحثين، إذ يقول (جون لاينز) في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة : (إن

العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات) ، والإحالة حسب هاليداي ورقية حسن ثلاثة أنواع:
(الضمائر وأسماء الإشارة وصيغ المقارنة) ومنها الإحالة بأداة التعريف والإحالة القائمة على المقارنة.

2- الوصل: تتحدد خاصية الوصل في تحديد الكيفيات التي يتم بها ترابط أجزاء النص اللاحقة بأجزائه السابقة، ووسائل الربط النصي كثيرة ومتنوعة أهمها: الربط الإضافي(ويربط بين صورتين حيث يوجد بينهما إتحاد أو تشابه).

3- الضمائر: تتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام، أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب إذ تقوم تلك الضمائر مقام الأسماء غير أن لها محتوى دلالي أصغر[27] وتعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة وتنقسم الضمائر إلى ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، هو، هم،...إلخ، وإلى ضمائر ملكية مثل كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا...إلخ، وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بالشكل نمطي ، ولا تصلح إحالة داخل النص، أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به.

4- الاستبدال: وذالك أن يستبدل المتحدث لفظا بلفظ آخر له المدلول نفسه وهو ركيزة مهمة في أي نص على المستوى اللساني وهذا إما أن يستبدل مفرد بمفرد آخر كأن تسمع متحدث يقول: نجح إبني في الامتحان، فقلت له: يا محمد سأعطيك جائزة، فقد استبدلت كلمة ابني(بكلمة محمد)

فالكلمتان لهما نفس المعنى، وقد تستبدل مفردة معجمية بمفردة نحوية أخرى كأن تقول: هذا كتاب قرأته، لابد أن أشتري واحدا آخر، فأنت استبدلت كلمة(كتاب) بكلمة(واحد) وهذا نوع من أنواع الاستبدال التي تنص عليها لسانيات النص.

5- الحذف: علاقة قبلية في ظاهرة الحذف تترك أثرا يسترشد به المستمع أو القارئ، ويقسم إلى أنواع ثلاثة: حذف اسمي، وحذف فعلي، وحذف جملة أو قول.

ثانياً :الانسجام مفهومه وأشكاله

الانسجام لغة: ورد في لسان العرب أن المادة(س ج م) تدل على عدة معان أهمها: سجم: سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجما وسجوما و سجمانا: وهو قطران الدمع و سيلانه قليلا أو كثيرا، وكذالك الساجم من المطر، والعرب تقول: دمع ساجم، ودمع مسجوم: سجمته العين سجما، والمتتبع للمادة اللغوية(سجم) يجد أنها ارتبطت بمفاهيم أهمها القطران والإنسباب والسيلان .

اصطلاحا: يعني(فان دايك)بالانسجام(الأبنية الدلالية المحورية الكبرى وهي أبنية عميقة تجريدية) وبخلاف ذالك بين أن الاتساق يتمثل في الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على مستوى سطح النص ولعلنا من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الاتساق أمر يتعلق بالجانب النحوي التركيبي، في حين أن الانسجام يتعلق بالجانب الدلالي ويشتمل العناصر التالية:

1- السبك: النظام

2- الالتحام: التماسك الإنسجامي.

أدوات الانسجام:

1- التأويل: هو رصد العلاقات الخفية بين أجزاء النص.

2- السياق: إنه يعني الانزلاق من المستوى التحليلي إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج الخطاب، فالمرسل والمتلقي وزمن النص ومكان إنتاجه والحالة النفسية للمرسل أو متلقي كلها عوامل محددة للسياق.

ولا ريب أن مصدر هذا التناسق الدلالي، وتلاقي المعاني يرجع إلى وجود علاقات نحوية بين تلك المعاني ، ومن ثم أخذ عبد القاهر الجرجاني يوجه الناظم إلى علم النحو للإفادة من إمكاناته العريضة قائلا: (وكنا علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم).

ثالثاً : الترابط

يرى هاليداي وحسن (Halliday & Hassan) 1976 أن النص ليس مجموعة من الجمل التي تلي إحداها الأخرى كما أن النص ليس وحدة نحوية بل وحدة دلالية لأن الوحدة التي تميز النص هي وحدة معنى في سياق. ويرتبط النص في كليته بالمحيط الذي وضع فيه. وعلى الرغم من إن النص وحدة دلالية، إلا أنه يمكن التعرف عليه لأنه على هيئة جمل. والوحدة الدلالية للنص تأتي من الترابط الموجود بين الجمل التي يتكون منها. فكل جملة في النص باستثناء الجملة الأولى تعطي نوعا من الترابط مع الجملة التي تسبقها. وتحتوي كل جملة على إحالة واحدة في الأقل تربطها بالجملة التي تسبقها. وقد تحتوي بعض الجمل على إحالة لاحقة تربطها بالجملة التي تليها ولكنها أقل شيوعا من الحالة الأولى. وهي ليست ضرورية لتكوين النص .

من هنا عرف هاريس و هودجز 1983 (Harris & Hodges) الترابط في النص بأنه خواص تربط أجزاء النص بعضها ببعض مثل الإحالة الخلفية back reference أو درجة ارتباط أجزاء النص بعضها ببعض . وهناك روابط تربط أجزاء النص وتجعله وحدة واحدة وتزيده وضوحا. من هذه الروابط ما يكون بين الجمل أو داخل الجملة الواحدة في النص وتعطي القارئ انطباعا بأن النص مترابط. واعتبرت ايروين (1986) الترابط إنه تلك الروابط الدلالية المهمة التي تربط جملاً معينة وما يجاورها من الجمل، والترابط هنا يختلف عن الوحدة العامة للنص التي نتوصل إليها عن طريق الأنماط التنظيمية الكبرى لجميع الأفكار في النص .

أنواع الربط :

قام هاليداي وحسن 1976 (Halliday and Hassan) بتصنيف طرق الربط الموجودة في النص في خمسة أنواع هي: الربط بالضمير، الربط بالإبدال، الربط بالحذف، الربط بالأدوات، الربط الدلالي أو الربط بالألفاظ .

1- الربط بالإحالة : reference

عرف ميرفي 1979 (Murphy) الإحالة بأنها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه وصنف هاريس وهودجز 1983 (Harris & Hodges) الإحالة إلى نوعين: الإحالة السابقة أو الخلفية وفيها تستخدم كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص أما الإحالة اللاحقة أو الإحالة الأمامية فهي استخدام كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات التي تليها في النص. ومن

أنواع الإحالات ما يلي : استخدام الضمائر مثل ضمائر الرفع والنصب المنفصلة وضمائر الرفع والنصب المتصلة .

·استخدام المطابقة في التذكير والتأنيث .

· استخدام أسماء الإشارة مثل : هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، تلك، ذلك.

. استخدام الأسماء الموصولة مثل: الذي التي اللذان اللتان الذين اللواتي اللاتي .

· استخدام ظروف المكان مثل: هنا ، هناك .

·استخدام ظروف الزمان مثل: الآن، حينئذ، بعد ذلك، قبل ذلك، حينئذ، آنذاك، حينذاك، عندئذ، عندها، حينها، الآن .

·استخدام (أل) التعريف .

·استخدام كلمات تشير إلى المقارنة والمفاضلة والمماثلة مثل: ذات، نفس ، مثل أكثر، أقل، يعادل، يكافئ، يساوي، يماثل، بالمثل، أكبر، أصغر··الخ .

2- الربط بالإبدال : substitution

ويشمل كل ما يمكن أن يستخدم عوضا عن اسم أو فعل ورد في سياق الجملة السابقة ويعود عليه (يشير إليه) مثل :

· استخدام كلمة مرادفة تحمل نفس معنى كلمة سابقة لتوضيح معناها.

·استخدام اسم الفئة العامة أو الصنف للإشارة إلى كلمة سابقة تنتمي إليها مثل (حيوان، أسد) .

·استخدام كلمة عامة جامعة للإشارة إلى كلمة سابقة محددة مثل (مشكلة : تخريب).

·استخدام كلمات التوكيد مثل: كلا، كلتا، كل من، بعض، كل، جميع، أجمع، نفس، عين .

·استخدام كلمات مثل: من، عدد من، عدة، جميع، كثير، الأول والثاني،اثنان .

·استخدام كلمات ليس لها مرجع محدد مثل: المرء، الإنسان، الشخص، الناس، قوم .

3- الربط بالحذف ellipsis :

مثل حذف كلمة او أكثر وقد تكون الكلمة المحذوفة اسماً أو فعلاً مثل استخدام "سأفعل، فعلت، لا أستطيع، يمكن، من المحتمل، يحتمل، ربما، أليس كذلك، وهو كذلك"·

4- الربط بالأدوات cohesion by conjunction ويشمل :

· أدوات وكلمات العطف مثل "الواو، أيضا، إضافة إلى ذلك، وكذلك، كما" .

· أدوات السبب مثل "لهذا، بسبب، نتيجة لذلك،إذن، لهذا السبب، لذا، من هنا" .

·أدوات تشير إلى الزمان مثل "أثناء، قبل، بعد، حينئذ، بعد ذلك، في الوقت نفسه، أخيرا، سابقاً، أولا، في البداية، وختاما" .

·أدوات وكلمات الاستثناء والاستدراك والتناقض مثل: "لكن، على الرغم من، إلا أن، إلا، من ناحية أخرى، على عكس ذلك، على النقيض من ذلك، ومن جانب آخر ، ومن جهة أخرى" .

5- الربط الدلالي (الربط بالألفاظ) lexical cohesion

ويشمل:·استخدام كلمات من مجموعة دلالية واحدة مثل "الجهاز

الهضمي، مضغ، بلع، هضم، امتصاص، معدة، أمعاء، إخراج، بلعوم"،"حاسب، برنامج،

معالجة النصوص، مبرمج، محلل نظم، قاعدة بيانات، تطبيقات" .

·تكرار الكلمة في النص .

·الألفاظ المتصاحبة مثل "الضبة والمفتاح"، "ما بعد الضيق إلا الفرج" .

Introduction

The shift intellectual in human civilization, which witnessed the nineteenth century and the twentieth century, after the scientific revolution brought about by (Ferdinand de Saussure);, which stressed the study of language descriptive study interior, and on being a special system of signs, or signs expressing ideas.

The effect saying attention to such modalities, inviting Abannoyen to the separation between the study of literature, the study of the history of literature, to represent all of that break epistemological with linguistic studies that were accepted; which explains the paradigm shift from studies of standard, some descriptive studies based on the scientific method flour, and standards seized to deal with the phenomenon of language; which has led to the emergence of modern linguistic studies, the trends of the three major; structural and manufacturing and deliberative.

The curriculum was before modern linguistic studies, based on value judgments and partial view, but soon appeared to invite interested in literary work in itself, and the goal is to analyze the constituent elements of the text, and to find the rules that built them. In other words, the most accurate scientific description of the text, and to find the relationship that are its elements.

The crystallized exercise the text in the context of the curriculum modernist, which focused on the text of literary, within the limits of ontological; based on achievements made in the field of linguistics and Asameeaúaat which believes that the text marker integrated, or a set sequence of signs, Fasttaat so that pervades the text field and establish

the concept, and it seems evident through the tenets of contextual analysis, which bother the context of the text, and provided by the approach of filial tools, and concepts and open the potential for Thalil.alomr which paved the way to the emergence of linguistics text, and make them benefit from the gains of Humanities and achievements.

You've exceeded the linguistics text analysis, partial, and benefited in this respect from some of the achievements of the stylistic and structural, and discovered the internal organization of Ouhdat.ntejh all this had to be the appearance means methodology, to describe the entire text and Thalilh.lon other approaches seemed deficient in exceeding the limits of the sentence, to the above and stand on the significance of the structure of the texts, which are governed by a special concept and structure depends on the context; relationships within the text.

If linguistics script, represents a manifestation of this shift in the lesson linguistic talk, it is in the simplest eating his means buildings in the text and wording, recipes Employment and Alatsal.oukd appeared this Verbal section, in the second half of the sixties of the last century and the first half of Spaanyate; and burgeoned gangbusters springboard that the unit of analysis is the text.

There is no doubt that the meaning of the terms of consistency, harmony and interdependence, in the act of practice scripts; occupies a central position in the research and studies that fall in the fields of linguistics and discourse analysis discourse / text, and the text is about, and aware of the text. So we can hardly find an author, belongs to these areas free of these circumstances or concepts from one believe related concepts; Kaltaalq, coherence and cohesion, for example, with fortification

significantly to the study of the disciplines as diverse as sociology, psychology, linguists and artificial intelligence .. and others.

If we handed controversy, the existence of the fluctuation at the level of the Arab Thought, which has lost its coherence internal induced challenges of cultural and intellectual imposed on it; the student equitable Heritage Arabic language, no doubt it needs to be held accountable this heritage, especially in the apartment on the activity associated with the practice scripts; Tdhuqa and understanding the analysis and interpretation, in order to draw contributions crystallized it, and which reveal the existence of perceptions tentative about doing the practice scripts; so that Mstqri Heritage cash draws attention confirmation critics veterans on the idea of the system, Kmqom basis for the structure of the text has been expressed that several terms; such systems and Almchaklh and paving coalition and construction. This indicates the existence of an early imagine my tongue; no less important than his fertility and Westerners in this area in the modern era.

Within this overall perception modernist heritage, comes this research to answer that question: Can not we find in the Arab heritage associated mainly textual practice, because the contributions are included in the text linguistics in general, and in particular discourse harmony ..?

This research I want him to respond to the concerns of the growing, about the need to focus on the (college text), on the basis of the importance of consistency, harmony and coherence in the field of linguistics text and discourse analysis; indeed end the basis for this study is to highlight some of the bright regions, in our heritage rhetorical and cash through highlight the contributions Jorjani and Alskaki and Alqirtagni rhetorical; Astbesarathm Alnkadih.aatqada us and that will

help us to prove that the old Arab linguistic thought, incorporates elements of strength, growth and development, and keep up with the curriculum of linguistic and intellectual, and that building a harmonious and coherent episodes. He who prints the consistency and coherence of thought, not disintegration and discontinuity.

The act of addressing the linguistic heritage of the Arab, the effect is a matter of access to the possibility of description linguistic phenomenon, its manifestations in humanitarian and interpreted and construed. However, it represents a manifestation of the evolution of modern ideas, and in order to achieve a deeper understanding of the nature of the text and its issues, and all that does not come to us, but according to a mechanism critical reading balanced, give the heritage of the Arab share of the equity; given to his in the act of contributing to the linguistic past , and also provides for a proposed western linguistic vision, within the act of participating in the modern language lesson.

And talk about the act of participation, through the proposed Western and Arab contribution, we hoped to be, and part toward manifestation Mustlhata Tri is: the harmony and interdependence; and we sing from behind it, our desire to not branched us search field, which leads to pockets graduated us from the field of reading, monetary sense and inductive.

It is worth mentioning in this context, that linguists modernists, have spent much of their time and their efforts, in order to define the concepts of coherence and harmony and interdependence, as abounded terminology and colorful concepts, and perhaps a reference to the fact that each and every one of them, looked at the issue from the angle at which the wants to dive from which to lesson the language, as that of the

already historic impact on it, Vhaddath linguistics text and blurry concepts dropped, especially in the beginning - led to the mystery, and the multiplicity of schools dealt with the subject and the multiplicity of destinations that consider their impact on it.

Whatever is in the inaccuracy of these terms, they are in the significance of language as stated in the dictionaries of the Arabic language means meeting and attendance and completion, and this is not at all, meaning that going on now in the books of competence in linguistics text.

The consistency of this concept, will not be present in the text; unless the availability of mechanisms, which combine components of this text linguistic and semantic Amoma.walta divided by (Van Dyke) into two groups, one set of logical links, and other natural stem from the nature of the syntax, so because consistency rather be in written text and composition, which is established by the words aligned, and that takes some neck others.

The harmony has promise (Klaus Brinker) core concept in the definition of the text, and considered when other basic elements, in the study of the nature of the relationship between text and context, because it specializes semantic continuity, which is reflected in the system of concepts and the relationships among them the Association.

The correlation was him; and means of a large space, in the field of contemporary linguistic lesson, was epitomized in front of linguists, coherence and cohesion benefit from the link between the different levels of language, in one text. And goes (de Bojerand) to consider that bonding is achieved in the form of one of the following forms:

- Alrsfi interdependence: It is closer to the visible text, and linked to give indications of the level of grammatical patterns, sequences and formalism in the use of knowledge, and the meaning and transfer and to remember them.

- Conceptual interdependence: This relates to the type and semantic Balnho, the text in order to find the meaning of the text entirely.

He was of the objectives of our work; look at the faces that achieved by the harmony and interdependence between the components of the text .. but we noticed that we could; talk about the image that achieved by grammarians and Albulagjun and Arab critics Tink appearances, the scope of the theory of language Arabic, Aftanna in the image and described and their interpretation a degree of cohesion and coherence and synergy, did not like him on the stand as we informed him of modern linguistic theories.

As the search in Apartment procedural, need to provide for reading in business models, through a review of their suggestions and contributions of Westerners and Arabs, and cast him in this context, we desperately need in the incision to contribute to the exploration of the heritage of the Arab, who was able to emerge in a manner distinct the importance of the Trinity, in the fields of rhetoric and criticism. Demonstrated to us, Imam Sheikh Abd al-omnipotent Abu Bakr bin Abdul Rahman Jorjani (474 AH), and the mark Siraj denominations and religion, Abu Yaqub Yusuf ibn Abi Bakr Mohammed bin Ali Alskaki (626 AH), and Abu Hassan Hazem Alqirtagni (684 AH).

I have the conviction, in the selection of these flags, without that we have nothing of deliberately overtaking, the contributions of many

scientists, and Kgahz rhetorical and Amidi and before him, and Suyuti and Elzimkhshari .. and many countless others.

As the search for the secret of Quranic miracle, represents a major source of studies rhetorical; but is hardly a hub for Arab Studies whole; has looked Abdul omnipotent Jorjani to the Koran look at college as a single text, and so by submitting a question expressed: What I can not Arabs of the Quranic text .. ?, introduced in (signs of miracles) linguistic theory integrated, did not provide a new way to search Alnhoi.umvhom systems has a clearer witness to the integration of scientific grammar, meanings, as evidenced by his care formulators; Vbaalm as achieved understanding of the structure of synthetic and significance, and the knowledge of the meanings determined by the objectives of expression and communication, and them and other levels, to stop the compositions and their secrets.

The second phenomenon in contributing to the rhetorical, it has been revealed about the world of another feat, it is Alskaki; was (his key), as a natural step ahead after written Jorjani (secrets) and (directories) .omady that theory Alskaki; science in literature was the result of natural systems theory, and has traced the impact Jorjani in many of his opinions rhetorical; are pointing to an early understanding, the phenomenon of integration and harmony and text modules. Indeed, as we have presented the beholder of the evidence, talk about Alskaki doors rhetoric inevitably will stand on the validity of this provision.

The Alqirtagni has been one of the distinguished Arab critics, who nursed detects interdependence, between a series of statements, consisting of a paragraph, or a group of parts of a literary work. I've highlighted the relations relational, parts of the poem also take it first

gave a detailed description, of how they cohere with the poem, the start of chapter one, passing through the seasons and the end of Baltsoem and Althadjil, which contribute to the construction of the poetic text in an integrated unit, and his perception in linking the term method and systems but it is not on the installation and drafting, and make it special moral systems, which is directly related to the internal construction of the literary text, came to his approach to the study of the method within an integrated vision for the production of poetic creativity, which represents the pinnacle of thinking in the Arab Monetary old.

We have sought through this research, that endow it a bit of a novelty and added scrutiny and constructive criticism. Vbaderna to extrapolate the achievements of the models, by combining the fields of rhetoric and Anakd.oma Why collect Find this trio of scientists?, Mostly Flaatqadna few studies that have sought to the statement of the Arab preferred linguistic heritage, including his representative is in these three flags on modern linguistic studies, according to the findings of Western thought, all so some Almmahsh and reward and budget.

We wanted for this search that puts the reader in the hands of the enlightened, the argument Tdhadd alleged fabrications on the linguistic heritage of the Arab, non-eligibility or lack of originality or perceptions. However, the quest for the creation of a new vision, clutching However, the authenticity and the harbingers of the linguistic heritage of the Arab on the one hand, and holding by the other concepts of modernity to the terms referenced .. what was to be complete without a number of studies that have addressed this issue, albeit in accordance with the looks and different perceptions.

Introduction

References have been adopted in the corners of this research, and abundant variety. If we want to note some of them, we mentioned, for example, but not limited to the book (linguistics text entrance to the harmony of the speech) to Muhammad rhetorical, and the book (the origins of discourse analysis in theory grammatical Arabic - the establishment of some text) - Mohamed Chaouch, and the book (the theory of language in the Arab heritage) Mohamed Abdel-Aziz Abdel-lasting, and the book (curricula linguistics from Herman Powell even Noam Chomsky) to Brigitte Bar_i, and translation Said Hassan lacustrine and Book (linguistics discourse Investigation in the incorporation and procedure) to Naaman Bougherra, and the book (the speech in Nahj) to Hussein Omari .. etc .

We have found that the interest Bakaddamy, it was not such reluctance Bamahdthein attention, but is it what we want when we noticed the first two of care and to already have what's grandfather. It is why we want the truth to contest the scope of this research is characterized by the study text in heritage, being based on the field of applied fertile, and this characteristic distinguishes them from the rest of the studies, scripts and being launched in the study of the text of the absolute miraculous is unmatched by other text, it's great Qur'an ..!

The fact that research was needed to approach walking on Mnwalh, and enlightened Bmaalmh, it was decided to have - according to the plan in place - we need to descriptive approach, because we relied on some of the joints of the search, on the supply and arrangement and combination, as we need a historical approach, the unnecessary shift in achievement by talking about periods of time apart, in our reference models flags, then we need to examine the manifestations of differences analyzes

Introduction

language between tradition and modernity, between the fifth century AH and the seventh century on the one hand, and between the modern era, and the manifestations of the transformation intellectual in Rehab human civilization, witnessed in the nineteenth century and the twentieth century.

Conclusion

No dispute that the position of the researchers - Arabs and Oaajm- of inherited Arab civilization, has been confined founded about it, between skeptical in its credibility in terms of its originality and its objectives, and among those invited to draw inspiration from him, and he considered sense of civilization inherent to any boot future, and those who distrust him wary, and considered inherited Tvia should be bypassed and the shift without him and finally, to be guided by the language of Western thought.

We-no doubt - he can not help but stand supporters, for the view that this old Arab tradition, contains a lot of theories, rhetorical and stylistic and aesthetic, that will help us in the text analysis and prove Nasith, an important theories in this area, and no doubt that screened and investment useful lesson lingual text Arab.

It is known that the old Arab rhetorical heritage, interested in the idea of the miracles of the Quran, searching for Almaúzh of Quranic style characteristics, and Ptfred Alqranevi method aesthetic pronunciation and meaning of the statement, to the extent that we can say that the rhetoric was established to demonstrate the miracles of the Qur'an style.

His was the (signs Miracles) and (Secrets of Rhetoric), (Jarjaani) model feat, in order to prove the miracles of the Qur'an evidence showing, and sits to the theory of systems, and the difference between the pronunciation and meaning. Depending on the systems theory, we can according to (Jarjaani) understand the text of Dakhlyate; any research in what makes him a consistent system, and looking in the chapter and connectivity, and presentation and delays, and the question and deletion, and research makes him a line in (the meaning of meaning), on the grounds that (the meanings of words pots.(

If (Jarjaani) richest Arabian Monetary theory systems, the (Alskaki) may like in many of the doors of the rhetoric, the view of the (Jarjaani) and especially in the door of meanings, came Speaking in this section, much aware of coherence and cohesion and harmony terms, and

especially in the subjects of submission and delays, and deletions and male, and the separation and interfaces, and the palace .. and others.

The (Alqirtagni) has been enriched by the Arab Monetary and linguistics text, the idea of cohesion script, or proportionality between the purpose and weights, and the poetic rhythm and case Alnevsahalta expressed by the poet, is the author (Platform rhetoricians and Siraj writers) really light a candle for those who wanted to study the Arab Monetary general and linguistics text especially in the old Arab monetary heritage.

As a result, not surprisingly, that float on the surface of different views, among scientists, scholars and researchers, about the nature of knowledge and scientific attitude, which should be taken in the right of this ancient Arab heritage, which extends to twelve centuries ago, in the various works of intellectual and linguistic life.

The Arabic language studies - old and new - and given what I knew of evolution, in the concepts and perceptions, terminology and goals, it was through this history as a whole, shop and take attract between scientists in specialized follow suit, was able to see a bit of overlap in the concepts of grammar The rhetoric and interpretation, without being so imagine my whole unified field of knowledge between the single components, which would put the linguistic research, within the inherent characteristics of knowledge, which establishes the perception of intellectual and live it, according to the degree of theoretical scientific foundations.

It was a heritage language - and what Zal- much replete with ideas, especially with (Abdul omnipotent Jarjaani) owner of systems theory, it looked at the Koran holistic view as a single text, and so by submitting a question the effect: What helpless Arabs of the Quranic text?, He considered this a real work of so-called practice scripts beginning. It was a systems theory (Jarjaani) at the time, the thought of a new institution based on perceptions serve textual practice, as it is now in the western linguistic thought, and this fact can no longer be overcome in the science of linguistics text.

Conclusion

And we find the same thing with (Hazem Alqirtagni), in his speech on the linkages between the verses of poem, and other Arab Aftahalh linguistic thinking, who have joined in a few rejection of their signals broadcast in their business, what can we today we cherish great pride, they were also interested to a large degree in the door of Koranic studies the way between the wall and arrange them, a door touches an important aspect of who we are going to study in this research, it has thousand of our scientists in their secrets combinations many of them brand (Abu Jafar ibn al-Zubayr), and this interest appropriate knowledge of the said him (Suyuti) and learned the appropriate flag Sheriff tell him to take care of the commentators accuracy, and who more than Imam (Fakhr al-Din), said in his commentary: more Taif Koran deposited in the arrangements and links.

Has spread in the books of modern linguistic studies, multiple terms are all considered naming science text them, Text linguistics, science script language, about the text, was the first precursors to the emergence of this science in the (1952) at the hands of the US (Harris), in his book (discourse analysis). I knew then these precursors, a major development at the hands of the flags of many Westerners, who came after (Harris) from the likes of (de Bojerand) and (Dressler) and (Van Dyke) and (Halliday) and (paper Hassan) and many others.

We tried - what can be done in that - through this research, to distinguish the nature of the Arab experience in scripting practice, sense lingual modernist from the perspective of reading in Heritage, beginners in the first attempts at authorship, in different linguistic fields, from about exchange and eloquence and interpretation and assets, to the historical stage, which was distinct tracked efforts (Abdul omnipotent Jarjaani), from which renewal in his outlook on the grammatical rhetoric, which revealed another concept reflects the latest manifestation of the exercise of the text. And support the other two models, not as gruesome affair in this scenario, the two Aladaban Nakdan (Alskaki) and (Alqirtagni.(

During our conversation about the phenomenon of cohesion texts and cohesion, we have to Nda- in front of the reader - a form of historical juxtaposition of knowledge, between the flags models in the language of

Western thought, the Arab language and heritage, to prove that the reader by the convergence and the contrast between what we called the proposed characteristics in the side Western thought, and the counterpart to contribute in the Arab linguistic heritage, authorized to talk about both scenarios, the Obozor literature written in this thread.

And may be able to us through this research, can supply a range of results and proposals can be referred to as follows:

-That the old linguistic studies at different nations immemorial, considered when many researchers, the natural course of the evolution of these studies Abraltarich, so the inspiration of cognitive components, comes in the context of friction and exchange impact and vulnerability, between different civilizations, peoples and nations.

-That the Arab linguistic heritage, is no exception in any way for the swivel, the extent that this heritage has benefited from its predecessors from older studies, as far as its impact was evident, with succession after that of human knowledge, and studies of language, especially in the language of Western thought.

-That top our scientists may Ulloa great care, the issue of cohesion texts and linguistic cohesion, and who ate (Abdul omnipotent Jarjaani), and was baptized to link the relationship between grammar component and component semantic, is also interested in this (Ibn Rushd), and (Hazem Alqirtagni) and (Alskaki), as well as the (Imam Shatby), as it was for scientists interpretation trail in this field, including (Zarkashi) and (Suyuti) and (DSI) and (Zamakhshari), and modern scholars age (Qutb) and (Saeed Hawa.)

-That the foundations on which the (Jarjaani) method in the study as such, is and should be considered if Almnzawm in part with some, and it is not preferred for versified, but credit for the position, which enjoined the lifting or that monument, providing word or transferred from place to place.

-That the text is a central concept in contemporary linguistic studies, where specialized studies concerned with the text as: (text information), or (Text linguistics), or (linguistics speech), or (some text) .. and all

agree on the need for overstepping (Wholesale) in rhetorical analysis to welcome the space and wider, even the most fertile dialogue with the artwork is (text space.(

-That most of the studies suggest that the first precursors of the science of linguistics text, but it is the beginning of American Studies with what was written (Harris) year (1952), then this science evolution with (Plate) years (1975 m) and (Dressler) (1977), and finally what written (Halliday) and (paper Hassan) in their book marked (consistency in English) of the year in London (1971). One of the efforts that helped, so efforts (Noam Chomsky) and brought the revolution in linguistic studies. Then who are interested in this type of American Studies (Robert De Bojerand), and who wrote his famous (text and speech and action) of the year (1980), and select the criteria that measured by text text.

-The Text linguistics and discourse, as well as a sector about the text and discourse analysis, included the terms of consistency and harmony script, in many basic research. And the phenomenon of the Transfiguration of cohesion texts, letters, considered in the science text theory one of the most important criteria, upon which the judgment Bnasih text, with the difference between the linguists around the indefinite term, along with other criteria Kaltenas and intentionality, media and others. The consistency between the parts of the text is achieved with tools such as what is the linguistic and non-linguistic ones, and cohesion inherent element in achieving consistency between the text components, it combines what is a linguistic tool, and is not a linguist in achieving unity in the desired text.

-That the correlation between the parts of the text highlighted the characteristics that unnamed Balnasih, the text is not only one set of sentences, because the text can be Mntoqa or in writing, prose or poetry, it can also be anything like the whole play, from a distress call until the total discussion taking place throughout Day at a meeting body, and text distinguish text from what is not text, Valnasih check for text and overall unity. As the most distinguishing feature of the text from the Allans, is so strong cohesion between its parts, the text seems even one piece inconsistent parts. Indeed, most linguists insist on the unity and cohesion of the text, which is the common denominator for all tariffs, Altirahen

that the text integrated unit Chdha bonding property, where the total system of the text, on the principle of cohesion of semantic university property of the speech, which means Althalilallsana in the text as defined in light about the texts.

-The importance of context at the level of the structures of language, the question is no disagreement around among researchers - old and Hadditha-, in order to reach (meaning grammar semantic), because she is not the relationship grammatical feature in itself, is not selected for words feature in itself, not to put words selected in place feature in itself, unless it is appropriate in the context of the whole. And that the attention of the Arabs Albulageyen their study of the context, within the same framework, in terms of their focus on the idea of (appropriate), and the relationship between the article and place. The term (appropriate) is close to a large extent, of the term (the context of the case) in the modern language lesson.

Thus it is clear that what some linguists and critics old, from the textual coherence is not much different from what reached linguists narrators in this context, and this is what makes us conclude that the old Arab linguistic heritage, full of perceptions and opinions correct, on various issues and phenomena of language. And from here can be inserted discussed this in the context of developments that defined the modern monetary lesson, after the return of the old rhetoric to the literary scene, as an interlocutor for the construction of new and modern eloquence.

The objective basis for this study, is to highlight some bright areas in our heritage rhetorical, by highlighting the achievements (Jarjaani) and (Alskaki) and (Alqirtagni) rhetorical, cash Astbesarathm, the belief that this will help us to achieve a deeper understanding of the nature of the literary text and its issues.

We are invited more than ever, to know the reasons behind the reluctance of contemporary linguistic lesson, take advantage of the linguistic heritage directly, Castvadth of Indian linguistic heritage, which takes about Modern Linguistics. Perhaps he considered the only

historical reference, which can be relied upon in the history of modern linguistic lesson!

The real additions that should be provided to this heritage, is a conscious attempt and effective in order to re-read it and submit it, as appropriate to the context of current scientific, accounting for linguistic theories of contemporary, is a simple challenge linguistic heritage, requires that Nradjah exploration of theories, which have not received the crystal, and ending with the cataclysmic on the different ways to address the problems of language, which dealt with the linguistic theories of contemporary Arabic.

We desperately need to view what the linguistic heritage, the ideas and concepts of linguistic pioneer. And our belief in this regard linguistic heritage of the Arab as far as its shares, in establishing a strong linguistic lesson, through his long career and the amount of the value of his this heritage.

This is what we familiarity with some of the parties to this subject; help us, it is the Almighty God, and that it sinned against ourselves, we hope that exempted Zlatna and spoken Osratna.

مقـــــــــالا المجلتين

مقال مجلة المصطلح

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقا يد- تلمسان-
مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية

المصطلح

مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بإشكالية صناعة المصطلح وتعريبه وترجمته
إثراء للغة العربية المعاصرة تصدر عن مخبر "تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية"

العدد: التاسع
السداسي الأول 2014

ردمك: 1112-3923
الإيداع القانوني: 1206- 2006

المرجعية المعرفية والمنهجية للدرس البلاغي
بين القدامى والمحدثين.

الأستاذ: الغـــزال لخضر.
جامعة أدرار قسم اللغة العربية وآدابها

حين تنهض الأمم العظيمة من غفوتها تلوذ بتراثها لتستمد من إنجازاته الإنسانية ثقة بقدراتها،وإضاءات لمستقبلها.ونحن العرب ما نزال في حالة نهوض من إغفاءتنا المديدة في ليل القهر؛ فالعرب ما يزالون يعيشون منذ قرن ونيّف في عصر النهضة، وهم يحلمون بالوحدة والتحرر والعدالة، ويعانون من صنوف العدوان والإذلال ما يحدّ من قدراتهم وطموحهم إلى القوة. وقد تنوّعت مواقفهم من العدوان، وتنوعت انتماءاتهم. ولا ضير في ذلك ما دام التنوّع لا ينفي الوحدة، وإنما يدّل على التفاعل الإنساني الخيّر فوق الأرض العربية.

لقد آلت إشكاليات قراءة النص التراثي ، وآلياتها إلى التأثير على الهوية، مما دعا الباحثين والنقاد العرب،إلى مراعاة التأصيل،والتحديث لخصوصيات النص التراثي، اللغوية والثقافية والمصطلحية في الوقت نفسه.

لقد كان منطلق هذا العمل من أهمية أن نضع تراثنا اللغوي في الإطار الفكري الواسع؛ فليس من المناسب أن يظل تراثنا محصوراً في تطبيقه على ظواهر العربية فحسب، دون أن يوضع في مقابلة النظريات اللغوية المتنافسة، التي تعالج الظواهر مثلما هو عليه الحال في هذا التراث العظيم[1] .

بيد أنه لا يمكن الحديث عن إسهام تراث لغوي معين إلا إذا كان ثمة تحديد دقيق لنظرياته ليسهل بيان قيمته ومقارنته بالفكر اللغوي المعاصر. يقول عبد الملك مرتاض في هذا المقام ما نصّه:"إن التراث العربي الإسلامي من حيث هو نتاج حضاري،هو بحر لجي زاخر بكنوز المعرفة،وخزان للثقافة الإنسانية الرفيعة السخية؛فقد عرف الجدل والمنطق،وقد عرف الفلسفة والتيارات المذهبية والفكرية،وقد عرف الاتفاق في الرأي ، كما تعامل مع الاختلاف فيه، برقي فكري مدهش،كما عرف إجراءات التنظير في أسمى مراتبها،وأرقى أدواتها؛فنلفي هذا الفكر لا يكاد يذر لوناً من ألوان المعرفة الإنسانية إلا خاض فيه خوضاً،و ترك بصماته بارزة على ملامحه"[2].

والجدير بالذكر،أنّ التصورات والإرهاصات اللغوية لأسلافنا المفكرين في التراث العربي،لم ينل البحث فيها ما يستحقه من عناية واهتمام، فما زالت مجالات كثيرة في التراث اللساني العربي بكراً تحتاج إلى نظرة لغوية ثاقبة مبنية على أسس علمية دقيقة، وإن وجدت هناك اجتهادات لغوية ذات قيمة ، إلا أنها محمولة على الرصيد المعرفي للتراث العربي، وتجتر عطاءً معرفياً لأسلافنا الباحثين، ولم يخرج جهدها إذ ذاك، من عملية نقل أو تصنيف، دون أن يكون

---

1 - ينظر محمد عبد العزيز عبد الدايم ، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة والنشر :القاهرة ، 2006م، ص 03.
2 - عبد الملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع : الجزائر ،2007م ،ص 186.

لروح العصر الحديث لمسات على هذا التراث ليبعث فيه التجديد.

ومن شأن الصراع بين دعاة الأصالة وأنصار المعاصرة أن يكون سبباً في ضياع البحث اللغوي، فيجرده من كل خلفية علمية حضارية، فإذا نحن نظرنا إلى المعوَّل عليه عند دعاة الأصالة، نجده لا يعدو كونه مسحاً رتيباً دون أدنى تمحص،لخرق تلك الرتابة والولوج داخل التراث المعرفي لبحث بنيته الداخلية، أما فئة أنصار المعاصرة؛فإنها أقحمت المعطيات اللسانية الغربية إقحاماً في دراستها للظواهر اللغوية العربية، دون الأخذ بالاعتبار لخصوصيات الفكر واللسان العربيين[1] .

من هذا المنطلق أحدث هذا الخلل المنهجي قطيعة معرفية بين التراث العربي والاحتياجات العلمية اللغوية للإنسان المعاصر، وكان وراء التخلف في مجال البحث العلمي اللغوي المعاصر عند الدارسين العرب، بينما كان عند نظرائهم في الضفة الأخرى ، امتداداً لجهود أسلافهم اللغويين وكانت نظرياتهم تتويجاً لتراكمات معرفية في تراثهم التاريخي، مما جعل حلقات الامتداد الحضاري موصولة متكاملة عندهم ، مبتورة عندنا .

بيد انه لا سبيل إلى الانفكاك عن حقيقة التراث التاريخية ،و لو سعى المرء إلى ذلك ما سعى؛لأنها وإن بدت في الظاهر حقيقة بائنة ومنفصلة بحكم ارتباطها بالزمان والماضي ، فهي في جوهرها حقيقة كائنة ومتصلة تحيط بنا من كل جانب وتنفذ فينا من كل جهة ،كما أنه لا سبيل إلى الانقطاع عن العمل بالتراث في واقعنا،لأن أسبابه مشتغلة على الدوام فينا ، آخذة بأفكارنا و موجهة لأعمالنا،متحكمة في حاضرنا ومستشرفة لمستقبلنا،سواء أأقبلنا على التراث إقبال الواعي بآثاره التي لا تنمحي أم تظاهرنا بالإدبار عنه،غافلين عن واقع استيلائه على وجودنا و مداركنا .

ولعل تكاثر الأعمال المشتغلة بالتراث، دراسة و تقويماً – إلا دليلاً قاطعاً على الشعور بملازمة التراث لنا،تاريخاً وواقعاً؛لكن أغلب هذه الأعمال التقويمية، وإن شهدت على نفوذ التراث في وعينا، فإنها تأخذ بتصور للمنهجية العلمية يضيق عن استيفاء مقتضياته التاريخية والواقعية ؛إذ ينبني هذا التصور على اعتقاد أن العلم واحد لا تعدد في طرائقه .. في حين أن العلم أبوابه شتى ومسالكه جمة..[2] .

وما هو معلوم بالضرورة أنّ كل تقييم للنص التراثي هو عبارة عن عملية نقدية مبناها،أساساً،على الاعتراض على هذا النص بالمناهج المشروعة حتى يتبين كيف تستند وسائله أو مضامينه إلى أدلة مقبولة،أو قل، بإيجاز، إن التقويم هو مطالبة النص بالتدليل على وسائله أو مضامينه[3] .

واللافت للانتباه أنّ العرب كان لهم إسهام قوي في تأهيل الدرس اللغوي في العالم بأسره؛فعلى مدى اثني عشر قرناً تتابع العلماء يدرسون الصرف العربي،ويدرسون الكلمة في الصرف والنحو،بل قل في مختلف علوم اللغة، ويسبقون العالم بألف عام في صناعة المعجم،مع إشارات رائدة جلية متميزة شكلاً وروحاً إلى كثير مما صار علوماً في العصر

---

1 - ينظر يوسف رزقه، مجلة الجامعة الإسلامية: جدة، السعودية، مج 07، ع 1999/01، ص 171.
2 - طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي، ط 02 ، المغرب ، 1993 ، ص 19.
3- م س ، 23.

الحديث[1].بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنّ التراث البلاغي والنقدي العربي القديم قد عرف ومارس بصورة أو بأخرى"قضية الصورة الفنية "معرفة وممارسة تتناسب مع ظروفه التاريخية ، والحضارية،فاهتم بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية،وميز أنواعها و أنماطها المجازية ، وركز على دراسة الصورة الشعرية،عند كثير من فحول الشعر[2].

تزايدت إشكاليات قراءة النص التراثي وآلياتها- كما يذهب إلى ذلك عبد الله أبو هيف- من المنهجيات التقليدية إلى المنهجيات الحديثة خلال نصف القرن العشرين الأخير، فهناك تنازعات بين الأصالة والحداثة، وقوام الأصالة مراعاة الخصائص اللغوية والثقافية التي صارت إلى عناصر التمثيل الثقافي الجذرية العريقة وتطوراتها اللغوية، المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

إن الحديث عن فكرة تأسيس المشروع الحضاري في مجال البحث اللغوي وبروح عربية معاصرة ،لن تكتمل أسسه ،وتستقيم لبناته، إلا إذا نحن بادرنا إلى القيام بعملية جرد للفكر اللغوي لتراثنا العربي، وتمحيصه وتحديد مآلاته وفرز عطاءاته الإيجابية وسقطاته،على مستوى الأسس المعرفية،في الموضوع والمنهج،ونحسب أن ذلك قوامه لا يتأتى، إلا بعودة تقويمية حضارية إلى الفكر العربي بشكل عام،والفكر اللغوي بشكل خاص، علماً أن هذه العودة،لا تتم إلا عبر تتبع المسار التطوري للدرس اللغوي عند العرب الأقدمين،والبحث عن الأسس المعرفية والفلسفية التي انبنى عليها التراث الفكري العربي،فنحفظ أصالة تراثنا المعرفي، ونقف على المنهج الفكري الذي كان يشرف على تأطير الأبحاث والدراسات في هذا التراث..

ولما كان النص القرآني معجزة الإسلام الخالدة، الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية، فقد كان الدافع الرئيسي لحفز الهمم،وشحذ الأذهان للبحـــث و التحـــري والاستقصاء، فبفضله توسعت المدارك، وتفجرت العلوم الهادفة إلى خدمته، قصد استكشاف تشريعاته و معانيه وأساليبه ، فكان بحق النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية [3] .

إن البحث اللغوي عند السلف — بمعناه العلمي — قد ابتدأ بدراسة الإعجاز في القرآن.وقد أثارت هذه القضية قضايا أخرى كثيرة، لأنها تركزت من حيث الأساس على تداخل الشاغل الديني بالشاغل اللغوي، و أخذ هذا الأمر فيها أهمية كبرى؛لأنه ربط بين ميدانين اثنين،أحدهما: صار التقرير اللغوي بإعجاز القرآن تأكيداً للمصدر الإلهي في وحيه و تنزيله، كما كان لهذا التداخـــل أثره العظيم أيضا على مسار الفكر العربي،وتوجيهه وإثرائه.والثاني لأن البحث في القرآن الكريم كان هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء،أو بمعنى أدق كان باعثاً للبحث في لغة الشعر على وجه التحديد،والأهم من هذا وذاك هو أنه للقرآن يعود سبب خلق الحضارة العربية الإسلامية وتوجيهها،فكان له

---

1 - نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء و المحدثين: دار الوفاء للطباعة و النشر، مصر، ط 01، 2006، ص 05.

2- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 03، 1992، ص08.

3- من مقال لـ :مليكة حفان ،بعنوان : من قضايا اللفظ و المعنى بين اللغويين و البلاغيين ، ص01، نقلاً عن حامد أبو زيد : مفهوم النص .. ص 09

فضل تكوين العقل العلمي عند العرب والمسلمين من جهة،وتسيير الجهد العلمي البحث الأصولي وجهته التي سار من ناحية أخرى[1].

ويجمع الكثير من الدارسين المنصفين،على أنّ العرب قد اهتموا بالدرس اللغوي،لاهتمامهم بالنص القرآني؛فحرصوا على تنقية لغتهم وفصاحتها،ولاسيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام،مما أدى إلى خلط العربية بغيرها من الألفاظ الدخيلة و المعربة .فاستهدف اللغويون و النحاة جمع لغتهم لحفظها من التشويه والتحريف،وتجنيبها اللحن[2]،حفاظـــــاً على تماسكها ورشاقتها،ولفهم النص القرآني،والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه،وذلك ما يؤكـــد صلابة الصلة بين العربية النص القرآني،والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه،وذلك ما يؤكـــد صلابة الصلة بين العربية و القرآن..[3] .

لقد تبين أن نشأة التفكير اللغوي والبلاغي كانت ضمن دائرة التفكير الديني، ولما كان الأمر كذلك-والحل هذه-فقد كان لابد أن تحتدم المواقف، وتصطرع الأفكار،كما كان لابد أن يقوم علم بطرح القضايا والمسائل،ويقيم الأصول ، ويحدد القواعد؛الشيء الذي جعل من أهل الاختصاص يستشفون أنّه لما كان الكلام على الكلام في التراث العربي الإسلامي نتاجاً لتصور حضاري فقد أسس بيانه على مجموع مسائله و قضاياه،وانتهى بالعلم العلمي عامة ، والعمل اللغوي خاصة إلى كشوف معرفية تكاد لا تحصى ...[4].

حين نبحث عن مولد البلاغة ونشأتها نرى لزاماً على البحث أن يسير بنا في اتجاهين:القرآن والشعر.والكلام عن القضايا التي طرحها القرآن أولى، وإن كان الشعر العربي أقدم في وجوده وأسبق،وذاك لسببين:الأول؛لأن اللغة العربية قبل الإسلام كانت أمة أمية على الوجه الإجمال، ولم تكن وثيقة الصلة بالبحث العلمي واللغوي.والثاني لأن البحث في القرآن كان هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء،أو بمعنى أدق كان باعثاً للبحث في لغة الشعر على وجه التحديد والأهم من هذا وذاك هو أنه للقرآن يعود سبب خلق الحضارة العربية والإسلامية وتوجيهها،فكان له فضل تكوين العقل العلمي عند العرب و المسلمين ..

ولما كانت نشأة التفكير اللغوي والبلاغي ضمن دائرة التفكير الديني، فقد انشغلت أوساطنا الفكرية والأدبية بالنقاش حول جدلية التعامل مع ثنائية التراث والمعاصرة.وكان لابد من طرفيـــن متطرفين يذهب أحدهما إلى التراث ويجمد عنده،محـــاولاً عبثاً وقف صيرورة الزمن.و طرف ثان يتعصب للمعاصر مطرحاً الزمن الماضي كله و مسقطاً له من حسابه. ولكن في حدود مجالي البلاغة والنقد يجب الإشارة إلى أنه لا جديد إلا على أساس موروث فكري وحضاري، يؤخذ خير ما فيه أساساً راسخا لجديد اليوم..[5] .

---

1 - من مقال لمنذر العياشي ، بعنوان: مولد البلاغة و نشأتها ، ص 01.

2 - لغة فرق... اللحن: هو مخالفة الصواب النحوي و الخطأ في الإعراب و القراءة، و الخطأ: هو الخروج عن القياس و الإتيان بما يخالف الأسلوب العربي.

3- نادية رمضان النجار: فصول في الدرس اللغوي، ص 54.

4 - ينظر ما كتبه العياشي : مولد البلاغة العربية ، ص 02 .

5 - مصطفى الصاوي الجويني ،البلاغة و النقد بين التاريخ و الفن،مصر ، (د ط)، سنة 1975م ، ص 01.

143

إنّ ارتباط البلاغة بقضية إعجاز القرآن أمرٌ واضحٌ جليٌّ في كثير من كتب البلاغة ومصادرها الأساسية، إذ يكفي الاطلاع على عناوين بعضها لإدراك هذه العلاقة القويّة،فدلائل الإعجاز للجرجاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي،والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي،والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني، وغيرها من كتب البلاغة الأساسية التي كانت غايةُ بحثها الوصولَ إلى فهم الإعجاز في القرآن، ولذلك وُجدَ في كثيرٍ منها بابٌ لدراسة الإعجاز..[1] .

لقد كانت البلاغة العربية– كما يذهب إلى ذلك عبد الجبار الشرابي– نتاجا للظروف السائدة في المجتمع العربي بعد الإسلام، وكانت قد بدأت كفرع من فروع الدراسات اللغوية القرآنية التي تعنى بتفسير القرآن الكريم،والتي كانت تهدف أساسا لإثبات إعجاز القرآن الكريم،الذي تحدّى العرب وهم أهل الفصاحة، وفرسان البلاغة، أن يأتوا بسورة من مثله. من ثمّ فإن اهتمام العلماء كان منصبا أساسا، على فكرة بحث جوهر هذا التحدّي. ومن يومها الأول فإن البلاغة العربية اصطبغت بصبغة الدراسات التحليلية للنص القرآني الموجود بين دفتي المصحف كنص مكتوب. وكان أول من اهتم بدراسة المجاز في القرآن الكريم هو الفراء المتوفى سنة 207 هـ/830 م، والذي ألّف كتابا في هذا المجال تحت عنوان "معاني القرآن"، وتلا ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210 هـ/ 833م، والذي ترك لنا كتاباً في هذا المجال بعنوان "مجاز القرآن". بعد ذلك يأتي ابن قتيبة المتوفى سنة 276 /هـ 889 م وهو الذي ألّف كتاباً بعنوان "تأويل مشكل القرآن". وفي هذه المؤلفات نجد تصريحات عامة عن المجاز والذي كان يعني بالنسبة لهم الأسلوب [2].

ولقد أسهمت ثلاث بيئات، في توضيح الأسس الأولى لمبحث الأنواع البلاغية:بيئة اللغويين،ثم بيئة المتكلمين، ثم بيئة الفلاسفة..وهذه البيئات الثلاث هي التي حددت مجرى البحث في الأنواع البلاغية،بل هي التي أرست الدعامات الأولى،التي قام عليها التراث البلاغي والنقدي معاً.وإذا كانت بيئة المتكلمين تقوم أساساً على جهود المعتزلة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية و ما صاحب هذه الجهود من دراسات لموضوعات البلاغة و قضايا النقد ، من حيث أنها تبلورت عندهم وفق عاملين اثنين هما:الأول ويتصل بدراسة القرآن نفسه،وتبين حقيقة إعجازه و نظمه ، والثاني يتصل بالغاية من تعلم البلاغة نفسها،فالبلاغة عندهم عنصر هام ، في الإقناع الذي هو غاية الجدل الكلامي ، ومن هنا نفهم تعريف عمرو بن عبيد 144هـ للبلاغة بأنها :" تخير اللفظ في حسن الإفهام " – أقول فإن بيئة اللغويين كانت الأقدم زمنياً ، إذ ان جهودها تبدأ في الظهور والإثمار تبدأ منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، و بفضل علماء مثل : أبي عمرو بن العلاء ، و يونس بن حبيب و الخليل بن احمد،وسيبويه ،الذي يذهب البعض إلى اعتباره المؤسس الأولى للبحث البلاغي استناداً لما ورد في"الكتاب" من ذكر لبعض الملاحظات الأسلوبية التي أدرجت فيما بعد في علم المعاني

---

1 - ينظر ما كتبه بن عيسى باطاهر في مقال ، عنوانه : تيسير البلاغة في كتب التراث ، عن موقع جامعة الشارقة على الانترنت ، ص 35.

2 - من مقال على مجلة" التسامح" الالكترونية ، عنوانه: الأثر اليوناني في البلاغة العربية: بلاغة النص وبلاغة الخطاب ، ص 02.

-

والبيان[1].

وإذا كانت البلاغة العربية في مرحلتها الأخيرة قد وُصفت بالجفاف والجمود، ووُصفت مناهج علمائها بالتكرار والتعقيد، فإنّه لا بدّ للدارس من النّظر بعين الإنصاف إلى التراث البلاغي القديم، والبحث بدايةً في الأسباب التي كانت وراء التعقيد والغموض اللذين لوحظا في بعض مسائل هذا العلم، ولاسيّما في علاقة البلاغة بالفلسفة وعلم الكلام، وما أثاره الدارسون المحدثون بشأن هذه القضية، ثمّ دراسة جهود قدامى البلاغيين في تيسير الدرس البلاغي من خلال الوسائل كالتلخيصات والشروح، ومن خلال المناهج، والموضوعات، والمصطلحات[2] .

إن ذلكم الارتباط بين علم البلاغة وقضية الإعجاز القرآني، قد أفرز تلك الدراسات والمباحث الجليلة في فهم قضية الإعجاز، ومحاولة تعليلها تعليلاً لغويًا وبلاغيًا،كما هو الشأن عند عبد القاهر الزمخشري وغيرهما، ولكنّه أفرز في الوقت نفسه غموضًا ومسالك صعبة في علم البلاغة،فقضية الإعجاز مثلما أثّرت تأثيرًا واضحًا في توجيه التأليف في البلاغة، فإنّها غَدت كذلك وسيلة من وسائل دراســة علم الكلام، ومن هنا كانت – فيما يبدو - سببًا من أسباب ذلك التعقيد الذي يُلحظ في بعض مسائل البلاغة وقضاياها الأساسية3.

لقد كانت الخلفية الدينية، أحد أهم الأسباب في إثارة السؤال البلاغي؛حيث تم الانتقال من التتريه عن التناقض والنقص إلى البحث في مزية بنية النص القرآني داخليا وخارجيا والتي تجعله بحق خارقاً للعادة البشرية،أي معجزة دالة على النبوة.بالإضافة إلى ذلك فقد لعب الإختلاف حول طبيعة كلام الله نفسه في توجيه البحث البلاغي،خاصة حين اشتد الوعي بهذا السؤال في القرن الخامس وأصبح مُحرجاً. فابن سنان، برغم اعتماده الصّرْفة، بنى تصورَه البلاغي على اعتبار الكلام أصواتا ومقاطع متأثرا بمذهب المعتزلة مقدما كتابه بتمهيد نظري يكشف هذه المسألة ويُناقشها بصراحة وقوة. وهذا الموقف المذهبي هو الذي أوقعه في كثير من الحرج حين واجه طبيعة الموضوع (الخطاب) وما تراكم فيه من معرفة بلاغية عبر خمسة قرون على الأقل، إذ إن اعتماد الأصوات وحدها يلغي أكثر التراث البلاغي ويجافي طبيعة الخطاب البشري[4].

والأمرالمؤكد أنّ الجدل لم يحتدم حول قضية من قضايا البلاغة كما احتدم حول هذه القضية سواء من النقاد القدامى،أم من البلاغيين أصحاب الأذواق الرفيعة،أم من علماء البلاغة ذات القواعد والرسوم،أم من الباحثين المعاصرين الذين اعتمدوا في دراسة هذه القضية على الدراسات الغربية في النقد والبلاغة ،وعلى نظريات علم الجمال الحديث.لقد كانت قضية إعجاز القرآن الكريم قد حظيت من علماء البلاغة بجهود مضنية،واقتضتهم بحوثاً إضافية شاقة ، وأطالت بينهم الجدل والخصومة،وشعبت الآراء والمذاهب،وفتحت آفاقاً واسعة للمعرفة،وهدتهم إلى نواصع من الحجج من

1- جابر عصفور: الصورة الفنية، ص 99.
2- بن عيسى باطاهر : تيسير البلاغة في كتب التراث ، ص30.
3 - م س ،ص 36.
4 - محمد العمري : البلاغة العربية ، الأصول و الامتدادات ، ط 01 ، 1998 ، المغرب ، ص25

البراهين ، وإلى ثواقب من الآراء والأفكار[1] .

والحق أن مجال البلاغة يأتلف مع مقدمة البلاغة العربية فيحتوي على ما يسمى بالسلم البلاغي،أي يبدأ بالقرآن الكريم،ثم بالحديث النبوي الشريف ، ثم حديث البلغاء والفصحاء،وبعد أن ينتصف السلم البلاغي،تبدأ أحاديث الناس على تدن في المستوى البلاغي،حتى تصل تلك الأحاديث في قيمتها إلى كلام المجانين والموسوسين و الحمقى ،أما التصاعد البياني الإنساني فيقف دون الإعجاز القرآني، حتى حديث الرسول الكريم في فصاحته و بيانه، يبقى قريباً من ساحة الإعجاز القرآني،دون أن يكون له قدرة على ولوجها [2].

ثم هل من منكر أن علماء العربية قد انتهجوا منهجاً متميزاً في البحث اللغوي يعتمد أساساً على خاصية التذوق، وإعمال العقل ودقة الملاحظة، ويرسمون حدودهم في إطار الدراسة القرآنية، فلا غرو إذن أن تكون لهم شخصيتهم المستقلة،وبحوثهم التي تتجه اتجاهاً لغوياً يخدم الدين، مع انعدام الآلات الحديثة لديهم[3] .

جدير بالذكر أن منهج البحث اللغوي كان معتمده الأساسي عندهم ، مركزاً على اللغة المشتركة، وهو المستوى الذي اتفق عليه بين المتحدثين بالفصحى؛والذي دفعهم لذلك نزول القرآن الكريم بتلك اللغة؛ومن ثم لم يعتنوا باللهجات الخاصة لكل قبيلة ؛ لكونها لا تمثل لغة موحدة ، بل هي خصائص لغوية تختص بها قبيلة دون أخرى، وليس معنى هذا إنكار دراسة اللهجات برمتها ،بل درست في سياق القرآن الكريم، على ما فيه من لغات القبائل ..[4] .

لقد بدا لي،وأنا أحاول كتابة هذه الأوراق، قاصداً تفهم المعايير العلمية للدرس البلاغي،أن يكون ذلك انطلاقاً من الحديث عن نشأتها،وفق إطارها التأسيسي والتأصيلي،وذلك من حيث المفهوم،والموضوع والمنهج،ابتداءً من القدامى الذين لهم قدم صدق، في بزوغ الدرس البلاغي إلى الوجود الإنساني،وانتهاءً إلى تلك الإضافات،التي أضيفت من لدن من سموا بالجدد؛وإن كنت على يقين بأن البلاغة العربية لم تحظ لحد الآن بتاريخ شامل يضبط ظروف نشأتها ويتتبع ظهور عناصرها وتبلورها،ويحدد مراحل تطورها ويقيم مساعي رجالها ، ويبحث في المؤلفات البلاغية،وفي بيئتها،وعصورها عما تنم عنه، من مشاغل فكرية ويبرز بالغوص في خضم التراث البلاغي معنى حركات التأليف المتوالية.وأنه ما دام تاريخ البلاغة مهملاً،وما دامت المشاغل الفكرية التي نشأت عنها مختلف مؤلفاته مجهولة؛فإنّ القواعد التي ورثناها لا تبدو لدارسيها اليوم إلا أشكالاً جافة و قوانين متحجرة ..[5] .

هذا من شأنه أن يؤهلنا سلفاً ،لأن نحاول تحقيق عملية ربطية بين الدرس البلاغي عند القدامى،والدرس البلاغي عند المحدثين،لننظر الجديد الذي حازه هذا الدرس، وما الشرعية المعرفية التي تؤهله بحق، أن يقتحم المعطى الغربي،عن طريق المفاهيم والمصطلحات؛فتيقنت أن لا مناص من العودة إلى التراث العربي القديم،لأرى هل بالإمكان أن أستشف

1 - علي محمد حسن العماري: *قضية اللفظ و المعنى و أثرها في تدوين البلاغة العربية* ، مكتبة وهبة ، مصر ،1999 م ، ص 07.

2- محمد بركات حمدي أبو علي:*البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل* ، دار البشير ، عمان، الأردن، ط 01 ، 1992 م ، ص 10.

3 - نادية رمضان النجار: *فصول في الدرس اللغوي*، ص 56.

4- م س ، ص 58.

5- عبد القادر المهيري : *نظرات في التراث اللغوي العربي* ،دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، 1993، ص 223 .

منه وجود فكرة كلية ، ترمي لدراسة البلاغة كإرث له أسسه العلمية،وخصائصه اللغوية؛إذ ليس هناك علم من العلوم، التي تهتم بفنون التعبير، تمتد جذوره في تراث الإنسانية، قدماً وشمولاً أكثر من علم البلاغة وفن البيان،ولعل مرد ذلك إلى أنه يقترب من الخط الفاصل،الذي يتحقق عنده جوهر الإنسان:"خلق الإنسان علمه البيان "[1] .

والحق أن البلاغة العربية تمثل في وقتنا الراهن ذلك المخزون الثقافي، والموروث الفكري، الهام للثقافة العربية بشكل عام، وبفضلها استطاع ثلة من الباحثين،أن يبنوا تمثلاتهم العلمية البناءة، لخلق جسر تواصل صريح ، وصادق بين إسهامات القدماء،وإنتاجات المحدثين،ومن ثم كان من سمات البحث المعرفي الحديث،هو هذا الصراع المرير الذي استمر ردحا من الزمن، بين التراث البلاغي القديم، والنماذج اللسانية المعاصرة،

1- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، www.al-mostafa.com ص 08.

مقال مجلة البدر

98 ISSN 2170-0796

مفهوم الكناية في الدراسات الغربية

لغزال لخضر جامعة أدرار

بدا الدس الحديث في الكناية من محور دي سوسير المحور الترابطي والمحور التعاقبي، في تصنيفه لعلاقات الدوال على المحورين ، و يستخرج جاكبسون من تقابل محوري دي سوسير قاعدة أن اللغة تعمل وفق مبدأ الاستقطابات المتضادة ثنائياً ، هذا في المستوى الاولى و يؤسس على هذا ان كلاً من الاستعارة والكناية هما صيغتان لتلك الاستقطابات ، وذلك من خلال إسقاط مبدا التكافؤ من محور الاختيار على محور التوزيع ، وهذا التكافؤ المفترض إما أن يكون على أساس التشابه ، فتنتج الاستعارة وإما أن يكون على اساس التماس أو المجاورة ، فتنتج الكناية . إن مفهوم المجاورة الغربي لا يختلف عن مفهوم اللزوم العربي ، و من هنا لا نرى ثمة اختلاف كبير بين المفهوم الألسني الغربي ، ومفهوم تراثنا العربي ، بل من الإنصاف أن نعترف لتراثنا بفضل السبق ، و بفضل الدقة في التقسيم و التصنيف التي وفرتها له المادة الادبية التي استنبط منه هذا .

08/- الكناية في الدراسات الغربية :

يتعلق الأمر في اللجوء إلى البلاغة عموما بنوع من الحتمية تؤسسه العلاقة السيكولوجية الغامضة للمتكلم/ الكاتب بموضوعه ، وهو غموض يجعل من الوضوح الذي يوفره الاهتداء بأعراف الأداء اللغوي نقيضاً للمقاصد القائمة خلف الاداء نفسه كأننا إزاء نوع من الأزمة يفرضها تصور الذات للعالم وليس لموضوع إنشائه فحسب فتستبعد دال الشيء مع إمكانه وتاتي بتشبيهه ، او تأتي بلازمه / مجاوره.

إن مبدا اللزوم في الكناية ، او التجاور في الخطاب الغربي عن المجاز المرسل، مبدا قائم على ما يشبه نوعا من الفلسفة يذهب إلى أن المنطق الذي به يكون الواقع هو منطق اللزوم / التجاور، عناصر الواقع قادرة على تاويل بعضها بعضا ، و تمثيل بعضها بعضا، والامتداد باتجاه بعضها بعضاً وفقاً لقاعدة ثقافية مبررة لهذا كله. هنا يكمن الحكي أو السرد الاداء اللغوي الأمس رحماً بالكناية من علاقتها بالشعر دون أن يمتنع دخولها فيه فهي في الشعر سرد منقطع انقطاعاً يفتح افاق وظيفتها داخل ماهية سياقها. ونظرة عجلى للشواهد الشعرية في الكناية تؤيد ما نذهب إليه. فالكناية في الشعر ما إن تكتمل صيغتها اللغوية حتى يلتفت منها إلى سواها مما ابتدأ الشاعر فيه كما في قول الشاعر:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ابوها و إما لبعد شمسٌ و هاشم

والشاهد فيه بعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق فيه شكل من أشكال الالتفات من الوصف الحسي للمراة جسدا إلى وصفها المعني نسبا ، و هو التفات يزحم القصيدة و ليس الشاهد فحسب بتصوراته. ثمة رابط بين الطول المادي ، والشرف المعنوي في الثقافة العربية ربما تجمعها الدلالة الأصل للشرف . فالكلمة تعبر عن علو المكان ، و من علو المكان كانت المكانة العالية ، و من الاخيرة كانت الصيانة والحفاظ وجميع ما يجتمع معنويا للشرف في مطلق معناه الاجتماعي، كل هذا يجعل الكناية مؤسسة للتردد بين أشراف قريش ، نوفل ، أو عبد شمس ، أو هاشم . إن تكافؤ اللازم والملزوم الحسيين ينسحب على التكافؤ المعنوي بين بطون قريش الثلاثة شرفاً .

ISSN 2170-0796

جامعة بشار

– الكناية : من البلاغة إلى الشعرية :

غالبا ما تقتنص البلاغة الجزئي والعابر من النص الادبي فتقول به ضمن رؤية اقرب ما تكون في تاويل الاستخدام الشعري بالنظام الغوي حتى لتبدو وكأنها واحدة من البراهين الثانية على النظام ولعل مقدمة (عبد القاهر الجرجاني) لدلائله تؤكد هذا الذي نذهب إليه . وإذا كان كل من التشبيه والاستعارة لم يفلتا من ذلك التروع البلاغي ، فإن الكناية إلى حد ما قد أمكنها ذلك وشواهدها القديمة شاهدة على انتصارها الفذ هذا، و ما سكوت بلاغيينا على تجاوز معنيين في لحظة سياقية واحدة إلا لأن الكناية كانت بحاجة إلى علم أدق بالدلالة ، و معرفة اعمق بالسياق و حضور مفهومي ، و إجرائي لمصطلح النص و فوق هذا وذاك إلى وعي بالحراك اللغوي للمعاني خارج تراكبها الجزئية .

إن توظيف الكناية في الادب الحديث و تحليلها ينبغي ان ينظر إليها من وجهتين : الاولى بلاغية تقرا فيها الكناية باعتبار دورها الوظيفي أي في تركيبها اللغوي، و نترك للنص حق استدعائها من موضعها متى شاءت لغته ، أو شاءت قراءته . والثانية وجهة نصية نقرأ فيها الكناية قراءة تتسع عن حدود تحليها اللغوي فيتم فتح عناصرها ، و نوابحها على النص لتشارك في بلورة بنيته بهذا القدر أو ذاك حسب جدارتها الداخلية بوجودها النصي .

كل هذا التعدد يؤسس لفاعلية السياق في استعادة تماسكه ، او انسجامه من قبضة الازدواج الدلالي الذي اقترحته الكناية عليه ، فغالب ما كان امتداد السياق نابجا من ناتج قلق محمولاته سواء بازدواجها أو بغموضها أو بنقصها الدلالي على الرغم من اكتمالها التركيبي.

10/– الهيئة السيميائية للكناية

إن العلامة من منظور بيرس ثلاثة انواع : الرمز، الايقون، المؤشر او الشاهد . و نحن في غنى عن النظر إلى النوعين الأوليز بينما لا مناص من النوع الثالث بصدد الحديث عن الهوية السيميائية للكناية إننا نعتبر الكناية علامة من نوع المؤشر / الشاهد الذي له عدد من الخصائص تقارب بينه و بين الكناية علاقة المحاورة بينه و بين موضوعه بعداً و قرباً.

هذه هي بينة العلامة عند بيرس بالنسبة لموضعها فإذا ما تناولنا الكناية كعلامة على ضوء هذه البنية فسنتبين اننا إزاء ثلاث مستويات لكل منها حضور نوعي. إننا مع الشاهد/ الكناية نتحرك داخل عالم نصي تقع فيه هذه العلامة ومن تم فإن عناصرها البنيوية تخصص بعضاً منها بحساب بنيتها و تخصص بعضاً الاخر لالياتها التدليلية..:

(أ)– **الموضوع الكنائي** : تحدد السيمياء (البيرسية) الموضع بأنه ما يقوم الممثل بتمثيله سواء كان هذا الشيء (الموضوع) الممثل واقعيا او متخيلاً أو قابلاً للتخيل أولا يمكن تخيله على الإطلاق. إن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع وفي حالة الكناية فموضوعها لا يخرج عن التحديد السابق .

(ب)– **الممثل الكنائي** : في السيمياء (البيرسية) يتحدد الممثل بثلاث سمات :

«– يحل محل شيء اخر.

– اداة بتمثيل هذا الشيء.

– لا يحيل على موضوعه إلا من خلال مؤول».

100 ISSN 2170-0796

و بخصوص الكناية فهذا يتطابق تماما المثل (البيرسي) مع الكناية في خطابنا البلاغي فــ(كثير الرماد) ممثل و(طويل النجاد) كذلك .

(ج)- **المؤول الكنائي** : يقول (سعيد بن جراد) « المؤول يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للمثل بالإحالة إلى موضوعه وفق شروط معينة فلا يمكن الحديث عن العلامة إلا من خلال وجود المؤول باعتباره العنصر الذي يحدد للعلامة صحتها ويضعها للتداول كواقعه إبلاغية». إذن وحدة المؤول هو الذي يقيم العلاقة بين التركيب اللغوي (الممثل) والموضوع فتكتمل العلاقة .

11/- مستويات قراءة الكناية

اتساقا مع التصور (البيرسي) للسيرورة التاويلية غير المتناهية تتعدد المستويات الدلالية والتي حدد لها (بيرس) ثلاثاً مستويات لقراءتها :

- المستوى القبلي حيث الموضوع.
- المستوى التركيبي حيث المثل.
- المستوى النصي حيث المؤول.

(ا)- المستوى القبلي

إن تحديد نوع العلاقة البلاغية قرار إبداعي ياخذه المبدع على قاعدة وعيه جماليا بموضوع نصه من جهة ، وإحساسه بالسياق القبلي من جهة أخرى ، وأخيراً بوظيفة نواتج ذلك القرار سياقياً ونصياً من جهة اخرى إن المبدع في واحدة من لحظات النص يشعر شعوراً صادقا بتهديد أدوات تعبيره السابقة لتصوراته المبهمة عن موضوعه فيلجأ إلى واحدة من تقنيات البلاغة ملتفاً على ذلك التهديد .

(ب)- المستوى التركيبي

في هذا المستوى نحن امام الكناية المثل ولا إمكان لفهم ما يحدث لإنتاجه إلا عبر مفهومي البنية العميقة والبنية السطحية ، حيث الانتقال من الأولى إلى الاخيرة يلزمه مبدأن و شرط او قانون تحويلي يضبط عملهما، أما المبدان فهما، الحذف والاستبدال . وأما الشرط فهو: اللزوم إننا كثيراً ما نخطيء في النظر إلى التركيب اللغوي باعتباره مجموعة مّن الخانات النحوية تشغلها مجموعة من المفردات اللغوية.وهذا التصور يزيح إمكانية وجود سياق لا يحوي للتركيب اللغوي . وهو قصور في النظر إلى دور المفردة اللغوية داخل تركيبها. إن كل تركيب لغوي عبارة عن مستويين يتطابقان فلا يتميز أحدهما من الاخر،أو تفصل بينهما مسافة ما فتجعلهما امام احتمالين لا غير: إما ان يتوازيا ، وإما ان يتقاطعا والتطابق يكون في حالة الاداء المعياري فحسب اما الحالتان الأخريان فتمثلان إزاحة شعرية للمعيار إنها إزاحة تفرض ولا تفترض فقط مفهوم السياق كفاعلية لملء المسافة بين المستويين .

(ج)- المستوى النصي

إن اعتبار الكناية دالا يحدث انقلابا جذريا في التعامل معها إذ يؤدي بنا إلى البحث في النص عن العلاقات الممكنة له ، وعن طبيعة هذا العلاقات وأشكالها فضلاً عن وظائفها قبل أن نتحدث عن نواتجها ، و ذلك باعتبارها من جهة حضورها دالا مركبا ومن جهة دلالتها مثلها مثل الدال المفرد، و يربط بين الترطيب والدلالة

101 ISSN 2170-0796

جامعة بشار

هناك ثالث قائم في فضاء النص ، هو دال اللزوم إذن لدينا ثلاثة محاور للتحليل النصي للكناية الاول المحور التركيبي والثاني المحور الدلالي والثالث المحور الفضائي للتضافر العلاقات بين الكناية كظاهرة بلاغية وبين نصها الادبي واشدد على هذه الصفة فثمة فارق كبير بين تحليل الكناية في خطاب ادائي و تحليلها في نص ادبي .

12/- بين الكناية والصور البيانية الأخرى

المدهش في أمر تراثنا البلاغي أنه التقط علاقات معنية للكناية بالصور البيانية الاخرى من تشبيه و مجاز لغوي و استعارة ، وقد يمكننا أن نصف تلك العلاقات صنفين :الصنف الأول: علاقات حضور حيث تدخل الكناية في جسد الصور البانية الأخرى وهي التي اهتم بها الخطاب التراثي والصنف الاخر علاقات غياب حيث تدخل الكناية في فضاء تاويل الصورة البيانية الاخرى.

(ا)- علاقة الحضور

تحضر الكناية على صورتين من الحضور الاولى تحديد المفهومية بين ما يخشى تداخله كما في حالة اشتباه للمجاز بالكناية نظراً لوجود جامع أعلى بينهما هو عدم إرادة المعنى الاصلي للفظ في الاثنين يقول الرازي: «اعلم أن اللفظة إذا أطلقت و كان الغرض الاصلي غير معناه فلا يخلو أم ان يكون معناها مقصوداً أيضا ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي و إما ألا يكون فالأول الكناية والثاني المجاز» واما صورة الحضور الأخرى فدخول الكناية في تمييز بعض أقسام الصور البيانية الأخرى كما في حالة تشبيه الكناية ذكره «شهب الدين الحلبي».

(ب)- علاقة الغياب

بين المجاز والكناية تشاكل واختلاف ، فالتشاكل على قاعدة وجود معنيين للفظ ، و اما الاختلاف فعلى قاعدة صلاحية المعنيين معا في الكناية و امتناع إرادة المعنى الأصلي في سواها . إذن نحن أمام مستويين يلتقي في احدهما المجاز بنوعيه.

خاتمة :

_ إن شعرية البلاغة العربية الذي حاولته الدراسة في (الكناية) لا يعود إلى الكناية في ذاتها فما الكناية في ذاتها، إلا صورة بيانية من صور اخرى تقع جميعاً تحت سلطة التعريف بعلم البيان.

_ الشعرية إمكان قائم في فضاء خطاب بلاغتنا تحققه الدراسة المقارنة التي تجيد صناعة حوار معرفي بين لحظة تراثنا العربي ولحظة الحداثة الغربية لتفعيل منجز الاولى وتطويع منجز الثانية لإتقان العربية. وبلاغتنا تتمتع بما يؤهلها لهذا على العكس تماماً من التراث البلاغي للغرب.

_ إن الشعريات الغربية باختلاف روادها قد تقاطعت مع التراث البلاغي .

إذا كان هذا هو حال البلاغة الغربية فليس من المنطقي أن نحسب الامر كذلك في كل بلاغة وتحديدا: بلاغتنا فثمة

_البلاغة الغربية قد ارتبطت بالخطابة وإنتاج الخطاب الاستشاري والاحتفالي والفضائي ثم الشعري فيما بعد .

_ إن البلاغة العربية قد ارتبطت بالشعر والقران والقول البليغ عموماً ومن ثمة كانت محاولة لتفسير الخطاب .

_ البلاغة الغربية تتكون من خمسة اقسام هي:الابتكار والترتيب والصياغة والحفظ والإلقاء.

101 ISSN 2170-0796
مجلة البدر
جامعة بشار

هناك ثالث قائم في فضاء النص ، هو دال اللزوم إذن لدينا ثلاثة محاور للتحليل النصي للكناية الاول المحور التركيبي والثاني المحور الدلالي والثالث المحور الفضائي للتضافر العلاقات بين الكناية كظاهرة بلاغية وبين نصها الادبي واشدد على هذه الصفة فثمة فارق كبير بين تحليل الكناية في خطاب ادائي و تحليلها في نص ادبي .

12/– بين الكناية والصور البيانية الأخرى

المدهش في أمر تراثنا البلاغي أنه التقط علاقات معنية للكناية بالصور البيانية الاخرى من تشبيه و مجاز لغوي و استعارة ، وقد يمكننا أن نصف تلك العلاقات صنفين :الصنف الأول: علاقات حضور حيث تدخل الكناية في جسد الصور البانية الأخرى وهي التي اهتم بها الخطاب التراثي والصنف الاخر علاقات غياب حيث تدخل الكناية في فضاء تاويل الصورة البيانية الاخرى.

(ا)– علاقة الحضور

تحضر الكناية على صورتين من الحضور الاولى تحديد المفهومية بين ما يخشى تداخله كما في حالة اشتباه للمجاز بالكناية نظراً لوجود جامع أعلى بينهما هو عدم إرادة المعنى الاصلي للفظ في الاثنتين يقول الرازي: «اعلم ان اللفظة إذا أطلقت و كان الغرض الاصلي غير معناه فلا يخلو أم ان يكون معناها مقصوداً أيضا ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي و إما ألا يكون فالأول الكناية والثاني المجاز» واما صورة الحضور الأخرى فدخول الكناية في تمييز بعض أقسام الصور البيانية الأخرى كما في حالة تشبيه الكناية ذكره «شهب الدين الحلبي».

(ب)– علاقة الغياب

بين المجاز والكناية تشاكل واختلاف ، فالتشاكل على قاعدة وجود معنيين للفظ ، و اما الاختلاف فعلى قاعدة صلاحية المعنيين معا في الكناية و امتناع إرادة المعنى الأصلي في سواها . إذن نحن أمام مستويين يلتقي في احدهما المجاز بنوعيه.

خاتمة :

ـ إن شعرية البلاغة العربية الذي حاولته الدراسة في (الكناية) لا يعود إلى الكناية في ذاتها فما الكناية في ذاتها، إلا صورة بيانية من صور اخرى تقع جميعاً تحت سلطة التعريف بعلم البيان.

ـ الشعرية إمكان قائم في فضاء خطاب بلاغتنا تحققه الدراسة المقارنة التي تجيد صناعة حوار معرفي بين لحظة تراثنا العربي ولحظة الحداثة الغربية لتفعيل منجز الاولى وتطويع منجز الثانية لإتقان العربية. وبلاغتنا تتمتع بما يؤهلها لهذا على العكس تماماً من التراث البلاغي للغرب.

ـ إن الشعريات الغربية باختلاف روادها قد تقاطعت مع التراث البلاغي .

ـ إذا كان هذا هو حال البلاغة الغربية فليس من المنطقي أن نحسب الامر كذلك في كل بلاغة وتحديدا: بلاغتنا فثمة

ـ البلاغة الغربية قد ارتبطت بالخطابة وإنتاج الخطاب الاستشاري والاحتفالي والفضائي ثم الشعري فيما بعد .

ـ إن البلاغة العربية قد ارتبطت بالشعر والقران والقول البليغ عموماً ومن ثمة كانت محاولة لتفسير الخطاب .

ـ البلاغة الغربية تتكون من خمسة اقسام هي:الابتكار والترتيب والصياغة والحفظ والإلقاء.

 ISSN 2170-0796

قائمة المصادر:

ـ ابو زيد الأنصاري . النوادر. تحقيق محمد عبد القادر احمد ، دار الشروق للنشر ، القاهرة ، ط / 1، 1980.

ـ فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، القاهرة.

ـ فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسانيات العامة ، تحقيق عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط ، 1987 .

قائمة المراجع :

ـ احمد حساني . مباحث في اللسانيات . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

ـ العطار بوشتي .قضايا المنهج و الأدب، مجموعة من المؤلفين، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء المغرب،ط 1 / ،1987

ـ شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق اكرم عثمان، بغداد، (د ط)، 1980

ـ مصطفى سويف . الأسس النفسية للإبداع الفني ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / ، 1995

ـ حمود حمادي . التفكير البلاغي : أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1981.

ـ علوش سعيد . المصطلحات الأدبية المعاصرة ، مطبوعات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 /، 1984

ـ يوسف الصديق . المفاهيم و الألفاظ ، دار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، . د ـ ط ، د ـ ت .

المواقع الإلكترونية:

ـ سعيد بن جراد. السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها عن الموقع الالكتروني:http// Saidbengrad.tree.fr.//ouv